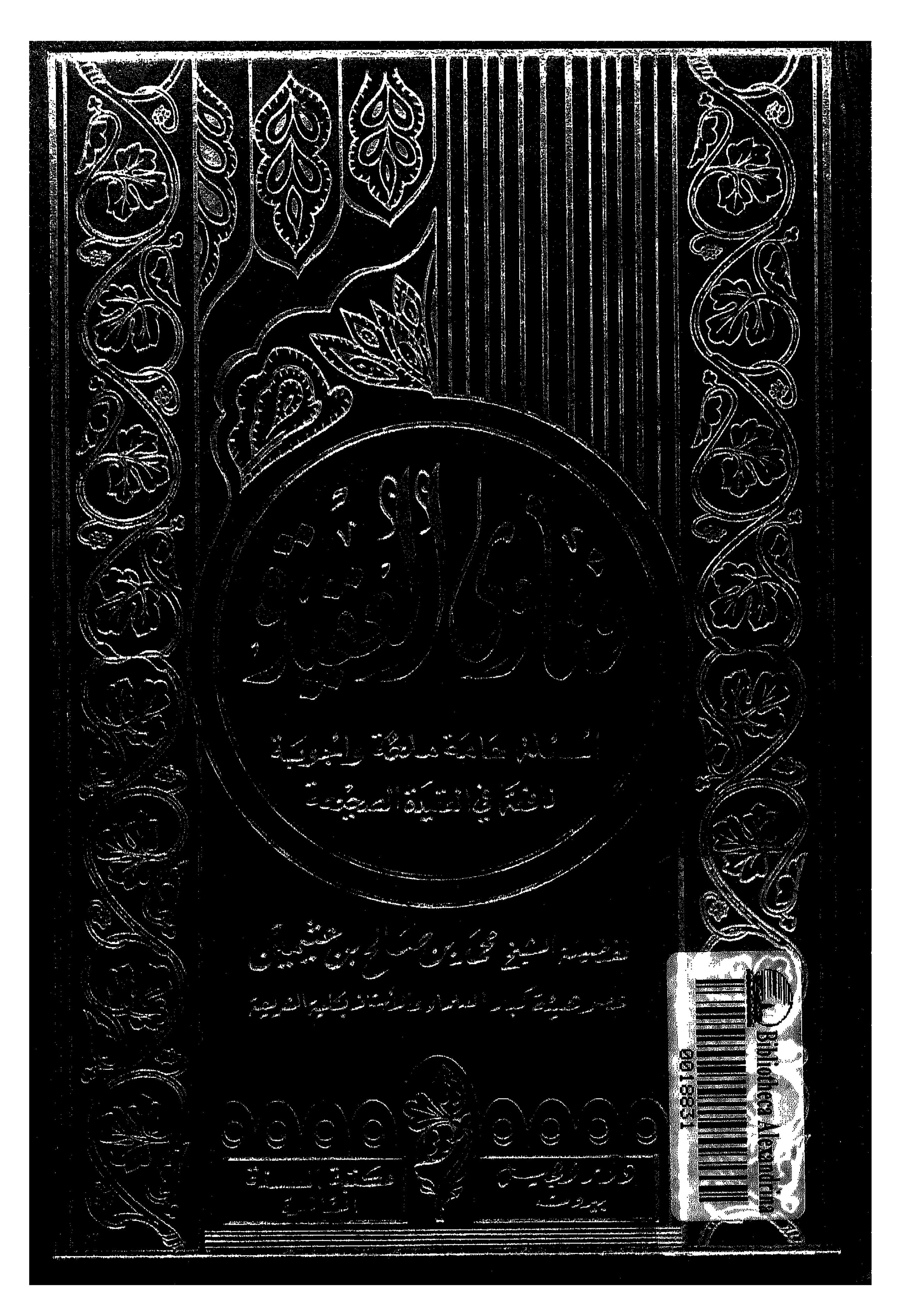

فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين
بيروت
Bibliotheca Alexandrina
0018831







فتاوى العقيدة

أسئلة هامة ملحة وأجوبة نافعة في العقيدة الصحيحة

لفضيلة الشيخ
محمد بن صالح بن عثيمين
عضو هيئة كبار العلماء والأستاذ بكلية الشريعة

دار الجيل
بيروت

مكتبة السنة
القاهرة

الطبعَة الثانيَة

١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر: إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد: فإن قضايا الإيمان من أهم ما يحتاج إليه المسلم المعاصر، والفهم الصحيح للعقيدة الإسلامية ضرورة.. بل ضرورة مُلحّة وخاصة في هذا الوقت الحاضر الذي بدأت فيه الصحوة الإسلامية تظهر في شتى أرجاء المعمورة.

وتأتي هذه الضرورة في الوقت الحاضر بالذات لأنه لابد للأمة من معالم صحيحة في طريق عودتها إلى الله تبين لها المنهج الصحيح في فهم العقيدة التي هي القاعدة الأساسية لبناء المجتمع الإسلامي الصحيح، وما لم يكن المنهج المتبع صحيحا فإن اليقظة الإسلامية ستنحرف عن مجراها السليم. ونحن نعتقد اعتقاداً جازماً أن « منهج أهل السنة والجماعة » في فهم العقيدة هو المنهج الصحيح الذي يجب تقديمه للأمة الإسلامية اليوم لكي تصبح بحق « أمة مسلمة » تستحق نصر الله ورضوانه.

ولذا فقد آثرنا جمع ونشر هذا الكتاب لفضيلة الشيخ: محمد بن صالح العثيمين لأهميته في هذا المضمار فقد كشف الشبهات عن جوانب كثيرة تمس إليها الحاجة بالأدلة الصحيحة، في أسلوب سهل ميسر، فجزاه الله خير الجزاء.

*** مصادر الفتاوى:**

- فتاوى الشيخ محمد بن صالح العثيمين .... إعداد أشرف عبد المقصود.
- فتاوى نور على الدرب..... إعداد فايز موسى أبو شيخة (معتمدة من الشيخ) .
- أسئلة مهمة تمس إليها الحاجة ..... رسالة طبعت مراراً (معتمدة من الشيخ) .
- فتاوى ودروس الحرم المكي .... (عرضت على الشيخ) .

- المجموع الثمين من فتاوى ابن عثيمين.... إعداد فهد السليمان.
- فتاوى نشرت في جريدة « المسلمون »
- فتاوى خطية بقلم الشيخ - حفظه الله -.

ويمتاز الكتاب بتوثيق الفتاوى مع ترتيبها وإعدادها في أبواب علمية فقهية ذات ترتيب مميّز ونسق خاص، إذ أن جميع ما نُشر من قبل لفضيلة الشيخ، قد فُرقت فيه الفتاوى وتناثرت بين صفحات الكتب، فجمعناها بين دفتي هذا الكتاب ليسهل تناولها.

وعسى أن يلمس محتوى هذا الكتاب قلباً مؤمناً فيزيده إيماناً، أو يصادف عقلاً حائراً فيكون له برهانا، أو يواجه نفساً أمّارة فيكون عليها سلطانا، والحمد لله رب العالمين.

الناشر

التوحيـــد وأقســـامه

١ ——— سئل الشيخ ، هل الإيمان هو التوحيد ؟ أم انّ بينهما فَرْقاً ؟

فأجاب : التوحيد : إفراد الله عزّ وجلّ بما يختص به ويجب له . والإيمان : هو التصديق المتضمن للقبول والإذْعان . وبينهما عموم وخصوص : فكُلُّ مُوَحِّدٍ مؤمنٌ ، وكُلّ مؤمن مُوَحَّد بالمعنى العام .

ولكن أحيانا يكون التوحيد أخصَّ من الإيمان . والإيمان أخصّ من التوحيد . والله أعلم .

٢ ——— سئل الشيخ أعلى الله درجته في المهديين : عن تعريف التوحيد وأنواعه ؟

فأجاب بقوله : التوحيد لغة : – مصدر وحد يوحد ، أي جعل الشيء واحدًا ، وهذا لا يتحقق إلا بنفي وإثبات ، نفي الحكم عما سوى

الموحد ، وإثباته له ، فمثلًا نقول : إنه لايتم للإنسان التوحيد حتى يشهد أن لا إله إلا الله فينفي الألوهية عما سوى الله عز وجل ويثبتها لله وحده ، وذلك أن النفي المحض تعطيل محض ، والإثبات المحض لايمنع مشاركة الغير في الحكم ، فلو قلت مثلًا فلان قائم فهنا أثبتَّ له القيام لكنك لم توحده به ، لأنه من الجائز أن يشاركه غيره في هذا القيام ، ولو قلت لا قائم . فقد نفيت نفيًا محضًا ولم تثبت القيام لأحد ، فإذا قلت : لاقائم إلا زيد فحينئذٍ تكون وحدت زيدًا بالقيام حيث نفيت القيام عمن سواه ، وهذا هو تحقيق التوحيد في الواقع ، أي أن التوحيد لايكون توحيدًا حتى يتضمن نفيًا وإثباتًا .

وأنواع التوحيد بالنسبة لله عز وجل تدخل كلها في تعريف عام وهو **إفراد الله سبحانه وتعالى بما يختص به .**

وهي حسب ماذكره أهل العلم ثلاثة :

الأول : توحيد الربوبية .

الثاني : توحيد الألوهية .

الثالث : توحيد الأسماء والصفات .

وعلموا ذلك بالتتبع والاستقراء والنظر في الآيات والأحاديث فوجدوا أن التوحيد لايخرج عن هذه الأنواع الثلاثة فنوعوا التوحيد إلى ثلاثة أنواع :

الأول : توحيد الربوبية : وهو « إفراد الله سبحانه وتعالى بالخلق والملك ، والتدبير » وتفصيل ذلك :

أولا : بالنسبة لإفراد الله تعالى بالخلق : — فالله تعالى وحده هو الخالق لاخالق سواه قال الله تعالى : —

﴿ **هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَاَ إِلَهَ إِلا هُو** ﴾[1] وقال تعالى مبينّ بطلان الهة الكفار ﴿ **أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَ يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُون** ﴾[2] فالله تعالى وحده هو الخالق خلق كل شيء فقدره تقديرًا ، وخلقه يشملُ ما يقع من مفعولاته ، وما يقع من مفعولات خلقه أيضًا ، ولهذا كان من تمام الإيمانِ بالقدر أن تؤمن بأن اللّه تعالى خالق لأفعال العباد كما قال اللّه تعالى :.— ﴿ **واللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ** ﴾[3] ووجه ذلك أن فعل العبد من صفاته والعبد مخلوق لله وخالق الشيء خالق لصفاته ، ووجه آخر أن فعل العبد حاصل بإرادة جازمة وقدرة تامة ، والإرادة والقدرة كلتاهما مخلوقتان لله عز وجل وخالق السبب التام خالق للمسبب .

فإن قيل : — كيف نجمع بين إفراد اللّه عز وجل بالخَلْقِ مع أن الخَلْقَ قد يثبت لغير اللّه كما يدل عليه قول اللّه تعالى ﴿ **فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الخَالِقِين** ﴾[4] وقول النبي ﷺ في المُصَوِّرِين « يُقَالُ لَهُم أَحْيُوا مَا خَلَقْتُم » ؟

---

(١) فاطر : ٣ .

(٢) النحل : ١٧ .

(٣) الصافات : ٩٦ .

(٤) المؤمنون : ١٤ .

فالجواب على ذلك : أن غير اللّه تعالى لايخلق كخلق اللّه فلا يمكنه إيجاد معدوم ، ولا إحياء ميت ، وإنما خلق غير اللّه تعالى يكون بالتغيير وتحويل الشيء من صفة إلى صفة أخرى وهو مخلوق لله عز وجل ، فالمصور مثلًا ، إذا صور صورة فإنه لم يحدث شيئًا غاية ما هنالك أنه حول شيئًا إلى شيء كما يحول الطين إلى صورة طير أو صورة جمل وكما يحول بالتلوين الرقعة البيضاء إلى صورة ملونة فالمداد من خلق الله عز وجل ، والورقة البيضاء من خلق اللّه عز وجل ، هذا هو الفرق بين إثبات الخلق بالنسبة إلى اللّه عز وجل ، واثبات الخلق بالنسبة إلى المخلوق . وعلى هذا يكون اللّه سبحانه وتعالى منفردًا بالخلق الذي يختص به .

ثانيًا : إفراد اللّه تعالى بالملك فالله تعالى وحده هو المالك كما قال اللّه تعالى : ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾(١) . وقال تعالى : ﴿ **قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ** ﴾(٢) فالمالك الملك المطلق العام الشامل هو اللّه سبحانه وتعالى وحده ، ونسبة الملك إلى غيره نسبة إضافية فقد أثبت اللّه عز وجل لغيره الملك كما في قوله تعالى : ﴿ **أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ** ﴾(٣) . وقوله : ﴿ **إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ** ﴾(٤) . إلى غير ذلك من

---

(١) الملك : ١ .

(٢) النور : ٦١ .

(٣) المؤمنون : ٦ .

(٤) المؤمنون : ٨٨ .

النصوص الدالة على أن لغير الله تعالى ملكا لكن هذا الملك ليس كَمِلْكِ الله عز وجل فهو مِلْكٌ قاصر ، ومِلْك مقيد ، مِلْك قاصر لايشمل ، فالبيت الذي لزيد لا يملكه عمرو ، والبيت الذي لعمرو لا يملكه زيد ، ثم هذا الملك مقيد بحيث لايتصرف الإنسان فيما ملك إلا على الوجه الذي أذن الله فيه ولهذا نَهَى النبيُّ ﷺ عن إضَاعَة المَالِ وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ **ولاَ تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا** ﴾[1] . وهذا دليل على أن مِلْكَ الإنسانِ مِلْك قاصر ومِلْك مقيد ، بخلاف مِلْك الله سبحانه وتعالى فهو مِلْك عام شامل وملك مطلق يفعل الله سبحانه وتعالى مايشاء ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

ثالثًا : التدبير فالله عز وجل منفرد بالتدبير فهو الذي يدبرالخلق يدبر السماوات والأرض كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ **أَلا لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ العَالَمِينَ** ﴾[2] . وهذا التدبير شامل لا يحول دونه شيء ولا يعارضه شيء . والتدبير الذي يكون لبعض المخلوقات كتدبير الإنسان أمواله وغلمانه وخدمه وما أشبه ذلك هو تدبير ضيق محدود وهو مقيد غير مطلق .

فظهر بذلك صدق صحة قولنا إن توحيد الربوبية هو إفراد الله بالخلق والملك والتدبير .

---

(١) النساء : ٥ .

(٢) الأعراف : ٥٤ .

النوع الثاني : توحيد الألوهية وهو إفراد اللّٰه سبحانه وتعالى بالعبادة ، بأن لايتخذ الإنسان مع اللّٰه أحدًا يعبده ويتقرب إليه كما يعبد اللّٰه تعالى ويتقرب إليه وهذا النوع من التوحيد هو الذي ضل فيه المشركون الذين قاتلهم النبي ﷺ واستباح دماءهم وأموالهم وأرضهم وديارهم وسبىء نساءهم وذريتهم ، وهو الذي بعثت به الرسل وانزلت به الكتب مع أخويه توحيدي الربوبية والأسماء والصفات ، لكن أكثر ما يعالج الرسل أقوامهم على هذا النوع من التوحيد – وهو توحيد الألوهية – بحيث لايصرف الإنسان شيئًا من العبادة لغير اللّٰه سبحانه وتعالى ، لاالملك مقرب ، ولا لنبي مرسل ، ولا لولي صالح ، ولا لأي أحد من المخلوقين ؛ لأن العبادة لاتصح إلا لله عز وجل ، ومن أخل بهذا التوحيد فهو مشرك كافر وإن أقر بتوحيد الربوبية ، وبتوحيد الأسماء والصفات . فلو أن رجلًا من الناس يؤمن بأن اللّٰه سبحانه وتعالى هو الخالق المالك المدبر لجميع الأمور ، وأنه سبحانه وتعالى المستحق لما يستحقه من الأسماء والصفات لكن يعبد مع اللّٰه غيره لم ينفعه إقراره بتوحيد الربوبية والأسماء والصفات . فلو فرض أن رجلًا يقر إقرارًا كاملًا بتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماءِ والصفاتِ لكن يذهب إلى القبر فيعبد صاحبه أو ينذر له قربانًا يتقرب به إليه فإن هذا مشرك كافر خالد في النار ، قال اللّٰه تبارك وتعالى : ﴿ **إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ** ﴾[1] . ومن المعلوم لكل من قرأ كتاب اللّٰه عز وجل أن المشركين الذين قاتلهم النبي ﷺ

---

(١) المائدة : ٧٢ .

واستحل دماءهم ، وأموالهم وسبيء نساءهم ، وذريتهم ، وغنم أرضهم كانوا مقرين بأن اللّه تعالى وحده هو الرب الخالق لايشكون في ذلك ، ولكن لما كانوا يعبدون معه غيره صاروا بذلك مشركين مباحي الدم والمال .

النوع الثالث : توحيد الأسماء والصفات وهو إفراد اللّه سبحانه وتعالى بما سمى اللّه به نفسه ووصف به نفسه في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ وذلك بإثبات ما أثبته من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ، ولا تمثيل . فلابد من الإيمان بما سمى اللّه به نفسه ووصف به نفسه على وجه الحقيقة لا المجاز ، ولكن من غير تكييف ، ولا تمثيل ، وهذا النوع من أنواع التوحيد ضل فيه طوائف من هذه الأمة من أهل القبلة الذين ينتسبون للإسلام على أوجه شتى : – منهم من غلا في النفي والتنزيه غلوًا يخرج به من الإسلام ، ومنهم متوسط ومنهم قريب من أهل السنة . ولكن طريقة السلف في هذا النوع من التوحيد هو أن يسمى اللّه ويوصف بما سمى ووصف به نفسه على وجه الحقيقة ، لاتحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولاتمثيل .

مثال ذلك : – أن اللّه سبحانه وتعالى سمى نفسه بالحي القيوم فيجب علينا أن نؤمن بأن الحي اسم من أسماء اللّه تعالى ويجب علينا أن نؤمن بما تضمنه هذا الاسم من وصف وهي الحياة الكاملة التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها فناء . وسمى اللّه نفسه بالسميع فعلينا أن نؤمن بالسميع اسمًا من أسماء اللّه سبحانه وتعالى ، وبالسمع صفه من صفاته وبأنه يسمع

وهو الحُكْم الذي اقتضاه ذلك الاسم وتلك الصفة ، فإن سمعيًا بلا سمع أو سمعًا بلا إدراك مسموع هذا شيء محال وعلى هذا فَقِسْ .

مثال آخر : – قال اللّه تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾[1] . فهنا قال الله تعالى : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ فأثبت لنفسه يدين موصوفتين بالبسط وهو العطاء الواسع ، فيجب علينا أن نؤمن بأن للّه تعالى يدين اثنتين مبسوطتين بالعطاء والنعم ، ولكن يجب علينا أن لا نحاول بقلوبنا تصورا ، ولا بألسنتنا نطقا أن نكيف تلك اليدين ولا أن نمثلهما بأيدي المخلوقين ، لأن اللّه سبحانه وتعالى يقول : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهوَ السمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[2] ويقول اللّه تعالى : ﴿ قُلْ إنما حَرَّمَ رَبِيَ الفَواحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ والْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِ وأَنْ تُشْرِكُوا باللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وأَنْ تَقُولوا عَلَى اللّهِ مَالاَ تَعْلَمُون ﴾[3] . ويقول عز وجل : ﴿ ولاَتَقْفُ مَالَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْم إنَّ السَّمْعَ والبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُل أُولَئِك كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاَ ﴾[4] .

فمن مثَّل هاتين اليدين بأيدي المخلوقين فقد كذَّب قول اللّه تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[5] . وقد عصى اللّه تعالى في قوله : ﴿ فَلاَ تَضْرِبُوا لِلهِ الأَمْثَالَ ﴾[6] . ومن كيفهما وقال هما على كيفية معينة أيًا كانت هذه الكيفية فقد قال على اللّه مالا يعلم وقفى ماليس له به علم .

---

(١) المائدة : ٦٤ .
(٢) الشورى : ١١ .
(٣) الأعراف : ٣٣ .
(٤) الإسراء : ٣٦ .
(٥) الشورى : ١١ .
(٦) النحل : ٧٤ .

ونضرب مثالًا ثانيًا في الصفات : - وهو استواءُ اللّه على عرشه فإن اللّه تعالى أثبت لنفسه أنه استوى على العرش في سبعة مواضع من كتابه كلها بلفظ ﴿ اسْتَوَىٰ ﴾ وبلفظ ﴿ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ وإذا رجعنا إلى الاستواء في اللغة العربية وجدناه إذا عدي بعلى لايتقضي إلا الاتفارع والعُلو ، فيكون معنى قوله تعالى ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾[1] . وأمثالها من الآيات : أنه علا على عرشه علوًا خاصًا غير العلو العام على جميع الأكوان وهذا العلو ثابت لله تعالى على وجه الحقيقة فهو عالٍ على عرشه علوًا يليق به عز وجل لايشبه عُلو الإنسان على السرير ولا علوه على الأنعام ولا علوه على الفلك الذي ذكره اللّه في قوله : ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِنَ الْفُلْكِ والأَنْعَامَ مَا تَرْكَبُونَ لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِنَا لمنقَلِبُونَ ﴾[2] . فاستواء المخلوق على شيء لا يمكن أن يماثله استواء اللّه على عرشه ؛ لأن اللّه ليس كمثله شيء .

وقد أخطأ خطأ عظيمًا من قال إن معنى استوى على العرش استولى على العرش ؛ لأن هذا تحريف للكلم عن مواضعه ، ومخالف لما أجمع عليه الصحابة رضوان اللّه عليهم والتابعون لهم بإحسان ، ومستلزم لِلَوَازِمَ باطلة لايمكن لمؤمن أن يتفوه بها بالنسبة لله عز وجل . والقرآن الكريم نزل باللغة العربية بلاشك كما قال اللّه سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ

---

(١) طه : ٥ .

(٢) الزخرف : ١٣ -١٤ -١٥ .

قُرءانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[1] . ومقتضى صيغة « استوى على كذا » في اللغة العربية العلو والإستقرار بل هو معناها المطابق للفظ . فمعنى استوى على العرش أي : – **علا عليه علوًا خاصًا يليق بجلاله وعظمته** ، فإذا فسر الاستواء بالاستيلاء فقد حرف الكلم عن مواضعه حيث نفى المعنى الذي تدل عليه لغة القرآن وهو العلو وأثبت معنى آخر باطلا .

ثم إن السلف والتابعين لهم بإحسان مجمعون على هذا المعنى إذ لم يأت عنهم حرف واحد في تفسيره بخلاف ذلك ، وإذا جاء اللفظ في القرآن والسنة و لم يرد عن السلف تفسيره بما يخالف ظاهره فالأصل أنهم أبقوه على ظاهره واعتقدوا ما يدل عليه .

فإن قال قائل : – هل ورد لفظ صريح عن السلف بأنهم فسروا استوى بـ (علا) ؟ .

قلنا : – نعم ورد ذلك عن السلف ، وعلى فرض أن لا يكون ورد عنهم صريحًا فإن الأصل فيما دل عليه اللفظ في القرآن الكريم والسنة النبوية أنه باقٍ على ماتقتضيه اللغة العربية من المعنى فيكون إثبات السلف له على هذا المعنى .

أما اللوازم الباطلة التي تلزم من فسر الاستواء بالاستيلاء فهي : –

أولًا : – أن العرش قبل خلق السموات والأرض ليس ملكا لله تعالى لأن الله تعالى قال : ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ** ﴾[2] .

---

(١) الزخرف :٣ .

(٢) الأعراف : ٥٤ .

وعلى هذا فلا يكون اللّه مستوليًا على العرش قبل خلق السموات ولا حين خلق السموات والأرض .

ثانيًا : أنه يصح التعبير بقولنا أن اللّه استوى على الأرض واستوى على أي شيء من مخلوقاته وهذا بلا شك ولا ريب معنى باطل لايليق بالله عز وجل .

ثالثًا : أنه تحريف للكلم عن مواضعه .

رابعًا : أنه مخالف لإجماع السلف الصالح رضوان اللّه عليهم .

وخلاصة الكلام في هذا النوع – توحيد الأسماء والصفات – أنه يجب علينا أن نثبت لله ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله من الأسماء والصفات على وجه الحقيقة من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل .

٣ ——— وسُئِلَ : عن شِرْك المشركين ما هو ؟ وما أقسام التوحيد ؟

بالنسبة لِشرْك المشركين الذين بُعث فيهم النبيُّ ﷺ فإنه ليس شِرْكاً في الربوبية لأن القرآن الكريم يدلُّ على أنهم إنما كانوا يشركون في العبادة فقط .

أما في الربوبية فيؤمنون بانّ اللهَ وَحْدَه هو الربُّ ، وأنه مُجيبُ دعوة المضطرين ، وأنه هو الذي يكشف السوء إلى غير ذلك مما ذَكر الله عنهم من إقرارهم بربوبية الله عزّ وجلّ وحده .

ولكنهم كانوا مشركين بالعبادة يعبدون غير الله معه ، وهذا شِرْك مُخْرِجٌ عن المِلَّة ، لأنَّ التوحيد هو عبارة – حسب دلالة اللفظ – عن جَعْل الشيءِ واحدا ، والله تبارك وتعالى له حقوق يجب أَنْ يُفرد بها ، وهذه الحقوق تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

١ –حقوق مِلْك .
٢ – حقوق عبادة .
٣ – حقوق أسماء وصفات .

ولهذا قسّم العلماء التوحيدَ إلى ثلاثة اقسام : توحيد الربوبية ، وتوحيد الأسماء والصفات ، وتوحيد العبادة .

✵ فأما توحيد الربوبية : فهو إفراد الله تبارك وتعالى بالخلْق والأمر ، كما قال الله تعالى ﴿ ألاَ لَهُ الخَلْق والأَمْرُ ﴾[1] . فالخلق والأمر – وهو التدبير – هو الربوبية وهو مختص بالله عزّ وجلّ فلا خالقَ إلا اللهُ ، ولا آمِرَ ولا مُدَبّرَ إلا اللهُ عزّ وجلّ .

✵ وأما توحيد الأسماء والصفات : فهو إفراد الله تبارك وتعالى بأسمائه وصفاته ، بحيث يؤمن العبد بما أثبت الله لنفسه في كتابه أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات على الوجه الذي أراد الله ورسوله ﷺ ، وعلى الوجه اللائق به من غير إثبات مثيل له ، لأن إثبات المثيل لله تعالى شرك به .

✵ وأما توحيد العبادة : فهو إفراد الله تبارك وتعالى بالعبادة ، بمعنى أن تعبد اللهَ مخلصا له الدين ، لقوله تعالى : ﴿ قُلْ إنّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ

(١) الأعراف ٥٤

مُخْلِصاً له الدِّين ﴾[1] . فالمشركون إنما أشركوا في هذا القسم – قسم العبادة – حيث كانوا يعبدون مع الله غيرَه ، وقد قال الله تبارك وتعالى : **﴿ واعْبُدُوا اللهَ ولا تُشرِكُوا به شَيْئاً ﴾**[2] : أي في عبادته .

وقال تعالى : **﴿ إنَّه مَن يُشْرِك باللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عليه الجنةَ ومأواهُ النّارُ وما للظالمينَ مِنْ أنصارٍ ﴾**[3] .

وقال تعالى : **﴿ إنَّ اللهَ لا يَغفِرُ أن يُشْرَكَ به ويَغفِرُ ما دُونَ ذلك لمن يَشاءُ ﴾**[4] .

وقال تعالى : **﴿ وقال رَبّكُمُ ادْعُوني أَستَجبْ لَكُمْ إنَّ الذين يَستَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتي سَيَدْخُلونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾**[5] .

وقال تعالى في سورة الإخلاص : **﴿ قُلْ يا أيُّها الكافرونَ . لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ . ولا أنتُمْ عابدونَ ما أَعْبُدُ . ولا أنَاْ عابدٌ مَّا عَبَدتُّمْ . ولا أنتم عَابِدُون ما أَعْبُدُ . لَكُمْ دِينُكُمْ ولِيَ دِينٌ ﴾** .

وقولي في سورة الإخلاص يعني إخلاص العمل فهي سورة إخلاص العمل وإن كانت تسمى سورة « الكافرون » لكنها في الحقيقة سورة إخلاص عملي كما أن سورة **﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾** سورة إخلاص عِلْمي وعقيدة . والله الموفّق .

---

(١) الزمر ١١ .
(٢) النساء ٣٦
(٣) المائدة ٧٢
(٤) النساء ٤٨
(٥) غافر ٦٠

٤ سُئِلَ عن قول مَنْ يقول : « إن أحاديث الأحاد لا تثبت بها العقيدة » ؟

جوابنا على من يرى أن أحاديث الأحاد لا تثبت بها العقيدة لأنها تفيد الظنَّ والظنُّ لا تُبنى عليه العقيدة . أن نقول : هذا رأي غير صواب ؛ لأنه مبنيٌّ على غير صواب وذلك من عِدّة وجوه :

١ – القول بِأَنَّ حديث الأحاد لا يفيد إلا الظنّ ليس على إطلاقه بل في أخبار الأحاد ما يفيد اليقين إذا دلت القرائن على صِدْقه ، كما إذا تلقته الأمة بالقَبول ، مثل حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه « إنَّمَا الأَعْمَالُ بالنِّيَّاتِ » فإنه خبر أحاد ومع ذلك فإننا نعلم أن النبيَّ ﷺ قاله ، وهذا ما حقّقه شيخ الإسلام ابن تيمية والحافظ ابن حَجَر وغيرهما .

٢ – أنّ النبي ﷺ يرسل الآحاد بأصول العقيدة – شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمدا رسول الله – وإرساله حُجَّة مُلْزِمة ، كما بعث مُعَاذا إلى اليمن ، واعتبر بَعْثَه حُجَّةً مُلْزِمَةً لأهل اليمن بقبوله .

٣ – إذا قلنا بأن العقيدة لا تثبت بأخبار الأحاد ، أمكن أن يُقال : والأحكام العملية لا تثبت بأخبار الأحاد ، لأن الأحكام العملية يصحبها عقيدة أن الله تعالى أمر بهذا أو نهى عن هذا ، وإذا قُبل هذا القول تعطّل كثير من أحكام الشريعة ، وإذا رُدّ هذا القول فليردّ القول بأن العقيدة لا تثبت بخبر الأحاد إذ لا فرق كما بيّنا .

والحاصل أن خبر الأحاد إذا دلّتْ القرائن على صِدْقه أفاد العلمَ وثبتت به الأحكام العَملية والعِلْمية ، ولا دليل على التفريق بينهما ، ومَنْ نَسَبَ إلى أحدٍ من الأئمةِ التفريقَ بينهما فعليه إثباتُ ذلك بالسند الصحيح عنه . ثم بيان دليله المستَند إليه .

٤ - أن الله تعالى أمر بالرجوع إلى قول أهل العلم لمن كان جاهلاً فيما هو من أعظم مسائل العقيدة وهي الرسالة : فقال تعالى : ﴿ ومَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إلاّ رِجالاً نُوحِي إليهم فاسْألُوا أَهْلَ الذّكْرِ إن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ . بالبيِّناتِ والزُّبُرِ ﴾[1] . وهذا يشمل سؤال الواحدوالمتعدّد .

---

(١) النحل ٤٣ - ٤٤



توحيـــد الألوهيـــة

٥ في الكثير من البلاد الإسلامية مَنْ يعبد القبورَ ، بالطواف حولها ، ودعاء أصحابها ، وينذر لهم ، وغير ذلك من أنواع العبادة ، نرجو من فضيلة الشيخ توجيه النصيحة لهم ؟

هذا السؤال سؤال عظيم وجوابه يحتاج إلى بسط بعون الله عز وجل فنقول : إن أصحاب القبور ينقسمون إلى قسمين :

القسم الأول : قسم تُوُفِّيَ على الإسلام ويُثني الناسُ عليه خيرا ، فهذا يُرجى له الخير ، ولكنه مفتقر إلى إخوانه المسلمين يدعون اللهَ له بالمغفرة والرحمة ، وهو داخل في عموم قوله تعالى : ﴿ والذين جاءوا مِن بعدهم يقولون رَبَّنا اغْفِرْ لنا ولإخوانِنا الذين سبقونابالإيمانِ ولا تَجْعَلْ في قلوبِنا غلاً للذين آمنوا رَبَّنا إنك رَؤُفٌ رَحِيمٌ ﴾[1] . وهو بنفسه لا ينفع

(١) الحشر ١٠

أحدا إذ أنه ميت جثة لا يستطيع أن يدفع عن نفسه الضرّ ولا عن غيره ، ولا أن يجلب لنفسه النفع ولا لغيره فهو محتاج إلى نفع إخوانه غير نافع لهم .

القسم الثاني : من أصحاب القبور : من أفعاله تؤدي إلى فسقه الفسق المخرج من الملة كأولئك الذين يَدَّعُون أنهم أولياء ويعلمون الغيب ويشفون من المرض ويجلبون الخير والنفع بأسباب غير معلومة حسا ولا شرعا ، فهؤلاء الذين ماتوا على الكفر لا يجوز الدعاء لهم ولا الترحم عليهم لقول الله تعالى : ﴿ **ما كان للنبيِّ والذين آمنوا أن يَستغفروا للمشركين ولو كانوا أُولي قُرْبَى مِن بَعْدِ ما تَبيَّن لَهم أنهم أصحابُ الجَحيم . وما كان استغفارُ إبراهيم لأبيه إلا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَها إيَّاه فلمَّا تبيَّن له أنه عَدُوٌّ لله تبرَّأ منه ، إنَّ إبراهيمَ لأوَّاهٌ حَلِيم** ﴾[1] . وهم لا ينفعون أحدا ولا يضرونه ولا يجوز لأحد أن يتعلق بهم ، وإن قُدِّر أن أحدا رأى كرامات لهم مثل أن يتراءى له أن في قبورهم نورا أو أنه يخرج منها رائحة طيبة أو ما أشبه ذلك وهم معروفون بأنهم ماتوا على الكفر فإن هذا من خداع إبليس وغروره ليفتن هؤلاء بأصحاب هذه القبور . وإنني أحذِّر إخواني المسلمين من أن يتعلّقوا بأحدٍ سوى الله عز وجل فإنه سبحانه وتعالى هو الذي بيده ملكوت السموات والأرض وإليه يرجع الأمر كله ، ولا يجيب دعوة المضطر إلا الله ، ولا يكشف السوء إلا الله . قال تعالى : ﴿ **وما بِكم مِن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ ثمّ إذا مَسَّكُم الضُّرُّ فإليه تَجْأَرُون** ﴾[2] . ونصيحتي لهم أيضا أن لا يُقَلِّدوا

---

(١) التوبة ١١٣ - ١١٤ .
(٢) النحل ٥٣

في دينهم ولا يتبعوا أحدا إلا رسولَ الله ﷺ لقول الله تعالى : ﴿ **لقد كان لكم في رسولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لمن كان يرجو اللهَ واليومَ الآخرَ وذَكَرَ اللهَ كثيراً** ﴾[1] . ولقوله تعالى : ﴿ **قُلْ إن كُنتم تحبون اللهَ فاتَّبعوني يُحْبِبْكم اللهُ** ﴾[2] .

ويجب على جميع المسلمين أن يَزِنُوا أعمال مَنْ يَدَّعي الولاية بما جاء في الكتاب والسنة ، فإن وافق الكتاب والسنة فإنه يُرْجَى أن يكون من أولياء الله ، وإن خالف الكتاب والسنة فليس من أولياء الله . وقد ذكر الله في كتابه ميزانا قِسْطا عدلا في معرفة أولياء الله حيث قال : ﴿ **ألاَ إنَّ أولياءَ اللهِ لا خَوْفٌ عليهم ولا هم يَحزَنُون . الذين آمنوا وكانوا يَتَّقُون** ﴾[3] . فمن كان مؤمنا تقيا ، كان لله وليا ، ومن لم يكن كذلك فليس بولي لله ، وإن كان معه بعض الإيمان والتقوى كان فيه شيء من الولاية ومع ذلك فإننا لا نجزم لشخص بعينه بشيء ولكننا نقول على سبيل العموم : كل من كان مؤمنا تقيا كان لله وليا . وليعلم أن الله عز وجل قد يفتن الإنسان بشيء من مثل هذه الأمور . فقد يتعلق الإنسان بالقبر فيدعو صاحبه أو يأخذ من ترابه يتبرك به فيحصل مطلوبه ويكون ذلك فتنة من الله عز وجل لهذا الرجل ، لأننا نعلم أن هذا القبر لا يجيب الدعاء وأن هذا التراب لا يكون سببا لزوال ضرر أو جلب نفع ، نعلم ذلك لقول الله تعالى : ﴿ **ومَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللهِ مَن لاَّ يَسْتَجِيبُ له إلى يَوْمِ القيامةِ وهم عَن دُعائِهم غافِلُون .**

(١) الأحزاب ٢١
(٢) آل عمران ٣١
(٣) يونس ٦٢ – ٦٣ .

وإذا حُشِرَ الناسُ كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتِهم كافرين ﴾[1] .
وقال تعالى : ﴿ والذين يَدْعُون مِن دُون اللهِ لا يَخْلقُون شَيْئاً وهم يُخْلَقُون . أمواتٌ غَيْرُ أحياءٍ وما يَشْعُرُون أَيَّانَ يُبْعَثُون ﴾[2] .
والآيات في هذا المعنى كثيرة تدل على أن كل مَن دُعِيَ من دون الله فلن يستجيب الدعاء ، ولن ينفع الداعي ، ولكن قد يحصل المطلوب المدعو به عند دعاء غير الله فتنة وامتحانا . ونقول : إنه حصل هذا الشيء عند الدعاء – أي عند دعاء هذا الذي دُعي من دون الله – لا بدعائه ، وفرق بين حصول الشيء بالشيء ، وبين حصول الشيء عند الشيء . فإننا نعلم علم اليقين أن دعاء غير الله ليس سببا لجلب النفع أو دفع الضرر بالآيات الكثيرة التي ذكرها الله عز وجل في كتابه ، ولكن قد يحصل الشيء عند هذا الدعاء فتنة وامتحانا ، والله تعالى قد يبتلي الإنسان بأسباب المعصية ليعلم سبحانه وتعالى من كان عبداً لله ومن كان عبدا لهواه ، ألا ترى إلى أصحاب السبت من اليهود حيث حَرَّم الله عليهم أن يصطادوا الحيتان في يوم السبت فابتلاهم الله عز وجل فكانت الحيتان تأتي يوم السبت بكثرة عظيمة وفي غير يوم السبت تختفي ، فطال عليهم الأمد ، وقالوا : كيف نَحْرِمُ أنفسَنا هذه الحيتان ؟ ثم فكروا وقَدّروا ونظروا فقالوا : نجعل شبكة ونضعها يوم الجمعة ونأخذ الحيتان منها يوم الأحد فأقدموا على هذا الفعل الذي هو حيلة على محارم الله فقلبهم الله قردة خاسئين . قال الله تعالى : ﴿ واسْأَلْهم عَن القريةِ التي كانت حاضرة

(١) الأحقاف ٥ – ٦
(٢) النحل ٢٠ – ٢١ .

البحرِ إذ يَعْدُون في السبتِ إذْ تأْتِيهم حيتانُهم يَوْمَ سَبْتِهم شُرَّعاً ويَوْمَ لا يَسْبِتُون لا تأتِيهم كذلك نَبْلُوهم بما كانوا يَفْسُقُون ﴾[1] . وقال عز وجل : ﴿ ولقَدْ عَلِمْتُمُ الذين اعْتَدَوْا مِنكم في السَّبْتِ فقُلْنا لهم كونوا قِرَدَة خاسِئِين . فجَعَلْنَاها نَكَالاً لما بَيْنَ يَدَيْها وما خَلْفَها ومَوْعِظَةً للمتقين ﴾[2] . فانظر كيف يَسّر الله لهم هذه الحيتان في اليوم الذي مُنِعُوا مِن صيدها فيه ، ولكنهم – والعياذ بالله – لم يصبروا فقاموا بهذه الحِيلة على محارم الله .

ثم انظر إلى ما حصل لأصحاب النبي ﷺ حيث ابتلاهم الله تعالى وهم مُحْرِمُون بالصُّيُودِ المحرّمة على المحْرِم فكانت في متناول أيديهم ولكنهم رضي الله عنهم لم يجرؤوا على شيء منها . قال الله تعالى : ﴿ يا أَيُّها الذين آمنوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللهُ بشيءٍ من الصيد تَنَالُه أَيْدِيكم ورِماحُكم لِيَعْلَمَ اللهُ مَن يخافُه بالغَيْبِ فمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذلك فلَهُ عذابٌ أليمٌ ﴾[3] كانت الصيود العادية الطائرة في متناول أيديهم يمسكون الصيد العادي باليد وينالون الصيد الطائر بالرماح فيسهل عليهم جدا ، ولكنهم رضي الله عنهم خافوا اللهَ عز وجل فلم يقدموا على أخذ شيء من الصيود .

وهكذا يجب على المرء إذا هُيِّئَتْ له أسباب الفعل المحرَّم أن يتقي الله عز وجل ، وأن لا يقدم على فعل هذا المحرم ، وأن يعلم أن تيسير أسبابه من باب الابتلاء والامتحان ، فلْيُحْجِمْ وليصبر فإنّ العاقبة للمتقين .

---

(١) الأعراف ١٦٣

(٢) البقرة ٦٥ – ٦٦

(٣) المائدة ٩٤ .

٦ ما حكم البناء على القبور ؟

البناء على القبور مُحرَّم ، وقد نهى عنه النبي ﷺ لما فيه من تعظيم أهل القبور ، وكونه وسيلة وذَرِيعة إلى أن تُعبد هذه القبور وتُتخذ آلهة مع الله ، كما هو الشأن في كثير من الأبنية التي بُنيت على القبور ، فأصبح الناس يشركون بأصحاب هذه القبور ، ويدعونها مع الله تعالى . ودعاء أصحاب القبور والاستغاثة بهم لكشف الكُرُبات شرك أكبر و رِدّة عن الإسلام . والله المستعان .

٧ ما حكم دفن الموتى في المساجد ؟

الدفن في المساجد نهى عنه النبي ﷺ ، ونهى عن اتخاذ المساجد على القبور ، ولعن من اتخذ ذلك وهو في سياق الموت يحذّر أُمّته ، ويذكر ﷺ أن هذا من فعل اليهود والنصارى ، ولأن هذا وسيلة إلى الشرك بالله عز وجل لأن إقامة المساجد على القبور ودفن الموتى فيها وسيلة إلى الشرك بالله عز وجل في أصحاب هذه القبور فيعتقد الناس أن أصحاب هذه القبور المدفونين في المساجد ينفعون أو يضرون ، أو أن لهم خاصية تستوجب أن يُتَقَرَّب إليهم بالطاعات من دون الله سبحانه وتعالى . فيجب على المسلمين أن يحذروا من هذه الظاهرة الخطيرة وأن تكون المساجد خالية من القبور مؤسسة على التوحيد والعقيدة الصحيحة

قال الله تعالى : ﴿ وأنَّ المساجدَ للهِ فلا تَدْعُوا مع اللهِ أحَداً ﴾[1] .
فيجب أن تكون المساجد لله – سبحانه وتعالى – خالية من مظاهر الشرك ، تُؤَدَّى فيها عبادة الله وحده لا شريك له . هذا هو واجب المسلمين . والله الموفق .

٨ ما حكم الصلاة في المساجد الذي فيه قبر ؟

إذا كان هذا المسجد مبنيّا على القبر فإن الصلاة فيه محرّمة ويجب هدمه لأن النبي ﷺ لعن اليهود والنصارى حيث اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد تحذيرا مما صنعوا ، وأما إذا كان المسجد سابقا على القبر فإنه يجب إخراج القبر من المسجد ويدفن فيما يدفن فيه المسلمون ، ولا حرج علينا في هذه الحال إذا نبشنا هذا القبر ، لأنه دُفن في مكان لا يحل أن يدفن فيه ، فإن المساجد لا يحل دفن الموتى فيها . والصلاة في المسجد إذا كان سابقا على القبر صحيحة بشرط ألا يكون القبر في ناحية القبلة فيصلي الناس إليه ، لأن النبي ﷺ نهى عن الصلاة إلى القبور وبالإمكان إذا لم يتمكنوا من نبش القبر أن يهدموا سور المسجد

(١) الجن ١٨ .

٩ ما حكم إضاءة مقامات أولياء ونذر ذلك ؟

إضاءة مقامات الأولياء والأنبياء التي يريد بها السائل قبورهم هذه الاضاءة محرمة ، وقد ورد عن النبي ﷺ لَعْنُ فاعليها ، فلا يجوز أن تُضاء هذه القبور ، وفاعل ذلك ملعون على لسان رسول الله ﷺ . فعلى هذا إذا نذر الإنسان إضاءة هذا القبر فإن نذره محرّم ، وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام : « مَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللهَ فلا يَعْصِهِ » . فلا يجوز له أن يفي بهذا النذر ، ولكن هل يجب عليه أن يُكفِّر كفارةَ يمين لعدم وفائه بنذره أو لا يجب ؟ هذا محل خلاف بين أهل العلم والاحتياط أن يكفر كفارة يمين عن عدم وفائه بهذا النذر . والله أعلم .

١٠ هل الحكمة في تقبيل الحجر التبرك به ؟

الحكمة من الطواف بَيّنها النبي ﷺ حين قال :

« إنّما جُعل الطوافُ بالبيت والصَّفا والمَرْوَة ورَمْي الجِمارِ لإقامةِ ذِكْرِ الله » . فالطائف الذي يدور على بيت الله تعالى يقوم بقلبه من تعظيم الله تعالى ما يجعله ذاكرا الله تعالى ، وتكون حركاته بالمشي والتقبيل واستلام الحَجَر والركن اليماني والإشارة إلى الحجر ذكرا لله تعالى ، لأنها من عبادته ، وكل العبادات ذكر لله تعالى بالمعنى العام ،

وأما ما ينطق به بلسانه من التكبير والذكر والدعاء فظاهر أنه من ذكر الله تعالى ، وأما تقبيل الحجر فإنه عبادة حيث يقبل الإنسان حجرا لا علاقة له به سوى التعبد لله تعالى بتعظيمه واتباع رسول الله ﷺ في ذلك ، كما ثبت أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال حين قبّل الحجر : « إنّي لأَعْلَمُ أنّك حَجَرٌ لا تَضُرُّ ولا تنفع ، ولولا أني رأيتُ النبيَّ يُقَبِّلُك ما قَبَّلْتُك » . وأما ما يظنه بعض الجهال من أن المقصود بذلك التبرك به فإنه لا أصل له ، فيكون باطلا . وأما ما أورده بعض الزنادقة من أن الطواف بالبيت كالطواف على قبور أوليائهم وأنه وثنية فذاك من زندقتهم وإلحادهم ، فإن المؤمنين ما طافوا به إلا بأمر الله وما كان بأمر الله فالقيام به عبادة لله تعالى .

ألا ترى أن السجود لغير الله شرك أكبر ، ولما أمر اللهُ تعالى الملائكةَ أنْ يسجدوا لآدم كان السجود لآدم عبادة لله تعالى وكان ترك السجود له كفرا .

وحينئذ يكون الطواف بالبيت عبادة من أجلّ العبادات وهو ركن في الحج ، والحج أحد أركان الإسلام ولهذا يجد الطائف بالبيت إذا كان المطاف هادئا من لذة الطواف وشعور قلبه بالقرب من ربه ما يتبين به عُلُو شأنه وفضله . والله المستعان .

١١ فضيلة الشيخ نرجو منكم توجيه نصيحة لمن يزور القبور ويدعو الأموات وينذر لهم ويستغيث ، ويستعين بهم لأنهم كما يزعم أولياء الله ؟

نصيحتنا لهؤلاء وأمثالهم أن يرجع الإنسان إلى عقله وتفكيره فهذه القبور التي يُزعم أن فيها أولياء تحتاج :

أولا : إلى إثبات أنها قبور إذ قد يوضع شيء يشبه القبر ويقال هذا قبر فلان كما حدث ذلك ، مع أنه ليس بقبر .

ثانيا : إذ ثبت أنها قبور فإنه يحتاج إلى إثبات أن هؤلاء المقبورين كانوا أولياء لله لأننا ما ندري هل هم أولياء لله أم أولياء للشيطان .

ثالثا : إذا ثبت أنهم من أولياء الله فإنهم لا يُزارون من أجل التبرك بزيارتهم أو دعائهم أو الاستغاثة بهم والاستعانة بهم ، وإنما يُزارون كما يُزار غيرهم للعِبْرة والدعاء لهم فقط ، على أنه إن كان في زيارتهم فتنة أو خوف فتنة بالغلو فيهم فإنه لا تجوز زيارتهم دَفْعا للمحظور ودَرْءاً للمفسدة .

فأنت أيها الإنسان حَكِّمْ عقلَك ، فهذه الأمور الثلاثة التي سبق ذكرها لابد أن تتحقق وهي :

أ - ثبوت القبر .

ب – ثبوت أنه وليّ .

جـ – الزيارة لأجل الدعاء لهم . فهم في حاجة إلى الدعاء مهما كانوا فهم لا ينفعون ولا يضرون ، ثم إننا قلنا إن زيارتهم من أجل الدعاء لهم جائزة ما لم تستلزم محظورا .

أما من زارهم ونذر لهم وذبح لهم أو استغاث بهم فإن هذا شرك أكبر مخرج عن الملة يكون صاحبه به كافرا مخلدا في النار .



توحيـــد الأسـماء والصفـات

١٢ ما حكم إضافة الحوادث إلى صفة من صفات الله ؟ وقول وايْمُ الحق ، ولَعَمْرِ الحق ؟

إضافة الحوادث إلى صفة من صفات الله بمعنى أنه من مقتضى هذه الصفة لا بأس به ، مثل أن نقول اقتضت حكمة الله أن يعذب الظالم ، أو أوجب القضاء والقدر أن يشقى فلان أو يسعد فلان . ويدل لذلك قول النبي ﷺ : « لَوْ سَبَقَ القضاءَ والقَدَرَ شيءٌ لسَبَقَتْه العَيْنُ » .

أما إذا أُضيفت الحوادث إلى صفة من صفات الله وكأنَّ الصفة هي التي فعلت دون الموصوف فلا يجوز ، لأن المؤثر هو الله تعالى وهو الخالق المُدَبِّر لجميع الأمور . وأما قول الحالف : وايْمُ الحق ، ولَعَمْرِ الحق ، فلا بأس به لأن الحق هو الله سبحانه وتعالى فهو كقوله وايم الله ولعمر الله .

١٣ فضيلة الشيخ هل عبادة الإنسان لصفة من صفات الله يُعَدُّ مِن الشِّرْك ، وكذلك دعاؤها ؟

عبادة الإنسان لصفة من صفات الله أو دعاؤه لصفة من صفات الله من الشرك ، قد ذكر هذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، لأن الصفة غير الموصوف بلا شك وإن كانت هي وَصْفَه ، وقد تكون لازمة وغير لازمة لكن هي بلا شك غير الموصوف ، فقوة الإنسان غير الإنسان ، وعِزّة الإنسان غير الإنسان ، وكلام الإنسان غير الإنسان .

كذلك قُدْرة الله عز وجل ليست هي الله بل هي صفة من صفاته فلو تعبّد الإنسانُ لصفة من صفات الله لم يكن متعبدا لله ، وإنما تعبد لهذه الصفة لا لله عز وجل . والإنسان إنما يتعبد لله عز وجل : ﴿ قُلْ إنّ صلاتِي ونُسُكِي ومَحْيَايَ ومَمَاتِي للهِ رَبِّ العالمين ﴾[1] .

والله عز وجل موصوف بجميع صفاته فإذا عبدتَّ صفةً من صفاته لم تكن عبدت الله عز وجل لأن الله موصوف بجميع الصفات . وكذلك دعاء الصفة من الشرك مثل أن تقول : يا مغفرة الله اغفري لي ، يا عِزة الله أَعِزِّيني ونحو ذلك .

(١) الأنعام ١٦٢ .

١٤ ما حكم ثناء الإنسان على الله تعالى بهذه العبارة « بيده الخير والشر » ؟

أفضل ما يثني به العبد على ربه هو ما أثنى به سبحانه على نفسه أو أثنى به عليه أعلم الناس به نبيه محمد ﷺ . والله عز وجل لم يُثْنِ على نفسه وهو يتحدث عن عموم ملكه وتمام سلطانه وتصرفه أنّ بيده الشر كما في قوله تعالى : ﴿ **قل اللهمّ مَالِكَ المُلْكِ تُؤتي المُلْكَ مَن تشاءُ وتنزعُ المُلْكَ مِمَّن تَشاءُ وتُعِزُّ مَن تَشاءُ وتُذِلُّ مَن تَشاءُ بِيَدكَ الخَيْرُ إنَّكَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِير** ﴾[1] . فأثنى سبحانه على نفسه بأن بيده الخير في هذا المقام الذي قد يكون شراً بالنسبة لمحله وهو الإنسان المقدّر عليه الذلّ ، ولكنه خير بالنسبة إلى فعل الله لصدوره عن حكمة بالغة ولذلك أعقبه بقوله ﴿ **بيدك الخير** ﴾ وهكذا كل ما يقدّره الله من شرور في مخلوقاته هي شرور بالنسبة لمحالها . أما بالنسبة لفعل الله تعالى لها وإيجاده فهي خير لصدورها عن حكمة بالغة ، فهناك فرق بين فعل الله تعالى الذي هو فعله كله خير ، وبين مفعولاته ومخلوقاته البائنة عنه ففيها الخير والشر . ويزيد الأمر وضوحاً أن النبي ﷺ أثنى على ربه تبارك وتعالى بأن الخير بيده ونفى نسبة الشر إليه كما في حديث علّي رضي الله عنه الذي رواه مسلم وغيره مطوّلا وفيه أنه ﷺ كان يقول إذا قام إلى الصلاة : « وَجَّهْتُ وَجْهِي للذي فَطَرَ السموات والأَرْضَ » إلى أن قال

(١) آل عمران ٢٦ .

« لَبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ والخَيْرُ كَلُّه في يَدَيْك والشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ » فنفَى ﷺ أن يكون الشر إلى الله تعالى لأن أفعاله وإن كانت شرّاً بالنسبة إلى محالها ومَن قامت به ، فليست شراً بالنسبة إليه تعالىٰ لصدورها عن حكمة بالغة تتضمن الخير ، وبهذا تبين أن الأَوْلى بل الأوجب في الثناء على الله أن نقتصر على ما أثنى به على نفسه وأثنى به عليه رسوله ﷺ لأنه تعالى أعلم بنفسه ، ورسوله محمد ﷺ أعلم الخلق به فنقول : بيده الخير . ونقتصر على ذلك كما هو في القرآن الكريم والسنّة .

١٥ ــــــــ لماذا كان التسمي بعبد الحارث من الشرك مع أن الله هو الحارث ؟

التسمي بعبد الحارث فيه نسبة العبودية لغير الله عز وجل فإن الحارث هو الإنسان كما قال النبي ﷺ : « كُلُّكم حَارِثٌ وكُلُّكم هَمَّام » . فإذا أضاف الإنسان العبودية إلى المخلوق كان هذا نوعا من الشرك ، لكنه لا يصل إلى درجة الشرك الأكبر ، ولهذا لو سُمِّيَ رجلٌ بهذا الاسم لوجب أن يغيره فيضاف إلى اسم الله سبحانه وتعالى أو يُسَمَّى باسم آخر غير مضاف ، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « أَحَبُّ الأسماءِ إلى اللهِ عَبْدُ اللهِ وعَبْدُ الرحمنِ » وما اشتهر عند العامة من قولهم : خير الأسماء ما حُمِّد وعُبِّد ، ونسبتهم ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فليس ذلك بصحيح . أي ليس نسبته إلى النبي ﷺ صحيحة فإنه لم يرد عن النبي ﷺ بهذا اللفظ وإنما ورد « أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن » .

أما قول السائل في سؤاله « مع أن الله هو الحارث » فلا أعلم اسما لله تعالى بهذا اللفظ ، وإنما يوصف عز وجل بأنه الزارع ولا يُسَمَّى به كما في قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُم ما تَحْرُثُون . ءأَنتمُ تَزْرَعُونَه أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُون ﴾[1]

١٦ ما حكم التسمية بأسماء الله مثل كريم وعزيز ونحوهما ؟

التسمي بأسماء الله عز وجل يكون على وجهين :

الوجه الأول : وهو على قسمين :

القسم الأول أن يحلى بـ« ال » ففي هذه الحال لا يسمى به غير الله عز وجل ، كما لو سميت أحداً بالعزيز والسيد والحكيم وما أشبه ذلك ، فإن هذا لا يسمى به غير الله لأن « ال » هذه تدل على لمح الأصل وهو المعنى الذي تضمنه هذا الاسم .

القسم الثاني إذا قصد بالاسم معنى الصفة وليس محلّى بـ« ال » فإنه لا يسمى به ولهذا غيّر النبي ﷺ كُنْيَةَ أبي الحَكَم التي تَكَنَّى بها ، لأن أصحابه يتحاكمون إليه فقال النبي عليه الصلاة والسلام « إنّ اللهَ هو الحَكَمُ وإليه الحُكْم » ثم كَنَّاه بأكبر أولاده شُريح . فدَل ذلك على أنه إذا تسمى أحد باسم من أسماء الله ملاحظاً بذلك معنى الصفة التي تضمنها هذا الاسم فإنه يمنع ، لأن هذه التسمية تكون مطابقة تماما

---

(١) الواقعة ٦٣ - ٦٤ .

لأسماء الله سبحانه وتعالى فإن أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف لدلالتها على المعنى الذي تضمنه الاسم .

الوجه الثاني : أن يتسمى بالاسم غير محلّى بـ« ال » وليس المقصود به معنى الصفة فهذا لا بأس به مثل حكيم ، ومن أسماء بعض الصحابة حَكِيم بن حِزَام الذي قال له النبي عليه الصلاة والسلام : « لا تَبِعْ ما لَيْسَ عِنْدَكَ » وهذا دليل على أنه إذا لم يقصد بالاسم معنى الصفة فإنه لا بأس به .

لكن في مثل جبار لا ينبغي أن يتسمى به وإن كان لم يلاحظ الصفة ، وذلك لأنه قد يؤثر في نفس المسمى فيكون معه جبروت وعلو واستكبار على الخلق . فمثل هذه الأشياء التي قد تؤثر على صاحبها ينبغي للإنسان أن يتجنبها . والله أعلم .

١٧ ـــــ ما حكم التسمي بأسماء الله تعالى مثل الرحيم والحكيم ؟

يجوز أن يسمى الإنسان بهذه الأسماء بشرط ألا يلاحظ فيها المعنى الذي اشتقت منه بأن تكون مجرد علم فقط ومن أسماء اصحابة الحَكَم ، وحَكِيم بن حِزام ، وكذلك اشتهر بين الناس اسم عادل وليس بمنكر ، وأما إذا لُوحظ فيه المعنى الذي اشتقت منه هذه الأسماء فإن الظاهر أنه لا يجوز لأن النبي ﷺ غير اسم أبي الحكم الذي تَكَنَّى به لكون قومه يتحاكمون إليه ، وقال النبي ﷺ إنّ الله هو الحَكَم وإليه الحُكْم ، ثم كَنّاه بأكبر أولادهِ شُريح وقال له « أَنْتَ أبو شُرَيْحٍ » وذلك أنّ هذه

الكُنْية التي تَكَنّى بها هذا الرجل لُوحظ فيها معنى الاسم فكان هذا مماثلاً لأسماء الله سبحانه وتعالى ، لأن أسماء الله عز وجل ليست مجرد أعلام بل هي أعلام من حيث دلالتها على ذات الله سبحانه وتعالى ، وأوصاف من حيث دلالتها على المعنى الذي تتضمنه . وأما أسماء غيره سبحانه وتعالى فإنها مجرد أعلام إلا أسماء النبيّ ﷺ فإنها أعلام وأوصاف ، وكذلك أسماء كُتُب الله عز وجل فهي أعلام وأوصاف أيضا .

١٨ ـــــــ ما مدى صحة الحديث « لو دَلَّيْتم بحَبْلٍ إلى الأَرْضِ السابعةِ لوَقَعَ على الله » ؟ وما معناه ؟

هذا الحديث اختلف العلماء في تصحيحه ، والذين قالوا إنه صحيح يقولون إن معنى الحديث لو أدليتم بحبل لوقع على الله عز وجل لأن الله تعالى محيط بكل شيء ، فكل شيء هو في قبضة الله سبحانه وتعالى ، وكل شيء فإنه لا يغيب عن الله تعالى ، حتى أن السموات السبع والأَرَضين السبع في كفّ الرحمن عز وجل كخَرْدلةٍ في يد أحدنا ، يقول الله تعالى في القرآن الكريم : ﴿ **وما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِه والأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُه يَوْمَ القِيَامَةِ والسَّمَواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِه سُبْحانه وتعالى عَمَّا يُشْرِكون** ﴾[1] . ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون دالا على أن الله سبحانه وتعالى في كل مكان أو على أن الله تعالى في أسفل

(١) الزمر ٦٧

الأرض السابعة فإن هذا ممتنع شرعا وعقلا وفطرة ، لأن علو الله سبحانه وتعالى قد دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والإجماع والعقل والفطرة ، فمن الكتاب قوله تعالى : ﴿ وهو القَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾[1] ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴾[2] والايات في هذا كثيرة جداً في كتاب الله . فكل آية تدل على صعود الشيء إلى الله أو رفع الشيء إلى الله أو نزول الشيء من الله فإنها تدل على علو الله عز وجل . وأما السنة فإنها متواترة على علو الله عز وجل ، والسنة دلت على علو الله عز وجل من قول الرسول ﷺ وفعله وإقراره .

قال النبي ﷺ : « ألا تأْمَنُوني وأنا أَمِينُ مَنْ في السماءِ » فهذا قول منه ﷺ يدل على علو الله عز وجل .

وخطب النبي ﷺ في أمته يوم عرفة فقال لهم : « أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ ؟ قالوا : نعم . فرفع إصْبَعَه إلى السماء يقول : « اللهُمّ اشْهَدْ » . فهذا فعل منه ﷺ يدل على علو الله عزوجل .

وإقراره حين سأل الجارية : أين الله ؟ قالت : في السماء . قال : « أَعْتِقْها فإنّها مُؤْمِنةٌ » .

وأما الإجماع فقد أجمع الصحابة والتابعون لهم بإحسان من أئمة هذه الأمة وعلمائها على أن الله سبحانه وتعالى فوق كل شيء ، ولم ينقل عنهم حرف واحد أن الله ليس في السماء أو أنه مختلط بالخلق ، أو أنه لا داخل

---

(١) الأنعام ٦١

(٢) الأعلى ١ .

العالم ولا خارجه ، ولا متصل ولا منفصل ، ولا مباين ولا محاذي . بل النصوص عنهم كلها متفقة على أن الله تعالى في العلو وفوق كل شيء .

أما العقل فقد دل على علو الله بأن نقول هل العلو صفة كمال أو السفل ؟ الجواب : بالكمال . والله عز وجل قال في كتابه ﴿ **ولله المَثَلُ الأعْلَى** ﴾ فكُلُّ وَصْف أكمل فهو لله عز وجل . وإذا كان العقل يدل على أن العلو كمال وجب أن يثبت العلو لله عز وجل ، وتقرير ذلك أن يقال : إنّ الله عز وجل إما أن يكون في الأعلى أو في الأسفل أو في المحاذي ففي الأسفل مستحيل لنقصه ، وفي المحاذي مستحيل أيضا لنقصه ، لأنه يلزم أن يكون مساوياً للمخلوق ، فلم يبق إلا العلو فالله عالٍ فوق كل شيء .

أما الفطرة فإن كل إنسان مفطور على أن الله تعالى في السماء تجد الإنسان يقول : يا الله . ويتجه إلى السماء فما يجد في قلبه ضرورة إلا إلى العلو . إذن فنحن نقول : إن الله تعالى فوق كل شيء ، وإذا كان فوق كل شيء فإنه لا يمكن أن يكون المراد بهذا الحديث « لو دَلَّيْتُم بِحَبْلٍ إلى الأرْضِ السابعةِ لوَقَعَ على اللهِ » أن الله في الأرض فإن قيل هل قوله تعالى : ﴿ **وهو الذي في السماءِ إلهٌ وفي الأرْضِ إلهٌ وهو الحكيم العليم** ﴾[1] يقتضي أن الله في الأرض كما هو في السماء ؟ الجواب : لا لأن الله تعالى يخبر عن الألوهية ولا يخبر عن مكانه أنه في السماء والأرض ، ولكن يخبر أنه إله في السماء وإله في الأرض كما تقول فلان

(١) الزخرف ٨٤ .

أمير في مكة وأمير في المدينة ، فالمعنى أن إمارته ثابته في مكة وفي المدينة وإن كان هو قطعا في أحد البلدين وليس فيهما جميعا . فهذه الآية تدل على أن ألوهية الله ثابته في الأرض وفي السماء وإن كان هو سبحانه وتعالى في السماء .

١٩ سئل فضيلة الشيخ ما أقسام الإرادة ؟

فأجاب بقوله الإرادة تنقسم إلى قسمين :
١) إرادة كَوْنِيّة ، ٢) إرادة شَرْعِيَّة .

فما كان بمعنى المشيئة فهو إرادة كونية وما كان بمعنى المحبة فهو إرادة شرعية . مثال الإرادة الشرعية قوله تعالى : ﴿ **والله يُرِيدُ أن يَتُوبَ عليكم** ﴾[1] لأن « يريد » هنا بمعنى « يحب » ولا تكون بمعنى « المشيئة » لأنه لو كان المعنى : والله يشاء أن يتوب عليكم لتاب على جميع العباد . وهذا أمر لم يكن فإن أكثر بني آدم من الكفار ، إذن يريد أن يتوب عليكم يعني يحب أن يتوب عليكم . ولا يلزم من محبة الله للشيء أن يقع لأن الحكمة الإلهية البالغة قد تقتضي عدم وقوعه .

ومثال الإرادة الكونية قوله تعالى : ﴿ **إن كانَ اللهُ يُرِيدُ أن يُغْوِيَكُم** ﴾[2] لأن الله لا يحب أن يغوي العباد ، إذن لا يصح أن يكون المعنى إن كان الله يحب أن يغويكم بل المعنى إن كان الله يشاء أن يغويكم

(١) النساء ٢٧
(٢) هود ٣٤ .

ولكن بقى لنا أن نقول : ما الفرق بين الإرادة الكونية والشرعية من حيث وقوع المراد ؟

فنقول : الكونية لابد فيها من وقوع المراد إذا أراد الله شيئا كونا فلابد أن يقع ﴿ **إنَّما أَمْرُه إذا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ له كُن فيكونُ** ﴾[1] . أما الإرادة الشرعية فقد يقع المراد وقد لا يقع ، قد يريد الله عز وجل هذا الشيء شرعا ويحبه ولكن لا يقع لأن المحبوب قد يقع وقد لا يقع . فإذا قال قائل هل الله يريد المعاصي ؟ فنقول : يريدها كونا لا شرعا لأن الإرادة الشرعية بمعنى المحبة ، والله لا يحب المعاصي ، ولكن يريدها كونا أي مشيئة . فكل ما في السموات والأرض فهو بمشيئة الله .

---

(١) يس ٢٧ .

٢٠ سئل فضيلة الشيخ : عن الإلحاد في أسماء اللَّه تعالى وأنواعه ؟

فأجاب قائلًا : الالحاد في اللغة : هو المَيْل ، ومنه قول اللَّه تعالى **﴿ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُون إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وهذا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾**[1] ومنه اللَّحْد في القبر فإنه سُمِّيَ لحدًا لميله إلى جانب منه ، ولا يُعرف الإلحاد إلا بمعرفة الاستقامة ؛ لأنه كما قيل : بضدها تتبين الأشياء . فالاستقامة في باب أسماء اللَّه وصفاته أن نجري هذه الأسماء والصفات على حقيقتها اللائقة بالله عز وجل ، من غير تحريف ، ولاتعطيل ، ولاتكييف ، ولاتمثيل ، على القاعدة التي يمشي عليها أهل السنة والجماعة في هذا الباب ، فإذا عرفنا الاستقامة في هذا الباب فإن خلاف الاستقامة هو الإلحاد ، وقد ذكر أهل العلم للإلحاد في أسماء اللَّه تعالى أنواعًا يجمعها أن نقول : **هو الميل بها عما يجب اعتقاده فيها** . وهو على أنواع :

النوع الأول : إنكار شيء من الأسماء ، أو مما دلت عليه من الصفات ، ومثاله : - من ينكر أن اسم الرحمن من أسماء اللَّه تعالى كما فعل أهل الجاهلية ، أو يثبت الأسماء ، ولكن ينكر ما تضمنته من الصفات كما يقول بعض المبتدعة : - أن اللَّه تعالى رحيم بلا رحمة ، وسميع بلا سمع .

النوع الثاني : أن يسمى اللَّه سبحانه وتعالى بما لم يسم به نفسه .

---

(١) النحل : ١٠٣ .

ووجه كونه إلحادًا : أن أسماء اللّٰه سبحانه وتعالى توقيفية ، فلا يحل لأحد أن يسمي اللّٰه تعالى باسم لم يسم به نفسه ؛ لأن هذا من القول على اللّٰه بلا عِلْم ، ومن العدوان في حق اللّٰه عز وجل ، وذلك كما صنع الفلاسفة فسموا الإله بالعلة الفاعلة ، وكما صنع النصارى فسموا اللّٰه تعالى باسم الأب ونحو ذلك .

النوع الثالث : أن يعتقد أن هذه الأسماء دالة على أوصاف المخلوقين ، فيجعلها دالة على التمثيل .

ووجه كونه إلحادًا : أن من اعتقد أن أسماء اللّٰه سبحانه وتعالى دالة على تمثيل اللّٰه بخلقه . فقد أخرجها عن مدلولها ومال بها عن الإستقامة ، وجعل كلام اللّٰه وكلام رسولهﷺ دالًا على الكفر ، لأن تمثيل اللّٰه بخلقه كفر لكونه تكذيبًا لقوله تعالى ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾[1] ولقوله : ﴿ **هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا** ﴾[2] . قال نُعَيْمُ بنُ حَمَّاد الخُزَاعِيُّ شيخ البخاري رحمهما اللّٰه : – « مَنْ شَبَّهَ اللّٰهَ بخَلْقِه فقَدْ كَفَرَ ، ومَنْ جَحَدَ ما وَصَفَ اللّٰهُ به نَفْسَه فقَدْ كَفَرَ ، وليس فيما وَصَفَ اللّٰهُ به نَفْسَه تَشْبِيهٌ » .

النوع الرابع : أن يشتق من أسماء اللّٰه تعالى أسماء الأصنام ، كاشتقاق اللات من الإله ، والعُزَّى من العزيز ، ومَنَاة من المَنَّان .

---

(١) الشورى : ١١ .

(٢) مريم : ٦٥ .

ووجه كونه إلحادًا : أن أسماء اللّٰه تعالى خاصة به ، فلا يجوز أن تنقل المعاني الدالة عليها هذه الأسماء إلى أحد من المخلوقين ليعطى من العبادة مالا يستحقه إلا اللّٰه عز وجل . هذه أنواع الالحاد في أسماء اللّٰه تعالى .

٢١ ـــــــــ وسئل الشيخ رعاه الله تعالى : عن أنواع التعطيل ؟ .

فأجاب بقوله : – التعطيل نوعان :

الأول : تعطيل تكذيب وجَحْد ، وهذا كفر . ومثاله رجل قال إن اللّٰه لم يَسْتَوِ على العرش . فهذا جحود وتكذيب ؛ لأن اللّٰه تعالى يقول ﴿ **الرَّحمنُ على العَرْشِ اسْتَوىٰ** ﴾(١) ومَنْ كَذّب خبرَ اللّٰهِ فهو كافر .

الثاني : تعطيل تأويل ، وهذا هو معترك الخلاف بين العلماء هل يُحكم على مَنْ عطّل تأويلًا بالكفر أَوْ لا ؟ ومثاله رجل أثبت أن اللّٰه على العرش استوى لكن قال إن معناه استولى فهذا تعطيل تأويل قد لا يكفر به الإنسان ، ولهذا لانكفّر من فسر الاستواء بالاستيلاء .

وهذا النوع في الحقيقة فيه تفصيل : فأحيانًا يكون الإنسان مبتدعًا غير كافر ، وأحيانًا يكون مبتدعًا كافرًا حسب ماتقتضيه النصوص الشرعية في ذلك .

---

(١) طه : ٥ .

٢٢ سئل الشيخ : عما أضافه اللّه تعالى إلى نفسِه مثل : وَجْه اللّه ، ويَدُ اللّه ، ونحو ذلك ؟

فأجاب قائلًا : أقسام ما أضافه اللّه إلى نفسه ثلاثة :

القسم الأول : العين القائمة بنفسها ، فاضافتها من باب إضافة المخلوق إلى خالقه ، وهذه الإضافة قد تكون على سبيل العموم كقوله تعالى : ﴿ إنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ ﴾[1] . وقد تكون على سبيل الخصوص لشرفيته كقوله تعالى : ﴿ وطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ والْقَائِمِينَ والرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾[2] وقوله : ﴿ نَاقَةَ اللّهِ وسُقْيَاها ﴾[3] وهذا القِسْم مخلوق .

القسم الثاني : العَيْن التي يقوم بها غيرها مثل قوله تعالى ﴿ ورُوح مِنْهُ ﴾[4] فإضافة هذه الروح إلى اللّه من باب إضافة المخلوق إلى خالقه تشريفًا ، فهي روح من الأرواح التي خلقها اللّه ، وليست جزءًا من اللّه ، إذ أن هذه الروح حَلَّتْ في عيسى عليه السلام وهو عين منفصلة عن اللّه . وهذا القسم مخلوق .

القسم الثالث : أن يكون وصفا محْضا يكون فيه المضاف صفة اللّه . وهذا القسم غير مخلوق لأن جميع صفات اللّه غير مخلوقه ، ومثاله : قُدْرة اللّه ، وعِزّة الله . وهو في القرآن كثير .

---

(١) العنكبوت : ٥٦ .
(٢) الحج : ٢٦ .
(٣) الشمس : ١٣ .
(٤) النساء : ١٧ .

٢٣ سئل الشيخ : ماحكم إنكار شيء من أسماء اللّٰه تعالى أو صفاته ؟

فأجاب حفظه اللّٰه بقوله : الإنكار نوعان :

النوع الأول : إنكار تكذيب ، وهذا كُفْرٌ بلاشك ، فلو أن أحدًا أنكر اسمًا من أسماء اللّٰه ، أو صفة من صفاته الثابتة في الكتاب والسنة ، مثل أن يقول ليس للّٰه يد ، فهو كافر بإجماع المسلمين ؛ لأن تكذيب خبر اللّٰه ورسوله كفر مخرج عن الملة .

النوع الثاني : إنكار تأويل ، وهو أن لايجحدها ولكن يُؤولها وهذا نوعان :

الأول : أن يكون لهذا التأويل مُسَوِّغ في اللغة العربية ، فهذا لا يوجب الكفر .

الثاني : أن لا يكون له مُسَوِّغ في اللغة العربية ، فهذا مُوجِبٌ للكفر ، لأنه إذا لم يكن له مسوغ صار تكذيبًا ، مثل أن يقول : ليس للّٰه يد حقيقة ، ولا بمعنى النعمة ، أو القوة ، فهذا كافر ، لأنه نفاها نفيًا مطلقًا فهو مكذب حقيقة ، ولو قال في قوله تعالى ﴿ **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ** ﴾[١] المراد بيديه السماوات والأرض ، فهو كافر ؛ لأنه لايصح في اللغة العربية ، ولا هو مقتضى الحقيقة الشرعية ، فهو منكر مكذب .

(١) المائدة : ٦٤ .

لكن إن قال : المراد باليد النعمة أو القوة فلا يكفر ، لأن اليد فى اللغة تطلق بمعنى النعمة قال الشاعر :

وكم لظلام الليل عندك من يد تحدث أن المانوية تكــذب

من « يد » أي : من نعمة ، لأن المانوية يقولون : إن الظلمة لا تحدث الخير ، وإنما تحدث الشر .

٢٤ وسئل : أيهما أَوْلَى : التعبيــر بالمُمَثَّلَة أم التعبير بالمُشَبِّهَة ؟

فأجاب قائلًا : التعبير بالممثلة خير من التعبير بالمشبهة ، لوجوه ثلاثة :

الوجه الأول : أنّ نَفْي التمثيل هو الذي ورد في القرآن الكريم ، ولم يرد في القرآن نفي التشبيه ، واللفظ الذي هو التعبير القرآني خير من اللفظ الذي هو التعبير الإنساني ، قال الله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[1] .

الوجه الثاني : أن التشبيه لا يصح نفيه على الإطلاق ، لأنه ما من شيئين إلا وبينهما قدر مشترك اتفقا فيه وإن اختلفا في الحقيقة ، فلله وجود ، وللإنسان وجود ، ولله حياة وللإنسان حياة ، وهذا الاشتراك في أصل المعنى – الحياة – نوع من التشابه ، لكن الحقيقة أن صفات الخالق ليست كصفات المخلوق ، فحياة الخالق ليست كحياة المخلوق ،

(١) الشورى : ١١ .

فحياة المخلوق ناقصة مسبوقة بعدم وملحوقة بفناء ، وهي أيضًا ناقصة في حد ذاتها ، يوم يكون طيبا ، ويوم يكون مريضا ، ويوم يكون متكدّرا ، ويوم يكون مسرورًا ، وهي أيضًا حياة ناقصة في جميع الصفات ، البصر ناقص ، السمع ناقص ، العلم ناقص ، القوة ناقصة ، بخلاف حياة الخالق جل وعلا ، فإنها كاملة من كل وجه .

الوجه الثالث : أن بعض أهل التعطيل يسمون المثبتين للصفات مُشَبِّهَة ، فإذا قلت : من غير تشبيه . فَهِمَ هؤلاء أن المراد من غير إثبات صفة ، ولذلك نقول : إن التعبير بقولنا من غير تمثيل أولى من التعبير بالتشبيه .

٢٥ سئل الشيخ : هل يُوصف الله بالمَكْر ؟ وهل يُسَمَّى به ؟

فأجاب : لايوصف الله تعالى بالمكر إلا مُقَيَّدًا ، فلا يوصف الله تعالى به وصفا مطلقا قال الله تعالى : ﴿ **أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ** ﴾[1] .

ففي هذه الآية دليل على أن لله مكرًا ، والمكر هو التوصل إلى إيقاع الخصم من حيث لايشعر . ومنه جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري « الحرب خَدْعَةٌ » .

---

(١) الأعراف : ٩٩ .

فإن قيل : كيف يُوصف اللَّه بالمكر مع أن ظاهره أنه مذموم ؟

قيل : إن المكر في محله محمود ، يدل على قوة الماكر وأنه غالب على خصْمه ، **ولذلك لايوصف اللَّه به على الإطلاق** ، فلا يجوز أن تقول « إن اللَّه ماكر » وإنما تذكر هذه الصفة في مقام ويكون مدحًا مثل قوله تعالى ﴿ **ويَمْكُرُونَ ويَمْكُرُ اللَّهُ** ﴾[1] وقوله : ﴿ **ومَكَرُوا مَكْـرًا ومَكَرْنَا مَكْرًا وهُمْ لاَ يَشْعُرُون** ﴾[2] ومثل قوله تعالى ﴿ **أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ** ﴾[3] . ولا تُنفى عنه هذه الصفة على سبيل الإطلاق ، بل إنها في المقام التي تكون مدحًا يوصف بها ، وفي المقام التي لاتكون مدحًا لايوصف بها .

وكذلك لايسمى اللَّه به ، فلا يقال : إنّ من أسماءِ اللَّهِ الماكرَ ، والمكر من الصفات الفعلية لأنها تتعلق بمشيئة اللَّه سبحانه .

٢٦ ــــــ هل نفهم من حديث « إنَّ اللهَ لا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا » – متفق عليه – أن الله يُوصَفُ بالملل ؟

من المعلوم أن القاعدة عند أهل السنة والجماعة أننا نصف الله تبارك وتعالى بما وصف به نفسه من غير تمثيل ولا تكييف . فإذا كان هذا الحديث يدل على أن لله مللا فإن ملل الله ليس كمثل مللنا نحن بل هو ملل ليس

---

(١) الأنفال : ٣٠ .

(٢) النمل : ٥٠ .

(٣) الأعراف : ٩٩ .

فيه شيء من النقص أما ملل الإنسان فإن فيه أشياء من النقص لأنه يتعب نفسيا وجسميا مما نزل به لعدم قوة تحمله ، وأما ملل الله إن كان هذا الحديث يدل عليه فإنه ملل يليق به عزّ وجلّ ولا يتضمن نقصا بوجه من الوجوه .

٢٧ وسئل رعاه الله : هل يوصف الله بالخيانة والخِداع ؟ كما قال الله تعالى ﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ ؟

فأجاب بقوله : أما الخيانة فلا يوصف اللّه بها أبدا لأنها ذمّ بكل حال ، إذ أنها مكر في موضع الائتمان وهو مذموم ، قال اللّه تعالى **﴿ وإن يُرِيدُوا خِيانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُم ﴾**[1] ولم يقل فخانهم .

وأما **الخِداع** فهو كالمكر يُوصف اللّه تعالى به حين يكون مدحا ، ولا يوصف به على سبيل الاطلاق . قال اللّه تعالى **﴿ إنَّ المنافقينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وهُوَ خَادِعُهُم ﴾**[2] .

---

(١) الأنفال : ١٧ .

(٢) النساء : ١٤٢ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢٨ سُئل الشيخ : ماحُكْم مَنْ يعتقد أنّ صفاتِ الخالق مِثْلُ صفات المخلوق ؟

فأجاب بقوله : الذي يعتقد أن صفات الخالق مثل صفات المخلوق ضالّ ، ذلك أن صفات الخالق لاتماثل صفات المخلوقين بنص القرآن الكريم قال اللّه تعالى : ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾[1] ولا يلزم من تماثل الشيئين في الاسم أو الصفة أن يتماثلا في الحقيقة . هذه قاعدة معلومة .

أليس للآدمي وجه . وللبعير وجه ؟ اتفقا في الاسم لكن لم يتفقا في الحقيقة . وللجمل يد ، وللذَّرّة يد ، فهل اليدان متماثلتان ؟

الجواب لا . إذن لماذا لاتقول لله عز وجل وجه ، ولا يماثل أوجه المخلوقين . ولله يد ، ولا تماثل أيدي المخلوقين ؟ ! قال اللّه تعالى ﴿ **ومَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِه والأَرْضُ جَميعًا قَبْضَتُه يَوْمَ القِيَامَةِ والسَّمَاواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِه** ﴾[2] وقال : ﴿ **يَوْم نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُب** ﴾[3] هل هناك يد من أيدي المخلوقين تكون كهذه اليد ؟ لا . إذن يجب أن نعلم أن الخالق لايماثل المخلوق ، لافي ذاته ، ولا في صفاته ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وهُوَ السَمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾[4] ولذلك لايجوز أبدًا أن

(١) الشورى : ١١ .
(٢) الزمر : ٦٧ .
(٣) الأنبياء : ١٠٤ .
(٤) الشورى : ١١ .

تتخيل كيفية صفة من صفات الله ، أو أن تظن أن صفات الله كمثل صفات المخلوق .

٢٩ ـــ سئل الشيخ جزاه الله خيرًا : هل أسماء الله تعالى محصورة ؟

فأجاب بقوله : أسماء الله ليست محصورة بعدد معين ، والدليل على ذلك قوله ﷺ في الحديث الصحيح « اللَّهُمَّ إنِّي عَبْدُكَ وابْنُ أَمَتِكَ » إلى أن قال : « أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ ، أَوْ أَنْزَلْتَه فِي كِتَابِكَ ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ » وما استأثر الله به في علم الغيب لا يمكن أن يُعلم به ، وما ليس معلومًا ليس محصورًا .

وأما قوله ﷺ : « إنَّ لله تِسْعَةً وتسعين اسْمًا ، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ » فليس معناه أنه ليس له إلا هذه الأسماء ، لكن معناه أن من أحصى من أسمائه هذه التسعة والتسعين فإنه يدخل الجنة فقوله « من أحصاها » تكميل للجملة الأولى وليست استئنافية منفصلة ، ونظير هذا قول العرب : عندي مئة فرس اعددتها للجهاد فى سبيل الله . فليس معناه أنه ليس عنده إلا هذه المئة ؛ بل هذه المئة معدة لهذا الشيء .

وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله اتفاق أهل المعرفة في الحديث على أن عَدَّها وسَرْدَها لايصح عن النبيﷺ أ .هـ . وصدق رحمه الله ، بدليل الاختلاف الكبير فيها ، فمن حاول تصحيح هذا

الحديث قال إن هذا أمر عظيم لأنها توصل إلى الجنة فلا يفوت على الصحابة أن يسألوهﷺ عن تعيينها ، فدل هذا على أنها قد عُيِّنَتْ مِن قِبَلِهﷺ . لكن يُجاب عن ذلك بأنه لايلزم ، ولو كان كذلك لكانت هذه الأسماء التسعة والتسعين معلومة أشد من علم الشمس ، ولنقلت في الصحيحين وغيرهما ، لأن هذا مما تدعو الحاجة إليه وتلح بحفظه ، فكيف لايأتي إلا عن طرق واهية وعلى صور مختلفة . فالنبيﷺ لم يبينها لحكمة بالغة وهي أن يطلبها الناس ويتحروها في كتاب اللّه وسنة رسولهﷺ حتى يتبين الحريص من غير الحريص .

وليس معنى إحصاها أن تكتب في رِقاع ثم تكرر حتى تحفظ ولكن معنى ذلك :

أولًا : – الإحاطة بها لفظًا .

ثانيًا : – فهمها معنى .

ثالثًا : – التعبد لله بمقتضاها ولذلك وجهان :

الوجه الأول : أن تدعو اللّه بها لقوله تعالى ﴿ **فادْعُوهُ بِها** ﴾[1] بأن تجعلها وسيلة إلى مطلوبك ، فتختار الإسم المناسب لمطلوبك ، فعند سؤال المغفرة تقول : ياغفور اغفرلي ، وليس من المناسب أن تقول : ياشديد العقاب اغفر لي . بل هذا يشبه الاستهزاء ، بل تقول : أَجِرْني مِن عقابك .

(١) الأعراف : ١٨٠ .

الوجه الثاني : أن تتعرض في عبادتك لما تقتضيه هذه الأسماء ، فمقتضى الرحيم الرحمة ، فاعمل العمل الصالح الذي يكون جالبًا لرحمة الله ، **هذا هو معنى أحصاها** ، فإذا كان كذلك فهو جدير لأن يكون ثمنًا لدخول الجنة .

٣٠ ــــــــــ وسئل الشيخ : عن اسم الله تعالى الجبار ؟

فأجاب : الجبار له ثلاث معان :

الأول : جبر القوة ، فهو سبحانه وتعالى الجبار الذي يقهر الجبابرة ويغلبهم بجبروته وعظمته ، فكل جبار وإن عظم فهو تحت قهر الله عز وجل وجبروته وفي يده وقبضته .

الثاني : جبر الرحمة ، فإنه سبحانه يجبر الضعيف بالغِنى والقوة ، ويجبر الكسير بالسلامة ، ويجبر المنكسرة قلوبهم بإزالة كسرها ، وإحلال الفرج والطمأنينة فيها ؛ وما يحصل لهم من الثواب والعاقبة الحميدة إذا صبروا على ذلك من أجله .

الثالث : جبر العلو فإنه سبحانه فوق خلقه عالٍ عليهم ، وهو مع علوه عليهم قريب منهم يسمع أقوالهم ، ويرى أفعالهم ، ويعلم ما توسوس به نفوسهم . قال ابن القيم في النونية في معنى الجبار :

وكذلك الجبار من أوصافه ... والجبر في أوصافه قسمان
جبر الضعيف وكل قلب قد غدا ... ذا كسرة فالجبر منه دان

والثاني جبر القهر بالعز الذي ... لاينبغي لسواه من إنسان
وله مسمى ثالث وهو العلو ... فليس يدنو منه إنسان
من قولهم جبارة للنخلة العل ... يا التي فاقت لكل بنان

٣١ — **سئل الشيخ غفر اللّه له : عن قول النبيﷺ في الحديث القُدسي قال اللّه تعالى « يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ ، يَسُبُّ الدَّهْرَ ، وأَنَا الدَّهْرُ ، بِيَدِي الأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ والنَّهَارَ » ؟**

فأجاب قائلًا : قوله في الحديث المشار إليه في السؤال : « يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ » أي أنه سبحانه يتأذى بما ذكر في الحديث ، لكن ليست الأذية التي أثبتها اللّه لنفسه ليست كأذية المخلوق ، بدليل قوله تعالى : ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾[1] فقدَّم نَفْي المماثلة على الإثبات ، لأجل أن يرد الإثبات على قلب خالٍ من تَوَهُّم المماثلة ، ويكون الإثبات حينئذٍ على الوجه اللائق به تعالى ، وأنه لايُمَاثَل في صفاته ، كما لا يماثل في ذاته ، وكل ما وصف اللّه به نَفْسَه ليس فيه احتمال للتمثيل ، إذ لو أجزت احتمال التمثيل في كلامه سبحانه وكلام رسولهﷺ في صفات اللّه ، لأجزت احتمال الكفر في كلام اللّه سبحانه وكلام رسولهﷺ ؛

(١) الشورى : ١١ .

لأن تمثيل صفات الله تعالى بصفات المخلوقين كفر ، لأنه تكذيب لقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[1] .

وقوله « وأَنَا الدَّهْرُ » أي مدبّر الدهر ومصرّفه . كما قال الله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾[2] كما قال في هذا الحديث « أُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ » والليل والنهار هو الدهر .

ولا يقال : بأن الله نفسه هو الدهر ، ومن قال ذلك فقد جعل المخلوق خالقًا والمقلَّب مقلِّبًا .

فإن قيل أليس المجاز ممنوعًا في كلام الله وكلام رسولهﷺ وفي اللغة ؟

أجيب : – بلى ، ولكن الكلمة حقيقة في معناها الذي دل عليه السياق والقرائن ، وهنا في الكلام محذوف تقديره « وأنا مقلب الدهر » لأنه فسّره بقوله « أقلب الليل والنهار » ولأن العقل لا يمكن أن يجعل الخالق الفاعل هو المخلوق المفعول .

٣٢ ــــــــ سئل الشيخ : هل الدَّهْر من أسماء الله ؟

فأجاب بقوله : الدهر ليس من أسماء الله سبحانه وتعالى ، ومن زعم ذلك فقد أخطأ وذلك لسببين :

---

(١) الشورى : ١١ .

(٢) آل عمران : ١٤٠ .

السبب الأول : أن أسماءه سبحانه وتعالى حسنى ، أي بالغةٌ في الحُسْن أكملَه ، فلا بد أن تشتمل على وصف ومعنى هو أحسن مايكون من الأوصاف والمعاني في دلالة هذه الكلمة ، ولهذا لا تجد في أسماء الله تعالى اسمًا جامدًا ، والدهر اسم جامد لايحمل معنى إلا أنه اسم للأوقات .

السبب الثاني : أن سياق الحديث يأبى ذلك ؛ لأنه قال : « أُقَلِّبُ اللَّيْلَ والنَّهَارَ » والليل والنهار هما الدهر فكيف يمكن أن يكون المقلَّب – بفتح اللام – هو المقلِّب – بكسر اللام – ؟ !

٣٣ ــــــ سئل فضيلة الشيخ : ماحُكْم سَبِّ الدَّهْر ؟

فأجاب قائلًا : سب الدهر ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : أن يقصد الخبر المحض دون اللوم ، فهذا جائز مثل أن يقول تعبنا من شدة حر هذا اليوم ، أو بَرْده ، وما أشبه ذلك ؛ لأن الأعمال بالنيات ، واللفظ صالح لمجرد الخبر .

القسم الثاني : أن يسب الدهر على أنه هو الفاعل ، كأن يقصد بسبه الدهر أن الدهر هو الذي يقلب الأمور إلى الخير أو الشر ، فهذا شرك أكبر ؛ لأنه اعتقد أن مع الله خالقًا حيث نسب الحوادث إلى غير الله .

القسم الثالث : أن يسب الدهر وهو يعتقد أن الفاعل هو اللّٰه ولكن يسبه لأنه محل هذه الأمور المكروهة فهذا محرم ؛ لأنه مناف للصبر الواجب وليس بكفر ؛ لأنه ماسب اللّٰه مباشرة ، ولو سب اللّٰه مباشرة لكان كافرًا .

٣٤ سئل الشيخ أعلى اللّٰه درجته في المهديين : من المعلوم أن الليل يدور على الكرة الأرضية ، واللّٰه عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فمقتضى ذلك أن يكون كُلّ الليل في السماء الدنيا ! فما الجواب عن ذلك ؟

فأجاب بقوله : الواجب علينا أن نؤمن بما وصف اللّٰه وسمى به نفسه في كتابه وعلى لسان رسولهﷺ من غير تحريف ، ولاتعطيل ، ولاتكييف ، ولاتمثيل ، فالتحريف في النصوص ، والتعطيل في المعتقد ، والتكييف في الصفة ، والتمثيل في الصفة أيضًا إلا أنه أخص من التكييف لأنه تكييف مقيد بمماثلة ، فيجب أن تبرأ عقيدتنا من هذه المحاذير الأربعة . ويجب على الإنسان أن يمنع نفسه عن السؤال بـ « لم » ؟ وكيف ؟ فيما يتعلق بأسماء اللّٰه وصفاته ، وكذا يمنع نفسه عن التفكير في الكيفية ، وهذا الطريق إذا سلكه الإنسان استراح كثيرًا ، وهذه حال

السلف رحمهم الله ، ولهذا جاء رجل إلى مالك بن أنس رحمه الله قال : يا أبا عبد الله « الرَّحمنُ على العَرْشِ اسْتَوَى » كيف استوى ؟

فأطرق برأسه وعلته الرُّحَضَاء وقال : « الاستواءُ غيرُ مجهول ، والكَيْفُ غير معقول ، والإيمانُ به واجب ، والسؤالُ عنه بدعة ، وما أراك إلا مبتدعًا » .

وهذا الذي يقول : إن الله ينزل إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر كل ليلة ، فيلزم من هذا أن يكون كل الليل في السماء الدنيا ؛ لأن الليل يدور على جميع الأرض ، فالثلث ينتقل من هذا المكان إلى المكان الآخر .

جوابنا عليه أن نقول : هذا سؤال لم يسأله الصحابة رضوان الله عليهم ، ولو كان هذا يرد على قلب المؤمن المستسلم لبينّه اللهُ ورسولهﷺ ، ونقول مادام ثلث الليل الأخير في هذه الجهة باقيا فالنزول فيها محقق ، ومتى انتهى الليل انتفى النزول ونحن لاندرك كيفية نزول الله ولا نحيط به علما ونعلم أنه سبحانه ليس كمثله شيء ، وعلينا أن نستسلم وأن نقول سمعنا وآمنا واتبعنا وأطعنا . هذه وظيفتنا .

٣٥ **سئل الشيخ : عن حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول اللهﷺ قال : « يَتَنَزَّلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إلى السَّماءِ الدُّنيا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الأخِير فيَقُولُ : مَنْ يَدْعُوني فأَسْتَجِيبَ له ؟ مَنْ يَسْأَلُني فَأُعْطِيَه : مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لـه » . رواه البخاري ؟**

فأجاب بقوله : هذا الحديث حديث عظيم ذكر بعض أهل العلم أنه بلغ حد التواتر عن النبيﷺ ، ولاشك أنه حديث مستفيض مشهور ، وقد شرحه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بكتاب مستقل ، لما فيه من الفوائد العظيمة ، ففيه ثبوت النزول لله سبحانه وتعالى لقوله : « يتنزل ربنا » والنزول من صفات الله الفعلية ، لأنه فعل وهذا النزول نزول الله نفسه حقيقة ؛ لأن الرسولﷺ أضافه إلى الله ، ونحن نعلم أن الرسولﷺ أعلم الناس بالله ، ونعلم كذلك أن الرسولﷺ أفصح الخلق ، ونعلم كذلك أنه ﷺ أصدق الخلق فيما يُخبر به ، فليس في كلامه شيء من الكذب ، ولا يمكن أن يتقوّل على الله تعالى شيئا لا في أسمائه ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، ولا في أحكامه ، قال الله تعالى ﴿ **ولَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ لأَخذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا**

﴿مِنْهُ الْوَتِينَ﴾[1] ونعلم كذلك أن رسول اللهﷺ أنصح الخلق ، وأنه ﷺ لايساويه أحد من الخلق في النصيحة للخلق ، ونعلم كذلك أنه ﷺ لايريد من العباد إلا أن يهتدوا ، وهذا من تمام نصحه أنه لايريد منهم أن يضلوا ، فهو عليه الصلاة والسلام أعلم الخلق بالله ، وأنصح الخلق للخلق ، وأفصح الخلق فيما ينطق به ، وكذلك لايريد إلا الهداية للخلق ، فإذا قال : « ينزل ربنا » فإن أي إنسان يقول خلاف ظاهر هذا اللفظ قد اتهم النبيﷺ إما بأنه غير عالم ، فمثلا إذا قال : – المراد ينزل أمره . نقول : أنت أعلم بالله من رسول الله ﷺ فالرسول يقول : « ينزل ربنا » . وأنت تقول : ينزل أمره . أأنت أعلم أم رسول الله ؟ ! أو أنه اتهمه بأنه لايريد النصح للخلق حيث عَمَّى عليهم فخاطبهم بما يريد خلافه ولا شك أن الإنسان الذي يخاطب الناس بما يريد خلافه غير ناصح لهم ، أو نقول أنت الآن اتهمت الرسولﷺ بأنه غير فصيح بل هو عَيِيٌّ يريد شيئا ولكن لاينطق به ، يريد ينزل أمر ربنا ولكن يقول ينزل ربنا لأنه لايفرق بين هذا وهذا . فكلامك هذا لايخلو من وصمة الرسولﷺ فعليك أن تتقي الله ، وأن تؤمن بما قال الرسول عليه الصلاة والسلام من أن الله تعالى نفسه ينزل حقيقة .

٣٦ هل يستلزم نزول الله عز وجل أن يخلو منه العرش أم لا ؟

الجواب : نقول أصل هذا السؤال تَنَطُّع ، وإيراده غير مشكور عليه مورده ، لأننا نسأل هل أنت أحرص من الصحابة على فهم صفات الله ؟

(١) الحاقة : ٤٦ .

إن قال : نعم . فقد كذب . وإن قال : لا . قلنا فَلْيَسَعْكَ ما وسعهم ، فهُمْ ما سألوا الرسولَ ﷺ وقالوا : - يارسول الله إذا نزل هل يخلو منه العرش ؟ وما لك ولهذا السؤال ، قل : ينزل . واسكت . يخلو منه العرش أو ما يخلو ، هذا ليس إليك أنت مأمور بأن تصدق الخبر ولاسيما ما يتعلق بذات الله وصفاته ، لأنه أمر فوق العقول . فإذًا نقول : هذا السؤال تنطع أصلًا لايرد ، وكل إنسان يريد الأدب كما تأدب الصحابة مع رسول الله ﷺ فإنه لايورده ، فإذا قدر أن شخصًا ابتلى بأن وجد العلماء بحثوا في هذا واختلفوا فيه ، فمنهم من يقول يخلو ، ومنهم من يقول لايخلو ، ومنهم من توقف ، **فالسبيل الأقوم في هذا هو التوقف ، ثم القول بأنه لا يخلو منه العرش ، وأضعف الأقوال القول بأنه يخلو منه العرش . فالتوقف أسلمها وليس هذا مما يجب علينا القول به** ؛ لأن الرسول ﷺ لم يبينه والصحابة لم يستفسروا عنه ، ولو كان هذا مما يجب علينا أن نعتقده لبينّه الله ورسوله بأي طريق ، ونحن نعلم أنه أحيانًا يبين الرسول عليه الصلاة والسلام الحق من عنده ، وأحيانا يتوقف فينزل الوحي ، وأحيانا يأتي أعرابي فيسأل عن شيء ، وأحيانًا يسأل الصحابة أنفسهم عن الشيء . كل هذا لم يرد في هذا الحديث فإذًا لو توقفنا ، وقلنا : اللّه أعلم . فليس علينا سبيل لأن هذا هو الواقع .

٣٧ هل إذا نزل تُقِلّه السماء ؟

الجواب : هذا لايكون ، لأنك لو قلت إن السماء تقله لزم أنه يكون محتاجا إليها ، كما تكون أنت محتاجًا إلى السقف إذا أقلّك ، ومعلوم أن

اللّٰه غني عن كل شيء ، وأن كل شيء محتاج إلى اللّٰه ، فإذًا نجزم بأن السماء لاتقلّه ، لأنها لو أقلّته لكان محتاجًا إليها وهذا مستحيل على اللّٰه عز وجل .

٣٨ ـــــــــ هل السماء الثانية فما فوقها تكون فوقه إذا نزل إلى السماء الدنيا ؟

الجواب : لا ، ونجزم بهذا لأننا لو قلنا بإمكان ذلك لبطلت صفة العلو ، وصفة العلو لازمة لله ، وهي صفة ذاتية لاتنتفي عن الله ، ولا يمكن أن يكون شيء فوقه . حينئذ يبقى الإنسان منبهتا كيف ينزل إلى السماء الدنيا ولا تقله ولا تكون السموات الأخرى فوقه هل يمكن هذا ؟ !

الجواب : إذا كنت منبهتا من هذا ، فإنما تنبهت إذا قِسْتَ صفات الخالق بصفات المخلوق ، صحيح أن المخلوق إذا نزل إلى المصباح صار السطح فوقه ، وصار سطح المصباح يقله ، لكن الخالق لايمكن أن يقاس بخَلْقه ، فلا تقل : كيف ؟ ولم ؟

فإذًا هذان السؤلان : هل السماء تقله ؟

الجواب : لا لأنك إنْ فرضت هذا لزم أن يكون اللّٰه محتاجا إلى السماء واللّٰه تعالى غني عن كل شيء ، وكل شيء محتاج إليه .

والسؤال الثاني : – هل تكون السموات فوقه ماعدا السماء الدنيا ؟

الجواب : - لا لأنك لو فرضت ذلك لزم انتفاء صفة العلو لله مع أن العلو من صفات اللّٰه الذاتية التي لا ينفك عنها .

فالسؤال هذا من أصله بدعة ، كما قال مالك للذي سأله عن الاستواء كيف استوى ؟ قال « السؤال عنه بدعة » يعني لأنه ما سأل الصحابة عنه ، فأنت الآن ابتدعت في دين اللّٰه حيث سألت عن أمر ديني ما سأل عنه الصحابة وهم أفضل منك ، وأحرص منك على العلم بصفات اللّٰه ، لكن مع ذلك لو قال : أنا يساورني القلق أخشى أن أعتقد بصفات اللّٰه مالا يجوز ، فبينوا لي وأنقذوني ، فحينئذ نبين له ، لأن الإنسان قد يُبتلى بمثل هذه الأمور ويأتيه الشيطان ويوسوس له ، ويقول كيف ؟ وكيف ؟ حتى يؤدي به إلى أحد محذورين : إما التمثيل ، وإما التعطيل ، فإذا جاءنا يسأل ويقول : أنقذوني مازال هذا يتردد في خاطري ، مايكفيني أن تقولوا : بدعة . كيف أُذهب مافي خاطري وقلبي . نقول نبين لك .

٣٩ ــ ثلث الليل ينتقل من مكان إلى آخر فثلث الليل مثلًا في الشرق ينتقل حتى يكون في الغرب ، ويختلف الزمن فكيف نوفق بين هذا وبين تقييد نزول اللّٰه عز وجل بثلث الليل ؟

الجواب : نقول أولًا السؤال عن هذا تنطّع ، كُفَّ عن هذا ، إذا كنت في أرض وفي ثلث الليل فهذا وقت نزول اللّٰه عز وجل ، وإذا

كنت في أرض وأنت في النهار فهذا ليس وقت النزول واسترح من التقديرات ، ولا تسأل فالسؤال هذا تنطع من أصله .

فإذا قال : أريد أن تبينوا لى حتى أطمئن ؟ نقول : إن اللّٰه عز وجل ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، فيكون في الجهة التي فيها ثلث الليل نازلًا إلى السماء الدنيا وفي الجهة الأخرى التي لم يأتها ثلث الليل بعد أو انقضى غير نازل . وانتهينا ولا تقل لم ؟ أو كيف ؟ فهذه غير واردة علينا في صفات الله .

٤٠ ـــــــــــــ هل الذي ينزل هو اللّٰه عز وجل أو لا ؟

الجواب : ذكرنا في أول الكلام أن الذي ينزل هو اللّٰه نفسه ، هكذا قال رسول اللّٰه ﷺ وهو أعلم الخلق به ، وأنصحهم ، وأفصحهم مقالًا ، وأصدقهم فيما يقول فهو أعلم ، وأنصح ، وأفصح ، وأصدق ، وكل هذه الصفات الأربع موجودة في كلامه عليه الصلاة والسلام ، فوالله ما كذب في قوله « ينزل ربنا » ولا غَشَّ الأمة ، ولا نطق بِعيٍّ ، ولا نطق عن جَهْل ﴿ وما يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴾[1] بل هو الصادق المصدوق ﷺ يقول : « ينزل ربنا عز وجل » . لكن قال بعض الناس إن الذي ينزل أمر اللّٰه ، وقال آخرون الذي ينزل رحمة اللّٰه ، وقال آخرون الذي ينزل مَلَك من ملائكة الله ، سبحان اللّٰه هل الرسول ﷺ

---

(١) النجم : ٣

مايعرف أن يعبِّر هذا التعبير لا يعرف أن يقول : تنزل رحمة اللّه ، أو ينزل أمر اللّه ، أو ينزل ملك من ملائكة اللّه ؟ الجواب : يعرف أن يعبر ولو كان المراد ينزل أمره ، أو رحمته ، أو مَلَكُه ، لكان الرسول عليه الصلاة والسلام مُلَبِّسًا على الأمة حين قال « ينزل ربنا » ، ولم يكن مبينا للأمة بل ملبسا عليهم ؛ لأن الذي يقول لك « ينزل ربنا » وهو يريد ينزل أمره ، هل وَضَّح لك وبَيّن ؟ أو غَشَّك ولَبَّس عليك ؟ الجواب : غَشَّك ولبَّس عليك . فإذًا الذي ينزل هو الرب عز وجل .

وهذا التحريف ولا نقول هذا التأويل ، فالقول بأن مثل هذا التحريف تأويل تلطيف للمسألة وكل تأويل لايدل عليه دليل فهو تحريف ، نقول هذا التحريف لاشك أنه باطل فإذا قلنا إن الذي ينزل أمر اللّه في ثلث الليل فمقتضاه : –

أولًا : أنه في غير ثلث الليل لاينزل أمر اللّه ، وأمر الله نازل في كل لحظة ﴿ **يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إلى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إليه** ﴾[1] .

ثانيًا : أمر اللّه ما ينتهي بالسماء الدنيا قال تعالى : ﴿ **يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّماءِ إلى الأَرْضِ** ﴾ . وليس إلى السماء الدنيا فقط ، فبطل هذا التأويل من وجهة أن الأمر لا يختص بهذا الجزء من الليل ، وأن الأمر لاينتهي إلى السماء بل ينزل إلى الأرض .

ورحمة اللّه أيضا نفس الشيء نقول رحمة الله عز وجل تنزل كل لحظة ، ولو فُقدت رحمة اللّه من العلم لحظةً لهلك ، فكل لحظة تنزل

(١) السجدة : ٥ .

الرحمة وتنزل إلى الأرض ، إذًا ما الفائدة لنا بنزول الرحمة إلى السماء فقط ، إذا لم تصلنا الرحمة فى فائدة لنا منها ، فبطل تفسيرها بالرحمة بل ما يترتب على تفسيره بالأمر أو بالرحمة من اللوازم الفاسدة أعظم مما يتوهمه من صرف اللفظ إلى الأمر أو الرحمة من المفاسد في تفسيره بنزول اللّه نفسه كما رأيتم الآن ، ثم نقول : –

ثالثًا : هل يمكن للأمر أو الرحمة أن تقول : مَنْ يدعوني فأستجيب له إلخ ؟

الجواب : لايمكن أن تقول رحمة اللّه : من يدعوني ، ولا يمكن أن يقول أمر اللّه : من يدعوني ، فالذي يقوله هو اللّه عز وجل ، كذلك إذا قيل : إن الذي ينزل مَلَك من ملائكته نقول الملك إذا نزل إلى السماء الدنيا لايمكن أن يقول : مَنَ يدعوني . أبدًا لو قال الملك من يدعوني صار من دعاة الشِّرْك ، لأن الذي يجيب الداعي إذا دعاه هو اللّه عز وجل فلا يمكن للملك أن يقول هكذا ، حتى لو فرض أن اللّه أمره أن يقول لقال : من يدعو اللّه فيستجيب له ، ولا يمكن لملك من الملائكة وهم لايعصون اللّه أن يقول : من يدعوني فأستجيب له ، وبهذا بطل تحريف هذا الحديث إلى هذا المعنى أن يكون النازل مَلَكًا .

وتحريف نصوص الصفات من القرآن والسنة يجرى فيها هذا المجرى ، يعني أن كل التحريفات إذا تأملتها وجدت أنه يترتب عليها من المفاسد أضعاف ما يترتب على المفاسد التي توهموها لو أُجْرَوْ اللفظَ على ظاهره ، ولهذا نجد الصحابة رضي اللّه عنهم سَلِمُوا مِن هذا ، فلا يوجد عنهم حرف واحد في تحريف نصوص الصفات ، لأنه ليس فيها إشكال عندهم

يجرونها على ظاهرها ، كما يجرون آيات الأحكام على ظاهرها ، والغريب أن هؤلاء الذين يحرفون في نصوص الصفات وهم لايستطيعون أن يعقلوها لوحرف أحد في نصوص الأحكام - مع أن الأحكام مربوطة بالمصالح.والمصالح للعقول فيها مدخل - لو حرف أحد في نصوص الأحكام لأقاموا عليه الدنيا ، وقالوا مايمكن أن تخرج اللفظ عن ظاهره ، مع أن الأحكام مربوطة بالمصالح والمصالح للعقل فيها مجال ، لكن صفات اللّه غير مربوطة بهذا ، صفات اللّه طريقها الخبر المجرد يعني مافيه تلَقٍّ في صفات اللّه نفيا ، أو إثباتًا إلا من الكتاب والسنة ، ومع ذلك نجد من يلعب بنصوص الكتاب والسنة فيما يتعلق بصفات اللّه ويحرفها حينما يرى أن العقل يقتضي ذلك ، مع أن العقل الذي يَدّعى أنه يقتضي ذلك ، عقل من ؟ عقل زيد أو عمرو أو بكر .. كل واحد منهم له عقل يقول . هذا هو الحق ؛ ولهذا تجدهم يتناقضون ، بل إن الواحد منهم ينقض كلامه بعضه بعضا يؤلف كتابا فينقض به مافي الكتاب الأول وهكذا .

حجج تهافت كالزجاج تخالها   حقـا وكل كاسر مـــكسور

فهم يتناقضون لأنهم على غير برهان وعلى غير أساس ، فلهذا نقول الطريق السليم ، والمنهج الحكيم هو : - مادرج عليه السلف من إجراء هذه النصوص على ظاهرها .

فإذا قال قائل : ظاهرها التمثيل . قلنا له : أخطأتَ ليس ظاهرها التمثيل ، وكيف يكون ظاهرها التمثيل وهي مضافة إلى اللّه تعالى ، واللّه لايماثله أحد في ذاته فكذلك في صفاته . فمثلًا قوله تعالى : ﴿ وَيَبْقَى

﴿ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾[1] إذا قال : أنا لا أثبت الوجه حقيقة لأن ظاهره التمثيل ، نقول : أخطأت ليس ظاهره التمثيل لأن اللّه تعالى لم يذكر وجها مطلقًا حتى يحمل على المعهود ، وإنما ذكر وجهًا مضافا إلى ذاته ﴿ ويَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ فإذا كان مضافا إلى ذاته ، وأنت تؤمن بأن ذاته لا تماثل ذوات المخلوقين ، وجب أن يكون وجهه لايماثل أوجه المخلوقين . واللّه أكبر عليك لو قيل يد الفيل مافهمت إنها كيد الهِرّة ، لأنها أُضيفت إلى الفيل ، وليست يدًا مطلقة حتى تقول تشترك مع غيرها فلا يمكن أن تفهم من قول القائل : يد فيل أنه كقبول القائل يد هر ، أبدا فكيف تفهم إذا قيل يد اللّه بأنها كيد زيد أو عمرو ؟ أبدا ما يمكن أن تفهم هذا ، فكل مَنْ قال : إن ظاهر نصوص الصفات التمثيل فإنه كاذب سواء تعمد الكذب أم لم يتعمده ، لأنه حتى الذي يقول عن تأويل خاطىء يسمى كاذبا ، أليس الرسول عليه الصلاة والسلام قد قال لأبي السنابل لما أُخبر بأن أبا السنابل قال لسَبيعة الأسْلَمِية : لَنْ تَنْكَحِي حَتَّى يَمْضِي عَلَيْكِ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وعَشْرٌ ، قال الرسول عليه الصلاة والسلام : « كَذَبَ أبو السَّنابل » . مع أنه ما تعمد الكذب . لكنه قال قولًا خاطئًا ، فنحن نقول هذا كاذب سواء تعمد أم لم يتعمد فليس في نصوص الصفات – ولله الحمد – ما يقتضي التمثيل لا عقلا ولا سمعا ، ثم إن لدينا آية من كتاب اللّه عز وجل تمحو كل ما ادعى أن فيه تمثيلًا وهي قوله ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[2] فأنت إذا جاءك نص إثبات فأقرنه بنص هذا النفي ، ولا تؤمن ببعض الكتاب وتكفر ببعض ، بل أقرنه به فمثلًا قوله تعالى :

---

(١) الرحمن : ٢٧ .

(٢) الشورى . ١١ .

﴿ ويَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ﴾[1] نقول وليس كمثل وجه الله شيء لأن الله يقول ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾[2] وعلى هذا فَقِسْ ، والأمر - ولله الحمد - ظاهر جدًا ولولا كثرة الناس الذين سلكوا هذا المسلك أعني مسلك التأويل في قولهم والتحريف فيما نرى ، لولا كثرتهم لكان الأمر غير مشكل على أحد إطلاقا ؛ لأنه واضح ليس فيه إشكال ، فلهذا نقول يجب علينا أن نؤمن بأن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا هو نفسه ، كما نؤمن بأنه هو نفسه الذي خلق السموات وأضاف الخلق إليه ، وينزل إلى السماء هو ، لأن الإضافة في « ينزل » كالإضافة في « خلق ، ويخلق » ولا فرق فالنازل هو الله ، والخالق هو الله ، والرازق هو الله ، والباسط هو الله ، وهكذا ، ولا فرق بينهما ، والإنسان المؤمن الذي يتقي الله عز وجل لايمكن أن يحرّف ما أضافه الله إلى نفسه ويضيفه إلى أمر آخر ، وإذا أداه اجتهاده إلى ذلك فإنه يكون معذورًا لا مشكورًا ؛ لأن هناك فرقًا بين السعي المشكور وهو ما وافق الحق ، وبين العمل المعذور وهو ما خالف الحق ، لكن نعرف من صاحبه النصح إلا أنه التبس عليه الحق ، فإن في هؤلاء المؤولة الذين نرى أن عملهم تحريف ، فيهم مَنْ يُعْلَمُ منه النصيحة لله ، ولكتابه ، ولرسوله وللمسلمين ، لكن التبس عليهم الحق - فضلوا الطريق - في هذه المسألة .

وفي قوله « فيقولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ له » في هذا إثبات القول لله وأنه بحرف وصوت ، لأن أصل القول لابد أن يكون بصوت ، ولو كان قولًا بالنفس لقيّده الله كما قال تعالى ﴿ ويَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلاَ

---

(١) الرحمن : ٢٧ .

(٢) الشورى : ١١ .

يُعَذِّبُنَا اللَّهُ ﴾[1] فإذا أطلق القول فلابد أن يكون بصوت ، ثم إن كان مِنْ بُعْدٍ سُمِّيَ نِداءً ، وإن كان مِن قُرْب سُمِّي نِجَاءً .

فإذا قال قائل : نحن لانسمع هذا القول ؟

فنقول : أخبرنا به مَنْ قولُه عندنا أشد يقينا ممالو سمعنا ، وهو الرسول عليه الصلاة والسلام ، نعلم علم اليقين بأن اللّه يقول بخبر أصدق الخلق ﷺ ، ونحن لو سمعنا قولًا ، لظننا أنه وجبة شيء سقط ، أو حفيف أشجار من رياح فنتوهم فيما نسمع ، لكن ماقاله رسول الله ﷺ لا نتوهم فيه فيكون خبر الرسول عليه الصلاة والسلام عندنا بمنزلة ما سمعنا بآذاننا ، بل أشد يقينا ، إذ صح عنه ، وهذا الحديث قد صح عنه فهو متواتر أو هو مشهور مستفيض عند أهل السنة والحديث ، فلذلك نقول إن اللّه يقول هذا فينبغي لك وأنت تتهجد لله في هذا الزمن من الليل ان تشعر بأن اللّه ينادي يقول : مَنْ يدعوني فأستجيبَ له ، فتدعو اللّه تعالى وأنت موقن بهذا والدعاء أن تقول : « يارَبِّ » فهذا دعاء .

وقوله (من يسألني) أي من يطلبني شيئًا مثل أن تقول : « يارب أسألك الجنة » فهذا سؤال ، واجتمع في قول القائل « يارب أسألك الجنة الدعاء والسؤال .

وقوله « من يستغفرني فأغفر له » أي من يطلب مني المغفرة مثل أن تقول : يارب اغفر لي . فهذا استغفار ، وإذا قال القائل : اللهم إني أسألك الجنة فقوله « اللهم » دعاء لأن أصلها يا الله وقوله : أسألك

(١) المجادلة : ٨ .

الجنة . هذا سؤال فيكون فيه سؤال ودعاء . وفي حديث أبي بكر الذي علّمه إياه النبيُّ ﷺ « اللَّهُمَّ إنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا ولا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلّا أَنْتَ فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَة مِنْ عِنْدِكَ وارْحَمْنِي إنَّكَ أنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيم » فهذا متضمن لثلاثة ، الدعاء في قوله اللهم ، والاستغفار في قوله فاغفر لي ، وفي قوله وارحمني دعاء بالرحمة .

قوله : « من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له » « من » هنا اسم استفهام ، والمراد به التشويق ، وليس المراد به الاستخبار ؛ لأن اللّٰه عز وجل يعلم ، لكن المراد به التشويق يشوِّق سبحانه وتعالى عبادهَ أن يسألوه ، وأن يدعوه ، وأن يستغفروه . وفي هذا غاية الكرم والجود من اللّٰه سبحانه وتعالى أنه هو الذي يشوق عباده إلى سؤاله ، ودعائه ، ومغفرته كقوله ﴿ **ياأيّها الذين آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾[1] . انظر إلى هذا الخطاب الرفيق الشيق ففيه التشويق والرفق ﴿ **هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم** ﴾ ولم يقل يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ما قاله هكذا وإن كان قالها في آيات أخرى لكن في هذه الآية ما قال هكذا ، لأن المقام يقتضي ذلك فالسورة كلها سورة جهاد من أولها إلى آخرها ﴿ **فأيّدْنا الذين آمَنُوا على عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِين** ﴾[2] . المهم أن في هذا الحديث وأمثاله من كرم اللّٰه عز وجل ماهو ظاهر لمن تأمله ، وأهم شيء فيما تكلمنا عليه مسألة الصفات فأنا أكرر أن تلتزموا فيها ما التزمه السلف ، وأن لا تحيدوا يمينا ولا شمالًا ، ولا تسألوا عما

---

(١) الصف : ١٠ .

(٢) الصف : ١٤ .

لم يسأله السلف ، فإن هذا من التنطع والتكلف والابتداع في دين اللّه ، وإني أقول لكم : إن الإنسان كلما تعمّق في هذه الأمور فأخشى أن ينقص في قلبه من إجلال اللّه وتعظيمة بقدر ما حصل من هذا التعمق في البحث في هذه الأمور . واسأل العامى ، العامي إذا ذكرت اللّه عنده اقشعر جِلْدُه وإذا ذكرت نزوله إلى السماء الدنيا اقشعر جلده لكن أولئك الذين يتعمقون في الصفات ويحاولون أن يسألوا حتى عن الأظافر – نسأل اللّه لناولهم الهداية – هؤلاء إذا ذُكر عندهم حديث النزول بدأوا يوردون على أنفسهم أو على غيرهم كيف تكون الحال وثلث الليل ينتقل على الكرة الأرضية ؟ وكيف تكون الحال حين نزوله بالنسبة للعلو وبالنسبة للعرش ونحو ذلك من الأسئلة التي تشطح بهم عن تعظيم اللّه عز وجل . وهؤلاء بلا شك سينقص من إجلال اللّه عز وجل في قلوبهم بقدر ما حاولوا من التعمق في هذه الأمور ، وليس إجلالنا لله عز وجل كإجلال الصحابة ولا قريبا منه ، وليس حرصنا على العلم بصفات اللّه كحرص الصحابة ، وهم ما سألوا هذه الأسئلة . ولذلك وأنا أنصحكم لله وأرجو منكم ألا تتعمقوا في هذه الأمور فتسألوا عن أشياء لم يسأل عنها الصحابة . خذوا ما جاء في كتاب اللّه وسنة رسوله ﷺ واتركوا ماعدا ذلك لئلا يوقعكم الشيطان في أمر تعجزون عن التخلص منه ، قد يوقعكم في التمثيل ويلزمكم إلزاما بأن تعتقدوا ذلك . ذلك لأن الإنسان الذي يتعمق إلى هذا الحد يُخشى عليه ، خذوا ما جاء في الكتاب وصحيح السنة ، واحمدوا اللّه على العافية ، واسلكوا سبيل السابقين . واللّه أعلم .

٤١ سُئل الشيخ : كيف نجمع بين حديث أبي هريرة في النزول وبين الواقع ، إذ الليل عندنا مثلًا نهار في أمريكا ؟

فأجاب بقوله : سؤالكم عن الحديث الصحيح الذي رواه الشيخان وغيرهما من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال : « يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِين يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْل الآخِرُ ، يَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيب لَهُ ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فأَغْفِر لَهُ » ، هذا لفظ البخاري في باب الدعاء والصلاة من آخر الليل . فتسألون كيف يمكن الجمع بين هذا الحديث ، وبين الواقع إذ الليل عندنا مثلًا نهار في أمريكا .

فجوابه : أنه لا إشكال في ذلك بحمد الله تعالى حتى يُطلب الجمع ، فإن هذا الحديث من صفات الله تعالى الفعلية ، والواجب علينا نحو صفات الله تعالى سواء أكانت ذاتية كالوجه واليدين أم معنوية كالحياة والعلم ، أم فعلية كالاستواء على العرش والنزول إلى السماء الدنيا فالواجب علينا نحوها ما يلي :

١ – الإيمان بها على ما جاءت به النصوص من المعاني والحقائق اللائقة بالله تعالى .

٢ – الكفّ عن محاولة تكييفها تصورًا في الذهن ، أو تعبيرًا في النطق ، لأن ذلك من القول على الله تعالى بلا علم . وقد حرّمه الله تعالى في

قوله : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وما بَطَنَ والْإِثْمَ والْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وأَن تُشْرِكُوا بالله مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وأَن تَقُولُوا عَلَى الله مَالَا تَعْلَمُون ﴾[1] . وفي قوله تعالى : ﴿ ولا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ والْبَصَرَ والْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِك كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾[2] . ولأن الله تعالى أعظم وأجلّ من أن يدرك المخلوق كُنْهَ صفاتِه وكيفيتها ، ولأن الشيء لا يمكن إدراكه إلا بمشاهدته ، أو مشاهدة نظيره ، أو الخبر الصادق عنه ، وكلّ ذلك مُنْتَفٍ بالنسبة لكيفية صفات الله تعالى .

٣ – الكف عن تمثيلها بصفات المخلوقين سواء كان ذلك تصوّرًا في الذهن ، أم تعبيرًا في النطق لقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[3] .

فإذا علمتَ هذا الواجب نحو صفات الله تعالى ، لم يبق إشكال في حديث النزول ولا غيره من صفات الله تعالى . وذلك أن النبي ﷺ أخبر أمته أن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ، مخاطبًا بذلك جميع أمته في مشارق الأرض ومغاربها ، وخبره هذا من علم الغيب الذي أظهره الله تعالى عليه ، والذي أظهره عليه وهو الله تعالى عالم بتغير الزمن على الأرض وأن ثلث الليل عند قوم يكون نصف النهار عند آخرين مثلًا .

---

(١) الأعراف : ٣٣ .

(٢) الإسراء : ٣٦ .

(٣) الشورى : ١١ .

وإذا كان النبي ، ﷺ ، يخاطب الأمة جميعًا بهذا الحديث الذي خُصِّصَ فيه نزول الله تبارك وتعالى بثلث الليل الآخر فإنه يكون عامًّا لجميع الأمة ، فمن كانوا في الثلث الآخر من الليل تحقق عندهم النزول الإلهي ، وقلنا لهم هذا وقت نزول الله تعالى بالنسبة إليكم ، ومن لم يكونوا في هذا الوقت فليس ثَمَّ نزول الله تعالى بالنسبة إليهم ، والنبي ﷺ حَدّد نزول الله تعالى إلى السماء الدنيا بوقتٍ خاص ، فمتى كان ذلك الوقت كان النزول ، ومتى انتهى انتهى النزول وليس فى ذلك أيُّ إشكال . وهذا وإن كان الذهن قد لا يتصوره بالنسبة إلى نزول المخلوق لكن نزول الله تعالى ليس كنزول خلقه حتى يُقَاس به ويُجْعَل ما كان مستحيلًا بالنسبة إلى المخلوق مستحيلًا بالنسبة إلى الخالق ، فمثلًا : إذا طلع الفجر بالنسبة إلينا وابتدأ ثلث الليل بالنسبة إلى من كانوا غربًا قلنا إن وقت النزول الإلهي بالنسبة إلينا قد انتهى وبالنسبة إلى أولئك قد ابتدأ ، وهذا في غاية الإمكان بالنسبة إلى صفات الله تعالى ، فإن الله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – يرحمه الله – في شرح حديث النزول : « فالنزول الإلهي لكل قوم مقدار ثلث ليلهم ، فيختلف مقداره بمقادير الليل في الشمال والجنوب ، كما اختلف في المشرق والمغرب ، وأيضًا فإنه إذا كان ثلث الليل عند قوم فبعده بلحظة ثلث الليل عندما يقاربهم من البلاد ، فيحصل النزول الإلهي الذي أخبر به الصادق المصدوق أيضًا عند أولئك ، إذا بقى ثلث ليلهم وهكذا إلى آخر العمارة » أ . هـ كلامه – يرحمه الله – .

٤٢ سئل الشيخ : عما جاء في صحيفة . . . . . من قول الكاتب : « إنَّ نُزُولَ الله تعالى يكون في وَقْتٍ لا يَدْرِيهِ إلاّ هُوَ ؟

فأجاب بقوله : لقد وددت أن الكاتب لم يستعجل بكتابة مثل هذا الجواب ، لأن المقام خطير حيث يتعلق بصفة من صفات الله تعالى ، وهذه الجملة التي وقع عنها السؤال لعلها سهو أو سبقة قلم ، فإن نزول الله تعالى في وقت معلوم ، حدده وعينه رسول الله ﷺ بثلث الليل ، وهو واضحُ لا إشكال فيه ، ولا يقع فيه إشكال إلا على من تصوّر أن نزول الله تعالى كنزول المخلوقين ، أما مَنْ قَدَرَ الله تعالى حَقَّ قَدْرِه ، وعلم أن النبي ﷺ لا ينطق بمثل هذه الأمور الغيبية إلا بما أظهره الله عليه ، وأنّه صادق فيما أخبر به من ذلك ، فإنّه لن يُشكل عليه هذا الحديث ، فإنه يقول : نزول الله تعالى ليس كنزول غيره ، فإنه يكون نازلًا إلى السماء الدنيا في ثلث الليل الآخر بالنسبة لمن كانوا في ذلك الوقت ، وليس نازلًا بالنسبة لمن لم يكونوا فيه ، هذا مقتضى الحديث ، وليس فيه إشكال .

لذا أرجو أن يكون فيما كتبت كفاية ، وأن يعيد الكاتبُ كتابة الجواب حسبما يتبين له من هذه الكتابة التي هي مقتضى الحديث وعين دلالته ، لا أقول لمن تأمّله لأنها بمنتهى الوضوح بدون تأمل والله الموفق .

٤٣ وسُئل عن عُلُوِّ الله تعالى ؟ وعن قَوْل مَنْ يقول إنه عن الجهات الست خالي ، وأنه في قَلْب العبد المؤمن ؟

فأجاب بقوله : مذهب السلف – رضوان الله عليهم – أن الله تعالى بذاته فوق عباده ، وقد قال الله تعالى : ﴿ **فإن تَنَازَعْتُمْ في شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إلى الله والرَّسُولِ إن كُنتُمْ تُؤْمِنُون بالله والْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خيرٌ وأَحْسَنُ تَأْويلا** ﴾[١] . وقال تعالى : ﴿ **وما اخْتَلَفْتُمْ فيه مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إلى الله** ﴾[٢] . وقال تعالى : ﴿ **إنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إذَا دُعُوا إلى الله ورَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وأُوَلئك هُمُ الْمُفْلحُونَ ومَن يُطعِ الله وَرَسولَهُ ويَخشَ الله ويَتَّقْه فأُوَلئكَ هُمُ الفَائِزُونَ** ﴾[٣] . وقال تعالى : ﴿ **ومَا كَانَ لِمؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَة إذَا قَضَى الله ورَسُولُه أَمْرًا أَن يَكُون لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ الله ورَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا** ﴾[٤] . وقال تعالى : ﴿ **فَلَا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَينَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيسَلِّمُوا تَسْلِيما** ﴾[٥] . فإذا تبيّن أن طريقة المؤمنين عند التنازع هي الرجوع إلى كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ، ﷺ ،

(١) النساء : ٥٩ .

(٢) الشورى : ١٠ .

(٣) النور : ٥١ .

(٤) الأحزاب : ٣٦ .

(٥) النساء . ٦٥ .

والسمع والطاعة لهما وعدم الخيار فيما سواهما ، وأن الإيمان لا يكون إلا بذلك ، مع انتفاء الحَرَج ، وتمام التسليم ، فإن الخروج عن هذا الطريق موجب لما قال الله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِمَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾[1].

وعلى هذا فإن المتأمل في هذه المسألة – مسألة علوّ الله تعالى بذاته على خَلْقه – بعد رَدّها إلى كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ، ﷺ ، يتبين له أن الكتاب والسنة قد دَلَّا دلالة صريحة بجميع وجوه الدلالة على علو الله تعالى بذاته فوق خلقه ، بعبارات مختلفة منها :

١ – التصريح بأن الله تعالى في السماء ، كقوله تعالى : ﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴾[2] . وقوله ، ﷺ ، في رُقْيَة المريض : « رَبُّنا الله الذي في السَّماءِ » إلى آخر الحديث ، رواه أبو داود ، وقوله ، ﷺ : « والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إلى فِرَاشِهَا فَتَأْبَى عَلَيْهِ ، إلاَّ كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا » . رواه مُسْلم .

(١) النساء : ١١٥ .

(٢) الملك : ١٧ .

٢ – التصريح بفَوْقِيَّتِه تعالى ، كقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ﴾[١] . وقوله : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾[٢] . وقوله ، ﷺ : « إنَّ الله لَمَّا قَضَى الْخَلْقَ كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ إنَّ رَحْمتِي سَبَقَتْ غَضَبِي » . رواه الْبُخَارِيُّ .

٣ – التصريح بصعود الأشياء إليه . ونزولها منه ، والصعود لا يكون إلا إلى أعلى ، والنزول لا يكون إلا مِنْ أعلى ، كقوله تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ والْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾[٣] . وقوله : ﴿ تَعْرُجُ الملائِكَةُ والرُّوحُ إلَيْهِ ﴾[٤] . وقوله : ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِن السَّمَآءِ إلى الأَرْضَ ثُمَّ يَعْرُجُ إلَيْهِ ﴾[٥] . وقوله تعالى – في القرآن الكريم – : ﴿ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ ولَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[٦] والقرآن الكريم كلام الله تعالى ، كما قال سبحانه : ﴿ وإِنْ أحدٌ من المُشركين استجارك فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ الله ﴾[٧] .

وإذا كان القرآن الكريم كلامه وهو تنزيل منه دَلَّ ذلك على علوه بذاته تعالى . وقوله ، ﷺ : « يَنْزِلُ رَبُّنَا إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيلِ الآخِرُ ، فيَقُولُ مَنْ يَدْعُوني » . إلى آخر الحديث ، وهو صحيح ثابت في الصحيحين وغيرهما . وفي حديث الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ – رضي الله عنه – أن النبيَّ ، ﷺ ، عَلَّمَه ما يقولُ إذا أَوَى إلى فِرَاشِهِ ، ومنه : « آمَنْتُ بِكَتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ ونَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ » وهو في صحيح البخاري وغيره .

---

(١) الأنعام : ١٨ . (٣) فاطر : ١٠ . (٥) السجدة : ٥ . (٧) التوبة : ٦ .
(٢) النحل : ٥٠ . (٤) المعارج : ٤ . (٦) فصلت : ٤٢ .

٤ - التصريح بوصفه تعالى بالعلو ، كما في قوله تعالى : ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾[١] . وقوله : ﴿ وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾[٢] . وقول النبيّ ، ﷺ : « سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى » .

٥ - إشارة النبي ، ﷺ ، إلى السماء حين يُشْهِدُ الله تعالى في موقف عرفة ذلك الموقف العظيم ، الذي شهد فيه النبي ، ﷺ ، أكبر جمع من أمته ، حين قال لهم : « أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ » ؟ قالوا : نَعَمْ . فقال : « اللَّهُمَّ اشْهَدْ » . يرفع أصبعه إلى السماء ويُنَكِّسُهَا إلى الناس . وذلك ثابت في صحيح مسلم من حديث جابر ، وهو ظاهر في أن الله تعالى في السماء وإلا لكان رَفْعُه إياها عبثا .

٦ - سؤال النبي ، ﷺ ، للجارية حين قال لها : « أَيْنَ اللهُ » ؟ قالت : في السماء . قال : « أَعْتِقْهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ » . رواه مسلم من حديث طويل عن مُعاوية بنِ الحَكَم السُّلَمِيّ - رضى الله عنه - وهو صريح في إثبات العلو الذاتي لله تعالى ، لأن « أين » إنما يستفهم بها عن المكان ، وقد أقَرَّ النبيُّ ، ﷺ ، هذه المرأةَ حين سألها أين الله ؟ فأقرها على أنه تعالى في السماء وبين أن هذا مقتضى الإيمان حين قال : « أعتقها فإنها مؤمنة » . فلا يؤمن العبد حتى يقرّ ويعتقد أن الله تعالى في السماء ، فهذه أنواع من الأدلة السمعية الخبرية من كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ، ﷺ ، تدل على علو الله تعالى بذاته فوق خَلْقه ، أما أفراد الأدلة فكثيرة لا يمكن حصرها في هذا الموضع ، وقد أجمع السلف

---

(١) الأعلى : ١ .
(٢) البقرة : ٢٥٥ .

الصالح – رضوان الله عليهم – على القول بمقتضى هذه النصوص وأثبتوا لله تعالى العلو الذاتي ، وهو أنه سبحانه عال بذاته فوق خلقه كما أنهم مجمعون على إثبات العلو المعنوي له وهو علو الصفات ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[1] . وقال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾[2] . وقال تعالى : ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[3] . وقال : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[4] . إلى غير ذلك من الآيات الدالة على كماله في ذاته وصفاته وأفعاله .

وكما أن علو الله تعالى الذاتي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وإجماع السلف ، فقد دل عليه العقل والفِطْرة .

أما دلالة العقل : فيقال لا ريب أن العلو صفة كمال وأن ضده صفة نقص ، والله تعالى قد ثبت له صفات الكمال فوجب ثبوت العلو له تعالى ، ولا يلزم على إثباته له شيء من النقص ، فإنا نقول إن علوه تعالى ليس متضمنًا لكون شيء من مخلوقاته محيطًا به ، ومن ظن أن إثبات العلو له يستلزم ذلك فقد وَهِمَ في ظَنه وضَلَّ في عقله .

---

(١) الروم : ٢٧ .

(٢) الأعراف : ١٨٠ .

(٣) النحل : ٧٤ .

(٤) البقرة : ٢٢ .

وأما دلالة الفِطْرة على علوّ الله تعالى بذاته : فإن كل داعٍ لله تعالى دعاءَ عبادةٍ أو دعاء مسألة لا يتجه قلبه حين دعائه إلا إلى السماء ، ولذلك تجده يرفع يديه إلى السماء بمقتضى فِطْرته ، كما قال ذلك الهَمْدَانيّ لأبي المعالي الجُوَيْنِي : « ما قال عَارِف قَطُّ يا رَبِّ إلاّ وجد من قلبه ضرورةً بطلب العلو » . فجعل الجويني يلطم على رأسه ويقول : « حَيَّرَني الهَمْدَانِي – حيرني الهمداني » . هكذا نُقل عنه ، وسواء صحت عنه أم لم تصح فإن كل أحد يدرك ذلك ، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ ذَكَرَ الرَّجُلَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إلى السَّمَاءِ ، يا رَبِّ ، يا رَبِّ ، إلى آخرِ الحديث . ثم إنك تجد الرجل يصلي وقلبه نحو السماء لا سيما حين يسجد . ويقول : سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى » لأنه يعلم أن معبوده في السماء سبحانه وتعالى .

وأما قولهم : « إنَّ الله تعالى عن الجهاتِ السِّتِّ خَالٍ » ، فهذا القول على عمومه باطل لأنه يقتضي إبطال ما أثبته الله تعالى لنفسه ، وأثبته له أعلم خَلْقه به ، وأشدهم تعظيمًا له ، وهو رسوله محمد ﷺ من أنه سبحانه في السماء التي هي في جهة العلو ، بل إن ذلك يقتضي وَصْفَ الله تعالى بالعَدَم ، لأن الجهات الست هي الفوق والتحت ، واليمين ، والشمال ، والخلف ، والأمام ، وما من شيء موجود إلا تتعلق به نسبة إحدى هذه الجهات ، وهذا أمر معلوم ببداهة العقول ، فإذا نُفيت هذه الجهات عن الله تعالى لزم أن يكون معدومًا ، والذهن وإن كان قد يفرض موجودًا خاليًا من تعلق هذه النسب به ، لكن هذا شيء يفرضه الذهن ، ولا يوجد في الخارج ، ونحن نؤمن ونرى لزامًا على كل

مؤمن بالله أن يؤمن بعلوه تعالى فوق خلقه ، كما دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع السلف ، والعقل والفطرة ، كما قرَّرْناه من قبل . ولكننا مع ذلك نؤمن بأن الله تعالى محيط بكل شيء ، وأنه لا يحيط به شيء من مخلوقاته ، وأنه سبحانه غني عن خَلقه فلا يحتاج لشيء من مخلوقاته . ونحن نرى أيضًا أنه لا يجوز لمؤمن أن يخرج عما يدل عليه الكتاب والسنة ، لقول أحد من الناس كائنا منْ كان ، كما أسلفنا الأدلة على ذلك في أول جوابنا هذا .

وأمّا قولهم : « إنّ الله تعالى في قلب المؤمن » . فهذا لا دليل عليه من كتاب الله تعالى ولا سنة رسوله ﷺ ولا كلام أحد من السلف الصالح فيما نعلم ، وهو أيضًا على إطلاقه باطل فإنه إن أريد به أن الله تعالى حَالٌّ في قلب العبد فهو باطل قطعًا ، فإن الله تعالى أعظم وأجل من ذلك ، ومن العجائب – والعجائب جمة – أن ينفر شخص مما دل عليه الكتاب والسنة من كون الله تعالى في السماء ، ثم يطمئن بما لم يدل عليه الكتاب والسنة من زعمه أن الله تعالى في قلب المؤمن ، إذ ليس في الكتاب والسنة حرف واحد يدل على ذلك .

وإن أريد بكون الله تعالى في قلب العبد المؤمن أنّه دائمًا يذكر ربه في قلبه ، فهذا حق ، ولكن يجب أن يُعَبّر عنه بعبارة تدل على حقيقته وينتفى عنها المدلول الباطل ، فيقال مثلًا : إنّ ذِكْر الله تعالى دائمًا في قلب العبد المؤمن .

ولكن الذي يظهر من كلام من يتكلم بها أنه يريد أن يستبدلها عن كون الله تعالى في السماء ، وهي بهذا المعنى باطلة كما سبق .

فليحذر المؤمن من إنكار ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله وأجمع عليه السلف ، إلى عبارات مجملة غامضة تحتمل من المعاني الحق والباطل ، وليلتزم سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، حتى يدخل في قول الله تعالى : ﴿ **والسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ ، مِنَ الْمُهَاجِرِينَ والأنصَارِ والَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضي الله عَنْهُمْ ورَضُوا عَنْهُ وأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَها الْأَنْهَارُ خالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾[1] .

جَعَلَنا الله وإيَّاكم منهم ، ووَهَب لنا جميعًا منه رحمةً ، إنه هو الوَهَّاب .

٤٤ سُئل الشيخُ : عن قول بعض الناس إذا سُئل « أَيْنَ الله » ؟ قال : « الله فِي كُلِّ مَكَان » . أو « مَوْجُودٌ » . فهل هذه الإجابة صحيحة على إطلاقها ؟

فأجاب بقوله : هذه إجابة باطلة لا على إطلاقها ولا تقييدها فإذا سُئل أين الله ؟ فليقل : « في السماء » ، كما أجابت بذلك المرأة التي سألها النبي ، ﷺ « أين الله ؟ » قالت : في السماء . وأما من قال : « موجود » فقط . فهذا حَيْدَةٌ عن الجواب ومراوغة منه . وأما من قال : « إن الله في كل مكان » . وأراد بذاته فهذا كُفْر ، لأنه تكذيب لما دلت

(١) التوبة : ١٠٠ .

عليه النصوص بل الأدلة السمعية والعقلية والفطرية من أن الله تعالى علي على كل شيء وأنه فوق السماوات مُسْتَوٍ على عرشه .

٤٥ سئل الشيخ : ما معنى قول النبي ﷺ « إنَّ الله خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ » ؟

فأجاب بقوله : هذا الحديث أعني قول النبي ﷺ « إنَّ الله خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ » ثابت في الصحيح ومن المعلوم أنه لا يراد به ظاهره بإجماع المسلمين والعقلاء ؛ لأن الله عز وجل وسع كرسيه السماوات والأرض ، والسماوات والأرض كلها بالنسبة للكرسي – موضع القدمين – كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض ، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على هذه الحلقة فما ظنك برب العالمين ؟ لا أحد يحيط به وصفًا ولا تخيلًا ، ومن هذا وصفه لا يمكن أن يكون على صورة آدم ستون ذراعًا لكن يحتمل على أحد معنيين :

الأول : أن الله خلق آدم على صورة اختارها ، وأضافها إلى نفسه تعالى تكريمًا وتشريفًا .

الثاني : أن المراد خلق آدم على صورته تعالى من حيث الجملة ، ومجرد كونه على صورته لا يقتضي المماثلة والدليل قوله ﷺ : « إنَّ أَوَّلَ زُمْرة تَدْخُلُ الْجَنَّة عَلَى صُورَة الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَى أضْوأ كَوْكَبٍ فِي السَّمَاءِ » ولا يلزم أن تكون هذه الزمرة مماثلة

للقمر ؛ لأن القمر أكبر من أهل الجنة بكثير ، فإنهم يدخلون الجنة طولهم ستون ذراعًا ، فليسوا مثل القمر .

٤٦ ــ سئل الشيخ : كيف نجمع بين قول النبي ﷺ « الْمُقْسِطُونَ عَلَى مَنَابِرَ مِن نُورٍ عَلَى يَمِينِ الرَّحْمَنِ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ » وبين قوله ﷺ « ثُمَّ يَطْوِي الأَرَضِينَ السَّبعَ ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِشِمَالِهِ » ؟

فأجاب بقوله : كلمة « بشماله » اختلف فيها الرواة : فمنهم من أثبتها ، ومنهم من أنكرها وقال لا تصح عن رسول الله ﷺ وأصل هذه التخطئة هو ما ثبت في صحيح مسلم أن الرسول ﷺ قال : « الْمُقْسِطُونَ عَلَى مَنَابِرَ مِن نُور عَلَى يَمِينِ الرَّحْمَنِ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ » وهذا يقتضي أنه ليس هناك يد يمين ويد شمال . ولكن قد روى مسلم في صحيحه إثبات الشمال لله تعالى فإذا كانت محفوظة فهي عندي لا تنافي « كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ » لأن المعنى أن اليد الأخرى ليست كيد الشمال بالنسبة للمخلوق ناقصة عن اليد اليمنى ، فقال : « كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ » أي ليس فيهما نقص . فلما كان الوهم ربما يذهب إلى أن إثبات الشمال يعني النقص في هذه اليد دون الأخرى قال : - « كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ » ويؤيده قوله « الْمُقْسِطُونَ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُور عَلَى يَمِينِ الرَّحْمَنِ » فإن المقصود بيان فضلهم ومرتبتهم وأنهم على يمين الرحمن سبحانه .

وعلى كل فإن يديه سبحانه اثنتان بلاشك وكل واحدة غير الأخرى وإذا وصفنا اليد الأخرى بالشمال فليس المراد أنها أنقص من اليد اليمنى بل كلتا يديه يمين .

والواجب علينا أن نقول : إن ثبتت عن رسول الله ﷺ نؤمن بها وإن لم تثبت فنقول كلتا يديه يمين .

٤٧ سُئل الشيخ : عن إثباتِ العَيْنَيْنِ لله تعالى ، ودليل ذلك ؟

فأجاب بقوله : الجواب على ذلك يتحرّر في مقامين :

المقام الأول : أن لله تعالى عينين ، فهذا هو المعروف عن أهل السنة والجماعة ولم يصرح أحد منهم بخلافه فيما أعلم . وقد نقل ذلك عنهم أبو الحسن الأشْعَري في كتابه : « اختلاف المُصلّين ومقالات الإسلاميين » . قال : مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث فذكر أشياء ثم قال : « وأن له عينين بلا كيف كما قال : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾[1] . نقله عنه شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحموية ص٩٠ /٥ من مجموع الفتاوى لابن قاسم ، ونقل عنه ايضًا مثله في ص٩٢ عن كتابه : « اختلاف أهل القِبْلة في العَرْش » . ونقل عنه أيضًا مثله في ص٩٤ عن كتابه : « الإبانة في أصول الديانة » . وذكر له في هذا الكتاب ترجمة باب بلفظ : « باب الكلام في الوجه والعينين والبصر واليدين » . ونقل

(١) القمر : ١٤.

شيخ الإسلام في هذه الفتوى ص٩٩ عن الْبَاقِلاَّني في كتابه : « الإبانة » . قوله : صفات ذاته التي لم يزل ولا يزال متصفا بها هي الحياة والعلم ، إلى أن قال : « والعينان واليدان » .

ونقل ابن الْقَيِّم ص١١٨ -١١٩ -١٢٠ في كتابه : « اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المُعَطِّلَة والجَهْمِيَة » عن أبي الحسن الأشعري وعن الباقلاني في كتابيه : « الإبانة والتمهيد » مثل ما نقل عنه شيخ الإسلام ، ونقل قبل ذلك فى ص١١٤ عن الأشعري في كتابه : « الإبانة » أنه ذكر ما خالفتْ به المعتزلةُ كتابَ الله تعالى وسنةَ رسوله ﷺ وإجماع الصحابة إلى أن قال : « وأنكروا أن يكون لله عينان مع قوله تعالى : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنا ﴾ .

وقال الحافظ ابن خُزَيْمَةَ في : « كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب » ص٣٠ بيان النبي ﷺ الذي جعله الله مُبَيِّنًا عنه في قوله - عز وجل - : ﴿ وأَنزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[1] . فبَيَّنَ النبيُّ ﷺ أن لله عينين فكان بيانهُ موافقًا لبيان محكم التنزيل ، ثم ذكر الأدلة ، ثم قال في ص٣٥ : « نحن نقول لربنا الخالق عينان يبصر بهما ما تحت الثرى » .

وقال في ص٥٥ -٥٦ : « فتدبروا يا أولي الألباب ما نقوله في هذا الباب في ذكر اليدين ليجرى قولنا في ذكر الوجه والعينين تستيقنوا بهداية الله إياكم - وشرحه - جل وعلا - صدوركم للإيمان بما

---

(١) النحل . ٤٤ .

قصّه الله – جل وعلا – في محكم تنزيله ، وبيّنه على لسان نبيه ﷺ من صفات خالقنا – عز وجل – وتعلموا بتوفيق الله إياكم أن الحق والصواب والعدل في هذا الجنس مذهبا مذهب أهل الآثار ، ومتبعى السنن ، وتقفوا على جهل من يسميهم مُشَبِّهَة » . أ . هـ .

فتبين بما نقلناه أن مقالة أهل السنة والحديث أن لله تعالى عينين تليقان بجلاله وعظمته لا تُكَيِّفَانِ ولا تُشْبِهَانِ أعينَ المخلوقين ، لقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شيءٌ وهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[1] . روى عثمان بن سعيد الدارمي ص٤٧ مِن رَدِّه على المَرِيسي بسنده عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قرأ رسول الله ﷺ : ﴿ إنَّ الله كان سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾[2] . فوضع أصبعه الدَّعَّاء على عينيه وإبهامه على أذنيه .

المقام الثاني : في ذكر الأدلة على إثبات العينين قال البخاري يرحمه الله تعالى : باب قول الله تعالى ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾[3] . وقوله – جل ذكره – : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾[4] ثم ساق بسنده حديث عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – قال ذُكِرَ الدَّجَّالُ عند النبيِّ ﷺ فقال : « إنه لا يَخْفَى عَلَيْكُمْ أَنَّ الله لَيْسَ بِأَعْوَرَ – وأَشَارَ بِيَدِه إلى عَيْنِه – وأَنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ عَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَه عِنَبَة طَافِيةٌ » .

وقد استدلّ بحديث الدجال على أن لله تعالى عينين عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه : « الرّدّ على بِشْر المَرِيسى » الذي أثنى عليه شيخ

---

(١) الشورى : ١١ .
(٢) النساء : ٥٨ .
(٣) طه : ٣٩
(٤) القمر : ١٤ .

الإسلام ابن تيمية . وقال : إنّ فيهما من تقرير التوحيد والأسماء والصفات بالعقل والنقل ما ليس في غيرهما يعني هذا الكتاب وكتابه الثاني : « الرد على الجهمية » قال الدارمي في الكتاب المذكور : (ص٤٣ ط أنصار السنة المحمدية) ، بعد أن ساق آيتي صفة العينين : ثم ذكر رسولُ الله ﷺ الدَّجَّالَ فقال : « إنه أَعْوَرُ ، وإنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ . قال : والعَوَرُ عِند الناس ضِدّ البصر ، والأعور عندهم ضد البصير بالعينين . وقال في ص٤٨ ففي تأويل قول رسول الله ﷺ « إن الله ليس بأعور » بيان أنه بصير ذو عينين خلاف الأعور .

واستدل به أيضًا الحافظ ابن خزيمة في كتاب التوحيد كما في ص٣١ وما بعدها .

ووجه الاستدلال به ظاهر جدًّا فإن النبي ﷺ أراد أن يبيّن لأمته شيئًا مما ينتفي به الاشتباه عليهم في شأن الدجال في أمر محسوس ، يتبين لذوي التفكير العالمين بالطرق العقلية وغيرهم ، بذكر أن الدجال أعور العين والرب سبحانه ليس بأعور ، ولو كان لله تعالى أكثر من عينين لكان البيان به أولى لظهوره وزيادة الثناء به على الله تعالى ، فإنّ العين صفة كمال فلو كان لله أكثر من اثنتين كان الثناء بذلك على الله أبلغ .

وتقرير ذلك أن يقال : ما زاد على العينين فإما أن يكون كمالًا في حق الله تعالى أو نقصًا ، فإن كان نقصا فهو ممتنع على الله تعالى لامتناع صفات النقص في حقه ، وإن كان كمالًا فكيف يهمله النبي ﷺ مع

كونه أبلغ في الثناء على الله تعالى ! ! فلما لم يذكره النبي ﷺ علم أنه ليس بثابت لله - عز وجل - وهذا هو المطلوب .

فإن قيل : تَرَكَ ذِكْرَه من أجل بيان نقص الدّجال بكَونه أعور .

قلنا : يمكن أن يذكر مع بيان نقص الدجال فيجمع بين الأمرين حتى لا يفوت ذكر كمال صفة الله عز وجل .

واعلم أن النبي ﷺ ذكر هذه العلامة الحِسِّيّة ليبين نقص الدجال وأنه ليس بصالح لأن يكون ربًّا ، ولظهورها لجميع الناس لكونها علامة حسية بخلاف العلامات العقلية ، فإنها قد تحتاج إلى مُقَدِّمَات تخفى على كثير من الناس ، لا سيما عند قوة الفتنة واشتداد المحنة ، كما في هذه الفتنة فتنة الدجال ، وكان هذا من حُسْن تعليمه ﷺ حيث يعدل في بيانه إلى ما هو أظهر وأجلى مع وجود علامات أخرى .

وقد ذكر ابن خزيمة - يرحمه الله - في « كتاب التوحيد » ص٣١ حديثًا ساقه في ضمن الأدلة على أن النبي ﷺ بينّ أن لله تعالى عينين ، فساقه بسنده إلى أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه يقرأ قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا** ﴾[1] . إلى قوله : ﴿ **سَمِيعًا بَصِيرًا** ﴾ . فيضع إبهامه على أذنه ، والتي تليها على عينه . ويقول هكذا: سمعت رسولَ الله ﷺ يقرؤها ويضع أصبعيه .

(١) النساء : ٥٨ .

وقد سبقت رواية الدّرامي له بلفظ التثنية ، وذكر الحافظ ابن حجر في الفتح (ص٣٧٣ /١٣ط خطيب) أنّ البيهقي ذكر له شاهدًا من حديث عقبة بن عامر – رضي الله عنه – سمعت رسولَ الله ﷺ يقول على المنبر : « إنَّ رَبَّنَا سَمِيعٌ بَصِيرٌ وأَشَارَ إلى عَيْنَيْه » وسنده حسن أ . هـ .

وقد ذكر صاحب مختصرالصواعق (ص٣٥٩ ط الإمام) ، قبيل المثال السادس حديثا عن أبي هريرة عن النبي ﷺ : « إنَّ الْعَبْدَ إذا قَامَ إلى الصلاةِ فإنَّه بَيْنَ عَيْنَيِ الرَّحْمَنِ » . الحديثَ لكنه لم يعزه فليُنظر في صحته .

وبهذا تبين وجوب اعتقاد أن لله تعالى عينين ، لأنه مقتضى النص وهو المنقول عن أهل السنة والحديث .

فإن قيل ما تصنعون بقوله تعالى : ﴿ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾[1] . وقوله : ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾[2] حيث ذكر الله تعالى العين بلفظ الجمع ؟

قلنا : نتلقّاها بالقبول والتسليم ، ونقول إن كان أقل الجمع اثنين – كما قيل به إما مطلقًا أو مع الدليل – فلا إشكال لأن الجمع هنا قد دل الدليل على أن المراد به اثنتان فيكون المراد به ذلك . وإن كان أقل الجمع ثلاثة فإننا نقول جمع العين هنا كجمع اليد في قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا

---

(١) المؤمنون : ٢٧ .

(٢) القمر : ١٤ .

أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا ﴾[1] . يراد به التعظيم والمطابقة بين المضاف والمضاف إليه ، وهو – نا – المفيد للتعظيم دون حقيقة العدد ، وحينئذ لا يصادم التثنية .

فإن قيل : فما تصنعون بقوله تعالى يخاطب موسى : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾[2] . حيث جاءت بالإفراد ؟

قلنا : لا مصادمة بينها وبين التثنية ، لأن المفرد المضاف لا يمنع التعدد فيما كان متعددًا ، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ وإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾[3] . وقوله تعالى : ﴿ واذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ ﴾[4] . فإنّ النعمة اسم مفرد ، ومع ذلك فأفرادها لا تُحْصَى .

وبهذا تبيّن ائتلاف النصوص واتفاقها وتلاؤمها ، وأنها – ولله الحمد – كلها حق وجاءت بالحق ، لكنها تحتاج في بعض الأحيان إلى تأمل وتفكير ، بقصد حسن وأداة تامة ، بحيث يكون عند العبد صدق نية بطلب الحق واستعداد تام لقبوله ، وعلم بمدلولات الألفاظ ، ومصادر الشرع وموارده . قال الله تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾[5] . فحث على تدبر القرآن الكريم وأشار إلى أنه بتدبره يزول عن العبد ما يجد في قلبه من الشبهات ، حتى يتبين له أن القرآن الكريم حق يصدّق بعضُه بعضًا . والله المستعان .

---

(١) يس : ٧١ .
(٢) طه : ٣٩ .
(٣) النحل : ١٨ .
(٤) البقرة : ٢٣١ .
(٥) النساء : ٨٢ .

٤٨ . **سُئِل الشيخُ : عمّا ذَكَره الرَّازيُّ من أن ظاهر قوله تعالى : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ . يقتضى أن يكون موسى مُسْتَقِرًّا على تلك العين لَاصِقًا بها مُسْتَعْلِيًا عليها . وأن قوله تعالى : ﴿ واصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ . يقتضى أن تكون آلة تلك الصنعة هي تلك العين ؟**

فأجاب بقوله : ما ذكره الرازي من أن ظاهر قوله تعالى : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾[1] . يقتضي أن يكون موسى مستقرًّا على تلك العين لاصقًا بها مستعليًا عليها ، وأن قوله تعالى : ﴿ واصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾[2] يقتضي أن تكون آلة تلك الصنعة هي تلك العين .

أقول : إنّ ادعاءه أن ذلك ظاهر الآيتين ادعاء باطل لأن هذا المعنى الذي ادعى أنه ظاهر الكلام معنى باطل ، لا يقوله عاقل ، كما اعترف به هو ، فإذا كان معنى باطلًا لا يقوله عاقل فكيف يسوّغ لمؤمن بل لعاقلٍ أن يقول : إنّ هذا ظاهر كلام الله تعالى ؟ !

إنّ من جوّز أن يكون هذا ظاهر كلام الله – عز وجل – فقد قدح في الله – عز وجل – وفي كلامه الكريم ، حيث جعل مدلوله معنى

(١) طه : ٣٩ .　(٢) هود : ٣٧ .

باطلًا ، لا يقوله العقلاء ، وإذا تعذّر أن يكون هذا المعنى الباطل ظاهر هذا الكلام تعين أن يكون ظاهره معنى آخر يليق بالله تعالى ، وهو في الآية الأولى أن تربية موسى ﷺ على عين الله تعالى ، وينظر إليه بعينه ، كما تقول جَرَى هذا الشيء على عيني أي حصل وأنا أشاهده وأراه بعيني .

والمعني في الآية الثانية أن صُنْع نوح ، عليه الصلاة والسلام ، السفينةَ كان بعين الله تعالى ، أى مصحوبًا بعينه يراه الله تعالى بعينه ، فيسدّده ويصلح صنيعه ، كما تقول : صنعت هذا بعيني ، أى صنعته وأنا أرعاه بعيني ، وإن كانت آلة الصنع اليد أو الآلة . وتقول كتبته بعيني ، أي كتبته وأنا أنظر إليه بعيني وإن كانت الكتابة باليد أو بالآلة .

وهذا التعبير لهذا المعنى تعبير عربي مشهور . والقرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين ، فهو محمول على ما تقتضيه اللغة العربية ، إلا أن يكون هناك حقيقة شرعية انتقل المعنى إليها كالصلاة والصيام ونحوها ، فيحمل على الحقيقة الشرعية . وكتاب التأسيس الذي نقل السائل منه هذه الكلمات قد نقضه شيخ الإسلام ابن تيمية – يرحمه الله – فليت السائل يحصل على نسخة مِن نَقْضه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٤٩ ــــــــــــ سُئل : عن توضيح ما جاء في كتاب « عقيدة أهل السنة والجماعة » . من قول فضيلته « ومَنْ كان هذا شأنه كان مع خلْقِهِ حَقِيقَةً ، وإنْ كان فَوْقَهَم على عَرْشِهِ حقيقة » ؟

فأجاب بقوله : قولنا : « ومن كان هذا شأنه كان مع خلقه حقيقة ، وبهذا التقرير علم أن الله تعالى مع خلقه حقًّا ، وإن كان بذاته فوق عرشه ولا تناقض بين هذا وهذا .

وبه أيضًا بطل احتجاج أهل التأويل من الأشعرية وغيرهم على أهل السنة ، حيث قالوا لأهل السنة : لم تنكرون علينا التأويل فيما نؤوله من آيات الصفات وأحاديثها بصرفها عن حقيقتها ، وانتم تؤولون نصوص المعية وتصرفونها عن حقيقتها .

« وإن كان فوقهم على عرشه حقيقة » . نريد بذلك أن هذه الآية كغيرها من آيات الصفات يراد بها حقيقة معناها مع تنزيه الله تعالى ، عما لا يليق به من كونه مختلطا بخلقه ، بل هو سبحانه على عرشه بائن مِنْ خَلْقه .

وحقيقة المعية لا تستلزم الاختلاط ، ولهذا تقول العرب : « مَازِلْنَا نَسِيرُ والْقَمَرُ مَعَنَا » ، مع أن القمر في السماء ولا يفهم أحد من ذلك

أن القمر في الأرض ، فالرب – جل وعلا – أعظم وأجل فهو مع خَلْقه ، وإن كان في السماء على عرشه لا يمكن أن يكون مختلطًا بخلقه ، كما قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية ، حيث قال : « وكل هذا الكلام الذي ذكره الله – من أنه فوق العرش وأنه معنا – حق على حقيقته لا يحتاج إلى تحريف » . وقال قبل ذلك : « وليس معنى قوله : [وهو معكم] . أنه مختلط بالخلق فإن هذا لا توجبه اللغة بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته ، وهو موضوع في السماء وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان » أ . هـ . كلامه .

٥٠ ــــــــــــــ سُئل : هل أحد سبق شيخَ الإسلامِ ابنَ تيمية وتلميذَه ابنَ القَيِّم في أن المعية حقيقية تليق بالله ينزّه فيها البارِي عن أن يكون مختلطًا بالخلْق أو حَالاًّ في أمكنتهم ؟ وعن الحديث القُدُسي : « وما يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيّ بالنَّوَافِل . . . » ؟ وعن قولِ ابْنِ الْقَيِّم في الصواعق – مختصرها – « فهو قريبٌ من المحسنين بذاتِه ورَحْمَتِه » هل هو صحيح وهل سَبَقَه أحد في ذلك ؟

فأجاب فضيلته بقوله : لا أعلمُ أحدًا صرّح بذلك ، لكن الذي يظهر أن الكلام فيها كغيرها من الصفات ، تُفهم على حقيقتها مع تنزيه الله تعالى عما لا يليق به ، كما يفهم الاستواء والنزول وغيرهما ، ولهذا لم يتكلّم الصحابة فيما أعلم بلفظ الذّات في الاستواء والنّزول أي لم يقولوا استوى على العرش بذاته ، أو ينزل إلى السماء الدنيا بذاته ، لأن ذلك مفهوم من اللفظ ، فإن الفعل أضيف إلى الله تعالى ، إما إلى الاسم الظاهر أو الضمير ، فإذا أضيف إليه كان الأصل أن يراد به ذات الله - عز وجل - لكن لما حدث تحريف معنى الاستواء والنزول احتاجوا إلى توكيد الحقيقة بذكر الذات ، وكذلك لما حدث القول بالحلول وشبّه القائلون به بآيات المعية بَيَّنَ السَّلَفُ بطلان تلبيسهم ، وأنه لا يُراد بها أنه معهم بذاته مختلطًا بهم ، كما فهم أولئك الحلولية ، وأن المراد بها بيان إحاطته بالخلق عِلْمًا ، وذكروا العلم لأنه أعمّ الصفات متعلَّقًا ، ولأنها جاءت في سياقه .

والمهم أن هذه المسألة كغيرها من مسائل الصفات تجري على ظاهرها على ما يليق بالله - عز وجل - ، وما ورد عن السلف فإنه داخل في معناها ، لأنه من لوازمه ، واقتصروا عليه خوف المحذور وإلا فلا يخفى أن حقيقة المعية أوسع من العلم وأبلغ ، ولظهور هذه المسألة وأنها لم تخرج عن نظائرها لم يكن فيها كلام عن الصحابة - رضي الله عنهم - اللهم إلا ما ذكر عن ابن عباس - رضي الله عنهما - ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره عنه ، قال هو على العرش ، وعلمه معهم ، ثم اشتهر ذلك بين السلف حين انتشر تفسير الجهمية لها بالحلول .

وأما سؤالكم عن الحديث القُدُسي : « وما يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فإذا أَحْبَبْتُه كُنْت سَمْعَه الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، ويَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، ورِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، ولَئِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ ولَئِن اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ » . فأنت ترى أن الله تعالى ذكر في الحديث عبدًا ومعبودًا ، ومتقربًا ومتقربًا إليه ، ومحبًا ومحبوبًا ، وسائلًا ومسئولًا ، ومعطيًا ومُعْطَى ، ومستعيذًا ومستعاذًا به ، ومعيذًا ومُعاذًا ، فالحديث يدل على اثنين متباينين كل واحد منهما غير الآخر ، فإذا كان كذلك لم يكن ظاهر قوله كنت سمعه وبصره ويده ورجله أن الخالق يكون جزءًا من المخلوق ، أو وَصْفًا فيه ، تعالى الله عن ذلك ، وإنما ظاهره وحقيقته أن الله تعالى يسدّد هذا العبد في سمعه وبصره ، وبطشه ومشيه ، فيكون سمعه لله تعالى إخلاصًا ، وبه استعانة ، وفيه شرعًا ، واتباعًا ، وهكذا بصره وبطشه ومشيه .

وأما سؤالكم عن قول ابن القيم في الصواعق (مختصرها) ، فهو قريب من المحسنين بذاته ، ورحمته ، فهل يصح ؟ وهل سبقه أحد في ذلك ؟

فإن ابن القيم – يرحمه الله تعالى – قاله أخذًا بظاهر قوله تعالى : ﴿ وإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[1] . فهذه الضمائر :

---

(١) البقرة : ١٨٦ .

(عبادي) (عني) (فإني) (قريب) . (أجيب) (دعان) . (لي) . (بي) ، كلها تعود إلى الله - عز وجل - فكما أنه نفسه المعبود المسئول عنه المجيب لدعوة الداعي الواجب الإيمان به فهو القريب كذلك ، ولا يلزم من ذلك الحلول ، لأن الله تعالى ليس كمثله شيء في جميع صفاته ، فهو قريب في علوه .

وقد سبقه إلى مثل ذلك شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية - يرحمه الله تعالى - حيث قال في شرح النزول ص٥٠٨ ج٥ من مجموع الفتاوى : « ولهذا لما ذكر الله سبحانه قُرْبَه من داعيه وعابديه قال ﴿ وإذا سألك عبادى عنّى فإنّى قريبٌ أجيبُ دعوة الدّاع إذا دَعان ﴾ . فهنا هو نفسه سبحانه القريب الذي يجيب دعوة الداع » . إلى أن قال ص٥١٠ « وأما قُرب الرب قربا يقوم به بفعله القائم بنفسه فهذا تنفيه الكلابية ، ومن يمنع قيام الأفعال الاختيارية بذاته ، وأما السلف وأئمة الحديث والسنة فلا يمنعون ذلك ، وكذلك كثير من أهل الكلام » . أ . هـ .

٥١ ـــــــــ سُئل الشيخ : هل يُوصَفُ الله تعالى بالنسيان ؟

فأجاب بقوله : للنسيان معنيان :

أحداهما : الذهول عن شيء معلوم مثل قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾[1] . ومثل قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا

---

(١) البقرة : ٢٨٦ .

إلى ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾[1] . على أحد القولين ، ومثل قوله ﷺ : إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ فإذا نسيتُ فَذَكِّرُونِي » . وقوله ﷺ : « مَنْ نَامَ عَنْ صَلَاةٍ أَوْ نَسِيَهَا فَلْيُصَلِّهَا إِذَا ذَكَرَهَا » . وهذا المعنى للنسيان مُنْتَفٍ عن الله – عز وجل – بالدليلين السمعي ، والعقلي .

أما السمعي : فقوله تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾[2] . وقوله عن موسى : ﴿ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴾[3] . فقوله : ﴿ يعلم ما بين أيديهم ﴾ . أى مستقبلهم يدلّ على انتفاء الجَهْل عن الله تعالى ، وقوله : ﴿ وما خلفهم ﴾ . أى ماضيهم يدل على انتفاء النسيان عنه . والآية الثانية دلالتها عن ذلك ظاهرة .

وأما العقلي : فإن النسيان نَقْص ، والله تعالى مُنَزَّه عن النقص ، موصوف بالكمال ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[4] . وعلى هذا فلا يجوز وصف الله بالنسيان بهذا المعنى على كل حال .

والمعنى الثاني للنسيان : التَّرك عن عِلْم وعَمْد ، مثل قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[5]

---

(١) طه : ١١٥ .
(٢) طه : ١١٠ .
(٣) طه : ٥٢ .
(٤) النحل : ٦٠ .
(٥) الأنعام : ٤٤ .

الآيةَ ، ومثل قوله تعالى : ﴿ ولَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ ولَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾[1] على أحد القولين . ومثل قوله ﷺ في أقسام أهل الخَيْل : « ورَجُلٌ رَبَطَهَا تَغَنِّيًا وتَعَفُّفًا ولم يَنْسَ حَقَّ الله في رِقَابِهَا وظُهُورِهَا فهِيَ لَهُ كَذَلِكَ سِتْرٌ » . وهذا المعنى من النسيان ثابت لله تعالى – عز وجل – قال الله تعالى : ﴿ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ ﴾[2] . وقال تعالى في المنافقين : ﴿ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[3] . وفي صحيح مسلم في كتاب الزُّهْد والرقائق عن أبي هُريرة – رضي الله عنه – قال : قالوا : يا رسولَ الله هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ فذكر الحديث ، وفيه أنَّ الله تعالى يَلْقَى الْعَبْدَ فيَقُولُ أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ ؟ فيقولَ . لا . فيقولُ : فإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي . وتَرْكُه سُبْحانَه لِلشَّيْءِ صِفَة من صفاته الفعلية الواقعة بمشيئته التابعة لحكمته ، قال الله تعالى : ﴿ وتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾[4] . وقال تعالى : ﴿ وتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾[5] . وقال : ﴿ ولَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا ءَايَةً بَيِّنَةً ﴾[6] . والنصوص في ثبوت التَّرك وغيره من أفعاله المتعلقة بمشيئته كثيرة ، معلومة وهي دالة على كمال قدرته وسلطانه . وقيام هذه الأفعال به سبحانه لا يماثل

---

(١) طه : ١١٥ .
(٢) السجدة : ١٤ .
(٣) التوبة : ٦٧ .
(٤) البقرة : ١٧ .
(٥) الكهف : ٩٩ .
(٦) العنكبوت : ٣٥ .

قيامها بالمخلوقين ، وإن شاركه في أصل المعنى ، كما هو معلوم عند أهل السنة .

٥٢ سُئل الشيخ : هَل مِن أسماء الله تعالى : « الحَيُّ القَيُّومُ » ؟

فأجاب بقوله : لا شك أن من أسماء الله الحسنى « الحي القيوم » بل ورد أنهما اسم الله الأعظم ، لتضمنهما معاني أسماء الله وصفاته الذاتية والفعلية ، وهما مذكوران في ثلاث آيات من القرآن الكريم في آية الكرسي : ﴿ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾[1] . وفي أول سورة آل عمران : ﴿ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾[2] . وفي سورة طه : ﴿ وعَنَتِ الْوُجوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ﴾[3] . وآية الكرسي أعظم آية في كتاب الله ، مَنْ قرأها في ليلة لم يَزَلْ عَلَيْه مِن الله حَافِظ ، ولا يَقْربُه شَيْطَان حَتَّى يُصْبِحَ .

(١) البقرة : ٢٥٥ .
(٢) آل عمران : ٢ .
(٣) طه : ١١١ .

٥٣ سُئل الشيخ : جاء في « التَّرْغِيب والتَّرْهِيب » عن أنسِ بنِ مَالِكٍ – رَضِي الله عنه – قال مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِأَبِي عَيَّاش وهو يُصَلِّي ويقولُ : « اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ يا حَنَّانُ يا مَنَّانُ يا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ والأَرْض . . . » . رواه الإمامُ أحمدُ ، واللَّفظُ لـه ، ورواه أبو دَاوُدَ والنَّسَائِيُّ وابنُ مَاجَه ، فهَلْ « الحَنَّانُ » مِنْ أسماءِ الله تعالى ؟

فأجاب فضيلته بقوله : لقد راجعت الأصول مسند أحمد وأبي داود والنسائي وابن ماجه ، فقد أورده الإمام أحمد في المسند في عدة مواضع من الجزء الثالث ، ص١٢٠ –١٥٨ –٢٤٥ –٢٦٥ ، وأورده أبو داود في الجزء الأول – باب الدعاء – ص٣٤٣ ، وأورده النسائي في الجزء الثالث – باب الدعاء بعد الذكر – ص٤٤ ، وأورده ابن ماجه في الجزء الثاني – كتاب الدعاء – باب اسم الله الأعظم – ص١٢٦٨ ، وليس فيهن ذكر « الحنَّان » سوى طريق واحدة عند الإمام أحمد فيها « الحنان » دون « المنان » وهي التي في ص١٥٨ ، وليست باللفظ المذكور في

الترغيب ، واللفظ المذكور في الترغيب ليس فيه عند أحمد سوى ذكر « المنان » ، وقد رأيت كلامًا لشيخ الإسلام ابن تيمية يرحمه الله أنكر فيه أن يكون الحنان من أسماء الله تعالى ، فإذا كانت الروايات أكثرها بعدم إثباته ، فالذي أري أن يتوقف فيه . والله أعلم .

٥٤ ———— قرأت في كتاب شرح العقيدة الواسطية أن صفة (الحيّ) لله عز وجل مسبوقة بالعدم فهل هذا صحيح ؟

حياة الله عزَّ وجلَّ حياة كاملة ، لم تُسْبَق بِعَدَم ، ولا يَلْحَقُها زَوَال ، وشرح العقيدة الواسطية الذي قرأ فيه أن حياة الله عزَّ وجلَّ تُسْبَق بعدم خطأ بلا شك وهذا خطأ مَطبعي فيما يظهر ، لأنه إذا قيل حياة كاملة فالحياة الكاملة لا تُسْبَق بعدم ، فحياة الله عز وجل حياة كاملة مُتَضَمِّنة لجميع الصفات الكاملة فلم تُسْبَق بِعَدَم ، ولا يلْحَقُها زَوال .

٥٥ ———— وسئل هل يجوز للإنسان أن يستعيذ بكلمات الله ؟

فأجاب بقوله : نعم ، يجوز ذلك لأن كلمات اللَّه من صفاته ، ولهذا استدل العلماء بقول النبي ﷺ « مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا فَقال : أَعُوذُ بِكَلِمَات

اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ لم يَضُرَّه شَيءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِه ذلك »
استدلوا بهذا الحديث على أن كلام الله من صفاته غير مخلوق ؛ لأنّ
الاستعاذة بالمخلوق لا تجوز ، ولو كانت الكلمات مخلوقة ما أرشد النبي
ﷺ إلى الاستعاذة بها .



رسـالة

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد الصالح العثيمين إلى أخيه المكرم الشيخ . . . . . .
حفظه الله تعالى ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد : ففي هذا اليوم وصل إلى كتابكم ، وقد فهمت ما فيه وقد تضمن ملاحظة فضيلتكم على كلامي فيما يتعلق بالحديث القُدُسي الذي رواه النبي ﷺ عن رَبّه تبارك وتعالى أنه قال : « مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْه ذِرَاعًا ، ومَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ منه باعًا ، ومَنْ أتَانِي يَمْشِي أتَيْتُهُ هَرْوَلَةً » . وكان في إثبات الهرولة لله تعالى إشكال عندكم .

فيا محب : تعلم أن هذا الحديث أخبر الله تعالى به عن نفسه ، ونقله عنه أمينه على وحيه ورسوله إلى عباده ، ومبلغ رسالته على الوجه الأتم ، ونقله عن هذا الرسول أمناء أمته من الصحابة والتابعين وأئمة الأمة من أهل الحديث والفقه ، وتلقته الأمة بالقبول .

وتعلم يا محب : أنّ الله تبارك وتعالى أعلم بنفسه وبغيره : ﴿ والله يَعْلَمُ وأنْتُمْ لَا تَعْلَمُون ﴾[1] ، ﴿ قُلْ أأنْتُمْ أعْلَمُ أمِ الله ﴾[2] .

(1) البقرة : ٢١٦ .
(2) البقرة : ١٤٠ .

وتعلم يا محب : أن الله تعالى لم يُطْلِعْ خَلْقَه على ما علمه إيّاهم من أسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه ، إلا ليبين لهم الحقّ حتى لا يضلُّوا : ﴿ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا واللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[1] .

وتعلم يا محبّ : أنه لا أحد أحسن من الله حديثًا ، ولا أصدق منه قِيلًا ، وأن كلامه - جل وعلا - في أعلى غاية الفصاحة والبيان .

وقد قال - سبحانه - عن نفسه : « من أتاني يمشي أتيته هرولة » .
فلا تستوحش يا أخي من شيء أثبته الله تعالى لنفسه بعد أن علمت ما سبق ، واعلم أنك إذا نفيت أن الله تعالى يأتي هرولةً فسيكون مضمون هذا النّفي صحة أن يقال : إن الله لا يأتي هرولة . وفي هذا ما فيه .

ومن المعلوم أن السّلف يؤمنون بأن الله تعالى يأتي إتيانًا حقيقيًّا للفصل بين عباده يوم القيامة على الوجه اللائق به ، كما دلّ على ذلك كتاب الله تعالى ، وليس في هذا الحديث القدسي إلا أن إتيانه يكون هرولة لمن أتاه يمشي فمن أثبت إتيان الله تعالى حقيقة لم يشكل عليه أن يكون شيء من هذا الإتيان بصفة الهرولة على الوجه اللائق به . وأي مانع يمنع من أن نؤمن بأن الله تعالى يأتي هرولة ، وقد أخبر الله تعالى به عن نفسه وهو - سبحانه وتعالى - يفعل ما يشاء ، وليس كمثله شيء ، وهو السميعُ البصير .

---

(١) النساء : ١٧٦ .

وليس في إتيان الله تعالى هرولة على الوجه اللائق به بدون تكييف ولا تمثيل شيء من النقص ، حتى يقال : إنه ليس ظاهر الكلام بل هو فعل من أفعاله يفعله كيف يشاء ، ولهذا لم يأت في كلام الله تعالى عنه ؛ ولا في كلام رسول الله ﷺ ما يصرفه عن ذلك كما أتى في الحديث القُدُسي : « إنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يا ابنَ آدَمَ مَرِضْتُ فلَمْ تَعُدْني » الحديث .

وأما قول فضيلتكم : « لم أجد عن الصحابة والتابعين ذكر الإثبات هذه الصفة » أي الهرولة فإن فضيلتكم لا يخفى عليه أن هذه الصّفة جاء إثباتها لله تعالى ، فيما أخبر الله به نفسه عن نفسه ، « أتيته هرولة » ، وفيما نقله عنه أمينه على وحيه ورسوله إلى من أرسله إليهم من خلقه ، وفيما رواه الصحابة عن رسول الله ﷺ ، وفيما رواه التابعون عن الصحابة ، وفيما رواه أئمة الأمة بعدهم إلى عصرنا هذا ، كلهم يقولون عن الله : « أتيته هرولة » .

فقد ذكرت في كلام الله في الحديث القدسي ، وفي كلام رسوله ، وفي كلام الصحابة ، وفي كلام التابعين ، وفي كلام الأئمة بعدهم رواية ودراية نقلًا وقبولًا ، ولله الحمد .

ولا يخفى على فضيلتكم القاعدة العامة عند السلف من أن نصوص الصفات تجرى على ظاهرها اللائق بالله تعالى بلا كيف ؛ كما اشتهر عنهم قولهم : « أَمِرُّوهَا كما جَاءتْ بِلَا كَيْفٍ » وهذه القاعدة تجري على كل فرد من أفراد النصوص ، وإن لم ينصّوا عليه بعينه ، ولا يمكننا أن نخرج

عنها نصًّا واحدًا إلا بدليل عن السلف أنفسهم ، ولو قلنا : إنه لابد أن ينصّوا على كلّ نصّ بعينه لم يكن لهذه القاعدة فائدة . ومن ذلك هذه الحديث الذي نحن بصدد الكلام عليه ، فإن ظاهره ثبوت إتيان الله تعالى هرولة ، وهذا الظاهر ليس ممتنعًا على الله - عز وجل - ، لأنه لا يتضمن نقصًا فيكون داخلًا في القاعدة المذكورة ، فيثبت لله تعالى حقيقة ، ويصان عن الأوهام الباطلة من التمثيل والتكييف .

ولا يخفي على فضيلتكم أن هذا الحديث ليس فيه شيء من المشاكلة ؛ فإن الإشكال عندكم فيما ظهر لي ليس في مجرد الإتيان ، ولكن في إثبات الهرولة . والهرولة إنما ذكرت في الحديث في إتيان الله تعالى فقط . أما في إتيان المخلوق ، فقال : « من أتاني يمشي » والفرق بين مطلق المشي والهرولة ظاهر ، وحينئذ فلا مشاكلة .

ثم إن المشاكلة عند من قال بها تكون في أحد الطرفين حقيقة ، وفي الثاني غير حقيقة ، لكن ذُكرت بلفظه للتشاكل .

ثم إنّ فتح باب المشاكلة ينفتح به إشكالات ؛ ألا ترى أن الذاهبين لذلك أنكروا من أجْلِه صفات يثبتها السلف أهل السنة :

فقالوا : إن الاستهزاء الذي أخبر الله عنه نفسه في قوله : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾[1] من المشاكلة .

---

(١) البقرة : ١٥ .

وقالوا : إن الخداع الذي أخبر الله به عن نفسه في قوله : ﴿ وهو خادِعُهُمْ ﴾[1] . من المشاكلة .

وقالوا : إن المكر الذي أخبر الله به عن نفسه في قوله : ﴿ ويَمْكُرُ الله ﴾[2] . من المشاكلة .

وقالوا : إن الكيد الذى أخبر الله به عن نفسه في قوله : ﴿ وأَكِيدُ كَيْدًا ﴾[3]. من المشاكلة . إن الرِّضَى الذي أخبر الله به عن نفسه في قوله : ﴿ رَضِيَ الله عَنْهُمْ ﴾[4] . من المشاكلة .

إلى غير هذا مما ذكروه ونَفَوا من أجله حقيقة ما وصف الله به نَفْسَه من ذلك .

ولعلّ فضيلتكم يرجع إلى ما كتبته عن القول الثاني في تفسير الحديث ، والذي ذهب إليه بعض الناس ، « إن العلّة فيه عندي غير المشاكلة ، لأني أرى أن التعليل بالمشاكلة تعليل ينفتح به مالا يمكن دفعه ، كما أنه – عند التأمل – لا مشاكلة لما بيّنته آنفًا .

وأمّا ما تفضّل به فضيلتكم من ملاحظة على قولي : « إن الحديث خرّج مخرج المثال فيكون المعنى من أتاني يمشي في عبادة تفتقر إلى المشي » من وجهين :

---

(١) النساء : ١٤٢ .

(٢) الأنفال : ٣٠ .

(٣) الطارق : ١٦ .

(٤) المائدة : ١١٩ .

أحدهما : أن لفظ (مَنْ) من صيغ العموم .

الثاني : أنه تفسير وتأويل لا ينضبط .

فلا يخفى على فضيلتكم أن لفظ (مَنْ) وغيرها من الأسماء الموصولة أو الشرطية ، عام في أفراد ما تدّل عليه الصلة أو فعل الشرط فقط ، فإذا قلت من أخبرني بقدوم فلان فله كذا ، كان عامًّا في جميع أفراد من يخبرك بقدومه ، لكنه لا يتناول من أخبرك بقدوم غيره أو من أخبرك عنه بشيء غير القدوم ، فقوله تعالى في الحديث القدسي : « من أتاني يمشي » عام في جميع أفراد من أتاه يمشي ، لكنه لا يتناول سواهم ممن تقرّب إليه بغير الإتيان مشيا . فإذا قلنا معنى الحديث « من أتاني يمشي في عبادة تستلزم المشي » . لم نكن أخرجنا لفظ (مَنْ) عن العموم حيث جعلناها شاملة لكل فرد من أفراد من أتى الله يمشي ، وإتيان الله تعالى مشيًا إنما يكون في عبادة تفتقر إلى المشي ، ليتحقق أنه أتى الله تعالى مشيًا .

وبعد هذا يتبين أن ما قلتُه في التفسير مُنْضَبِط غير مُشْكِل ، وأنه أبعد عن أن يلزمنا الخصوم من أهل التأويل بموافقتهم أو مداهنتهم فيما أَوَّلُوه من صفات الله – عز وجل – ، حيث أبقى الحديث على حقيقته اللائقة بالله تعالى ، من غير تكييف ولا تمثيل .

وإن الإنسان ليجد في نفسه الخوف من أن يلقى الله – عز وجل – وهو يقول : « إن الله تعالى لا يأتي هرولة » بعد أن أثبت الله ذلك لنفسه ، وسبحان من قال عن نفسه : ﴿ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ ﴾[1] .

(١) إبراهيم : ٢٧ .

ولقد تأملت هذه المسألة ، وكلما هممت أن أقول بما ذهب إليه بعض الناس في هذا الحديث ، وجدتني خائفًا أن أقول في كلام الله – عز وجل – مالا أعلم ، وأن بقائي على ما يدلّ عليه ظاهر الحديث مع تنزيه الله – عز وجل – عمّا لا يليق به من مماثلة الخلق ، ومع الكف عن تكييف صفاته أسلم في عقيدتي ، وابعد لي عن التكلّف ولا يكلف الله نفسًا إلاّ وسعها .

وأني لأشكر فضيلتكم على ما أتحفتموني به من كلام شيخ الإسلام في نقضه كلام الرازي ، فنعم التحفة ، ونِعْمَ مَنْ أتحف بها أصلًا ونقلًا .

ولا يخفى على فضيلتكم ما لشيخ الإسلام ابن تيمية – يرحمه الله تعالى – من التحقيق في المنقول والمعقول ، مما جعل كلامه – يرحمه الله تعالى – له الأثر في النفوس والقبول تغمده الله برحمته وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيرًا .

لكن لا يخفى على فضيلتكم أن جُلّ كلامه الذي نقلتم إنما هو في مسألة التقرّب ، لأنه هو الذي ذكر بلفظ المساحة ، ومع ذلك فقد أورده الشيخ – يرحمه الله تعالى – بذلك التّرديد حيث قال :

« إما أن يكون ظاهر اللفظ في تقرب العبد إلى ربه هو تقرب بالمساحة المذكورة أوْلا يكون ، فإن كان ذلك هو ظاهر اللفظ ، فإما أن يكون ممكنًا أولا يكون ، فإن كان ممكنًا فالآخر أيضًا ممكن ، ولا يكون في ذلك مخالفة للظاهر ، وإن لم يكن ممكنًا فمن أظهر الأشياء للإنسان علمه بنفسه ، وسعيه ، فيكون قد ظهر للمخاطب معنى قربه بنفسه ، وقد

علم أن قرب ربه إليه من جنس ذلك ، فيكون الآخر أيضًا ظاهرًا في الخطاب . فلا يكون ظاهر الخطاب هو المعنى الممتنع بل ظاهره هو المعنى الحقّ ، ومن المعلوم أنه ليس ظاهر الخطاب أن العبد يتقرب إلى الله تعالى ، بحركة بدنه شبرًا وذراعًا ومشيًا وهرولة . لكن قد يقال عدم ظهور هذا هو للقرينة الحسيّة العقلية ، وهو أن العبد يعلم أن تقرّبه ليس على هذا الوجه ، وذلك لا يمنع أن يكون ظاهر اللفظ متروكًا . فيقال هذه القرينة الحسية الظاهرة لكل أحد هي أبلغ من القرينة اللفظية ، فيكون بمعنى الخطاب ما ظهر بها لا ما ظهر بدونها » . أ . هـ . المقصود منه .

فأنت ترى – حفظك الله – أن الشيخ – يرحمه الله تعالى – جعل الأمر متردّدًا بين أن يكون التقرب بالمساحة ظاهر اللفظ أو لا يكون . وانه إن كان ظاهر اللفظ فإما أن يكون ممكنًا أو لا يكون . وأنه إن كان ممكنًا فالآخر أيضًا ممكن ، وإن لم يكن ممكنًا فالآخر من جنس ذلك ، ولا يمكن أن يكون غير الممكن ظاهر الخطاب لامتناعه ، يعني أننا إذا قلنا : إن تقرب العبد إلى ربه بالمساحة (الشبر والذراع) غير ممكن ، صارتقرب الله تعالى بالذراع والباع غير ممكن ، ،إذا كان غير ممكن امتنع أن يكون هو ظاهر الخطاب لأنه لا يمكن أن يكون ظاهر كلام الله تعالى أمرًا مستحيلًا .

وأما قوله – يرحمه الله تعالى – : « ومن المعلوم أنه ليس ظاهر الخطاب أن العبد يتقرب إلى الله تعالى بحركة بدنه شبرًا وذراعًا ومشيًا

وهرولة » . فإنه قد يقال ما الذي يمنع ذلك فإن العبد يتقرب إلى ربه بحركة قلبه وحركة بدنه ، ولهذا يقال : القلوب جوالة ، فقلب يحوم حول العَرْش ، وقلب يتجول حول الحُشّ . وحركة القلب وشعور العبد بقربه من ربه بقلبه أمر معلوم ، وكذلك حركة البدن التي يتقرب العبد بها إلى ربه بكون الحركة نفسها عبادة ، أو يتوصل بها إلى عبادة أمر معلوم ، ألا ترى إلى قوله تعالى في شأن موسى . ﴿ وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾(1) . قال ابن كثير – يرحمه الله – : « كلمه الله تعالى وناداه ، وقرّبه فناجاه » .

ولا يخفى على فضيلتكم ما رواه الإمام أحمد وابن حِبّان والحاكم من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ ، قال : « إنَّ الله يُبَاهِي بِأَهْلِ عَرَفَاتٍ أَهْلَ السَّمَاءِ ، فيقولُ لهم : انظُرُوا إلى عِبَادِي جَاءُوني شُعْثًا غُبْرًا » . وما رواه أحمد ومسلم من حديث عائشة – رضي الله عنها – أنّ النبيَّ ﷺ قال : « ما مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أن يَعْتِقَ الله فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ ، وإنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْملائِكَةَ ، فيَقُولُ : ما أَرَادَ هَؤُلاءِ » . ودُنُوّه – جَلّ وعَلَا – كما يعلم فضيلتكم لا ينافي علوه تعالى ، قال شيخ الإسلام في الفتاوى : (جمع ابن قاسم ٥/ ٤٦٠) : « وأصل هذا أن قُربه – سبحانه – ودنوه من بعض مخلوقاته لا يستلزم أن تخلو ذاته من فوق العرش ، بل هو فوق العرش ، ويقرب من خلقه كيف يشاء ، كما قال ذلك من قاله من السلف ، وهذا

(1) مريم : ٥٢ .

كقربه إلى موسى لما كلّمه من الشجرة » . إلى أن قال ٤٦٤ : « وإذا كان المنادِي هو الله رب العالمين ، وقد ناداه من موضع معين وقرَّبه إليه دل ذلك على ما قاله السلف من قربه ودنوه من موسى ، عليه السلام ، مع أن هذا قرب مما دون السماء » . إلى أن قال ٤٦٥ : « وقربه من العباد بتقربهم إليه مما يقربه جميع من يقول : إنه فوق العرش ، سواء قالوا مع ذلك : إنه تقوم به الأفعال الاختيارية أم لم يقولوا . وأما من ينكر ذلك فمنهم من يفسّر قُرْب العباد بكونهم يقاربونه ويشابهونه من بعض الوجوه ، فيكونون قريبين منه ، وهذا تفسير أبي حامد والمتفلسفة ، ومنهم من يفسر قربهم بطاعته ، ويفسر قربه بإثابته ، وهذا تفسير جمهور الجَهْمِيّة ، فإنهم ليس عندهم قرب ولا تقريب أصلًا . ومما يدخل في معاني القُرْب – وليس في الطوائف من ينكره – قرب المعروف والمعبود إلى قلوب العارفين العابدين ، فإن كل من أحبّ شيئًا فإنه لابد أن يعرفه ، ويقرب من قلبه ، والذي يبغضه يبعد من قلبه » . إلى أن قال ٤٦٦ : « والذين يثبتون تقريبه العباد إلى ذاته هو القول المعروف للسلف والأئمة ، وهو قول الأشعري وغيره من الكلابية ، فإنهم يُثبتون قرب العباد إلى ذاته » . إلى أن قال : « وأما دنوه نفسه وتقرّبه من بعض عباده فهذا يثبته من يثبت قيام الأفعال الاختيارية بنفسه ومجيئه يوم القيامة ، ونزوله واستوائه على العرش ، وهذا مذهب أئمة السلف ، وأئمة الإسلام المشهورين ، وأهل الحديث والنقل عنهم بذلك متواتر ، وأول من أنكر هذا في الإسلام الجَهْمِيَة ، ومَنْ وافقهم من المعتزلة » .

وفي ص٣١ /٦ : « لكن عموم المسلمين وسلف الأمة وأهل السنة من جميع الطوائف تقر بذلك ، فيكون العبد متقربًا بحركة روحه وبدنه إلى ربه مع إثباتهم أيضًا التقرب منهما إلى الأماكن المشرّفة واثباتهم أيضًا تحوّل رُوحه وبدنه من حال إلى حال .

فالأول : مثل مِعراج النبي ﷺ وعروج رُوح العبد إلى ربه ، وقربه منه في السجود وغير ذلك .

والثاني : مثل الحج إلى بيته وقصده في المساجد .

والثالث : مثل ذكره له ودعائه ومحبته وعبادته ، وهو في بيته لكن في هذين يقرّون أيضًا بقرب الروح أيضًا إلى الله نفسه فيجمعون بين الأنواع كلها » .

قال في ص١٣ /٦ : « وإذا كان قرب عباده منه نفسه وقربه منهم ليس ممتنعا عند الجماهير من السلف وأتباعهم من أهل الحديث والفقهاء والصوفية وأهل الكلام لم يجب أن يتأول كل نص فيه ذكر قربه ، من جهة امتناع القرب عليه ولا يلزم من جواز القرب عليه ، أن يكون كل موضع ذكر فيه قربه يراد به قربه بنفسه ، بل يبقى هذا من الأمور الجائزة ، وينظر في النص الوارد فإن دل على هذا حمل عليه وإن دل على هذا حمل عليه ، وهذا كما تقدم في لفظ الإتيان والمجيء » . أ . هـ .

ففي هذا الكلام من تقرير تقرب العبد إلى ربه بحركة رُوحه وبدنه ، وأن قرب العباد منه نفسه وقربه منهم ليس ممتنعًا عند الجماهير من السلف

وأتباعهم ، ما يخالف ما ذكره في نقْضه على الرازي ، وعليه فيكون للشيخ - يرحمه الله تعالى - في هذا قولان ، ولكن أيهما أقرب أن يكون أرجح عنده ؟

قد يقال : إن الثاني أقرب أن يكون أرجح لأن فيه زيادة ، ولأنه ساقه جازمًا به ، بخلاف الأول فإنه كان فيه ترديد . والله أعلم .

وخلاصة القول : أن إبقاء النص على ظاهره أولى وأسلم فيما أراه ، ولو ذهب ذاهب إلى تأويله لظهور القرينة عنده في ذلك لوسعه الأمر لاحتماله . والله تعالى رقيب على قول كل قائل وقلبه ، فنسأله تعالى الهداية والتوفيق ، لما يحبّ ويرضى . إنه جواد كريم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الإســـلام والإيمـــان

٥٦ سئل الشيخ : عن الشهادتين ؟

فأجاب قائلًا : الشهادتان شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله هما مفتاح الإسلام ولا يمكن الدخول إلىٰ الإسلام إلا بهما ، ولهذا أمر النبي ﷺ معاذ بن جبل رضي اللّٰه عنه حين بعثه إلى اليمن أن يكون أول ما يدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا اللّٰه ، وأن محمدًا رسول اللّٰه . **فأما الكلمة الأولى** : - « شهادة أن لا إله إلا اللّٰه » فأن يعترف الإنسان بلسانه وقلبه بأنه لا معبود حق إلا اللّٰه عز وجل لأن إله بمعنى مألوه والتأله التعبد . والمعنى أنه لامعبود حق إلا اللّٰه وحده ، وهذه الجملة مشتملة على نفي وإثبات ، أما النفي فهو « لاإله » ، واما الإثبات ففي « إلا الله » واللّٰه « لفظ الجلالة » بدلا من خبر « لا » المحذوف ، والتقدير « لاإله حق إلا الله » فهو اقرار باللسان بعد أن آمن به القلب بأنه لا معبود حق إلا اللّٰه عز وجل ، وهذا يتضمن إخلاص العبادة لله وحده ونفي العبادة عما سواه .

وبتقديرنا الخبر بهذه الكلمة « حق » يتبين الجواب عن الإشكال الذي يورده كثير من الناس وهو : - كيف تقولون لا إله إلا اللّٰه مع أن هناك

آلهة تعبد من دون اللّه وقد سماها اللّه تعالى آلهة وسماها عابدها آلهة قال اللّه تبارك وتعالى : ﴿ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُم الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِكَ ﴾[1] . وقال تعالى : ﴿ وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾[2] . وقال تعالى : ﴿ وَلاَ تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾[3] وقوله : ﴿ لَنَ نَّدْعُوَا مِنْ دُوْنِهِ إِلَهًا ﴾[4] فكيف يمكن أن نقول لا إله إلا اللّه مع ثبوت الألوهية لغير اللّه عز وجل ؟ وكيف يمكن أن نثبت الألوهية لغير اللّه عز وجل والرسل يقولون لأقوامهم ﴿ اعْبُدوا اللَّه مَالَكُم مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾[5] ؟

والجواب على هذا الإشكال يتبين بتقدير الخبر في لا إله إلا اللّه فنقول : هذه الآلهة التي تعبد من دون اللّه هي آلهة ، لكنها آلهة باطلة ليست آلهة حقة وليس لها من حق الألوهية شيء ، ويدل لذلك قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُ وَأَنَّ مَايَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّه هُوَ الْعَلِي الْكَبِير ﴾[6] . ويدل لذلك أيضًا قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ والْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَالِثَةَ الأُخرَىٰ أَلَكُم الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَىٰ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيْزَىٰ إِنْ هِيَ إِلاَ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُم وَأَبَاؤُكُم مَّاأَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴾[7] . وقوله تعالى عن يوسف عليه الصلاة والسلام :

---

(١) هود : ١٠١ .

(٢) الإسراء : ٣٩ .

(٣) القصص : ٨٨ .

(٤) الكهف : ١٤ .

(٥) الأعراف : ٥٩ .

(٦) لقمان : ٣٠ .

(٧) النجم : ١٩ -٢٣ .

﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُوْنِهِ إلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُم وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ﴾[1]. وإذن فمعنى « لا إله إلا الله » لا معبود حق إلا اللّه عز وجل ، فأما المعبودات سواه فإن ألوهيتها التي يزعمها عابدها ليست حقيقة – أي ألوهية باطلة – بل الألوهية الحق هي ألوهية اللّه عز وجل .

أما معنى شهادة « أن محمدًا رسول اللّه » فهو الإقرار باللسان والإيمان بالقلب بأن محمدًا بن عبد الله القرشي الهاشمي رسول اللّه عز وجل إلى جميع الخلْق من الجن والإنس كما قال اللّه تعالى : **﴿ قُلْ ياأَيُّها الناسُ إنِّي رَسُولُ اللَّهِ إليكم جميعًا الذي له مُلْكُ السماوات والأَرْضِ لا إلهَ إلا هو يُحْيِي ويُمِيتُ فآمِنُوا باللَّهِ ورَسُولِه النَّبيِّ الأُمِّيِّ الذي يُؤْمِنُ باللَّهِ وكلماتِهِ واتَّبِعُوه لَعَلَّكم تَهْتَدُون ﴾**[2]. وقال تعالى : **﴿ تَبارَكَ الذي نَزَّلَ الفُرْقانَ على عَبْدِه لِيَكُونَ للعالمينَ نَذِيرًا ﴾**[3]. ومقتضى هذه الشهادة أن تصدق رسول اللّه ﷺ فيما أخبر ، وأن تمتثل أمره فيما أمر ، وأن تجتنب ما عنه نهى وزجر ، وأن لا تعبد اللّهَ إلا بما شرع ، ومقتضى هذه الشهادة أيضًا أن لاتعتقد أن لرسول اللّه ﷺ حَقًّا في الربوبية وتصريف الكَوْن ، أو حقًّا في العبادة ، بل هو ﷺ عَبْد لايُعْبَدُ ، ورسول لا يكذب ، ولا يملك لنفسه ولا لغيره شيئًا من النفع أو الضر إلا ما شاء اللّه ، كما قال اللّه تعالى : **﴿ قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ ولا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ولا أَقُولُ لَكُم إنِّي مَلَكٌ إنْ أَتَّبِعُ إلّا ما يُوحَى**

---

(١) يوسف : ٤٠ .

(٢) الأعراف : ٥٨ .

(٣) الفرقان : ١ .

إلي ﴾[1] . فهو عبد مأمور يَتَّبِعُ ما أُمِرَ به ، وقال اللّه تعالى : ﴿ **قُلْ إنّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا ولا رَشَدًا . قُلْ إنّي لَن يُجيرَني مِنَ اللّهِ أَحَدٌ ولَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا** ﴾[2] . وقال سبحانه : ﴿ **قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا ولا ضَرًّا إلّا ما شَاءَ اللّهُ ولَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وما مَسَّنِيَ السُّوءُ إنْ أَنَاْ إلَّا نَذِيرٌ وبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُون** ﴾[3] . فهذا معنى شهادة (أن لّا إلهَ إلَّا اللّهُ ، وأنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللّهِ) .

وبهذا المعنى تعلم أنه لا يستحق العبادةَ لارسولُ اللّه ﷺ ولا مَنْ دونه من المخلوقين ، وأن العبادة ليست إلا لله تعالى وحده . ﴿ **قُلْ إنَّ صَلاتي ونُسُكِي ومَحْيَايَ ومَمَاتي لِلّهِ رَبِّ العالمين . لاشَرِيكَ له وبِذَلِكَ أُمِرْتُ وأَنَاْ أَوَّلُ المُسْلِمِين** ﴾[4] . وأنّ حقّه ﷺ أن تنزله المنزلة التي أنزله اللّه تعالى إياها وهو أنه عَبْدُ الله ورسوله صلوات اللّه وسلامه عليه .

٥٧ ـــــــ وسُئل فضيلته : كيف كانت « لا إلهَ إلّا اللّهُ » مشتملة على جميع أنواع التوحيد ؟

فأجاب : هي تشمل جميع أنواع التوحيد كلها إما بالتضمن ، وإما بالالتزام ، وذلك أن قول القائل « أشهد أن لّا إلهَ إلَّا اللّهُ » يتبادر إلى

(١) الأنعام : ٥٠ .

(٢) الجن : ٢١ -٢٢ .

(٣) الأعراف : ١٨٨ .

(٤) الأنعام : ١٦٢ .

الذهن أن المراد بها توحيد العبادة – الذي يسمى توحيد الألُوهية – وهو متضمن لتوحيد الربوبية ؛ لأن كل من عَبَدَ اللهَ وحده ، فإنه لن يعبده حتى يكون مقرًا له بالربوبية ؛ وكذلك متضمن لتوحيد الأسماء والصفات ؛ لأن الإنسان لا يعبد إلا مَنْ عَلِمَ أنه مستحق للعبادة لما له من الأسماء والصفات ، ولهذا قال إبراهيم لأبيه ﴿ **يا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مالا يَسْمَعُ ولا يُبْصِرُ ولا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا** ﴾[1] فتوحيدُ العبادة متضمن لتوحيدِ الربوبية وتوحيدِ الأسماء والصفات .

٥٨ سُئل غفر اللّه له : عن أول واجب على الخلْق ؟

فأجاب : أول واجب على الخلق هو أول ما يُدْعَىٰ الخلق إليه وقد بينه النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي اللّه عنه حين بعثه لليمن فقال له : « إنَّك تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتابٍ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ ماتَدْعُوهم إليه شهادةُ أن لَّا إلهَ إلَّا اللَّهُ ، وأنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ » فهذا أول واجب على العباد أن يوحّدوا اللّه عز وجل ، وأن يشهدوا لرسوله ﷺ بالرسالة يتحقق الإخلاص ، والمتابعة اللذان هما شرط لِقَبُول كُلِّ عبادة .

---

(١) مريم : ٤٢ .

٥٩ سئل الشيخ جزاه الله خيرًا : عن الحِكْمة مِنْ خلْق الجن والأنس ؟

فأجاب قائلًا : قبل أن أتكلم عن هذا السؤال أحب أن أنبه على قاعدة عامة فيما يخلقه الله عز وجل ، وفيما يشرعه :

وهذه القاعدة مأخوذة من قوله تعالى : ﴿ وهو العَلِيمُ الحَكِيم ﴾[1] . وقوله : ﴿ إنَّ اللَّهِ كان عَلِيمًا حَكِيما ﴾[2] . وغيرهما من الآيات الكثيرة الدالة على إثبات الحكمة لله عز وجل فيما يخلقه وفيما يشرّعه أي في أحكامه الكونية ، وأحكامه الشرعية ، فإنه مامن شيء يخلقه الله عز وجل إلا وله حكمة سواء كان ذلك في إيجاده أو في إعدامه ، وما من شيء يشرّعه الله تعالى إلا لحكمة سواءً كان ذلك في إيجابه ، أو تحريمه ، أو إباحته ، لكن هذه الحِكَم التي يتضمنها حُكْمُه الكوني والشرعي قد تكون معلومة لنا ، وقد تكون مجهولة ، وقد تكون معلومة لبعض الناس دون بعض حسب مايؤتيهم الله سبحانه وتعالى من العلم والفهم ؛ إذا تقرر هذا فإننا نقول إن الله سبحانه وتعالى خلق الجن والإنس لحكمة عظيمة وغاية حميدة ، وهي عبادته تبارك وتعالى كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ وما خَلَقْتُ الْجِنَّ والإنسَ إلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[3] وقال

---

(١) التحريم : ٢ .

(٢) النساء : ٢٤ .

(٣) الذاريات : ٥٦ .

تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثًا وأَنَّكُمْ إِلَيْنا لا تُرْجَعُون ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ أَيَحْسَبُ الإنسَانُ أن يُتْرَكَ سُدًى ﴾[2] . إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن لله تعالى حكمة بالغة من خَلْق الجن والإنس وهي عبادته .

والعبادة هي : - « التذلّل لله - عز وجل - مَحَبَّةً وتعظيمًا بفعل أوامره ، واجتناب نواهيه ، على الوجه الذي جاءت به شرائعه » قال الله تعالى : ﴿ وما أُمِرُوا إلّا لِيَعْبُدُوا اللّهَ مُخْلِصِينَ له الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾[3] . فهذه الحكمة من خلق الجن والإنس ، وعلى هذا فمَنْ تمرّد على ربه واستكبر عن عبادته فإنه يكون نابذًا لهذه الحِكْمة التي خلق الله العباد من أجلها ، وفِعْلُه يشهد أن الله خلق الخَلْق عبثًا وسُدًى ، وهو وإن لم يصرِّح بذلك لكن هذا هو مقتضى تمرده واستكباره عن طاعة ربه .

٦٠ سئل : عن مفهوم العبادة ؟

فأجاب بقوله : العبادة لها مفهوم عام ، ومفهوم خاص .

فالمفهوم العام : هي « التذلّل لله محبة وتعظيمًا بفعل أوامره ، واجتناب نواهيه على الوجه الذي جاءت به شرائعه » .

(١) المؤمنون : ١١٥ .
(٢) القيامة : ٣٦ .
(٣) البينة : ٥ .

والمفهوم الخاص - يعني تفصيلها - قال فيه شيخ الإسلام ابن تيمية : هي « اسْمٌ جَامِعٌ لكُلِّ ما يُحبه اللَّهُ ويرضاه ، مِنْ الأقوالِ والأعمالِ الظاهرةِ والباطنةِ ، كالخَوْفِ والخَشْيَةِ والتَّوكل والصلاةِ والزكاةِ والصيامِ وغيرِ ذلك مِن شرائع الإسلام » .

وقد يكون قصد السائل بمفهوم العبادة ما ذكره بعض العلماء من أن العبادة إما عبادة كونية ، أو عبادة شرعية يعني أن الإنسان قد يكون متذللًا لله سبحانه وتعالى تذللًا كونيًا وتذللًا شرعيًا .

فالعبادة الكونية : تشمل المؤمنَ والكافرَ والبرَّ والفاجرَ لقوله تعالى : **﴿ إن كُلُّ مَن في السماواتِ والأرْضِ إلّا آتِي الرحمنِ عَبْدًا ﴾**[1] فكل مَنْ في السماوات والأرض فهو خاضع لله سبحانه وتعالى كونًا ، فلا يمكن أبدًا أن يضاد اللَّهَ أو يعارضه فيما أراد سبحانه وتعالى بالإرادة الكونية .

وأما العبادة الشرعية : فهي التذلل له سبحانه وتعالى شَرْعًا فهذه خاصة بالمؤمنين بالله سبحانه وتعالى القائمين بأمره ، ثم إن منها ماهو خاص أخص كعبودية الرسل عليهم الصلاة والسلام مثل قوله تعالى : ﴿ تبارك الذي نزّل الفُرْقانَ على عَبْدِه ﴾[2] وقوله : **﴿ وإن كُنتُمْ في ريْبٍ مّما نزّلنا على عَبْدِنا ﴾**[3] . وقوله : **﴿ واذْكُرْ عِبادَنا إبراهيم**

---

(١) مريم : ٩٣
(٢) الفرقان : ١
(٣) البقرة : ٢٣

وإسْحَاقَ ويَعْقُوبَ ﴾[1] . وغير ذلك مِنْ وَصْف الرسل - عليهم الصلاة والسلام - بالعبودية .

والعابدون بالعبودية الكونية لايُثابون عليها لأنهم خاضعون لله تعالى شاءوا أم أَبَوْا ، فالإنسان يمرض ويفقر ويفقد محبوبه من غير أن يكون مريدًا لذلك بل هو كاره لذلك لكن هذا خضوع لله عز وجل خضوعًا كونيًا .

٦١ سُئل فضيلة الشيخ : ما العمل إذا أُكْرِهَ إنسانٌ على الكُفْر ؟

فأجاب بقوله : إذا أُكره إنسانٌ على الكفر ففى ذلك تفصيل :

أولاً : أن يوافق ظاهراً وباطناً فيكون بذلك مرتداً لقوله تعالى : **﴿ ولَكِن مَّن شَرَحَ بالكُفْرِ صدْرًا فعَلَيهِم غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ ولهُمْ عَذابٌ عَظِيم ﴾**[2] .

ثانيًا : - أن يوافق ظاهرًا لا باطنًا ولكن يقصد التخلصَ من الإكراه ، فهذا لا يكفر لقوله تعالى : **﴿ مَن كفر باللَّهِ مِن بَعْدِ إيمانِه إلَّا مَنْ أُكْرِهَ وقَلْبُه مُطْمَئِنٌّ بالإيمانِ ﴾**[3] .

---

(١) ص . ٤٥ .
(٢) النحل . ١٠٦
(٣) النحل ١٠٦

ثالثًا : إن لا يوافق لا ظاهرًا ولا باطنًا ويصبر على القَتْل ، فهذا جائز وهو من الصبر . لكن هل الأولى أن يصبر أَوْ لا ؟

فيه تفصيل : –

أولًا : – إذا كان الإكراه لا يترتب عليه ضرر في الدين للعامة فإن الأَوْلى أن يوافق ظاهرًا لا باطنًا ، لاسيما إذا كان بقاؤه فيه مصلحة للمسلمين كصاحب المال ، أو العلم المنتفع بهما ، وما أشبه ذلك ، حتى وأن لم يكن فيه مصلحة ففي بقائه على الإسلام زيادة عمل صالح وهو خير ، وقد رُخِّص له بالكفر ظاهرًا .

ثانيًا : – اذا كان في موافقته وعدم صبره ضرر على الدين فإنه يصبر وقد يجب الصبر ولو قُتل ، لأنه من باب الصبر على الجهاد في سبيل الله ، وليس من باب إبقاء النفس ولهذا لما شكا الصحابة للنبي ﷺ ما يجدونه من مضايقة المشركين ذكر لهم أنه كان فيمن قبلنا مَنْ يُمشط بأمشاط الحديد مادون عظمه من لحم أو عَصَب ما يصرفه ذلك عن دينه .

ولو حصل من الصحابة رضي اللّٰه عنهم في ذلك الوقت موافقة للمشركين وهم قِلّة لحصل بذلك ضرر عظيم على المسلمين .

والإمام أحمد رحمه اللّٰه أُوذي وصبر حين أَبى أن يقول : القرآنُ مخلوقٌ . ولو وافقهم ظاهرًا لحصل في ذلك مضرة على الإسلام .

٦٢ سئل الشيخ عن تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة ، وهل يزيد وينقص ؟

فأجاب : الإيمان عند أهل السنة والجماعة هو « الإقرار بالقلب ، والنطق باللسان ، والعمل بالجوارح » فهو يتضمن الأمور الثلاثة : -

١ - إقرار بالقلب .

٢ - نطق باللسان .

٣ - عمل بالجوارح .

وإذا كان كذلك فإنه سوف **يزيد وينقص** ، وذلك لأن الإقرار بالقلب يتفاضل فليس الإقرار بالخبر كالإقرار بالمعاينة ، وليس الإقرار بخبر الرجل كالإقرار بخبر الرجلين وهكذا ، ولهذا قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿ **رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قال أَوَ لَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي** ﴾[1] فالإيمان يزيد من حيث إقرار القلب وطمأنينته وسكونه ، والإنسان يجد ذلك من نفسه فعندما يحضر مجلس ذكر فيه موعظة . وذكر للجنة والنار ، يزداد الإيمان حتى كأنه يشاهد ذلك رَأْيَ العَيْن ، وعندما توجد الغفلة ويقوم من هذا المجلس يخفف هذا اليقين في قلبه .

---

(١) البقرة : ٢٦٠ .

كذلك يزداد الإيمان من حيث القول فإن مَنْ ذَكَرَ اللّٰهَ عشر مرات ليس كمن ذكر اللّٰه مئة مرة ، فالثاني أزيد بكثير .

وكذلك أيضًا من أتى بالعبادة على وجه كامل يكون إيمانه أزيد ممن أتى بها على وجه ناقص .

وكذلك العمل فإن الإنسان إذا عمل عملًا بجوارحه أكثر من الآخر صار الأكثر أزيد إيمانًا من الناقص ، وقد جاء ذلك في القرآن والسنة – أعني إثبات الزيادة والنقصان – قال تعالى : ﴿ **وما جَعَلْنَا عُدَّتَهم إلَّا فِتْنَةً للذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الذين أُوتُوا الكِتابَ ويَزْدَادَ الذين آمَنُوا إيمانًا** ﴾[1] . وقال تعالى : ﴿ **وإذا ما أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزادتْهم إيمانًا وهُمْ يَسْتَبْشِرُون . وأَمَّا الذين في قُلُوبِهم مَّرَضٌ فَزَادتْهم رِجْسًا إلى رِجْسِهِم وماتوا وهم كافرون** ﴾[2] . وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال : « ما رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ ودِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحازِمِ مِنْ إِحْداكُنّ » . فالإيمان إذن يزيد وينقص .

ولكن ما سبب زيادة الإيمان ؟

للزيادة أسباب : –

السبب الأول : - معرفة اللّٰه تعالى بأسمائه وصفاته ، فإن الإنسان كلما ازداد معرفة بالله ، وبأسمائه ، وصفاته ازداد إيمانًا بلا شك ، ولهذا

---

(١) [illegible] ٣١

(٢) التوبة ١٢٥

تجد أهل العلم الذين يعلمون من أسماء الله وصفاته مالا يعلمه غيرهم تجدهم أقوى إيمانًا من الآخرين من هذا الوجه .

السبب الثاني : - النظر في آيات الله الكونية ، والشرعية ، فإن الإنسان كلما نظر في الآيات الكونية التي هي المخلوقات ازداد إيمانًا قال تعالى : ﴿ **وفي الأَرْضِ آياتٌ للمُوقِنِين . وفي أَنفُسِكم أفلا تُبْصِرُون** ﴾[1] . والآيات الدالة على هذا كثيرة أعني الآيات الدالة على أن الإنسان بتدبره وتأمله في هذا الكون يزداد إيمانه .

السبب الثالث : - كثرة الطاعات فإن الإنسان كلما كثرت طاعاته ازداد بذلك إيمانًا سواء كانت هذه الطاعات قولية ، أم فعلية ، فالذكر يزيد الإيمان كمية وكيفية ، والصلاة والصوم والحج تزيد الإيمان أيضًا كمية وكيفية .

أما أسباب النقصان فهي على العكس من ذلك : -

فالسبب الأول : الجهل بأسماء الله وصفاته يوجب نقص الإيمان ؛ لأن الإنسان إذا نقصت معرفته بأسماء الله وصفاته نقص إيمانه .

السبب الثاني : الإعراض عن التفكر في آيات الله الكونية والشرعية ، فإن هذا يسبب نقص الإيمان ، أو على الأقل ركوده وعدم نموه .

---

(١) الذاريات : ٢٠ -٢١ .

السبب الثالث : فعل المعصية فإن للمعصية آثارًا عظيمة على القلب وعلى الإيمان ولذلك قال النبي ﷺ « لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وهو مُؤْمِنٌ » الحديثَ .

السبب الرابع : ترك الطاعة فإن ترك الطاعة سبب لنقص الإيمان ، لكن إن كانت الطاعة واجبة وتركها بلا عذر فهو نقص يُلام عليه ويعاقب ، وإن كانت الطاعة غير واجبة ، أو واجبة لكن تركها بعذر فإنه نقص لا يلام عليه ، ولهذا جعل النبي ﷺ النساء ناقصات عقل ودين ، وعَلَّل نقصان دينها بأنها إذا حاضت لم تُصَلِّ ولم تصم ، مع أنها لا تلام على ترك الصلاة والصيام في حال الحيض بل هي مأمورة بذلك ، لكن لما فاتها الفعل الذي يقوم به الرجل صارت ناقصة عنه من هذا الوجه .

٦٣ وسُئل رعاه الله : – عن تعريف الإسلام والفَرْق بينه وبين الإيمان ؟

فأجاب : الإسلام بالمعنى العام هو « التعبد لله تعالى بما شرعه من العبادات التي جاءت بها رسله منذ أن أرسل الله الرسل إلى أن تقوم الساعة » فيشمل ما جاء به نوح عليه الصلاة والسلام من الهدى والحق ، وما جاء به موسى ، وما جاء به عيسى ، ويشمل ما جاء به إبراهيم عليه الصلاة والسلام إمام الحنفاء ، كما ذكر الله تبارك وتعالى ذلك في آيات كثيرة تدل على أن الشرائع السابقة كلها إسلام لله عز وجل .

والإسلام بالمعنى الخاص بعد بعثة النبي ﷺ يختص بما بعث به محمد ﷺ لأن ما بعث به ﷺ نسخ جميع الأديان السابقة فصار من اتبعه مسلمًا ، ومن خالفه ليس بمسلم ؛ لأنه لم يستسلم لله بل استسلم لهواه ، فاليهود مسلمون في زمن موسى عليه الصلاة والسلام ، والنصارى مسلمون في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام ، وأما حين بُعث محمد ﷺ فكفروا به فليسوا بمسلمين ولهذا لايجوز لأحد أن يعتقد أن دين اليهود والنصارى الذين يدينون به اليوم دين صحيح مقبول عند الله مساوٍ لدين الإسلام ، بل من اعتقد ذلك فهو كافر خارج عن دين الإسلام ؛ لأن الله عز وجل يقول : ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسلامُ** ﴾[1] ويقول : ﴿ **ومَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ** ﴾[2] وهذا الإسلام الذي أشار الله إليه هو الإسلام الذي امتن الله به على محمد ﷺ وأمته قال اللّه تعالى : ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُم دِينَكُم وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُم نِعْمَتِي ورَضِيتُ لَكُم الإِسْلاَمَ دِينًا** ﴾[3] وهذا نص صريح في أن مَنْ سوى هذه الأمة بعد أن بعث محمد ﷺ ليسوا على الإسلام ، وعلى هذا فما يدينون اللّه به لايقبل منهم ولا ينفعهم يوم القيامة ، ولا يحل لنا أن نعتبره دينًا قائمًا قويمًا ، ولهذا يخطيء خطأً كبيرًا من يصف اليهود والنصارى بقول أنهم إخوة لنا ، أو أن أديانهم اليوم قائمة لما أسلفناه آنفًا .

وإذا قلنا ان الإسلام **هو التعبد لله سبحانه وتعالى بما شرع** شمل ذلك الاستسلام له ظاهرًا وباطنًا فيشمل الدين كله عقيدة ، وعملًا ، وقولًا ،

---

(١) آل عمران : ١٩ .

(٢) آل عمران : ٨٥ .

(٣) المائدة : ٣ .

أما إذا قرن الإسلام بالإيمان فإن الإسلام يكون الأعمال الظاهرة من نطق اللسان وعمل الجوارح ، والإيمان العمال الباطنة من العقيدة وأعمال القلوب ، ويدل على هذا التفريق قوله تعالى : ﴿ **قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا ولَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا ولمَّا يَدْخُل الإيمانُ في قُلُوبِكُم** ﴾[1] وقال تعالى في قصة لوط ﴿ **فأَخْرَجْنَا مَن كَان فِيها مِنَ المُؤْمِنِينَ. فَمَا وَجَدْنَا فِيها غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ المُسْلِمِين** ﴾[2] فإنه فرّق هنا بين المؤمنين والمسلمين لأن البيت الذي كان في القرية بيت إسلامي في ظاهره إذ أنه يشمل امرأة لوط التي خانته بالكفر وهي كافرة ، أما من أُخرج منها ونجا فإنهم المؤمنون حقًّا الذين دخل الإيمان في قلوبهم يدل لذلك – أي للفرق بين الإسلام والإيمان عند اجتماعهما – حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفيه أن جبريل سأل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان ؟ فقال له النبي ﷺ « الإسلامُ أَنْ تَشْهَدَ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وأَنَّ مُحَمّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وتُقِيمَ الصلاةَ ، وتُؤْتِيَ الزَّكاةَ ، وتَصُومَ رَمَضَانَ ، وتَحُجَّ البَيْتَ » وقال في الإيمان « أَنْ تُؤْمِنَ باللَّهِ ، ومَلائِكَتِه ، وكُتُبِه ، ورُسُلِه ، واليَوْمِ الآخِرِ ، وبالقَدَرِ خَيْرِهِ وشَرِّه » .

فالحاصل أن الإسلام عند الإطلاق يشمل الدين كله ويدخل فيه الإيمان ، وأنه إذا قُرن مع الإيمان فُسِّرَ الإسلامُ بالأعمال الظاهرة من أقوال اللسان وعمل الجوارح ، وفُسِّرَ الإيمانُ بالأعمال الباطنة من اعتقادات القلوب وأعمالها .

---

(١) حجرات . ١٤ .

(٢) ذاريات : ٣٦ .

٦٤ سُئل فضيلة الشيخ : عن هذا التقسيم للإيمان هل هو صحيح أَوْ لا ؟ « الإيمان خمسة : إيمان مطبوع وهو إيمان الملائكة ، وإيمان معصوم وهو إيمان الأنبياء . وإيمان مقبول وهو إيمان المؤمنين ، وإيمان مردود وهو إيمان المنافقين ، وإيمان موقوف وهو إيمان المبتدعة » .

فأجاب : أقول في هذا التقسيم إنه ليس بصحيح ، لا من أجل التقسيم لأن التقسيم قد يكون صحيحًا في أصله ولا مشاحة في الاصطلاح والتقسيم ، ولكنه ليس بصحيح في حد ذاته فإن المنافقين قد نفى الله الإيمان عنهم في القرآن فقال تعالى : ﴿ **ومن النّاس مَن يَقُولُ آمَنَّا باللَّهِ وبالْيَوْمِ الآخِرِ وما هُم بمُؤْمِنينَ** ﴾[1] وإيمان البشر مطبوعون عليه لولا وجود المانع المقاوم . قال النبي عليه الصلاة والسلام [illegible] مولود يولد على الفِطْرةِ . فأبواهُ يُهَوِّدَانِه . أو يُنَصِّرانه . أو [illegible] صحيح أن الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ، وصحيح [illegible] والسلام لا يمكن أن يرتدوا بعد إيمانهم ، ولكن التقسيم الثاني غير صحيح

---

(١) البقرة : [illegible]

وهو أنه جعل الملائكة مطبوعين على الإيمان دون البشر ، والبشر كما تقدم قد طُبعوا على الإيمان بالله وتوحيده .

وخير من ذلك أن نرجع إلى تقسيم السلف الصالح لأنه هو التقسيم الذي يكون مطابقًا للكتاب والسنة للإجماع عليه . وهو أن الإيمان قول باللسان وعمل بالأركان واعتقاد بالجنان .

٦٥ —— وسئل أيضًا : « كيف نجمع بين حديثِ جبريل الذي فَسَّرَ فيه النبيُّ ﷺ الإيمان : بأَنْ تُؤْمِنَ باللَّهِ ومَلائكتِه ، وكُتُبِه ، ورُسُلِه ، والْيَوْمِ الآخِرِ ، وتُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيْرِه وشَرِّه » . وحديثِ وَفْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ الذي فَسَّرَ فيه النبي ﷺ الإيمان بشهادةِ أن لّا إله إلَّا اللَّهُ وَحْدَه لاشَرِيكَ له ، وإقامِ الصلاةِ ، وإيتاءِ الزكاةِ ، وأداءِ الخُمْسِ مِنْ الغَنِيمَةِ ؟

فأجاب بقوله : قبل الإجابة على هذا السؤال أود أن أقول إن الكتاب والسنة ليس بينهما تعارض أبدًا ، فليس في القرآن ما يناقض بعضه بعضًا ، وليس في السنة الصحيحة عن رسول الله ﷺ مايناقض بعضه بعضًا ، وليس في القرآن ولا في السنة ما يناقض الواقع أبدًا ؛ لأن الواقع واقع

حق ، والكتاب والسنة حق ، ولا يمكن التناقض في الحق ، وإذا فهمت هذه القاعدة انحلت عنك إشكالات كثيرة . قال الله تعالى : ﴿ **أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا** ﴾[1] فإذا كان الأمر كذلك فأحاديث النبي ﷺ لايمكن أن تتناقض ، فإذا فَسَّر النبيُّ ﷺ الإيمان بتفسير ، وفَسَّره في موضع آخر بتفسير آخر يعارض في نظرك التفسير الأول ، فإنك إذا تأملت لم تجد معارضة : ففي حديث جبريل عليه الصلاة والسلام قسم النبي ﷺ الدين إلى ثلاثة أقسام : –

الأول : الإسلام .

الثاني : الإيمان .

الثالث : الإحسان .

وفي حديث وفد عبد القيس لم يذكر إلا قسمًا واحدًا وهو الإسلام . فالإسلام عند الإطلاق يدخل فيه الإيمان لأنه لا يمكن أن يقوم بشعائر الإسلام إلا من كان مؤمنًا فإذا ذكر الإسلام وحده شمل الإيمان ، وإذا ذكر الإيمان وحده شمل الإسلام ، وإذا ذكرا جميعًا صار الإيمان يتعلق بالقلوب ، والإسلام يتعلق بالجوارح ، وهذه فائدة مهمة لطالب العلم فالإسلام إذا ذُكر وحده دخل فيه الإيمان قال اللّه تعالى ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ** ﴾[2] ومن المعلوم أن دين الإسلام عقيدة وإيمان

---

(١) النساء : ٨٢ .

(٢) آل عمران : ١٩ .

وشرائع ، وإذا ذُكر الإيمان وحده دخل فيه الإسلام ، وإذا ذُكِرَا جميعًا صار الإيمان ما يتعلق بالقلوب ، والإسلام ما يتعلق بالجوارح ، ولهذا قال بعض السلف « الإسلام علانية ، والإيمان سِرّ » لأنه في القلب ، ولذلك ربما تجد منافقا يصلي ويتصدق ويصوم فهذا مسلم ظاهرًا غير مؤمن كما قال تعالى ﴿ **ومن النَّاسِ من يَقُولُ آمنَّا باللَّهِ وباليَوْمِ الآخِرِ وماهُم بمؤْمنين** ﴾[1] .

٦٦ ــ وسئل : كيف نجمع بين أن الإيمان هو « الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره » وقول النبي ﷺ « الإيمانُ بِضْعٌ وسَبْعُونَ شُعْبَة ... ...الخ » ؟

فأجاب قائلا : الإيمان - الذي هو العقيدة – أصوله ستة وهي المذكورة في حديث جبريل عليه الصلاة والسلام حينما سأل النبيَّ ﷺ عن الإيمان فقال « الإيمانُ أنْ تؤْمن باللَّهِ ، وملائكتِه ، وكُتُبه ، ورُسُلِه ، واليومِ الآخرِ ، وتؤْمن بالقدرِ خيْره وشرِّه » . متفق عليه . وأما الإيمان الذي يشمل الأعمال وأنواعها وأجناسها فهو بضع وسبعون شعبة ، ولهذا سمى الله تعالى الصلاة إيمانا في قوله ﴿ **وما كان اللَّهُ لِيُضِيعَ إيمانَكُم**

(1) [illegible]

إنّ اللَّهَ بالنَّاسِ لرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1] قال المفسرون : إيمانكم يعني صلاتكم إلى بيت المقدس ، لأن الصحابة كانوا قبل أن يُؤمروا بالتوجه إلى الكعبة كانوا يُصلون إلى المسجد الأقصى .

٦٧ — سئل الشيخ : عن معنى قوله ﷺ « إنَّ الإيمانَ لَيأرِزُ إلى المدينةِ كما تأرِزُ الحيَّةُ إلى جُحْرِها » ؟ .

فأجاب : هذا الحديث يقول فيه الرسول عليه الصلاة والسلام « إنّ الإيمانَ لَيَأْرِزُ إلى المدينةِ كَمَا تَأْرِزُ الحَيَّةُ إلى جُحْرِها » و « يأرز » بكسر الراء ويجوز فيها الفتح والضم ، ومعنى « يأرز » يرجع ويثبت في المدينة ، كما أن الحية إذا خرجت من جحرها رجعت إليه ، وهذا إشارة من النبي ﷺ إلى أن هذا الدين سوف يرجع إلى المدينة بعد أن تفسد البلدان الأخرى كما أن الحية تخرج وتنتشر في الأرض ثم بعد ذلك ترجع إلى جحرها .

وفيه أيضًا إشارة إلى أن الإسلام كما انطلق من المدينة فإنه يرجع إليها أيضًا ، فإن الإسلام بقوته وسلطته لم ينتشر إلا من المدينة وإن كان أصله نابعًا في مكة ، ومكة هي المهبط الأول للوحي ، لكن لم يكن للمسلمين دولة وسلطان وجهاد إلا بعد أن هاجروا إلى المدينة ، فلهذا كان الإسلام بسلطته ونفوذه وقوته منتشرًا من المدينة وسيرجع إليها في آخر الزمان .

(١) البقرة : ١٤٣ .

وقال بعض أهل العلم : إن هذا إشارة إلى أمر سبق وأن المعنى أن الناس يفدون إلى المدينة ويرجعون إليها ليتلقوا من رسول اللَّه ﷺ الشريعة والتعاليم الإسلامية .

ولكن المعنى الأول هو ظاهر الحديث وهو الأصح .

٦٨ ـــــ وسئل فضيلته : هل يشهد للرجل بالإيمان بمجرد اعتياده المساجد كما جاء في الحديث ؟

فأجاب بقوله : نعم لاشك أن الذي يحضر الصلوات في المساجد ، حضوره لذلك ، دليل على إيمانه ، لأنه ما حمله على أن يخرج من بيته ويتكلف المشي إلى المسجد إلا الإيمان باللَّه عز وجل .

وأما قول السائل « كما جاء في الحديث » فهو يشير إلى ما يُروى عن النبيﷺ « إذا رَأَيْتم الرَّجُلَ يَعْتَادُ المسَاجِدَ فاشْهَدُوا له بالإيمان » . ولكن هذا الحديث ضعيف لا يصح عن النبيﷺ .

٦٩ ـــــ وسئل : عن تقسيم الدِّين إلى قُشور ولُبٍّ ، (مثل اللِّحْيَة) ؟

فأجاب بقوله : تقسيم الدين إلى قشور ولُبّ ، تقسيم خاطيء ، وباطل ، فالدين كله لُبٌّ ، كله نافع للعبد ، كلّه يقربه لله – عز وجل – كله يُثاب عليه المرء ، كله ينتفع به المرء ، بزيادة إيمانه وإخباته

لربه - عز وجل - حتى المسائل المتعلقة باللّباس والهيئات ، وما أشبَهَها ، كلها إذا فعلها الإنسان تقربًا إلى الله - عز وجل - واتباعًا لرسوله ، ﷺ ، فإنه يُثابَ على ذلك ، والقشور كما نعلم لا ينتفع بها ، بل تُرمى في الأرض .

وليس في الدّين الإسلامي والشريعة الإسلامية ما هذا شأنه ، بل كلّ الشريعة الإسلامية لُبٌّ ينتفع به المرء إذا أخلص النية لله ، وأحسن في اتباعه رسولَ الله ، ﷺ . وعلى الذين يُرَوِّجُون هذه المقالة ، أن يفكّروا في الأمر تفكيرًا جِدِيًّا ، حتى يعرفوا الحقّ والصواب ، ثم عليهم أن يتبعوه ، وأن يَدَعُوا مثل هذه التعبيرات ، صحيح أن الدين الإسلامي فيه أمور مهمة كبيرة عظيمة ، كأركان الإسلام الخمسة ، التي بَيَّنها الرسول ، ﷺ ، بقوله : « بُنِيَ الإِسْلَامُ علىّ خَمسٍ : شَهَادَةُ أن لّا إلهَ إلّا الله ، وأنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله ، وإقَامُ الصَّلَاةِ ، وإيتاءُ الزَّكَاةِ ، وصَوْمُ رَمَضَانَ ، وحَجُّ بَيْتِ الله الْحَرَامِ » . وفيه أشياء دون ذلك ، لكنه ليس فيه قشور لا ينتفع بها الإنسان ، بل يرميها ويطرحها .

وأما بالنسبة لمسألة اللِّحْيَة : فلا ريب أن إعفاءها عبادة ، لأن النبي ، ﷺ ، أمر به ، وكُلّ ما أمر به النبيُّ ، ﷺ ، فهو عبادة يتقرب بها الإنسان إلى ربه بامتثاله أمر نبيه ، ﷺ ، بل إنها من هَدْي النبيِّ ، ﷺ ، وسائر إخوانه المرسلين ، كما قال الله تعالى عن هارون : انه قال لموسى ﴿ يا ابن أمّ لا تأخُذْ بِلِحْيَتِي ولَا بِرَأْسِي ﴾[1] . وثبت عن

---

(1) طه : ٩٤ .

النبي ، ﷺ ، أن إعفاء اللحية من الفِطْرة التي فَطَرَ الناسَ عليها ، فإعفاؤها من العبادة ، وليس من العادة ، وليس من القشور كما يزعمه مَنْ يزعمه .

٧٠ ـــــــ وسئل الشيخ : هل في الإسلام تجديدُ تَشْرِيعٍ ؟

فأجاب بقوله : مَنْ قالوا : إنّ في الإسلام تجديد تشريع فالواقع خلافه ؛ فالإسلام كمل بوفاة النبي ، ﷺ ، والتشريع انتهى بها . نعم الحوادثُ والوقائعُ تتجدّد ، ويحدثُ في كلّ عصرٍ ومكانٍ ما لا يحدث في غيره ، ثم ينظر فيها بتشريع ، ويحكم عليها على ضوء الكتاب والسنة . ويكون هذا الحُكْم من التشريع الإسلامي الأول ، ولا ينبغى أن يُسَمَّى تشريعًا جديدًا ، لأنه هَضْم للإسلام ، ومخالف للواقع ، ولا ينبغي أيضًا أن يسمى تغييرًا للتشريع ، لما فيه من كسر سياج حُرْمَة الشريعة ، وهيبتها في النفوس ، أو تعريضها لتغيير لا يسير على ضوء الكتاب والسنة ، ولا يرضاه أحد من أهل العلم والإيمان .

أما إذا كان الحكم على الحادثة ليس على ضوء الكتاب والسنة ، فهو تشريع باطل ؛ لا يدخل تحت التقسيم في التشريع الإسلامي .

ولا يَرِدُ على ما قلتُ إمضاء عمر – رض الله عنه – للطلاق الثلاث ، مع أنه كان واحدة لمدة سنتين من خلافته ، ومدة عهد النبي – ﷺ – وعهد أبي بكر ، لأن هذا من باب التَّعْزِير بإلزام المرء ما التزمه ولذا

قال عمر – رضي الله عنه – : « أَرَى الناسَ قد تَعَجَّلُوا في أَمْرٍ كانتْ لهم فيه أَنَاةٌ فَلَوْ أَمْضَيْنَاه عَلَيْهِم » . فأمضاه عليهم ، وباب التعزير واسع في الشريعة ، لأنّ المقصود به التقويم والتأديب .

٧١ سُئِلَ الشيخُ : هل يمكن أن يصل المسلم في هذا العصر إلى ما وصل إليه الصحابة من الالتزام بدين الله ؟

فأجاب بقوله : أما الوصول إلى مرتبة الصحابة فهذا غير ممكن ، لأن النبي ، ﷺ ، قال : « خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ، ثُمَّ الَّذِين يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ الَّذِين يَلُونَهُمْ » ، وأما إصلاح الأمة الإسلامية حتى تنتقل عن هذا الوضع الذي هي عليه ، فهذا ممكن . والله على كل شيء قدير ، وقد ثبت عن النبي ، ﷺ ، أنه قال : « لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي على الْحَقِّ ظَاهِرِينَ ، ولا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ ولَا مَنْ خَالَفَهُم ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ الله وهُمْ على ذلك » . ولا رَيْبَ أن الأمة الإسلامية في الوضع الحالي في وَضْعٍ مُزْرٍ ، بعيدة عما يريده الله منها من الاجتماع على دين الله والقوة في دين الله ، لأن الله يقول : ﴿ وإنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وأنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾[1] .

(١) المؤمنون : ٥٢ .

٧٢ ذكرت أن منزلة الصبر أقل منزلة من الرضا ، (لكن) ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن أحد التابعين عند وفاة ابنه أنه تبسم فقيل له في ذلك فقال : إنما أتبسم رضًا بقضاء الله قال الشيخ : وحال النبي ﷺ أكمل حين قال عند وفاة ابنه : «إنَّ القَلْبَ لَيَحْزَن وإنَّ العَيْنَ لَتَدْمَع وإنَّا لِفُرَاقِك لَمَحْزُونُون» ، فحاله ﷺ الصبر لأنه أنسب للمقام . فأرجو من فضيلتكم الجمع بين ذلك ؟

الواقع أن التَّبسم عند المَصَائب لا يدل على كمال المرتبة ، بل يدل على نقص المرتبة ، وأن الإنسان أراد أن يطرد ما في قلبه من الحزن بهذا التبسم ، لكن الحزن لم يرد على القلب من الأصل فذلك أكمل . وعلى هذا فإن الإنسان إذا أُصيب بِمُصيبة ، وحزن لها ، ولكنه بالنَّظر لقضاء الله وقدره هي عنده سواء مع عدمها ، فإن هذا هو الرضا ، لكن كون الإنسان يصاب بمصيبة ، كأن يكون له ابن ميت وهو في المقبرة يَضْحك أو يَبْتسم فهذا غير مُنَاسب ، وهذا يدل على أن قلبه لم يتَحَمَّل ،

وأراد أن يطرد هذا بهذا ، فنقصت حاله عن حال من كان قلبه مُتَحَمِّلا ، بدون أن يوجد شيء ظاهر يطرد هذا الشيء ، وإلا فقد صرح ابن القيم - رحمه الله - في الفوائد ، وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية أن الرضا أكمل ، وأن الصَّبر واجب بالاتفاق ، وأن الرضا مختلف فيه ، وجمهور العلماء على أنه مستحب .

٧٣ ــــــــ إنني شاب ملتزم بالإسلام ولكن في الفترة الأخيرة لاحظت أن إيماني ضعف ، بدليل ارتكاب بعض المعاصي مثل تفويت وتأخير الصلاة والاستماع إلى اللغو من القول والاستغراق في الملذات ، وقد حاولت إنقاذ نفسي مما أنا فيه ولكن لم أستطع . فهل ترشدني فضيلتكم إلى الطريق السوي الذي أنجو به من شر نفسي الأمّارة بالسوء ؟

نسأل الله لنا ولك الهداية ، والطريق إلى هذا الحرص على قراءة القرآن وتدبره فإن القرآن يقول الله فيه ﴿ **يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتكُم مَوْعِظَةٌ مِن**

رَّبِّكُمْ وشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1] . ثم مراجعة ما أمكن من سيرة النبي ﷺ وسنته فإنها منار الطريق لمن أراد الوصول إلى الله عزَّ وجلَّ ، وثالثًا الحرص على مُصَاحَبَةِ أهل الصَّلاح والتَّقوى من العُلَماء الربانيين والأصدقاء المتقين ورابعًا البعد ، بقدر الإمكان ، عن جلساء السُّوءِ كَنَافِخِ الكِير إمَّا أَنْ يَحْرِقكَ (أَوْ قَالَ يَحْرِقُ ثِيَابَكَ) وَإمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْه رَائِحَةً كَرِيهَة» ثم تأنيب نفسك دائمًا على ما حدث لك التغير حتى تعود إلى ما كنت عليه سابقا ، سادسًا أن لا يدخلك من هذا الإعجاب فيما قمت به من عمل صالح فإن الإعجاب قد يبطل العمل كما قال الله عز وجل ﴿ **يَمُنُّون عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْ قُل لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إسْلَامَكُم بَل الله يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإيمَانِ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِين ﴾**[2] . ولكن انظر إلى أعمالك الصالحة وكأنك مقصر دائمًا حتى تلجأ إلى الاستغفار والتوبة إلى الله عزَّ وجلَّ ومع حُسْنِ الظَّن بالله سبحانه وتعالى لأن الإنسان إذا أُعْجِبَ بعمله ، ورأى لنفسه حقًا على ربه كان ذلك أمرًا خطيرًا قد يحبط به العمل . نسأل الله السلامة والعافية .

---

(١) يونس ٥٧

(٢) الحجرات ١٧

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٧٤ ـ كيف يستطيع المرء أن يقوي إيمانه حيث إنه لا يتأثر بمعاني الآيات التي تقرأ إلا قليلًا ؟

على كل حال فإن الرَّجل الذي يقول هذا الكلام يَظْهر أنه مؤمن باليوم الآخر ومصدق به ، ولكن عنده شيء من قسوة القلب ، وقسوة القلوب في عصرنا هذا كثيرة جدًا ، وسببها الإعراض عن التَّعبد والتَّذلل التام لله عزَّ وجلَّ ، ولو أن الإنسان تعبَّد لله بالمعنى الحق وتذلَّل لله بالمعنى الحق لوجد في قلبه لِينًا وخُشُوعًا ، ولو أن الإنسان منا أقبل على القرآن وتدبره ، لوجد من قلبه لينًا وخشوعًا ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾[1] .

ومن أسباب قسوة القلب ما ظهر من زينة الدُّنيا في هذا العصر وافتتان الناس بها ، وكثرة مشاكلها ، ولذلك تجد الإنسان الصَّغير الذي لم يتفتح على الدُّنيا ولم تتفتح الدنيا عليه تجد عنده من الخُشُوع والبُكَاء أكثر من الكبير ، وهذا نشاهده وتشاهدونه أنتم الآن في المسجد الحرام في القيام تجد شَبَابًا صِغَارًا في الثَّامنة عشرة من أعمارهم ونحوها تجدهم يَبْكُون بكاء عند ذكر الآيات التي فيها الوعيد أو الترغيب أكثر من بكاء من هو أكبر منهم ، لأن قلوبهم ألين ، فهي لم تتعلق بالدنيا كثيرًا ، ولم

(١) الحشر : ٢١

تذهب تَنْظر إلى المشاكل البعيدة والقريبة ، لذلك نجدهم أكثر خشوعًا وأقرب لِينًا ممن انفتحت عليهم الدُّنيا ، وانفتحوا عليها ، وصَارَت قلوبهم مُتَشَتِّتَة من هنا ومن هناك .

فَنصِيحتي لهذا الأخ أن يَحْصِر قَلْبَهُ وفِكْرَه فيما يَتَعَلَّق بِدِينه فقط ، وأن يَحْرِص على تلاوة القرآن بِتدبر وتَمَهُّل ، وأن يحرص أيضًا على مراجعة الأحاديث التي تشتمل على التَّرغيب والتَّرهيب ، فإنها ترقق القلوب .

٧٥ ما معنى الإخلاص ؟

الإخلاص لله تعالى معناه أن يَقصد المرءُ بعبادته التقربَ إلى الله سبحانه وتعالى ، والتوصلَ إلى دار كرامته .

وإذا أراد العبد بعبادته شيئاً آخر ، ففيه تفصيل حسب الأقسام التالية :

القسم الأول : أن يريد التقرب إلى غير الله تعالى في هذه العبادة ونَيْل الثناء عليها من المخلوقين ، فهذا يُحْبطُ العملَ ، وهو من الشرك . وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : قال اللهُ تعالى : « **أنا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَن الشِّرْكِ ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيه غَيْري معي تَرَكْتُهُ وشِرْكَه** » .

القسم الثاني : أن يقصد بها الوصول إلى غرض دنيوي كالرئاسة والجاه والمال دون التقرب بها إلى الله تعالى ، فهذا عمله حابط لا يُقَرِّبُهُ

إلى الله تعالى . لقول الله تعالى : ﴿ مَن كان يُريدُ الحياةَ الدُّنيا وزينَتَها نُوفِّ إليهم أعْمَالَهُمْ فيها وهُمْ فيها لا يُبْخَسُونَ . أولئك الذين ليس لهم في الآخِرةِ إلا النَّارُ وحَبِطَ ما صَنَعُوا فيها ، وباطِلٌ مَّا كانوا يَعْمَلُون ﴾[1] .

والفرق بين هذا والذي قَبْله : أن الأول قَصَدَ أن يُثْنَى عليه مِنْ قِبَلِ أنّه عابدٌ لله تعالى ، وأما هذا - الثاني - فلم يقصد أن يُثْنَى عليه مِنْ قِبَلِ أنه عابد لله ، ولا يهمه أنْ يُثنى الناسُ عليه بذلك .

القسم الثالث : أن يقصد بها التقربَ إلى الله تعالى والغرضَ الدّنيوي الحاصلَ بها ، مِثْل : أن يقصد مع نية التعبد لله تعالى بالطهارة تنشيطَ الجسم وتنظيفَه ، وبالصلاةِ تمرينَ الجسمِ وتحريكَه ، وبالصيامِ تخفيفَ الجسم وإزالَة فضلاته ، وبالحجِّ مشاهدةَ المشاعر والحجّاج ، فهذا يُنقص أجْرَ الإخلاص ، ولكن إن كان الأغلب عليه نية التعبد فقد فاته كمال الأجر ، ولكن لا يضره ذلك باقتراف إثْم أو زُور لقوله تعالى في الحجّاج : ﴿ ليس عليكم جُناحٌ أن تبتغوا فضلاً من ربكم ﴾[2] وإن كان الأغلب عليه نية غير التعبد فليس له ثواب في الآخرة وإنما ثوابه ما حصّله في الدنيا ، وأخشى أن يأثم بذلك لأنه جعل العبادةَ التي هي أعلى الغايات وسيلةً للدنيا الحقيرة ، فهو كمن قال الله فيهم : ﴿ ومنهم مَن يَلْمِزُكَ في الصَّدَقاتِ فإنْ أُعْطُوا مِنها رَضُوا وإن لَمْ يُعْطَوْا منها إذا هُمْ يَسْخَطونَ ﴾[3] . وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة رضي الله

---

(١) هود ١٥ - ١٦

(٢) البقرة ١٩٨

(٣) التوبة ٥٨

عنه : أنَّ رجلاً قال يا رسول اللهِ رَجُلٌ يُرِيدُ الجهادَ وهو يريدُ عَرَضاً مِنْ عَرَضِ مِنْ الدُّنيا . فقال النبيُّ ﷺ : « لا أَجْرَ له » ، فأعاد ثلاثا والنبيُّ ﷺ يقوَلُ : « لا أَجْرَ له » . وفي الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنّ النبيَّ ﷺ قال : « مَنْ كانتْ هِجْرَتُه لدُنيا يُصِيبهُا أو امرأةٍ يَنكِحُها فهِجْرَتُهُ إلى ما هَاجَرَ إليه » .

وإنْ تساوى عنده الأمرانِ فلم تغلب نيّة التعبد ولا نيّة غير التعبد فمحل نظر ، والأقرب أنه لا ثواب له كمن عمل لله تعالى ولغيره .

والفرق بين هذا القسم والذي قبله أن غرض غير التعبد في القسم السابق حاصل بالضرورة ، فإرادته إرادة حاصلة بعمله بالضرورة وكأنه أراد ما يقتضيه العمل من أمر الدنيا .

فإن قيل ما هو الميزان لكَوْن مقصوده في هذا القسم أغلبه التعبد أو غير التعبد ؟ قلنا : الميزان أنه إذا كان لا يهتم بما سوى العبادة حصل أم لم يحصل ، فقد دلّ على أن الأغلب نية التعبد ، والعكس بالعكس . وعلى كل حال فإنّ النيّة التي هي قول القلب أمرها عظيم وشأنها خطير ، فقد ترتقي بالعبد إلى درجة الصديقين وقد ترده إلى أسفل السافلين ، قال بعض السلف : « ما جَاهَدتُّ نفسي على شيء مجاهدتها على الإخلاص » . فنسأل اللهَ لنا ولكم الإخلاصَ في النية ، والصلاَح في العمل .

الشـــرك الأكبـــر

٧٦ سئل الشيخ : عن أنواع الشرك ؟

فأجاب بقوله : سبق في غير هذا الموضع أن التوحيد يتضمن إثباتًا ونفيًا ، وأن الاقتصار فيه على النفي تعطيل ، والاقتصار فيه على الإثبات لايمنع المشاركةَ ، فلهذا لابد في التوحيد من النفي والإثبات ، فمن لم يثبت حقَّ اللّه عز وجل على هذا الوجه فقد أشرك .

والشرك نوعان : شرك أكبر مخرج عن المِلّة . وشرك دون ذلك .

النوع الأول : الشرك الأكبر وهو : كل شرك أطلقه الشارع وهو يتضمن خروج الإنسان عن دينه مثل أن يصرف شيئًا من أنواع العبادة لله عز وجل لغير اللّه ، كأن يصلي لغير اللّه ، أو يصوم لغير اللّه ، أو يذبح لغير اللّه ، وكذلك من الشرك الأكبر ان يدعو غيرَ اللّه عز وجل مثل أن يدعو صاحبَ قبر ، أو يدعو غائبًا ليغيثه من أمر لايقدر عليه إلا اللّه عز وجل . وأنواع الشرك معلومة في ما كتبه أهل العلم .

وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وقد ألّف كتابًا في ذلك اسمه « الصَّارِمُ المَسْلُولُ في تَحَتُّمِ قَتْلِ سَابِّ الرَّسُولْ » وذلك لأنه استهان بحق الرسول ﷺ وكذا لو قذفه ﷺ فإنه يُقتل ولا يُجلد .

فإن قيل : أليس قد ثبت أن من الناس مَنْ سَبَّ الرسول ﷺ في حياته وقَبِلَ النبيُّ ﷺ توبته ؟

أجيب : بأن هذا صحيح ، لكن هذا في حياته ﷺ ، والحق الذي له قد أسقطه ، وأما بعد موته ، فإنه لايملك أحد إسقاط حقه ﷺ ، فيجب علينا تنفيذ ما يقتضيه سبه ﷺ من قتل سابه ، وقبول توبة الساب فيما بينه وبين الله تعالى .

فإن قيل : إذا كان يحتمل أن يعفو عنه لو كان في حياته ، أفلا يوجب ذلك أن نتوقف في حكمه ؟

أجيب : بأن ذلك لايوجب التوقف لأن المفسدة حصلت بالسب ، وارتفاع أثر هذا السب غير معلوم والأصل بقاؤه .

فإن قيل : أليس الغالب أن الرسول ﷺ يعفو عمّن سبّه ؟

أجيب : بلى ، وربما كان العفو في حياة الرسول ﷺ متضمنًا المصلحة وهي التأليف ، كما كان ﷺ يعلم أعيان المنافقين ولم يقتلهم « لِئَلَّا يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَه » لكن الآن لو علمنا أحدًا بعينه من المنافقين لقتلناه ، قال ابن القيم رحمه الله : إن عدم قتل المنافق المعلوم إنما هو في حياة الرسول ﷺ فقط .أ .هـ .

النوع الثاني : الشرك الأصغر وهو كل عمل قولي ، او فِعْلي أطلق عليه الشرع وَصْفَ الشرك ، ولكنه لا يخرج من الملة مثل : الحَلِف بغير الله فإن النبي ﷺ قال « مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ » فالحالف بغير الله الذي لايعتقد أن لغير الله تعالى من العظمة ما يماثل عظمةَ الله فهو مشرك شركًا أصغر ، سواء كان هذا المحلوف به معظمًا من البشر أم غير معظم ، فلا يجوز الحلف بالنبي ﷺ ، ولا برئيس ، ولاوزير ، ولايجوز الحلف بالكعبة ، ولا بجبريل ، وميكائيل ، لأن هذا شرك ، لكنه شرك أصغر لايخرج من الملة .

ومن أنواع الشرك الأصغر : - الرياء مثل أن يقوم الإنسان يصلي لله عز وجل ولكنه يزين صلاته لأنه يعلم أن أحدًا من الناس ينظر إليه ، فيزين صلاته من أجل مُراءاة الناس . فهذا مشرك شركًا أصغر ؛ لأنه فعل العبادة لله لكن أدخل عليها هذا التزين مراءاة للخلق ، وكذلك لو أنفق ماله في شيء يتقرب به إلى الله لكنه أراد أن يمدحه الناس بذلك فإنه مشرك شركًا أصغر . وأنواع الشرك الأصغر كثيرة معلومة في كتب أهل العلم .

٧٧ ــــــــــ سئل الشيخ : هل تقبل توبة مَنْ سَبَّ اللَّهَ عز وجل أو سَبَّ الرسولَ ﷺ ؟

فأجاب حفظه الله بقوله : اخْتُلف في ذلك على قولين :

القول الأول : أنها لاتُقبل توبةُ مَنْ سَبَّ اللَّهَ ، أو سَبَّ رسولَه ﷺ ، وهو المشهور عند الحنابلة ، بل يُقتل كافرًا ، ولايُصَلَّى عليه ، ولا يُدْعَى له بالرحمة ، ويدفن في محل بعيد عن قبور المسلمين .

القول الثاني : أنها تقبل توبة مَنْ سَبَّ اللَّهَ ، أو سَبَّ رسولَه ﷺ ، إذا علمنا صدق توبته إلى الله وأقر على نفسه بالخطأ ، ووصف اللَّهَ تعالى بما يستحق من صفات التعظيم ، وذلك لعموم الأدلة الدالة على قبول التوبة كقوله تعالى : ﴿ **قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا** ﴾[1] ومن الكفار من يسبون الله ومع ذلك تقبل توبتهم ، وهذا هو الصحيح إلا أن ساب الرسول عليه الصلاة والسلام لا تقبل توبته ويجب قتله ، بخلاف من سب الله فإنها تقبل توبته ولا يقتل لأن الله أخبرنا بعفوه عن حقه إذا تاب العبد ، بأنه يغفر الذنوب جميعًا ، أما ساب الرسول ﷺ فإنه يتعلق به أمران :

أحدهما : أمر شرعي لكونه رسول الله ﷺ وهذا يقبل إذا تاب .

الثاني : أمر شخصي ، وهذا لا تقبل التوبة فيه لكونه حق آدمي لم يعلم عفوه عنه ، وعلى هذا فيقتل ولكن إذا قتل ، غَسَّلناه ، وكَفّناه ، وصلينا عليه ، ودفناه مع المسلمين .

---

(١) الزمر : ٥٣ .

٧٨ سُئل الشيخ : عن حُكْمِ مَنْ أنكر حياةَ الآخرة ، وزَعَمَ أنّ ذلك مِن خُرافَاتِ القُرونِ الوُسْطَى ؟ وكيف يُمْكِنُ إقناعُ هؤلاءِ المُنكِرِين ؟

فأجاب بقوله : من أنكر حياة الآخرة ، وزعم أن ذلك من خرافات القرون الوسطى فهو كافر ، لقوله الله تعالى : ﴿ وقَالُوا إنْ هِيَ إلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا ومَا نَحنُ بِمَبْعُوثِينَ . ولَوْ تَرى إذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾[1] . وقال تعالى : ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ . الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ . ومَا يُكَذِّبُ بِهِ إلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ . إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ . كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ . كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ . ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ . ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾[2] . وقال تعالى : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴾[3] . وقال تعالى : ﴿ والَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[4] .

---

(١) الأنعام : ٢٩-٣٠ .
(٢) المطففين : ١٠-١٧ .
(٣) الفرقان : ١١ .
(٤) العنكبوت : ٢٣ .

وأما إقناع هؤلاء المنكرين فبما يأتي :

أولًا – أن أمر البعث تواتر به النقل عن الأنبياء والمرسلين في الكتب الإلهية ، والشرائع السماوية ، وتلقته أممهم بالقبول ، فكيف تنكرونه وأنتم تصدقون بما ينقل إليكم عن فيلسوف أو صاحب مبدأ أو فكرة ، وإن لم يبلغ ما بلغه الخبر عن البعث لا في وسيلة النقل ولا في شهادة الواقع ؟ ! !

ثانيًا – أنّ أمر البعث قد شهد العقل بإمكانه ، وذلك من وجوه :

١ – كل أحد لا ينكر أن يكون مخلوقًا بعد العدم ، وأنه حادث بعد أن لم يكن ، فالذي خلقه وأحدثه بعد أن لم يكن قادر على إعادته بالأولى ، كما قال الله تعالى : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ** ﴾[1] . وقال تعالى : ﴿ **كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ** ﴾[2] .

٢ – كل أحد لا ينكر عظمة خَلْق السموات والأرض لكبرهما وبديع صنعتهما ، فالذي خلقهما قادر على خلق الناس وإعادتهم بالأَوْلَى ؛ قال الله تعالى : ﴿ **لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ** ﴾[3] . وقال تعالى : ﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ**

(١) الروم : ٢٧ .
(٢) الأنبياء : ١٠٤ .
(٣) غافر : ٥٧ .

والأرض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير ﴾[1] . وقال تعالى : ﴿ أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم . إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴾[2] .

٣ – كل ذى بصر يشاهد الأرض مجدبة ميتة النبات ، فإذا نزل المطر عليها أخصبت وحيا نباتها بعد الموت ، والقادر على إحياء الأرض بعد موتها قادر على إحياء الموتى وبعثهم ، قال الله تعالى : ﴿ ومن ءاياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحياها لمحي الموتى إنه على كل شيء قدير ﴾[3] .

ثالثا – أنّ أمر البعث قد شهد الحسّ والواقع بإمكانه فيما أخبرنا الله تعالى به من وقائع إحياء الموتى ، وقد ذكر الله تعالى من ذلك في سورة البقرة خمس حوادث منها ، قوله : ﴿ أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك ءاية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير ﴾[4] .

---

(١) الأحقاف : ٣٣ .

(٢) يس : ٨ .

(٣) فصلت : ٣٩ .

(٤) البقرة : ٢٥٩ .

رابعًا – أن الحِكْمة تقتضي البعث بعد الموت لتُجَازَى كلُّ نفس بما كسبت ، ولولا ذلك لكان خَلْق الناس عبثًا لا قيمة له ، ولا حكْمة منه ، ولم يكن بينَ الإنسان وبين البهائم فَرْق في هذه الحياة . قال الله تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ . فَتَعَالَى اللهُ المَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾(1) . وقال الله تعالى : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴾(2) . وقال تعالى : ﴿ وأَقْسَمُوا باللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللهُ مَن يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا ولَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ . لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ . إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾(3) . وقال تعالى : ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَ لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ ﴾(4) .

فإذا بينت هذه البراهين لِمنكرى البعث وأصروا على إنكارهم ، فهم مكابرون معاندون ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

---

(١) المؤمنون : ١١٥ : ١١٦.

(٢) طه : ١٥ .

(٣) النحل : ٣٨ : ٤٠ .

(٤) التغابن : ١٦ .

٧٩ **الفكرة الشّيوعيَّة تقوم على إنْكار وجود الخالق عزَّ وجلَّ وتقول بمَاديَّة الحياة وأنَّ أصل المخلوقات هي الطبيعة فهل معتنق المبادىء والأفكار الشّيوعيَّة من الشَّباب وغيرهم في عالمنا الإسْلامي مُرْتَدُّون وخاصَّة من يعتقدون بآفة الشيوعية وهل يُطَبَّق عليه حَدُّ الرِّدة أمْ لا ؟**

الظاهر لي أنَّ هذا السُّؤال كَمَن يَسأَلُ هل الشمس شَمْسٌ وهل اللَّيل لَيْلٌ وهل النَّهار نَهَارٌ ، فمن الَّذي يشْكل عليه أنَّ منكر الخالق لا يكون كافرًا مع أنَّ هذا أَعْنِي إنْكار الخالق ما وُجِدَ فيما سَلف من الإلحاد وإنَّما وُجِدَ أخِيرًا وكيف يُمْكِنُ إنكَار الخالق والأدِلَّة على وجوده جلَّ وعَلا أجْلى من الشَّمس وكيف يَصحُّ في الأذْهَانِ شيءٌ إذا احتاج النهار إلى دَلِيل ، وأدِلَّة وجود الخالق والحمد لله موجودة في الفطر والعقول والشَّاهد والمَحْسوس ولا يُنْكِره إلا مُكَابر بل حَتَّى الذين أنْكَروه قُلُوبهم مُطْمَئِنَّة بِوُجُودِهِ ، كما قال الله تعالى عن فِرْعون الذي أنْكر الخالق وادَّعى الرُّبوبية لنفسه قال : ﴿ وجَحَدوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُم ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾[1] . وقال جلَّ ذِكْره عن موسى وهو يُنَاظِر فرعون : ﴿ لَقَدْ

(١) النمل : ١٤ .

عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ ﴾[1] . ثم إن هؤلاء الَّذين يُنْكرون الخالق هم في الحقيقة مُنْكرون لأنفسهم لأنَّهم هم الآن يَعْتقدون أنهم ما أَوْجَدُوا أَنْفُسَهم ويعلمون ذلك ، ويعتقدون أنه ما أوجدتهم أُمَّهاتهم ولا أَوْجَدَهُم آباؤُهم ولا أَوْجَدَهُم أَحَد رابع إلَّا رب العالمين سُبحانه وتعالى كما قال تعالى ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾[2] وتَعَجَّب جُبَيْر بن مطْعم على أنَّه لم يؤمن بعد لما سمع هذه الآية يقرأها النبي عليه الصَّلاة والسَّلام قال : كدت أُطير من كونها دَلِيلًا قاطِعًا ظاهرًا على وجود الخَالِق سُبْحانه وتعالى ، هؤلاء المُنكرون للخالق إذَا قِيلَ لهم من خَلَق السَّماوات والأَرْض ما استطاعوا سَبيلًا إلَّا يقولوا الَّذي خلقها الله لأنَّها قَطعًا لم تَخْلُق نَفْسها وكل موجود لابد له من مُوجِد وَاجب الوُجود وهو الله . لو إن أحدًا من النَّاس قال إن هذا القصر المَشِيد المُزَينُ بأنواع الثَّريات الكهربائية وغيرها أنه بَنَى نَفْسَه لقال النَّاس : إنَّ هذا أَمْر جُنُونِي ولا يمكن أن يكونَ ، فكيف بهذه السَّموات والأَرْض والأفلاك والنُّجوم السَّائرة على هذا النظام الَّذي لا يختلف مُنْذ أَنْ خلقه الله عزَّ وجلَّ إلى أَنْ يأْذن الله بفَناء هذا العالم ؛ وأعتقد أن الأَمر واضح من أَنْ يُقَام عليه الدَّليل وبناءً على ذلك فإنَّه لا شك أنَّ من أَنْكَر الخَالِق فإنَّه مُخْتلّ العقل كما أنَّه لا دين عندهُ وأنه كافرٌ لا يَرْتاب أَحَد في كُفْره .

(١) الإسراء : ١٠٢

(٢) الطور : ٣٥

وهذا الحُكْمُ يَنْطبقُ على المُقَلِّدين لهذا المَذْهب الَّذِين عَاشُواْ في الإسلام لأن الإسلام يُنْكِرُ هذا إنْكارًا عَظيمًا ولا يَخْفى على أحَد من المُسْلمين بُطْلان هذا الفِكْر وهذا المَذْهَب وليسوا مَعْذورين لأنَّ لديهم من يُعَلِّمهم بل هُم لو رَجَعُوا إلى فِطرهم مَا وجَدُوا لهذا أصلًا .

٨٠ ـ مَا هو رَأيك فيمَنْ تَغيَّرت لَديهم المَفَاهيم وصَار عندهم المَعْروف مُنْكرًا والمُنْكَر مَعْروفًا ؟

رَأيي في هؤلاء الَّذين تَغيَّرت عندهم المَفَاهيم حتَّى رَأوْا المعروف مُنْكرًا والمُنْكَر مَعْروفًا وصاروا لا يُنْكِرون من المُنْكَرِ شيئًا ولا يُقِرُّون من المعروف شَيْئًا ، رَأيي أنَّ هؤلاء انْسَلخُوا من الدين – والعياذ بالله – وذلك لأن من جعل المعروف الذي من شريعة الله عزَّ وجلَّ منكرًا فقد كفر بالشَّريعة وكذلك من جعل المُنْكر مَعْروفًا فقد آمن بالطَّاغوت. والإيمان لا يَتِمُّ إلاّ بالكُفْر بالطَّاغوت والإيمان بالله ، فعلى هؤلاء أنَ يُرَاجِعوا أنْفُسَهم ويُفكِّروا في أمْرِهم ويَعْرِفُوا أصْلهم ومُنْتَهى أمرهم فإنَّ أصْلَهم العَدَم ومُنْتَهَى أمْرهُم الفَنَاء من الدُّنيا ، قال تعالى : ﴿ **هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَذْكُورًا** ﴾[1] . وقال تعالى : ﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ . وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذو الجلالِ**

(١) الإنسان : ١

والإكْرَام ﴾[1] . وقال تعالى : **﴿ كلُّ نفسٍ ذائِقَةُ المَوْتِ وإنَّما تُوَفَّوْنَ أجُوركُمْ يَوْمَ القِيامَةِ ﴾**[2] . عليهم أنْ يُفَكِّروا أدْنى تَفْكير فإن لَم يُفِد فعليهم أن يفكِّروا التَّفكير العميق في الأمر وهم يُشَاهدون النَّاس يذهبون ويجيئون هذا يُولد وهذا يَمُوت وهذا يمرض وهذا يَصِحُّ وهذا يُصَابُ بماله وهذا يُصاب بأهله ويعلمون أنَّه لا بَقَاء لأحَدٍ في هذه الدُّنيا فليرجعوا إلى الله تعالى ولِيَعْرفوا المعروف ويُنْكِروا المُنْكر ومن تَابَ تَاب الله عليه .

٨١ ـ ما حكم الشرع فى رجل سَبَّ الدين في حالة غضب هل عليه كَفَّارة وما شرط التَّوبة من هذا العمل حَيْثُ أنِّي سمعت من أهْل العلم يقولون بأنَّك خرجت عن الإسلام في قولك هذا ويقولون بأنَّ زوجتك حُرِّمت عليك

الحكم فيمن سَبَّ الدِّين الإسلامي أنه يَكْفُر فإنَّ سَبّ الدِّين والاسْتهزَاء به رِدَّة عن الإسلام وكفر بالله عز وجل وبدينه وقد حكى الله عن قوم اسْتَهزؤوا بدين الإسلام حكى الله عنهم أنَّهم كانوا يقولون إنَّما كنا نَخُوض ونَلْعَبُ فبيَّن الله عزَّ وجلَّ أن خَوْضهَم هذا ولَعِبهم اسْتِهْزاء

(١) الرحمن : ٢٦ ، ٢٧

(٢) آل عمران : ١٨٥

بالله وآياتِهِ ورسوله ، وأنَّهم كفروا به ، فقال تعالى : ﴿ **ولَئِنْ سَأَلْتَهُم ، لَيَقُولُنَّ إنَّما كُنَّا نَخُوضُ ونَلْعَب . قُلْ أبالله وَآيَاتِهِ ورَسُولِهِ كُنْتُم تَسْتَهْزِءُون . لا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إيمانِكُم** ﴾[1] .فالاستهزاءُ بِدِين الله أو سَبُّ دين الله أو سَبُّ الله ورسوله أو الاستهزاء بِهِما كفر مخرج عن المِلَّة .

ومع ذلك فإنَّ هناك مجالًا للتَّوبة منه لقول الله تعالى : ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِي الَّذين أسْرفُواْ عَلَى أنْفُسِهِم لا تَقْنَطواْ مِنْ رَحْمَةِ الله إنَّ الله يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إنَّه هُو الغَفُور الرَّحِيم** ﴾[2] . فإذا تَابَ الإنْسَان من أيّ رِدَّة كانت تَوْبَة نَصُوحًا استوفت شروط التَّوبة الخمسة فإنَّ الله يَقْبَلُ تَوْبَتَهُ .

وشروط التَّوبة الخمسة هي :

الشرط الأول : الإخْلاصُ لله بِتَوْبَته بأَنْ لا يكون الحامِلُ له على التَّوبة رياءً أَوْ خوفًا من مخلوق أَوْ رجاء لأَمْرٍ يَنَاله من الدُّنيا فإذا أخلص توبته لله وصَار الحامل له عليها تَقْوى الله عزَّ وجلَّ والخوف من عقابه ورجاء ثوابه فقد أَخْلص لله تعالى فيها .

الشرط الثاني : أن يندم على ما فعل من الذَّنب بحيث يجد في نفسه حَسْرة وحُزْنًا على مَا مَضَى ويَرَاه أمرًا كبيرًا يجب عليه أن يتخلَّص منه .

---

(١) التوبة : ٦٥ ، ٦٦

(٢) الزمر : ٥٣

الشرط الثالث : أنْ يقلع عن الذّنب وعن الإصرار عليه فإن كان ذنبه ترك واجب قام بفعله وتداركه إنْ أمكن وإن كان ذنبه بإتْيَان محرم أقْلعَ عنه وابتعد عنه ومن ذلك إذا كان الذّنب يتعلق بالمخلوقين فإنّه يُؤدِّي إليهم حقوقهم أوْ يَستَحِلّهم منها .

الشرط الرابع : العزم على أن لا يعود في المُسْتقبل بأن يكون في قلبه عزم مؤكد ألّا يَعُود إلى هذه المعصية التي تاب منها .

الشرط الخامس : أنْ تكون التّوبة في وقت القبول فإن كانت بعد فوات وقت القبول لم تُقْبَل وفوات وقت القَبول عام وخاص أمّا العام فإنه طلوع الشّمس من مغربها فالتّوبة بعد طلوع الشّمس من مغربها لا تقبلُ لقول الله تعالى : ﴿ **يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفسًا إيمانُها لم تَكُنْ آمَنَتْ مِنَ قَبْلُ أوْ كَسَبَتْ فِي إيمَانِها خيْرًا** ﴾[(١)] . وأمّا الخاص فهو حُضُور الأجَل فإذا حَضَرَ الأجَلُ فإنّ التوبة لا تنفع لقول الله تعالى : ﴿ **وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُون السيِّئات حَتَّى إذا حَضَرَ أحَدَهُم المَوْتُ قَال إنِّي تُبتُ الآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّار** ﴾[(٢)] .

أقُول إنّ الإنْسَان إذا تَابَ من أيِّ ذَنْبٍ ولو كان ذلك سبُّ الدِّين فإنَّ تَوْبته تُقْبل إذا اسْتَوْفَتْ الشُّروط التي ذكرناها ولكن ليعْلَم أن الكلمة قد تَكُون كُفرًا وَردّة ولكن المُتَكلم بها قَدْ لا يكفر بها لوجود مانعٍ يمنع من الحكم بِكُفْره فهذا الرَّجل الذي ذكر عن نَفْسه أنّه سبَّ الدين

---

(١) الأنعام : ١٥٨ .

(٢) النساء : ١٨ .

في حال غضبٍ نقول له إن كان غضبك شديدًا بحيث لا تَدري ما تقول ولا تدري أَنْت حينئذ أنت في سَمَاءٍ أم في أَرْض وتكلمت بكلام لا تستحضره ولا تعرفهُ فإنَّ هذا الكلام لا حكم له ولا يُحْكَمُ عليك بالرِّدة لأنه كلام حصل عن غير إرادة وقَصْد وكل كلام حصل عن غير إرادة وقصد فإن الله سبحانه وتعالى لا يؤاخذ به يقول الله تعالى فى الأَيمانِ : ﴿ لا يُؤَاخِذُكُم الله باللَّغوِ في أيْمَانكُم ولكِنْ يُؤَاخِذُكُم بما عَقَّدتُّم الأيمان ﴾[1] . فإذا كان هذا المُتَكلِّم بكلمة الكُفر في غضب شديد لا يدري ما يقول ولا يعلم ماذا خرج منه فإنَّه لا حكم لكلامه ولا يحكم بردته حينئذ وإذا لم يحْكم بالرِّدة فإن الزَّوجة لا يَنْفسخ نكاحها منه بل هي باقية في عِصْمته ولكن يَنْبغي للإنسان إذا أحسَّ بالغضب أنْ يحرص على مُدَاواة هذا الغضب بما أَوْصَى به النبي ﷺ حِينَ سَأَلَهُ رَجُل فَقَالَ لَه : يا رَسُول الله أوْصِني قَالَ : «لا تَغْضَبْ فَرَدَّدَ مِرَارًا قَالَ ؛ لَا تَغْضَبْ» فَلْيُحْكم الضَّبْطَ على نَفْسه وليَستَعِذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم وإذا كان قائمًا فليجْلِس وإذا كان جَالِسًا فَليضجع وإذا اشتدَّ به الغضب فليتوضَّأ فإنَّ هذه الأمور تُذْهِبُ عنه غضبه وما أكثر الَّذين نَدِموا نَدَمًا عظيمًا على تَنْفيذ ما اقتضاه غَضَبهم ولكن بعد فوات الأوان .

(١) المائدة : ٨٩ .

٨٢ **شخص تارك للصلاة ، وهو غير جاحد بوجوبها ، ويشهد الشهادتين ثم تاب إلى الله تعالى ، فهل عليه الاغتسال ثم التلفظ بالشهادتين ؟ أم يكفيه التوبة والاستغفار ؟**

إذا ترك الإنسان الصلاة على وجه يكفر به ثم تاب إلى الله ورجع ، فإنه يَغْتَسل ؛ لأنه تاب من الكفر ، وينبغي لمن دخل في الإسلام بعد الكفر أن يغتسل ، إما وُجُوبًا أو استحبابًا على خلاف في ذلك ، وأما الشهادتان فلا حاجة إلى أن يذكرهما لأنه يعترف بهما .

والعلماء يقولون : مَن كَانَت رِدَّته بِشَيْءٍ مُعَيَّن ، فَإِن دُخُوله فِي الإسْلَامِ يَحْصُل بِهَذا الشَّيء المُعَيَّن .

٨٣ **لقد توفِّي والدي مُنْذ عشْرين سَنَة وكان قاطعًا للصَّلاة ، وكان يُفْطر في رمضان أحْيانًا كما أخْبَرتْني والدتي ، وهي تَنصَحه ، ولكن بِالنِّسبة للفطر في رمضان امتنع عنه ولكن الصَّلاة كان قاطِعًا**

لها حتى توفي ، فهل يجوز لي أن أدعو له بِالمَغْفِرة والرَّحمة ، أفِيدُونا مأجورين ؟

الحمد لله رب العالمين وأصَلِّي وأُسَلِّم على نبينا محمد خاتم النبيين وإمام المُتَّقين وعلى آله وأصْحَابه ومَنْ تَبِعَهُم بإحسان إلى يَوْم الدِّين :

لا يجوز لهذا السائل أنْ يَدْعو لأبِيه الَّذي مات تَاركًا للصَّلاة وذلك لأنَّ تارك الصَّلاة كافر كُفْرًا مُخْرجًا عن المِلَّة على القول الرَّاجح ، والكافر لا يجوز لأحَدٍ أن يدعو له بالمغفرة والرَّحمة لقوله تعالى : ﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِي والَّذِين آمَنُواْ أنْ يَسْتَغْفرُواْ لِلمُشْرِكِين وَلَوْ كَانُواْ أُوْلي قُرْبَى مِنْ بَعْد مَا تَبَيَّن لَهُم أنَّهُم أصْحَابُ الجحيم** ﴾[1] . وقد شرعنا سابقًا في سياق الأدلة التي تَدُلُّ على كُفْر تَارِك الصَّلاة كُفْرًا مُخْرِجًا عن المِلَّة وذكرنا آية التوبة ، وهي قوله تعالى عن المشركين : ﴿ **فَإنْ تَابُواْ وَأقَامُواْ الصَّلاة وآتواْ الزَّكَاة فَإخْوانُكُم في الدِّين** ﴾[2] . وَبيَّنا وَجه دلالَتها ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ **فَخلَفَ مِنْ بعْدهم خَلْف أضَاعُواْ الصَّلاة واتَّبعُوا الشَّهوات فَسَوْف يَلْقَونَ غيًّا . إلَا منْ تَابَ وَآمنَ وَعَمِل صَالِحًا فَأُولَئِك يَدْخُلونَ الجَنَّة ولا يظلمون شَيْئًا** ﴾[3] .

---

(١) التوبة : ١١٣

(٢) التوبة : ١١

(٣) مريم : ٥٩ ، ٦٠

ووجه الدِّلالة في هذه الآية قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ ﴾ فَدَلَّ هذا على أنَّ من أضَاع الصَّلاة فليس بِمُؤمن والأصْلُ في نَفْي الصِّفة عن المَوْصوف أنْ يكون نَفْيًا تامًّا إلَّا أنْ يكون دَلِيل على أنَّ المُرَاد اِنتِفَاءُ كمَال تِلْكَ الصِّفة ، وليَعْمَل بِما قام عليه الدَّليل :

وعلى هذا فتكون الآية دَالَّة على أنَّ مَنْ أضَاع الصَّلاة فليس بِمؤْمِن ، واستدل بعض العلماء من كِتَاب الله تَعَالَى على أنَّ تَارِكَ الصَّلاة كافر بأنَّ الله تعالى حَكم بِكُفْر إبليس حين تَرَك امتثال أمْر الله تعالى بالسُّجود لآدم وإنْ كان هذا الاستدلال فيه مُنَاقَشة .

* أمَّا دِلالة السُّنة على كُفْرِ تارك الصَّلاة كُفرًا مُخْرِجًا عن الملة فمنها ما رواه مسلم في صحيحه عن جابر رضي الله عنه أنَّ النَّبي ﷺ قال : «بَيْنَ الرَّجُلِ وَبين الشركِ والكُفْر تَرْكُ الصَّلاة» .

وفيما رواه أهْل السُّنن من حديث بُرَيدة أنَّ النَّبي ﷺ قال : «العَهْدُ الَّذي بيْنَنا وبَينهُم الصَّلاة فَمَنْ تَرَكَها فقد كَفَر» .

ولا يُرَاد بالكُفْر هنا ما كان من أعْمال الكُفر لأنَّه إذا كان المراد ما كان من أعْمَال الكُفْر فإنَّه لا يذكر الكفر بصيغة (ال) . أوْ لا يذكر كفر مقرونًا بأل . .بل إنَّما يذكر مُنَكَّرًا كما في قوله ﷺ : «اثْنَتانِ في النَّاس هُمَا بِهما كُفْر الطَّعن في النسب ، والنِّياحة على المَيِّت» أما هنا فقال : «بَيْنَ الرَّجل وبَيْنَ الشِّركِ والكُفْر» . بأل الدَّالة على حقيقة الجنس وهو الكفر الأكْبَر المُخْرِج عن المِلَّة وأيضًا فإنَّ النَّبي ﷺ يقول في الحديث الثَّاني : «العَهْد الَّذِي بَيْنَنا وبَيْنُهْم الصَّلاة . . .» والضمير في —

وبينهم – يرجع للكفار ، فجعل النَّبي ﷺ الصَّلاة حَدًّا فاصِلًا بيننا وبين الكُفَّار الخارجين عن الإسلام خُروجًا كُلِّيًّا .

وبهذا يتبيَّن أنَّ هذين الحديثين واضحان في أنَّ تارك الصَّلاة كافر كُفْرًا مُخْرِجًا عن المِلَّة .

فإن قال قائل ، ألا يمكن أنْ يُحْمَل الحديث على أنَّ المراد من تركهما جاحدًا لوجوبهما . . فالجواب أنَّ هذا لا يمكن ولا يَصِحُّ لأنَّ في حملهما على ذلك جِنَايَتَيْن على النص .

الجناية الأُولى : أننا حملناه على غير ظاهره بلا دَليل وجعلنا مَنَاط الحكم الجُحُود .

الجناية الثَّانية : إننا ألْغَيْنا ظَاهره الذي جعل مَنَاط الحكم فيه التَّرك وفَرْق عظيم بين التَّرك والجحود ولهذا من جحد وجوب الصَّلاة فهو كافر وإن صَلّى ، والحديث علَّق الحكم على التَّرك ونظير هذا ما حمل بعض أهْل العلم قوله تعالى في قاتل النَّفس : ﴿ **وَمَنْ يَقْتل مُؤْمِنًا مُتعمِّدًا فَجَزاؤُهُ جَهَنَّم خَالدًا فِيهَا وَغضِبَ الله عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا** ﴾[1] .

حَيْثُ حمل هذه الآية على مَنْ قَتَلَه مُسْتَحِلا لِقَتْلِهِ وقد قيل للإمام أحْمد هذا القول فَتَعَجَّبَ مِنْه وقال : إذا اسْتَحَل قَتْلَهُ فهو كَافِر يَعْني إذَا اسْتَحَل قَتْل المؤمن فهو كافر سواءُ قَتَله أمْ لَمْ يَقْتُله . وهكذا نَقُول

(١) النساء : ٩٣

نحن إذا جحَد وجُوب الصَّلاة فهو كَافِر سواء صلى أم لم يُصَلِّ والحديثان نَصٌ في تعليق الحُكم على التَّركِ لا على الجحد فلا يجوز العُدول عن ظَاهرهما إلَّا بدَليل ، وليس هُنَاك أدِلة توجب لنا أنْ نُخالف هذا الظاهر فليس في الكِتَاب ولا في السُّنة ، أنَّ تَارك الصَّلاة مؤمن ولا أنَّ تارك الصَّلاة يدخل الجنَّة ولا أنَّ تارك الصَّلاة يَنْجو من النَّار أو غير ذلك من النُصوص التي توجب لنا أنْ نحمل نصوص التَّكفير على أنْ تكون كُفْرًا دون كُفرْ أو على أنَّ المراد بها من جحد .

وليعلم أنَّ باب التَّكفير موكُول إلى الشَّرع كباب التَّحليل والتحريم فكما أنَّه لا عدول لنا عن تَحْريم ما حرَّم الله وتحليل ما أحلَّ . فلا عُدول لنا عن تَكْفير من كَفَّره الله عزَّ وجلَّ ورسوله ونحن عباد الله عزَّ وجلَّ نَمْتثِل أمْرَهُ ونَجْتَنِب نَهْيه ونأخُذ بما ظَهَر لنا من أدِلَّةالكِتَاب والسُّنة فإذا دَلَّت النُّصوص على تَكْفير أحدٍ بفعل شيء أوْ تركه وجب علينا أنْ نأْخُذَ بها . أمَّا أقوال الصَّحابة رضي الله عنهم فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : «لا حَظَّ في الإسْلام لِمَنْ تَرَك الصَّلاة» . ونقل إجماع الصحابة على كُفْر تَارِكِ الصَّلاة عبد الله بن شقيق حيث قال : «كان أصْحاب النَّبي ﷺ لا يَرَوْنَ شَيْئًا من الأعْمَال تَرْكُه كُفْر إلا الصَّلاة» ونقل إسحق بن راهوية إجْمَاع الصَّحابة على كُفْر تَارِك الصَّلاة كُفْرًا مخْرِجًا عن المِلَّة .

* وأما دِلالة الاعتبار على كفْر تَارِك الصَّلاة فإنَّنا نقول كيف يكون في قَلْبِ الإنْسان إيمان وهو تَارِك لهذه الصَّلاة التي عظَّمَهَا الله في كِتَابه وتَوَعَّد المُضَيِّعين لها ، وجاءَت السُّنة بالتَّنويه البالغ في فَضْلها حَيْثُ

أنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يشرع من الشَّرائع شيئًا فيما بينه وبين رسوله ﷺ بدون واسطة إلَّا الصَّلاة .

وفرضها الله على عباده خَمْسين صلاة في كل يوم ولَيْلة مما يَدُلُّ على أهمِّيتها ومحبَّة الله لها وعنايَته بها فكيف يمكن أن يُقَال لشَخْصٍ ترك هذه الصَّلاة بما فيها من هذا الفضل العظيم والتَّنويه بأَهَمِّيتها . .كيف نقول إن في قلبه إيمانًا وقد تركها تركًا مُطلقًا لا يصلي ولا وقتًا لله عزَّ وجلَّ . فهذا وجه الاعتبار على كُفْر تَارِك الصَّلاة . كفرًا مُخْرِجًا عن الملة والعياذ بالله .

وبناء على ذلك فإنَّه لا يَحِلُّ له عَقْدُ النِّكاح بمعنى أنَّه لا يحل أن نُزَوِّجه مُسْلمة ، وهذا إذا كان لا يُصَلي لا يَحِلُّ له أنْ يَعْقِد النِّكاح لأحد من بَنَاتِهِ وإذا عَقَد النِّكاح صار العَقْدُ فَاسدًا لأنَّ من شرط الولي على المُسْلِمة أنْ يَكُونَ مُسْلِمًا وإذا مات فَإِنَّه لا يَجُوز أنْ يُغَسَّل ولا يُكَفَّن ولا يُصَلَّى عليه ولا يُدْفن في مَقَابِر المُسْلمين ولا يُدْعَى لَهُ بالرَّحْمة والعِياذُ بالله ، بل يخرج في مكان ويُحْفَر له ويُدْفن بدون صلاة ولا يُغَسَّل ولا يُكَفَّن لأنَّ هذا هو شَأننا مع غير المُسْلمين ثم إنَّ هذا الذي لا يُصَلِّي بترك الصَّلاة تَرْكًا مُطْلَقًا لا تحِلُّ ذَبِيحَتُهُ ولا يحِلُّ له دخول الحرم .

ولقد تتبعت أدِلَّة القائلين بعدم كُفْر تَارِك الصَّلاة ، والله عزَّ وجلَّ يعلم أنَّني تَتَبَّعْتُها بِعَدْلٍ وإنْصَافٍ مُعْتَقِدًا أنه لا يَحِلُّ العدول عنها لو كانت تدُلُّ على أنَّ تارك الصَّلاة لا يكفر فوجدت هذه الأدِلَّة لا تخلو من أربع حالات :

١ - إمَّا أنَّها لا دِلالة فِيها أصْلًا .

٢ - وإمَّا أنَّها وردت في قوم يُعْذَرُون بِتَرْك الصَّلاة لكونهم لا يعلمون عنها وقد انطَمَسَ الإسْلامُ وانْطَمَسَتْ مَعالِمه فلا يَدْرُونَ إلَّا قول لا إله إلا الله .

٣ - وإمَّا أنَّ هذه النُّصوص قُيِّدَتْ بقُيود لا يُمْكِنُ معها تَرْكُ الصَّلاة كما في حديث عتبان بن مالك : «إنَّ الله قَدْ حَرَّم على النَّارِ مَنْ قَالَ لا إلَه إلَّا الله يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ الله» .

٤ - وإمَّا أنَّها عَامَّة خُصِّصَتْ بالأدِلَّة الدَّالة على كُفْر تَارِكِ الصَّلاة ومثل هذه الأدلة لا يمكن أنْ تُقَاوم الأدلة الواضحة الدَّالة على كفر تارك الصلاة .

فعلينا نحن المسلمين جميعًا من علماء ومُتَعَلِّمين وعامة أنْ نَتَّقي الله عزَّ وجلَّ فيما نحكم به مُسْتَنِدين بذلك إلى كتاب الله وسُنَّة رسوله عليه الصَّلاة والسَّلام .وعلينا أنْ نَتَّقي الله عزَّ وجلَّ بفعل أوامره واجْتِنَاب نواهيه وانْ نَدْعو إلى الله على بَصِيرة وأن لا نَفْتح للنَّاس أبواب التَّهاون فيما فرض الله عليهم خُصُوصًا إذا لم يكن هناك دَلِيل واضح فيما ذهبنا إليه ونسأل الله تبارك وتعالى أن يحمينا جميعًا من أسباب سَخَطِه وعقابه وأنْ يوفق المسلمين وولاة أمورهم لما فيه الخير والصَّلاح .

٨٤ فضيلة الشيخ : لقد قلت إن الذي لا يصلي يبطل عقد زواجه وتصبح زوجته أجنبية عنه ، ومن المعروف أن هذا القول رأي الإمام أحمد رحمه الله ، ولكن الأئمة الشافعي وأبو حنيفة ومالك رحمهم الله يخالفون هذا الرأي فما رأي فضيلتكم ؟ وهل يجوز لنا أن نأخذ برأيهم ؟

النزاع بين الأمة أمر واقع ، وقد أشار الله تعالى في كتابه ، ولكن الله عز وجل جعل لنا مرجعًا نرد النزاع إليه ، فقال : ﴿ **وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ** ﴾[1] . وحكم الله عز وجل في الأمر المختلف فيه﴿ **فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا** ﴾[2] . لأنه لا يمكن أن تجعل قول واحد منا حجة على قول الآخر ، ولنفرض أني أقول هذا حلال ، وأنت تقول هذا حرام ، وأنت تقول يجب عليك أن تأخذ بقولي ، وأنا أقول يجب عليك أن تأخذ بقولي ، ونبقى من أول النهار إلى آخره على هذا الحال الذي لا نهاية له ، إذن لابد من مرجع . ما

(١) الشورى : ١٠

(٢) النساء : ٥٩

هو المرجع ؟ كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وإذا رددنا هذه المسألة إلى كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ تبين لنا أن القرآن والسنة يدلان على أن تارك الصلاة كافر كفرًا مخرجًا عن الملة .

فلننظر في القرآن يقول الله تعالى في المشركين : ﴿ **فَإِن تَابُواْ وأَقَامُواْ الصَّلَاةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّين** ﴾[1] . فشرط الله للأخوة في الدِّين ثلاثة شروط :

أولًا : التوبة من الشرك .

ثانيًا : إقامة الصلاة .

ثالثًا : إيتاء الزكاة .

فهذه الجملة الشرطية إذا تخلف واحد من الشرط تخلف المشروط ، أي إذا لم يتوبوا من الشرك فليسوا بإخوان لنا في الدين ، وإذا لم يقيموا الصلاة فليسوا بإخوان لنا ، وإذا لم يؤتوا الزكاة فليسوا بإخوان لنا .

وهنا سؤال : هل تنتفي الأخوة في الدين بفعل الكبيرة أم لا ؟

كلا ودليل ذلك قوله تعالى في آية القصاص : ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالعَبْدِ وَالأُنْثَى بِالأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ** ﴾[2] ومعلوم أن قتل المؤمن عمدًا من أكبر الكبائر . قال تعالى : ﴿ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا**

(١) التوبة : ١١

(٢) البقرة : ١٧٨

عَظِيمًا ﴾[1] .فهى كبيرة ومع ذلك قال : ﴿ وَمَن عُفِيَ لَهُ مِن أَخِيهِ ﴾[2] . المقتول ، إذن فلا تنتفي الأخوة الإيمانية بفعل الكبائر ، لا تنتفي الأخوة الإيمانية إلا بالخروج من الإيمان ، وإذا كان الله تعالى يقول : ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَإِخوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ﴾[3] فمقتضاه إن لم يكن ذلك فليسوا إخوانًا لنا في الدين ، وحينئذ فهم كفار ، لأنه لا أخوة بيننا وبينهم . بقي ان يقال على مقتضى هذه الآية ، إن من لم يؤت الزكاة فهو كافر كما أن من لم يصل فهو كافر ، وقد قال بهذا بعض العلماء وهو رواية عن الإمام أحمد رحمه الله : أن من لم يــزكِ ، وإن كان يُقر بوجوب الزَّكاة فهو كافر ، فمن قال بهذا القول فلا يبقى في الآية إشكال ، لكن من قال إن مانع الزَّكاة لا يكفر ولكن يقاتل على تسليمها يجيب عن الآية بأن السُّنة قد وردت بما يَدُلُّ على أن مَانِع الزَّكاة لا يَكْفُر .

ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال قال النبي ﷺ : مَا مِن صَاحِب ذَهَب وَلا فِضَّة لا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقّها إلَّا إذا كَان يَوْم القِيَامَة صفحت له صَفَائِح مِن نَارٍ ؛ فَأُحمى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّم فَيُكْوَى بهَا جَنْبه وَجَبينه وَظَهْره كُلَّمَا بَردَت أُعِيدَت فِي يَوْم كَانَ مِقْدَاره خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَة ، حَتَّى يُقْضَى بَيْن العِبَاد ثُمَّ يُرَى سَبِيله إمَّا إلى الجَنَّة وإمَّا إلى النَّار» وهذا يدل على أن مانع الزكاة لا يكفر ، لأنه لو كفر لم يكن له سبيل إلى الجنة ، ولكان سبيله إلى النار على كل حال .

---

(١) النساء : ٩٣

(٢) البقرة : ١٧٨

(٣) التوبة : ١١

وأما الدليل من السُّنة فقال النبي ﷺ فيما رواه مسلم من حديث جابر رضي الله عنه : «بَيْنَ الرَّجُل وَبَيْنَ الشِّرْك وَالكُفْر تَرْك الصَّلاة» والبينة تقتضي أن كل شيء من المُتَباينين منفصل عن الآخر ، فيكون المصلي مؤمنًا ، ويكون غير المصلي كافرًا أو مشركًا ، لأنه كلمة بين حد فاصل .

وفي السنن من حديث بريدة رضي الله عنه قال : «العَهْد الَّذِي بَيْنَنا وَبَيْنهُم الصَّلاة فمن تَرَكَهَا فَقَد كَفَر» . لكن قد يقول لي قائل : المراد بالكفر هنا كفر دون كفر فهو كقول النبي ﷺ : «اثْنَتَان فِي النَّاسِ هُمَا بِهم كفر» وكقوله «سِبَابُ المُسْلِم فُسُوق وَقِتَاله كُفْر» المراد بالكفر هنا الكفر الذي دون الكفر .

فنرد عليه فنقول : إن النبي ﷺ قال : «بَيْنَ الرَّجُل وَبَيْنَ الشِّرْك وَالكُفْر» وَ «أَلْ» هنا معرفة تدل على أن المراد بالكفر المباين للإسلام وهو الكفر الحقيقي أما «اثْنَتَان فِي النَّاس هُمَا بِهم كُفْر» (فَكُفْر) هنا منكر غير معرف ، أي أن هاتين الاثنتين من الكفر وليس الفاعل يكون كافرًا بل فيه خِصْلة من خِصَال الكفر ، وكذلك قوله : «سِبَابُ المُسْلِم فُسُوق وَقِتَالُه كُفْر» ففرق بين التعبيرين .

ثم إن البَيْنُونة في «بَيْنَ الرَّجُل وَالشِّرْك وَالكُفْر تَرْك الصَّلاة» أو «العَهْد الَّذِي بَيْنَنا وَبَيْنَهُم الصَّلاة» ظاهرة لأن هذا مُتَمَيِّز عن هذا .

وأما الدلالة من أقوال الصَّحابة . فقال ابن شقيق – وهو من التَّابعين الثِّقات – كان أصحاب النبي ﷺ «لا يَرَوْنَ شَيْئًا مِنَ الأَعْمَالِ تَرْكُه

كُفْر إلَّا الصَّلاة» ونقل الإمام إسحاق بن راهوية – رحمه الله – إجماع الصحابة على القول بأن تارك الصَّلاة كافر .

فإذا كان لدينا – أيها الإخوة – كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ ، وأقوال الصَّحابة ، فهل يمكن أن تعارض هذا بقول فلان أو فلان ؟ أبدًا لا يمكن . وإذا بَانَ الحق ، فلا يَجُوز لأحدٍ أن يُقَلِّد أحدًا في مُخَالفته أبدًا كائنًا من كان ، حتى إنه يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : «يُوشِك أن تَنْزِل عَلَيْكُم حِجَارة مِنَ السَّماء أَقُول قَالَ رَسُول الله وتقولُونَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَر ؟» .

فإذا كان هذا فيمن يعارض قول رسول الله ﷺ بقول أبي بكر وعمر فكيف بمن يُعَارِضُ قول الله وقول رسوله وصحابته بقول فلان أو فلان ؟

وإذا بان الحق وجب على المسلم اتِّباعه والله عز وجل يقول في القرآن : ﴿ وَيَوْم يُنَادِيهِم فَيَقُولُ مَاذا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾[1] ولم يقل (ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم فلانًا وفلانًا) ، فلن تسأل يوم القيامة عما أجبت الشافعي ، أو مالكًا ، أو أبا حنيفة ، أو أحمد بن حنبل ، أو غيرهم بل سَتُسْأَل يوم القيامة ماذا أجبت محمدًا ﷺ ، وإذا كان محمد ﷺ يقول لك : «بَيْنَ الرَّجُل وَبَيْنَ الشِّرْك وَالكُفْر تَرْك الصَّلاة» أو «العَهْد الَّذِي وَبَيْنَهُمْ الصَّلاة فَمَن تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَر» فلا عذر لك في مُقَابلة هذا القول بقول أحد من الناس كائنًا من كان .

وبناء على ذلك فإن من تَزَوَّج – وهو لا يُصَلِّي – امرأة مسلمة ، فإن العقد ليس بصحيح ، لأنه عقد لكافر على مسلمة ، وقد قال الله

(١) القصص : ٦٥ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تعالى : ﴿ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾[1] .

فإن قلت : أفلا يمكن أن أن نحمل النُّصوص الواردة في كفر تارك الصلاة على من جحد وجوبها ؟ الجواب لا يمكن ذلك ، لأن هذا تحريف للنص من وجهين :

الأول : أنه حَمْل للنَّصِ على ما لم يَدُلُّ عليه .

والثاني : أنه إِخْرَاج للنَّصِ عما دلَّ عليه .

أقول : إننا إذا حملنا الحديث على من تَرَكها جَاحِدًا ، فقد حرفنا النَّص من وجهين الأول : صرفناه عن ظاهره والثاني : أثبتنا خلاف الظاهر بدليل أن النَّص يقول (مَن تَرَكَهَا) فإذا قلت (من جحد وجوبها) فإنك تكون قد أخرجت النص عن ظاهره ، والنص يقول «مَن تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَر» فإذا أخرجت عن (مَن ترك) فقد حرّفته عن المعنى الظَّاهر منه إلى معنى غير ظاهر .

ونقول أيضًا : ما تقول في رجل يُصَلِّي الصَّلوات الخمس ويأتي من حين الأذان ، ويصلي خلف الإمام ، ولا يخل بشيءٍ من شروط الصلاة وواجباتها وأركانها ، ولكن يقول أنا أصلي وأعتقد أن هذه الصَّلاة نافلة وليست بفريضة فماذا تقول ؟ وهل هو تارك لها ؟ كلا بل هو يصلي وحريص على الصلاة ، لكن يقول إنها نافلة فإذن هو كافر .

(١) الممتحنة : ١٠

إذن بطل القول بأن المُرَاد (مَن تَرَكَها) جاحدًا لوجوبها ، لأن هذا الرَّجل الذي يصلي لا ينطبق عليه حديث (مَن تَرَكَها) ومع ذلك فإننا نحكم جميعا بكفره .

ولما قيل للإمام أحمد في قوله تعالى : ﴿ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا** ﴾[1] . قيل له : إن فلانًا يقول هذا فيمن استحل قتل المؤمن . فَتَعَجَّبَ الإمام أحمد – وقال : من استحل قتل المؤمن فإنه مُخَلَّد في النَّار سواء قُتِلَ أم لم يُقْتَل .

ونزيد دَلِيلًا رابعًا وهو النَّظر الصَّحيح : فإن أي إنسان قد عرف شأن الصَّلاة وعظمها عند الله عزَّ وجلَّ ، وأن الله تعالى فرضها على وجه لم يفرض عليه شيئًا من العبادات ، وعلم ما في إقامتها من الفضل والثَّواب وما في إضاعتها من العُقُوبة والنَّكال ، لا يمكن أبدًا أن يتركها وفي قلبه شيء من الإيمان أبدًا ولأن الإيمان ليس هو مُجَرّد أن يَعْتَرف الإنسان بالله عز وجل أو برسالة رسول الله ﷺ فإن الاعتراف بالرب وبرسالة النبي ﷺ قد يقع من المُشْرِكين ، لكن الإيمان هو الإقْرَار مع القبول والإذْعَان .

---

(١) النساء : ٩٣

٨٥ زوجي تارك للصّلاة ومعلوم أنّ تارك الصّلاة كافر إلّا أنّي أحِبُّه كثيرًا ولي منه أولاد ونعيشُ سُعَداء وكثيرًا ما رجوته للعودة إلى الصّلاة فيقول بعدين ربّي يهديني ، ما حكم الشّرع في نظركم في الارتباط مع هذا الرجل ؟

حكم الشّرع في نظرنا في الإقامة مع هذا الزوج التّارك للصّلاة واللاتي ذكرت السّائلة أنّ عندها علمًا بأنّ تارك الصّلاة كافر ، حكم الشّرع في نظرنا أنّه لا يجوز البقاء مع هذا الزوج الذي تعتقد زوجته أنّه كافر لقول الله تبارك وتعالى : ﴿ **يَا أيها الّذين آمَنُوا إذا جَاءَكُم المُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فامْتَحِنُوهُنَّ الله أعْلَمُ بإيمانهنَّ فَإنْ عَلمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجعُوهُنَّ إلى الكُفار ، لا هُنَّ حِلٌّ لهم ولا هُم يُحِلُّون لَهُنَّ** ﴾[1] . فبيَّن الله تعالى في هذه الآية الكريمة أنَّ المُؤْمنات حَرَام على الكُفّار كما أنَّ الكُفَّار حَرَام عليهن ؛ وعلى هذا فيجب عليها أن تُفَارق هذا الزوج فورًا وألّا تُعَاشره ولا تَجْتَمع معه في فِراش ولا في غيره لأنّها مُحَرَّمة عليه وأمّا حُبُّها إياه وعيشتُها معه عيشة حميدة ، فإنّها إذا عَلِمَتْ أنّها حرام عليه وأنّه أجْنَبي منها ما دام مُصِرًّا على تَرْك صَلاته فإنَّ حُبَّها هذا

---

(١) الممتحنة : ١٠

سيُؤول لأنَّ المُؤْمن محبة الله عنده فوق كل محبّة وشَرْعُ الله تعالى عنده فوق كل شيء وأمَّا الأولاد فإنَّه ليس له ولاية عَلَيْهم ما دام على هذه الحال لأنَّ من شرط الولاية على الأولاد أنْ يكون الوالي مُسْلمًا وهذا ليس بِمُسْلم ولكني أضُمُّ صوتي إلى صوت هذه السَّائلة بتوجيه النُّصح لهذا الرجل بأن يعود لرشدِه ويعود إلى دينه ، ويُقْلِعَ عن كُفْره وَرِدَّتِهِ ويقوم بأداء الصَّلاة وإقَامتِها على الوجه الأكمل مع الإكثار من العمل الصَّالح ولو صدق الله في نِيَّته وعزيمته لَيَسَّر الله الأمْرَ كما قال تعالى : **﴿ فَأَمَّا مَنْ أعْطَى وَاتَّقى وَصَدَّقَ بالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لليُسْرَى ﴾**[1] .

إنني أوجِّه النَّصِيحة إلى هَذَا الرَّجل أنْ يَتُوب إلى الله حتَّى تبقى زَوْجَته معه ويبقى أولاده تحت ولايته ، وإلا فإنَّه لا حظ له في زَوْجَته ولا في الولَاية على أوْلاده .

٨٦ ماذا يفعل الرَّجل إذا أمر أهْلَهُ بالصَّلاة ولكنَّهم لم يَسْتَمعوا إليه ، هل يَسْكُن معهم ويُخالطهم أمْ يَخْرج من البيت ؟

إذا كان هؤلاء الأهل لا يُصَلُّون أبدًا فإنَّهم كُفَّار ، مرتدُّون ، خارجون عن الإسلام ولا يجوز أنْ يسكن معهم ولكن يجب عليه أنْ

(١) الليل : ٥ – ٧

يَدْعوهم ويُلحُّ ويُكرِّر لَعَلَّ الله يَهْديهم لأن تارك الصَّلاة كافر والعِيَاذُ بالله ، بدليل الكتاب والسُّنة ، وقول الصَّحابة ، والنَّظر الصَّحيح .

(أ) – أمَّا من القرآن الكريم فقوله تعالى عن المشركين : ﴿ **فَإِنْ تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاة وَآتَوُ الزَّكاة فَإِخْوَانُكُم في الدين** ﴾[1] . مفهوم الآية أنَّهم إذا لم يفعلوا ذلك فليسوا بإخوانكم ، ولا تَنْتفي الأُخوة بالمعاصي وإن عَظُمَت ولكن تَنْتفي عند الخروج عن الإسلام .

(ب) – أما السُّنة فقول النبي ﷺ : «بَيْنَ الرَّجُلِ وبَيْنَ الكُفرِ والشِّرْكِ تَرْكُ الصَّلاة» . وقوله ﷺ في حديث بريدة في السُّنن : «العَهْدُ الَّذي بَيْنَنا وبَيْنَهُم الصَّلاة فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَر» .

(ج) – أمَّا أقوال الصَّحابة : قال أمير المُؤْمنين عمر رضي الله عنه : «لا حظ في الإسلام لمن تَرَكَ الصَّلاة» . والحظُّ : النَّصيب ، وهو هنا نكرة في سياق النَّفي فيكون عامًّا لا نَصِيب قليل ولا كثير ، وقال عبد الله بن شقيق : كان أصحاب النَّبي ﷺ «لا يَرونَ شَيْئًا مِنَ الأَعْمَالِ تَرْكُه كُفْر غَيْر الصَّلاةِ . .» .

(د) – أما من جهة النظر الصحيح فيقال : هل يُعقل أنَّ رَجُلًا في قلْبه حَبَّة من خَرْدل من إيمان يَعْرِفُ عَظَمَة الصَّلاة وعناية الله بها ثُمَّ يحافظ على تَرْكِها ؟ . .هذا شيء لا يُمْكن وقد تَأَمَّلْتُ الأَدِلة التي استدل بها من يقول أنَّه لا يكفر ، فوجدتها لا تخرج من أقوالٍ أربعة :

١ – إمَّا أنَّها لا دَليل فيها أصْلًا .

---

(١) التوبة : ١١

٢ – أو أنّها قُيدَتْ بوَصْفٍ يَمْتَنعُ مَعَه تَرْكُ الصَّلاة .
٣ – أو أنّها قُيدَتْ بحال يُعذَرُ فيها من تَرْكَ هذه الصَّلاة .
٤ – أو أنّها عامّة فَتُخصَّصُ بأحاديث كُفْر تارِك الصَّلاة .

وإذا تبين أن تارك الصَّلاة كافر فإنه يَترتَّب عليه أحكام :

أولًا : أنّه لا يصح أنْ يُزوَّج فإن عُقِد له وهو لا يُصَلّي فالنِّكاح باطل ولا تَحلُّ له الزَّوجة لقوله تعالى عن المهاجرات : ﴿ **فإنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إلى الكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ ولَا هُمْ يَحِلُّون لَهُنَّ** ﴾[1] . وأنَّه إذا ترك الصَّلاة بعد أن عقِدَ له فإن نكاحه ينفسح ولا تَحلُّ له الزَّوجة للآية التي ذكرناها سابقًا .

ثانيا : أنَّ هذا الرَّجل الذي لا يصلّي إذا ذبح لا تُؤكَلُ ذَبيحَتهُ لماذا ؟ لأنَّه حرام ولوذبح يهودي أو نَصْراني فذبيحته يَحِلُّ لنا أن نأكلها ، فيكون والعياذ بالله ذبيحته من ذَبْح اليهود والنَّصارى .

ثالثًا : أن لا يحل له أنْ يدخُل مَكة المُكرَّمة أوْ حُدُود حرمها لقوله تعالى : ﴿ **يا أيُّها الَّذِين آمَنُواْ إنَّما المُشْرِكُون نجسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ المَسْجِد الحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِم هَذا** ﴾[2] .

رابعًا : أنَّه لو مات أحد من أقاربه فلا حق له في الميراث فلو مات رجل عن ابن له لا يُصَلّي (الرَّجل المُسْلم يصلّي والابن لا يُصَلّي) وعن ابن عم له بعيد ، فمن الَّذي يَرثُه ؟ يَرثُه ابن عَمِّه البعيد دون ابنه لقول

(١) الممتحنة : ١٠

(٢) التوبة : ٢٨

النبي ﷺ في حديث أسامة : «لا يَرِثُ المُسْلِمُ الكَافِرَ وَلَا الكَافِرُ المُسْلِم» .

خامسًا : أنَّه إذا مات لا يُغَسَّل ولا يُكَفَّنُ ولا يُصَلَّى عَلَيْه ولا يُدْفَنُ مع المسلمين ، فماذا نَصْنَعَ به ؟ نخرج به إلى الصَّحراء ونَحْفر له ونَدْفِنَهُ بثيابه لأنَّه لا حُرْمَةَ لَهُ ، وعلى هذا فلا يَحِلُّ لأحَدٍ مَاتَ عِنْده مَيِّتٌ ، وهو يَعْلَمُ أنَّه لا يُصَلِّي أنْ يُقَدِّمَه للمُسْلمين يُصَلُّون عليه .

سادسًا : أنَّه يحشر يوم القيامة مع فِرْعون وهامان وقارون وأبي بن خلف ، أئِمَّة الكُفْر والعياذ بالله ولا يدخل الجنَّة ولا يَحِلُّ لأحَدٍ من أَهْلِهِ أنْ يدعو له بالرَّحمة والمغْفرة لأنَّه كَافر لا يَسْتَحِقُّها .

فالمسألة يا إخوان خطيرة جدًا . . ومع الأسف فإن بعض الناس يتهاونون في هذا الأمر ، ويُقِرُّون في البيت من لايُصلي . . وهذا لا يجوز .

والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

٨٧ ــــــ موظف في وزارة وله زملاء لا يُصَلون ويُعْلنون أنهم لا يريدون الصَّلاة ، وقد تم إرشادهم ولكن دون جدوى . .فما العمل ؟

العمل أن هؤلاء الَّذين لا يُصَلُّون كفار على القول الرَّاجح لأنَّ الله سبحانه وتعالى يقول في المشركين﴿ **فَإِنْ تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاةَ وآتَوْا**

الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ﴾[1] . فمنطوق الآية أنَّ المُشْركين إذا تَابُوا من شِرْكِهم وأقَاموا الصَّلاة وآتوا الزَّكَاة فهُم إخوان وهذا يَقْتَضِي أنَّهم يُؤْمِنُون بذلك أي يكونوا بذلك مُؤْمِنين وهو كذلك . ومفهوم الآية أنهم إذا لم يَتُوبوا من الشِّرك و لم يُقيموا الصَّلاة و لم يُؤْتوا الزكاة فليْسُوا بإخوان لنا.ولا تَنْتَفِي الأُخوة بين إنْسَانين إلا إذا كَان أحدُهُما كافرًا ، لأن المعصية لا تزول بها الأخوة ، فهذا مثلًا : قَتْل المؤمن من أعظم الكبائر ولا يخرج الإنسان من الدين بل تبقى الإخوة بينه وبين المقتول كما قال تعالى في آية القِصاص﴿ فَمَن عُفِي لَهُ مِنْ أخِيه شيءٌ فاتِّبَاعٌ بالمعْرُوف ﴾[2] . كذلك قتال المؤمن كفر كما جاء به الحديث عن الرسول عليه الصَّلاة والسَّلام لكنه كُفْر لا يخرج من الملة بدليل قوله تعالى﴿ وإنْ طَائفَتَان مِنَ المُؤْمنين اقْتَتَلُوا فَأصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإنْ بَغَتْ إحْداهُمَا عَلَى الأخرى فَقَاتِلواْ التي تبغي حَتَّي تَفِيءَ إلى أمر الله فإن فَاءَت فَأصْلِحُوا بَيْنَهما بالعَدْل وأقْسِطُوا إنَّ الله يُحبُّ المُقْسِطِين إنَّما المُؤْمِنُون إخوةٌ فأصْلِحُواْ بَيْنَ أخويْكُم ﴾[3] . فَأثبت الله سبحانه وتعالى أن هاتين الطَّائفتين إخوة للطَّائفة المصلحة ومعنى ذلك أنَّهم لا يَخْرجون من الإيمان بهذه المعصية وعلى هذا يكون مفهوم الآية الكريمة أنَّهم إذا لم يَتُوبوا من الشِّرك لم يقيموا الصَّلاة و لم يُؤْتوا الزَّكاة فهم كُفَّار لكن يبقى مفهوم الزَّكاة فإن مفهوم الآية الكريمة أن من لم يُزَك فهو

---

(١) التوبة : ١١

(٢) البقرة : ١٧٨

(٣) الحجرات : ٩ ، ١٠

كَافر خارج من الإيمان وقد قال بذلك بعض أهل العلم وهو رواية عن الإمام أحمد رحمه الله لكن الصحيح أنه لا يكفر ، ويدل لذلك حديث أبي هريرة الثابت في صحيح مسلم وغيره فِيمَنْ لا يؤدي زكاته «أنَّه كانَ يَوْم القيامة صُفِّحت صَفائح من نَار فأحْميت عَلَيها في نَار جَهنَّم فيُكْون بها جَنْبه وجَبينهُ وظَهْره وكلما بردت أعيدت في يوم كان مِقْدَاره خَمْسين ألف سَنة حتَّى يُقْضى بين العباد ثم يُرَى سبيله إمَّا إلى الجَنة وإمَّا إلى النَّار» وكونه يرى سَبيله إلى الجنة دليل أنه لم يكفر بذلك وإلا لما كان له سبيل إلى الجنة ، تبقى الصَّلاة إذا لم يقم بها الإنسان فهو غير مؤمن وقد دلَّت النُصوص على أن تارك الصَّلاة كافر مثل قوله عليه الصلاة والسَّلام فيما رواه جابر والحديث في صحيح مسلم «بَيْنَ الرَّجُل وَبَيْن الشِّرك والكُفْر تَرْكُ الصَّلاة» وكذلك حديث بريدة الذي أخرجه أهل السُّنن «العَهْدُ الَّذي بَيْننا وبَيْنَهم الصَّلاة فمن تَرَكَها فَقد كَفَر» . والرسول ﷺ قال «بَيْنَ الرَّجُل وبَيْنَ الشِّرك والكُفْر» بال الدَّالة على الجنس والحقيقة ، بخلاف قوله عليه الصَّلاة والسَّلام في المسلم : «قِتَالُه كُفْر» ، ولم يَقُلْ (قِتَاله هو الكُفْر) ، ففرق بين الكفر المعرف بأَلْ وبين الكفر المُنَكَّر ، وعلى هذا يكون تارك الصَّلاة كافرًا . قد يقول قائل : ما تقولون في قوله تعالى : ﴿ **إنَّ الله لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ويَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاء** ﴾[1] . فجعل ما دون الشِّرك تحت المشيئة وما كان محتمل الغفران فهو غير مخرج عن الإيمان لأن الخارج عن الإيمان

(١) النساء : ١١٦

لا يحتمل أن يغفره الله ؟ والجواب على ذلك : أنَّ الآية قد يُراد بها ما هو أعم فيدخل فيها الكفر ، ولهذا فإن من جحد شيئًا مما جاء به الرَّسول عليه الصلاة والسلام فإنَّه يكون كافرًا كمن جحد صلاة من الصلوات الخمس . ما أشرك وهو مع ذلك كافر يُخَلَّد في النار ومن جحد شيئًا من القرآن فهو كافر ، وإن كان غير مُشْرك (لم يعبد الصَّنم) فدلَّ هذا على أن المراد بالشِّرك إما ما هو أشمل من السجود للصنم ودعاء غير الله وما أشبه ذلك ؛ فإن حقيقة الكفر نوع من الشرك لأن الإنسان اتبع هواه فاتخذ إلهه فجحد وكفر بما كفر به.أو يقال إن هذه الآية دلت على أن ما دون الشِّرك تحت المشيئة وجاءت نُصوص أخرى تَدُلُّ على أن ما حصل به الكفر بغير الشِّرك فإنه ليس تحت المشيئة وإنما صاحبه كافر وتكون هذه الآية من العام المخصوص ، والمهم أن طريق أهل العلم الراسخين فيه أن يوفقوا بين أدلة الكتاب والسُّنَّة حتى تتفق في دلالتها وتلتئم فلا يَضْرب هذا الذي ينكر آية من القرآن أو سورة من القرآن أتقول إنه كافر ؟ فيقول بلى هو كافر . تقول هل هو مشرك ؟ فإن قال نعم قلنا لا ؛ لأنه ما سجد لصنم وما عبد صَنمًا . وإن قال ليس بمشرك قلنا إذن الكفر يَحْصُل بغير الشِّرك والكافر مُخَلَّد في النَّار كما قال تعالى **﴿ إنَّ الله لعن الكافرينَ وأعَدَّ لهم سَعِيرًا خالدين فيها أبدًا لا يَجِدُونَ وليًا ولا نصيرًا ﴾**[1] . إذا تبين ذلك لك أيها الأخ وتبين أنَّ زملاءك الذين لا يصلون وينكرون فعل الصلاة فهم كفار فالواجب عليك أنْ

(١) الأحزاب : ٦٤ ، ٦٥

ترفع أمرهم إلى ولاة الأمور من أجل أن ينصروا هؤلاء على أنفسهم وَيلزمُوهم القيام بطاعة الله عزَّ وجلَّ هذا إذا لم يمكن إصلاحهم بالنصيحة والإرشاد تَرْغِيبًا وتَرْهِيبًا فَإنْ أمْكنَ إصلاحهم بالتَّرغيب والتَّرهيب والإرشاد فهذا هو المطلوب وإلا فالواجب عليك أن ترفع أمْرَهم إلى مَنْ له الولاية عليهم حتى يلزمهم بما أوجب الله عليهم فإذا لم يمكن إصلاحهم فإنَّ الواجب عليه أن يفارقهم ورزق الله سبحانه واسع والأبواب كثيرة لأنه إذا بقي معهم في العمل معناه أنَّه مُقِرّ على الكُفر ورَاضٍ بالكُفْر والعياذ بالله وهذا أمر خطير فالواجب عليه أنْ يدع العمل في هذا المكان وأن يَطلب مَكانًا آخر .

٨٨ ـ هل يجوز أن يخرج الرجل إلى الصلاة وأولاده بالمَنزل ؟

يجب على المرء أن يقُوم بأمْر الله عزَّ وجلَّ في قوله : ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِين آمَنُوا قُوا أنفُسَكُمْ وَأهلِيكُمْ نارًا وَقُودُها النَّاسُ والحِجارة عليها ملائكة غِلَاظٌ شِدَادٌ لا يعْصُون الله ما أمَرَهُمْ ويَفْعلونَ ما يؤْمَرون ﴾[1] .
يجب على المرء أنْ يأمر أهْله بالصَّلاة كما أمر بذلك النبي ﷺ في قوله : «مُرُواْ أبنَاءَكُم بالصَّلاة لِسَبْعٍ وَاضْرِبُوهُم علَيْهَا لِعَشْرٍ وَفَرِّقُواْ بَيْنَهم في المَضَاجِع» وكما ذكر الله تعالى عن إسماعيل أبي العرب﴿ وكَان يَأْمُرُ أهْلَهُ

(١) التحريم : ٦

بالصَّلاةِ والزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾[1] . ولا يَحِلُّ لَهُ أنْ يُبْقي أوْلاده نائِمين دون أنْ يُوقِظهم للصَّلاة ويُتَابِعَهُم ولا يَكْفي الإيقاظُ فقط بل لابد من المُتابعة لأنَّه ربما يُوقظهم ثُمَّ يَرْجعون فينَامون وأمَّا كونه يخرج إلى الصَّلاة وهم في البيت فإن خَشِيَ فَوات الصَّلاة مع حَرصه على إيقاظ أوْلاده ومُتَابعتهم فإنَّه يخرج إلى الصَّلاة ثمَّ يرجع إليهم أمَّا إن كان مُهْمِلًا ولا يُوقِظُهم إلَّا عند انْصِرافه للصَّلاة فإذا تكلَّم مرَّة أوْ مرَّتين خرج إلى الصَّلاة وقال أنا أخْشى أنْ تَفُوتَني فإنَّ هذا تَفْريط منه بل الذي يجب عليه أنْ يكون إيقاظه لهم بحسب حالهم إنْ كانوا بَطيئين في الاسْتيقاظ فَلْيَتَقَدَّم لإيقاظهم وإن كانوا غيرَ بطيئين فعلى حَسْب حالهم .

٨٩ ــ ما حُكم الاستهزاء بالله تعالى ، أو رسوله ﷺ أو سنته ﷺ ؟

الاستهزاء بالله تعالى أو برسوله ﷺ أو سنة رسوله ﷺ كُفْرٌ ورِدَّة ، يَخرج به الإنسانُ من الإسلام لقول الله تعالى : ﴿ ولَئِن سألْتَهم ليَقولُنَّ إنَّما كُنَّا نَخُوضُ ونَلْعَبُ قُلْ أباللهِ وآياتِه ورسولِهِ كُنتم تَسْتَهْزِءُون . لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إيمانِكم ﴾[2] . فكل من استهزأ بالله أو

---

(١) مريم : ٥٥

(٢) التوبة ٦٥ ، ٦٦

برسول الله ﷺ أو بدين رسول الله ﷺ فإنه كافر مرتد ، يجب عليه أن يتوب إلى الله تعالى ، وإذا تاب إلى الله فإن الله تعالى يقبل توبته لقوله تعالى في هؤلاء المستهزئين ﴿ **لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين** ﴾[1] . فبيّن الله تعالى أنه قد يعفو عن طائفة منهم ، ولا يكون ذلك إلا بالتوبة إلى الله عز وجل من كفرهم الذي كان باستهزائهم بالله وآياته ورسوله .

٩٠ ـــــــــ هناك بعض الناس يمزح بكلام فيه استهزاء بالله ، أو الرسول ﷺ ، أو الدين ، فما الحكم في ذلك ؟

نقول هذا العمل وهو الاستهزاء بالله أو رسوله ﷺ أو كتابه أو دينه ، ولو كان على سبيل المزح ولو كان سبيل إضحاك القوم نقول إن هذا كفر ونفاق ، وهو نفس الذي وقع في عهد النبي ﷺ في الذين قالوا ما رأينا مِثْل قُرّائنا هؤلاء أرغب بطوناً ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القُرّاء ، فنزلت فيهم ﴿ **ولَئِن سألتهم لَيَقُولُنَّ إنّما كُنّا نَخُوضُ ونَلْعَبُ** ﴾[2] لأنهم جاءوا إلى النبي

---

(١) التوبة ٦٦

(٢) التوبة ٦٥

ﷺ يقولون إنما كنا نتحدث حديث الرَّكْب نقطع به عَناء الطريق . فكان رسول الله ﷺ يقول لهم ما أمره الله به ﴿ **أبالله وآياته ورسوله كُنتم تَستَهزِءُون . لا تَعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم** ﴾[1] فجانب الربوبية والرسالة والوحي والدين جانب محترم ، لا يجوز لأحد أن يعبث فيه لا باستهزاء بإضحاك ولا بسخرية فإن فعل فإنه كافر لأنه يدلّ على استهانته بالله عز وجل ورسله وكتبه وشرعه ، وعلى من فعل هذا أن يتوب إلى الله عز وجل مما صنع ، لأن هذا من النّفاق فعليه أن يتوب إلى الله ويستغفر ويصلح عمله ويجعل في قلبه خشية الله عز وجل وتعظيمه وخوفه ومحبته والله ولي التوفيق .

٩١ ما حكم الاستهزاء بالملتزمين بأوامر الله تعالى ورسوله ﷺ ؟

الاستهزاء بالملتزمين بأوامر الله تعالى ورسوله ﷺ لكونهم التزموا بذلك محرم وخطير جدًا على المرء لأنه يُخشى أن تكون كراهته لهم لكراهة ما هم عليه من الاستقامة على دين الله ، وحينئذ يكون استهزاؤه بهم استهزاء بطريقهم الذي هم عليه فيُشْبِهون من قال الله عنهم ﴿ **ولئن سألتهم ليقولُنَّ إنما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم** ﴾[2] فإنما نزلت في قوم من المنافقين قالوا ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء - يعنون رسول الله ﷺ

---

(١) التوبة ٦٥ - ٦٦

(٢) التوبة ٦٥ - ٦٦

وأصحابهِ أرغب بطونا ولا أكذب ألسنا ولا أجبن عند اللقاء ، فأنزل الله فيهم هذه الآية . فليحذر الذين يسخرون من أهل الحق لكونهم من أهل الدين فإن الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ **إنَّ الذين أجْرَمُوا كانوا من الذين آمنوا يَضْحَكُون . وإذا مَرُّوا بهم يتغامزون . وإذا انقلبوا إلى أَهْلِهِمُ انقلبوا فَكِهِين . وإذا رَأَوْهُم قالوا إنّ هؤلاء لَضَالُّون . وما أُرسلوا عليهم حافظين . فاليوم الذين آمنوا من الكفار يَضْحكون . على الآرائك ينظرون . هل ثُوِّب الكفارُ ما كانوا يَفْعلون** ﴾[1] .

٩٢ هل تنطبق الآيتان السابقتان على الذين يسخرون ويستهزءون بالذين يعفون لحاهم ويلتزمون بدين الله ؟

هؤلاء الذين يَسْخرون بالذين يَلْتَزِمُون بدين الله المُنَفِّذين لأوامره ، إذا كانوا يستهزءون بهم من أجل ما هم عليه من الشَّرع فإن استهزاءهم بهم إستهزاء بالشَّريعة والاستهزاء بالشَّريعة كفر .

أما إذ كانوا يَسْتَهْزِءُون بهم يَعْنُون أشْخَاصَهُم – بقطع النَّظر عما هم عليه من اتباع السُّنة في الثياب واللحية – فإنهم لا يكفرون بذلك لأن الإنسان قد يستهزىء بالشخص نفسه ، بغض النَّظر عن عمله وفعله . لكن يجب على كل إنسان أن يحذر من الاستهزاء بأهل العلم أو الاستهزاء بأهل الدِّين الذين يتمسكون بما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

(١) المطففين ٢٩ – ٣٦ .

٩٣ بعض الناس يسخرون بالملتزمين بدين الله ويستهزئون بهم فما حكم هؤلاء ؟

هؤلاء الذين يسخرون بالملتزمين بدين الله المنفذين لأوامر الله فيهم نوع نفاق ، لأن الله قال عن المنافقين ﴿ **الذين يَلْمِزُون المُطَّوِّعِينَ مِنْ المؤمنين في الصَّدَقَاتِ والذين لا يَجِدُون إلا جُهْدَهم فيَسْخَرُون منهم سخِرَ اللهُ منهم ولهم عذابٌ أليم** ﴾[1] . ثم إن كانوا يستهزئون بهم من أجل ما هم عليه من الشرع فإن استهزاءهم بهم استهزاء بالشريعة والاستهزاء بالشريعة كُفْر . أما إذا كانوا يستهزئون بهم يعنون أشخاصهم وزيّهم بقطع النظر عمّا هم عليه من اتباع السنة فإنهم لا يكفرون بذلك ، لأن الإنسان قد يستهزىء بالشخص نفسه بقطع النظر عن عمله وفعله ، لكنهم على خطر عظيم ، والواجب تشجيع من التزم بشريعة الله ومعونته وتوجيهه إذا كان على نوع من الخطأ حتى يستقيم على الأمر المطلوب .

---

(١) التوبة ٧٩ .



الشـــرك الأصغـــر

٩٤ سُئل فضيلته : ما حُكْم الرِّيَاء ؟

فأجاب غفر اللّه له بقوله : الرياء من الشرك الأصغر ، لأن الإنسان أشرك في عبادته أحدًا غير الله ، وقد يصل إلى الشرك الأكبر ، وقد مثّل ابن القيم رحمه اللّه للشرك الأصغر بـ « يسير الرياء » وهذا يدل على أن كثير الرياء قد يصل إلى الشرك الأكبر .

قال اللّه تعالى : ﴿ **قُلْ إنّما أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إلَيَّ أنّما إلَهكُمْ إلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كان يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالحًا ولا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** ﴾[1] والعمل الصالح ما كان صوابًا خالصًا ، والخالص ماقصد به وجه الله ، والصواب : ماكان على شريعة الله . فما قُصد به غيرُ اللّه فليس بصالح ، وما خرج عن شريعة اللّه فليس بصالح ويكون مردودًا على فاعله لقول النبي ﷺ : « مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْه

(١) الكهف : ١١٠

أمْرُنا فهو رَدٌّ » وقال : « إنَّما الأعْمَالُ بالنِّياتِ ، وإنَّما لِكُلِّ امْرِىءٍ مانَوَى » الحديثَ . قال بعض العلماء : هذان الحديثان ميزان الأعمال **فحديث النية ميزان الأعمال الباطنة ، والحديث الآخر ميزان الأعمال الظاهرة .**

٩٥ ــــــــــ سُئل الشيخ أعلى اللهُ درجته في المهديين : ماحُكْم العبادة إذا اتصل بها الرياء ؟

فأجاب قائلًا : حكم العبادة إذا اتصل بها الرياء أن يقال اتصال الرياء على ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : أن يكون الباعث على العبادة مراءاةُ الناس من الأصل ، كمن قام يصلي لله مراءاة الناس من أجل أن يمدحه الناس على صلاته فهذا مبطل للعبادة .

الوجه الثاني : أن يكون مشاركًا للعبادة في أثنائها : بمعنى أن يكون الحامل له في أول أمره الإخلاص لله ، ثم طرأ الرياء في أثناء العبادة ، فهذه العبادة لاتخلو من حالين :

الحال الأولى : أن لا يرتبط أول العبادة بآخرها فأولها صحيح بكل حال ، وآخرها باطل . مثال ذلك رجل عنده مائة ريال يريد أن يتصدق بها فتصدق بخمسين منها صدقة خالصة ، ثم طرأ عليه الرياء في الخمسين

الباقية ، فالأولى صدقة صحيحة مقبولة ، والخمسون الباقية صدقة باطلة لاختلاط الرياء فيها بالإخلاص .

الحال الثانية : أن يرتبط أول العبادة بآخرها فلا يخلو الإنسان حينئذ من أمرين :

الأمر الأول : أن يدافع الرياء ولا يسكن إليه بل يعرض عنه ويكرهه ، فإنه لايؤثر شيئًا لقوله ﷺ « إنَّ اللَّهَ تَجاوزَ عَنْ أُمَّتي ما حَدَّثَتْ به أَنْفُسَها مالَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ » .

الأمر الثاني : أن يطمئن إلى هذا الرياء ولا يدافعه ، فحينئذ تبطل جميع العبادة لأن أولها مرتبط بآخرها . مثال ذلك أن يبتدىء الصلاة مخلصًا بها لله تعالى ، ثم يطرأ عليها الرياء في الركعة الثانية فتبطل الصلاة كلها لارتباط أولها بآخرها .

الوجه الثالث : أن يطرأ الرياء بعد انتهاء العبادة فإنه لايؤثر عليها ولا يبطلها لأنها تمت صحيحة فلا تفسد بحدوث الرياء بعد ذلك .

وليس من الرياء أن يفرح الإنسان بعلم الناس بعبادته ؛ لأن هذا إنما طرأ بعد الفراغ من العبادة ، وليس من الرياء أن يسر الإنسان بفعل الطاعة ، لأن ذلك دليل إيمانه قال النبي عليه الصلاة والسلام « مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتهُ ، وسَاءتْهُ سَيِّئَتُهُ فذَلِكَ المُؤْمِن » وقد سُئل النبي ﷺ عن ذلك فقال : « تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى المُؤْمِنِ » .

٩٦ سئل الشيخ : يتحرّج بعض طلبة العلم الشرعي عند قصدهم العلم والشهادة فكيف يتخلص طالب العلم من هذا الحرج ؟

فأجاب بقوله : يجاب عن ذلك بأمور : –

احدها : أن لايقصدوا بذلك الشهادة لذاتها ، بل يتخذون هذه الشهادات وسيلة للعمل في الحقول النافعة للخَلْق لأن الأعمال في الوقت الحاضر مبنية على الشهادات والناس لا يستطيعون الوصول إلى منفعة الخلق إلا بهذه الوسيلة وبذلك تكون النية سليمة .

الثاني : أن من أراد العلم قد لايجده إلا في هذه الكليات فيدخل فيها بنية طلب العلم ، ولا يؤثر عليه ما يحصل له من الشهادة فيما بعد .

الثالث : أن الإنسان إذا أراد بعمله الحُسْنَيَيْنِ حُسْنى الدنيا ، وحُسْنى الآخرة فلا شيء عليه في ذلك لأن اللّه يقول : ﴿ **وَمَن يَتَّقِ اللَّهِ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ** ﴾[1] وهذا ترغيب في التقوى بأمر دنيوي .

فإن قيل : من أراد بعمله الدنيا كيف يقال بأنه مخلص ؟

---

(١) الطلاق : ٢ –٣ .

أُجيب : أنه اخلص العبادة و لم يرد بها الخلق إطلاقًا فلم يقصد مراءاةَ الناس ومَدْحَهم على عبادته ، بل قصد أمرًا ماديًّا من ثمرات العبادة فليس كالمرائي الذي يتقرب إلى الناس بما يتقرب به إلى الله ويريد أن يمدحوه به ، لكنه بإرادة هذا الأمر المادي نقص إخلاصه فصار معه نوع من الشرك وصارت منزلته دون منزلة من أراد الآخرة .

وبهذه المناسبة أود أن أنبه على أن بعض الناس عندما يتكلمون على فوائد العبادات يحولونها إلى فوائد دنيوية فمثلًا يقولون : في الصلاة رياضة وإفادة للأعصاب ، وفي الصيام فائدة لإزالة الفضلات وترتيب الوجبات ، والمفروض ألا تجعل الفوائد الدنيوية هي الأصل لأن ذلك يؤدي إلى إضعافِ الإخلاص ؛ والغفلةِ عن إرادة الآخرة ولذلك بيَّن الله تعالى في كتابه عن حِكْمة الصوم – مثلًا – أنه سبب للتقوى ، فالفوائد الدينية هي الأصل ، والدنيوية ثانوية ، وعندما نتكلم عند عامة الناس فإننا نخاطبهم بالنواحى الدينية وعندما نتكلم عند من لايقتنع إلا بشيء مادي فإننا نخاطبة بالنواحي الدينية والدنيوية . ولكلِّ مقامٍ مَقالٌ .

٩٧ وسئل الشيخ : هل قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ به ﴾[1] يشمل الشِّرْكَ الأصغر ؟

فأجاب قائلًا : اختلف في ذلك أهل العلم : – فمنهم من قال يشمل كلَّ شرك ولو كان أصغر ، كالحلف بغير اللّه فإن اللّه لا يغفره ، وأما

(١) النساء : ٤٨ .

بالنسبة لكبائر الذنوب كالخمر والزنى فإنها تحت المشيئة إن شاء الله غفرها وإن شاء أخذ بها .

وشيخ الإسلام اختلف كلامه ، فمرة قال : – الشرك لايغفره الله ولو كان أصغر ، ومرة قال : – الذي لايغفره الله هو الشرك الأكبر .

وعلى كل حال يجب الحذر من الشرك مطلقا ؛ لأن العموم يحتمل أن يكون داخلًا فيه الأصغر لأن قوله ﴿ **أن يشرك به** ﴾ « أن » وما بعدها في تأويل مصدر تقديره إشراكا به فهو نكرة في سياق النفي فتفيد العموم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الطــــواغيت

٩٨ سئل فضيلة الشيخ : عن تعريف الطاغوت ؟

فأجاب بقوله : الطاغوت مشتق من الطُّغْيَانِ ، والطغيان مجاوزة الحد ومنه قوله تعالى ﴿ **إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ** ﴾[1] يعني لما زاد الماء عن الحد المعتاد حملناكم في الجارية يعني السفينة . وأحسن ما قيل في تعريفه ما ذكره ابن القيم رحمه الله أنه – **أي الطاغوت** – « **كل ما تَجَاوَزَ بِهِ الْعَبْدُ حَدَّهُ مِن مَعْبُودٍ أو مَتْبُوع أو مُطَاعٍ** » . ومراده بالمعبود والمتبوع والمطاع غير الصالحين ، أما الصالحون فليسوا طواغيت وإن عُبِدُوا أو اتُّبِعُوا أو أُطِيعُوا ، فالأصنام التي تعبد من دون الله طواغيت . وعلماء السوء الذين يدعون إلى الضلال والكفر ، أو يدعون إلى البدع وإلى تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله طواغيت ، والذين يُزَيِّنُونَ لولاة الأمر الخروج عن شريعة الإسلام بنظم يستوردونها مُخَالِفَةٍ لنظام الدين الإسلامي طواغيت ، لأن هؤلاء تجاوزوا حَدَّهُم ، فإن حَدَّ العالم أن يكون متبعًا لما جاء به النبي ﷺ لأن العلماء

(١) الحاقة : ١١ .

حقيقة ورثة الأنبياء يرثونهم في أمتهم، علمًا وعملًا ، وأخلاقًا ، ودعوة ، وتعليمًا ، فإذا تجاوزوا هذا الحَدَّ وصاروا يزينون للحكام الخروج عن شريعة الإسلام بمثل هذه النظم فهم طواغيت ؛ لأنهم تجاوزوا ما كان يجب عليهم أن يكونوا عليه من متابعة الشريعة .

وأما المطاع في قوله رحمه الله فيريد به الأمراء الذين يُطَاعُونَ شرعًا أو قدرًا ، فالأمراء يُطَاعُونَ شرعًا إذا أَمَرُوا بما لا يخالف أمر الله ورسوله فالواجب على الرعية إذا أمر ولي الأمر بأمر لا يخالف أمر الله الواجب عليهم السمع والطاعة ، وطاعتهم لولاة الأمر في هذا الحال بهذا القيد طاعةٌ لله عز وجل ولهذا ينبغي أن نلاحظ حين تُنَفِّذُ ما أمر به ولي الأمر مما تجب طاعته فيه أننا في ذلك نتعبد لله تعالى ونتقرب إليه بطاعته حتى يكون تنفيذُنا لهذا الأمر قربةً إلى الله عز وجل وإنما ينبغي لنا أن نلاحظ ذلك لأن الله تعالى يقول : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ** ﴾[1] .

وأما طاعة الأمراء قدرًا فإن الأمراء إذا كانوا أقوياء في سلطتهم فإن الناس يطيعونهم بقوة السلطان وإن لم يكن بوازع الإيمان لأن طاعة ولي الأمر تكون بوازع الإيمان وهذه هي الطاعة النافعة ، النافعة لولاة الأمر ، والنافعة للناس أيضًا . وقد تكون الطاعة بوازع السلطان بحيث يكون قويًا يخشى الناس منه ويهابونه لأنه يُنَكِّلُ بمن خالف أمره .

ولهذا نقول أن الناس من حكامهم في هذه المسألة ينقسمون إلى أحوال أربع : —

---

(١) النساء : ٥٩ .

الحال الأول : أن يقوى الوازعُ الإيماني والرادعُ السلطاني وهذه أكمل الأحوال وأعلاها .

الحالة الثانية : أن يَضْعُفَ الوازع الإيماني والرادع السلطاني وهذه أدنى الأحول وأخطرها على المجتمع ، على حكامه ومحكوميه ؛ لأنه إذا ضعف الوازع الإيماني والرادع السلطاني حصلت الفوضى الفكرية والخلقية والعلمية .

الحالة الثالثة : يَضْعُفَ الوازع الإيماني ويقوي الرادع السلطاني وهذه مرتبة وسطى لأنه إذا قوى الرادع السلطاني صار أصلح للأمة في المظهر فإذا اختفت قوة السلطان فلا تسأل عن حال الأمة وسوء عملها .

الحالة الرابعة : أن يقوي الوازع الإيماني ويضعف الرادع السلطاني فيكون المظهر أدنى منه في الحالة الثالثة لكنه فيما بين الإنسان وربه أكمل وأعلى .

والمهم أننا نقول أنه ينبغي لنا عند تنفيذ أوامر السلطان أن نعتقد أننا نتقرب إلى الله عز وجل بذلك . وإنما قال ابن القيم إن الطاغوت « ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع » لأن الأمير الذي يطاع قد يأمر بما يخالف أمر الله ورسوله فإنه حينئذٍ لا سَمْعَ له ولا طَاعَةَ ولا يجوز لنا أن نطيعه في معصية الله سبحانه وتعالى ؛ لأن الله تعالى جعل طاعتهم تابعة لطاعته وطاعة رسوله ﷺ كما يفهم من سياق الآية ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ**

مِنكُمْ ﴾(١) ولم يقل « وَأَطِيعُوا أُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ » فدل هذا على أن طاعتهم غير مستقلة بل هي تبع لطاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ وقد ثبت أن النبي ﷺ قال « إِنَّمَا الطَّاعَةَ فِي المَعْرُوفِ » أي فيما أَقَرَّهُ الشرعُ ، وأما ما أنكره فلا يجوز أن يُطَاعَ فيه أيُّ مخلوقٍ حتى لو كان الوالد أو الوالدة لأن طاعة الله مقدمة على كل طاعة ، فإذا أطاع الإنسان أميره أو ولي أمره في معصية الله فقد تجاوز به حَدَّهُ .

٩٩ سُئِلَ عن حُكْمِ مَنْ حَكَمَ بغَيْرِ ما أَنْزَلَ اللهُ ؟

إنّ الحكم بما أنزل الله تعالى من توحيد الربوبية ، لأنه تنفيذ لحكم الله الذي هو مقتضي ربوبيته وكمال مِلْكه وتصرفه ، لهذا سمّى الله تعالى المتبوعين في غير ما أنزل الله تعالى أربابا لمتّبعيهم فقال سبحانه : ﴿ **اتَّخذُوا أحْبَارَهم ورُهْبَانَهم أَرْبَاباً مِن دُونِ اللهِ والمسِيحَ ابنَ مَرْيَمَ وما أُمِرُوا إلاّ ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سُبْحَانَه عَمَّا يُشرِكُون** ﴾(٢) . فسَمَّى الله تعالى المتبوعين أربابا حيث جُعلوا مشرّعين مع الله تعالى ، وسّمى المتبعين عبادا حيث إنهم ذَلّوا لهم وأطاعوهم في مخالفة حكم الله سبحانه وتعالى .

وقد قال عَدِيُّ بن حاتمٍ لرسول الله ﷺ : إنّهم لم يَعْبُدُوهُمْ فقال النبي ﷺ : « بَلَى إنَّهم حَرَّمُوا عليهم الحلالَ وأَحَلُّوا لهم الحَرَامَ فاتَّبعُوهم ، فذلك عبادتُهم إيَّاهم » . إذا فهمت ذلك فاعلم أن من لَم يحكم بما أنزل الله

(١) النساء : ٥٩ .

(٢) التوبة ٣١ .

وأراد أن يكون التحاكم إلى غير الله ورسوله وردت فيه آيات بنفي الإيمان عنه وآيات بكفره وظلمه وفسقه .

أما القسم الأول :

فمثل قوله تعالى : ﴿ **ألم تَرَ إلى الذين يَزْعُمُونَ أنّهم آمنوا بما أُنزِلَ إليك وما أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أن يَتَحَاكَمُوا إلى الطَّاغُوتِ وقَدْ أُمِرُوا أن يَكْفُرُوا به ويُرِيدُ الشَّيْطَانُ أن يُضِلَّهم ضَلالاً بَعِيدًا . وإذا قِيلَ لهم تَعَالَوْا إلى ما أَنزَلَ اللهُ وإلى الرسولِ رَأَيْتَ المنافقينَ يَصُدُّونَ عَنك صُدُوداً . فكيف إذا أصَابَتْهم مُصِيبَةٌ بما قَدَّمَتْ أيديهم ثُمَّ جآءوك يَحْلِفُونَ باللهِ إنْ أَرَدْنَا إلاّ إحْسَاناً وتَوْفِيقاً . أولئك الذين يَعْلَمُ اللهُ ما في قلوبهم فأَعْرِضْ عنهم وعِظْهُمْ وقُلْ لهم في أَنفُسِهِم قولاً بَلِيغاً . وما أَرْسَلْنا مِن رَّسُول إلاّ لِيُطَاعَ بإِذْنِ اللهِ ولو أنّهم إذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهم جَآءوك فاستغفروا اللهَ واسْتَغْفَرَ لهم الرسولُ لوجدوا الله تَوَّاباً رَّحِيماً . فلا ورَبِّكَ لا يُؤْمنون حتىّ يُحَكِّمُوك فيما شَجَرَ بينهم ثُمَّ لا يجدوا في أَنفُسِهِم حَرَجًا مّما قَضَيْتَ ويُسَلِّمُوا تَسْلِيما** ﴾[1] .

فوصف الله تعالى هؤلاء المُدَّعين للإيمان وهم منافقون بصفات :

الأولى : أنهم يريدون أن يكون التحاكم إلى الطاغوت وهو كل ما خالف حكمَ اللهِ تعالى ورسولهِ ﷺ ، لأن ما خالف حكم الله ورسوله فهو طغيان واعتداء على حُكْم مَنْ له الحكم وإليه يرجع الأمر كله ، وهو الله ، قال الله تعالى : ﴿ **أَلاَ لَهُ الخَلْقُ والأَمْرُ تبارك اللهُ رَبُّ العالمين** ﴾[2] .

---

(١) النساء ٦٠ – ٦٥

(٢) الأعراف ٥٤ .

الثانية : أنهم إذا دُعُوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول صَدُّوا وأعرضُوا .

الثالثة : أنهم إذا أُصيبوا بمصيبة بما قدّمت أيديهم ، ومنها أن يعثر على صنيعهم جاءوا يحلفون أنهم ما أرادوا إلا الإحسان والتوفيق كحال من يرفض اليوم أحكام الإسلام ويحكم بالقوانين المخالفة لها زَعْمًا منه أن ذلك هو الإحسان الموافق لأحوال العصر . ثم حَذَّر سبحانه هؤلاء المدَّعين للإيمان المتصفين بتلك الصفات بأنه سبحانه يعلم ما في قلوبهم وما يكنُّونه من أمور تخالف ما يقولون ، وأَمَرَ نبيَّه أن يعظَهم ويقولَ لهم في أنفسهم قولاً بليغا . ثم بَيَّن أن الحِكْمة من إرسال الرسول أن يكون هو المطاع المتبوع لا غيره من الناس مهما قويت أفكارهم واتسعت مداركهم . ثم أقسم تعالى بربوبيته لرسوله التي هي أخص انواع الربوبية والتي تتضمن الإشارة إلى صحة رسالته ﷺ أقسم بها قسما مؤكدا أنه لا يصلح الإيمان إلا بثلاثة أمور :

الأول : أن يكون التحاكم في كلّ نزاع إلى رسول الله ﷺ .

الثاني : أن تنشرح الصدور بحكمه ولا يكون في النفوس حرج وضيق منه .

الثالث : أن يحصل التسليم التام بقبول ما حكم به وتنفيذه بدون تَوَان أو انحراف .

وأما القسم الثاني : فمثل قوله تعالى : ﴿ **ومَن لَّمْ يَحْكُم بما أَنزَلَ اللهُ فأولئك هُم الكافرون** ﴾[1] .

---

(١) المائدة ٤٤

﴿ ومَن لَّمْ يحكم بما أنزل اللهُ فأولئك هُم الظالمون ﴾[1] ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل اللهُ فأولئك هم الفاسقون ﴾[2] . وهل هذه الأوصاف الثلاثة تتنزل على موصوف واحد ؟ بمعنى أن كل من لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر ظالم فاسق لأن الله تعالى وصف الكافرين بالظلم والفسق فقال تعالى : ﴿ والكافرون هم الظالمون ﴾[3] وقال تعالى : ﴿ إنهم كفروا بالله ورسولِه وماتُوا وهم فاسقون ﴾[4] . فكل كافر ظالم فاسق ، أو هذه الأوصاف تتنزل على موصوفين بحسب الحامل لهم على عدم الحكم بما أنزل الله ؟ هذا هو الأقرب عندي والله أعلم .

فنقول : من لم يحكم بما أنزل الله استخفافا به أو احتقارا له أو اعتقادا أن غيره أصلح منه وأنفع للخَلْق فهو كافر كُفْرًا مُخْرِجًا عن المِلَّة ، ومِنْ هؤلاء من يضعون للناس تشريعات تخالف التشريعات الإسلامية لتكون منهاجا يسير الناس عليه ، فإنهم لم يضعوا تلك التشريعات المخالفة للشريعة الإسلامية إلا وهم يعتقدون أنها أصلح وأنفع للخلق ، إذْ من المعلوم بالضرورة العقلية والجِبِلَّة الفِطْرية أن الإنسان لا يعدل عن منهاج إلى منهاج يُخالفه إلا وهو يعتقد فَضْلَ ما عَدَلَ إليه ونَقْصَ ما عَدَلَ عنه .

---

(١) المائدة ٤٥

(٢) المائدة : ٤٧ .

(٣) البقرة ٢٥٤

(٤) التوبة ٨٤ .

ومن لم يحكم بما أنزل الله وهو لم يستخف به ولم يحتقره ولم يعتقد أن غيره أصلح منه وأنفع للخلق وإنما حكم بغيره تسلطا على المحكوم انتقامًا منه لنفسه أو نحو ذلك ، فهذا ظالم وليس بكافر ، وتختلف مراتب ظلمه بحسب المحكوم به ووسائل الحكم . ومن لم يحكم بما أنزل الله لا استخفافا بحكم الله ولا احتقارا ولا اعتقاداً أن غيره أصلح وأنفع للخلق وإنما حكم بغيره محاباة للمحكوم له أو مراعاة لرشوة أو غيرها من عَرَض الدنيا فهذا فاسق وليس بكافر وتختلف مراتب فِسْقه بحسب المحكوم به ووسائل الحكم . قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فيمن اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله أنهم على وجهين :

أحدهما : أن يعلموا انهم بدّلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل ، ويعتقدون تحليل ما حرّم وتحريم ما أحلّ الله اتباعا لرؤسائهم مع عِلْمهم أنهم خالفوا دين الرسل فهذا كفر وقد جعله الله ورسوله شِرْكا .

الثاني : أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحليل الحرام وتحريم الحلال - كذا العبارة المنقولة عنه - ثابتا لكنهم أطاعوهم في معصية الله كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاصي فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب .

١٠٠ ———— هل هناك فَرْق بين المسألة المعينة التي يحكم فيها القاضي بغير ما أنزل الله وبين المسائل التي تُعتبر تشريعا عامّا ؟

نعم هناك فرق فإن المسائل التي تعتبر تشريعا عامًا لا يتأتى فيها التقسيم السابق وإنما هي من القسم الأول فقط ، لأن هذا المشرع تشريعا يخالف الإسلام إنما شرعه لاعتقاده أنه أصلح من الإسلام وأنفع للعباد كما سبقت الإشارة إليه .

والحكم بغير ما أنزل الله ينقسم إلى قسمين :

أحدهما : أن يستبدل هذا الحكم بحكم الله تعالى بحيث يكون عالما بحكم الله ولكنه يرى أن الحكم المخالف له أولى وأنفع للعباد من حكم الله ، أو أنه مساو لحكم الله ، أو أن العدول عن حكم الله إليه جائز ، فيجعله القانون الذي يجب التحاكم إليه ، فمثل هذا كافر كفراً مخرجا عن الملة ، لأن فاعله لم يرض بالله رباً ولا بمحمد رسولاً ولا بالإسلام ديناً وعليه ينطبق قوله تعالى : ﴿ **أَفَحُكْمَ الجاهلّيةِ يَبغُونَ ومَنْ أَحْسَنُ مِن اللهِ حُكْماً لقَوْمٍ يُوقِنُون** ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ **ومَن لَّمْ يَحْكُم بما أنزَلَ فأولئك هُم الكافرون** ﴾[2] .

وقوله تعالى : ﴿ **ذلك بأنَّهم قالوا للذين كَرِهُوا ما أَنزل اللهُ سَنُطِيعُكُم في بَعضِ الأَمْر واللهُ يَعلَمُ إسْرارَهم فكَيف إذا تَوَفَّتْهُمُ الملائكةُ يَضْربون وُجُوهَم وأَدْبارَهم ذلك بأنهم اتَّبَعُوا ما أَسخَطَ اللهَ وكَرِهُوا رِضْوانَه فأَحْبطَ أعمالَهم** ﴾[3] ولا ينفعه صلاة ولا زكاة ولا صوم ولا حج ، لأن الكافر ببعض كافر به كله قال الله تعالى :

---

(١) المائدة ٥٠

(٢) المائدة ٤٤

(٣) محمد ٢٦ - ٢٨

﴿ أَفَتُؤمِنُون بِبَعضِ الكِتاب وتَكْفُرون ببعض فما جزاءُ مَن يَفْعَلُ ذلك مِنكم إلاّ خِزْيٌ في الحياةِ الدنيا ويَوْمَ القيامةِ يُرَدُّون إلى أشَدِّ العذابِ وما اللهُ بغافلٍ عَمَّا تعملون ﴾[1] .

وقال سبحانه : ﴿ إنَّ الذين يَكْفُرونَ باللهِ ورُسُلِهِ ويُرِيدُون أن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ ورُسُلِه ويَقُولون نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ ونَكْفُرُ بِبَعْضٍ ويُرِيدُونَ أن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذلك سبيلاً . أُولئك هُمُ الكافرون حَقًّا وأَعْتَدْنَا للكافرينَ عَذاباً مُهِيناً ﴾[2] .

الثاني : أن يستبدل بحكم اله تعالى حكماً مخالفا له في قضية معينة ، دون أن يجعل ذلك قانوناً يجب التحاكم إليه فله ثلاث حالات :

الأولى : أن يفعل ذلك عالما بحكم الله تعالى معتقدًا أن ما خالفه أولى منه وأنفع للعباد ، أو أنه مساوٍ له ، أو أن العدول عن حكم الله إليه جائز فهذا كافر كفرًا مُخْرِجًا عن المِلّة لما سبق في القسم الأول .

الثانية : أن يفعل ذلك عالما بحكم الله معتقدا أنه أولى وأنفع ، لكن خالفه بقصد الإضرار بالمحكوم عليه أو نفع المحكوم له ، فهذا ظالم وليس بكافر ، وعليه يتنزل قول الله تعالى : ﴿ ومَن لَّم يَحْكُم بما أُنزل اللهُ فأولئك هم الظالمون ﴾[3] .

الثالثة : أن يكون كذلك لكن خالفه لهوى في نفسه ، أو مصلحة تعود إليه فهذا فاسق وليس بكافر وعليه يتنزل قول الله تعالى : ﴿ ومَن لَّم يَحْكُم بما أُنزل اللهُ فأولئك هم الفاسقون ﴾[4] .

---

(١) البقرة ٨٥

(٢) النساء ١٥٠ – ١٥١

(٣) المائدة ٤٥

(٤) المائدة ٤٧

وهذه المسألة أعني مسالة الحكم بغير ما أنزل الله من المسائل الكبرى التي ابُتلي بها حُكَّام هذا الزمان ، فعلى المرء أن لا يتسرع في الحكم عليهم بما لا يستحقونه حتى يتبين له الحق لأن المسألة خطيرة . نسال الله تعالى أن يصلح للمسلمين ولاة أمورهم وبطانتهم . كما أن على المرء الذي آتاه الله العلم أن يبينه لهؤلاء الحكام لتقوم الحُجَّة عليهم وتبين المحجة ، فيَهْلِكَ مَنْ هلك عن بَيّنة ، ويَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عن بينة ، ولا يحقرن نفسه عن بيانه ، ولا يهابن أحدًا فيه فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين . والله ولي التوفيق .

١٠١ وسئل أعْلَى الله درجته : ما حكم اتباع العلماء أو الأمراء في تحليل ما حرم الله أو العكس ؟

فأجاب : اتباع العلماء أو الأمراء في تحليل ما حرم الله أو العكس ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : أن يتابعهم في ذلك راضيًا بقولهم مقدمًا له ساخطًا لحكم الله ، **فهو كافر** لأنه كره ما أنزل الله ، وكراهة ما أنزل الله كفر لقوله تعالى : ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ الله فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ** ﴾[1] ولا تَحبطُ الأعمالُ إلا بالكفر فكل من كره ما أنزل الله فهو كافر .

---

(١) محمد : ٩ .

القسم الثاني : أن يتابعهم في ذلك راضيًا بحكم الله وعالمًا بأنه أمثل وأصلح للعباد والبلاد ، ولكن لهوى في نفسه تابعهم في ذلك فهذا لا يكفر ولكنه فاسق .

فإن قيل : لما لا يكفر ؟

أجيب : بأنه لم يرفض حكم الله ولكنه رضي وخالفه لهوى في نفسه فهو كسائر أهل المعاصي .

القسم الثالث : أن يتابعهم جاهلًا يظن أن ذلك حكم الله فينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : أن يمكنه معرفة الحق بنفسه فهو مُفَرِّط أو مُقَصِّر فهو آثِمٌ ، لأن الله أمر بسؤال أهل العلم عند عدم العلم .

القسم الثاني : أن يكون جاهلًا ولا يمكنه معرفة الحق بنفسه فيتابعهم بفرض التقليد يظن أن هذا هو الحق فلا شيء عليه ، لأنه فعل ما أمر به وكان معذورًا بذلك ، ولذلك ورد عن رسول الله ﷺ « أَنَّ مَنْ أُفْتِيَ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى مَنْ أَفْتَاهُ » ولو قلنا بإثمه بخطأ غيره للزم من ذلك الحرج والمشقة ولم يثق الناس بأحد لاحتمال خطأه .

الإستغاثة والاستعاذة والاستعانة

١٠٢ سئل الشيخ وفقه الله : ما رأيكم فيمن يقول « توكلتُ على الله ، واعتصمتُ بالله ، واستجرتُ برسول الله » ؟

أما قول القائل : آمنت بالله وتوكلت على الله واعتصمت بالله ، فهذا ليس فيه بأس ، وهذه حال كل مؤمن أن يكون متوكلا على الله مؤمنا به معتصما به .

وأما قوله : « واستجرت برسول الله ﷺ » فإنها كلمة منكرة ، والاستجارة بالنبي ﷺ بعد موته لا تجوز . أما الاستجارة به في حياته في أمر يقدر عليه فهي جائزة ؛ قال الله تعالى : ﴿ وإنْ أَحَدٌ مِنَ المشركين اسْتَجارك فأَجِرْه حتى يَسْمَعَ كلامَ اللهِ ﴾[1] . فالاستجارة

---

(١) التوبة ٦ .

بالرسول ﷺ بعد موته شرك أكبر وعلى من سمع أحدا يقول مثل هذا الكلام أن ينصحه ، لأنه قد يكون سمعه من بعض الناس وهولا يدري ما معناها ، وأنت « يا أخي » إذا أخبرته وبينت له أن هذا شرك فلعل الله أن ينفعه على يدك . والله الموفق .

١٠٣ ـــــــ سئل الشيخ : يقول بعض الناس : « يا مُحَمَّدُ ، أو يا عَلِيُّ أو يا جِيلاني » عند الشِّدَّة فما الحُكْم ؟

فأجاب بقوله : إذا كان يريد دعاء هؤلاء والاستعانة بهم فهو مشرك شركًا أكبر مخرجًا عن المِلَّة ، فعليه أن يتوب إلى الله – عز وجل – وأن يدعو الله وحده ، كما قال تعالى : ﴿ **أَمَّن يُجِيبُ الْمضْطَرَّ إذا دَعَاهُ ويَكْشِفُ السُّوءَ ويَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ الله** ﴾[1] وهو مع كونه مشركًا سفيه مضيّع لنفسه ، قال الله تعالى : ﴿ **ومَن يَرْغَبُ عَن مِّلَةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِه نَفْسَهُ** ﴾[2] . وقال : ﴿ **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُون** ﴾[3] .

---

(١) النمل : ٦٢ .
(٢) البقرة : ١٣٠ .
(٣) الأحقاف : ٥ .

الـــذبح والنـــذر

١٠٤ ما حُكْم الذبح لغير الله ؟ وهل يجوز الأكل من تلك الذبيحة ؟

الذبح لغير الله شِرْك أكبر لأن الذبح عبادة كما أمر الله به في قوله : ﴿ فصَلِّ لِرَبِّكَ وانْحَرْ ﴾[1] وقوله سبحانه : ﴿ قُلْ إنَّ صَلاَتي ونُسُكِي ومَحْيايَ ومماتي للهِ رَبِّ العالمين . لا شَرِيكَ له وبذلك أُمِرْتُ وأنَاْ أوَّلُ المسلمين ﴾[2] . فمَنْ ذَبَحَ لغير الله فهو مشرك شركا مخرجا عن الملة – والعياذ بالله – سواء ذبح ذلك لمَلَك من الملائكة ، أو لرسول من الرسل أو لنبي من الأنبياء ، أو لخليفة من الخلفاء ، أو لولي من الأولياء ، أو لعالم من العلماء ، فكل ذلك شركا بالله عز وجل ومخرج عن الملة ، والواجب على المرء أن يتقي الله في نفسه ، وأن لا يوقع نفسه في ذلك الشرك الذي قال الله فيه : ﴿ إنَّهُ مَن يُشْرِكْ باللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عليه الجَنَّةَ ومَأْوَاهُ النَّارُ وما للظالمين مِنْ أَنصَارٍ ﴾[3] .

(١) الكوثر ٢
(٢) الأنعام ١٦٢ - ١٦٣
(٣) المائدة ٧٢

وأما الأكل من لحوم هذه الذبائح فإنه محرّم لأنها أُهِلَّ لغير الله بها . وكل شيء أُهِلَّ لغير الله به ، أو ذُبح على النُّصُب فإنه محرّم كما ذكر الله ذلك في سورة المائدة في قوله تعالى : ﴿ **حُرِّمتْ عليكم المَيْتَةُ والدَّمُ ولَحْمُ الخِنزير وما أُهِلَّ لغَيْرِ اللهِ به والمنْخَنِقَةُ والمَوْقُوذَةُ والمُتَرَدِّيَةُ والنَّطِيحَةُ وما أَكَلَ السَّبُعُ إلاَّ ما ذَكَّيْتُم وما ذُبِحَ على النُّصُبِ** ﴾[1] فهذه الذبائح التي ذُبحت لغير الله من قسم المحرمات لا يحلّ أكلها .

١٠٥ ــــ سئل الشيخ : عن حُكْم الذَّبْح لغير الله ؟

فأجاب بقوله : تقدم لنا في غير هذا الموضع أن توحيد العبادة هو إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة بأن لا يتعبد أحد لغير اللّه تعالى بشيء من أنواع العبادة ، ومن المعلوم أن الذبح قُرْبة يتقرّب بها الإنسان إلى ربه لأن اللّه تعالى أمر به في قوله ﴿ **فَصَلِّ لِرَبِّكَ والْحَرْ** ﴾[2] وكل قُرْبة فهي عبادة فإذا ذبح الإنسان شيئًا لغير اللّه تعظيمًا له وتذللًا وتقربًا إليه كما يتقرب بذلك ويعظم ربه عز وجل ، وإذا كان مشركًا فإن اللّه تعالى قد بين أنه حرم على المشرك الجنة ومأواه النار .

وبناء على ذلك نقول : إن ما يفعله بعض الناس من الذبح للقبور – قبور الذين يزعمون بأنهم أولياء – شرك مخرج عن الملة ، ونصيحتنا

---

(١) المائدة ٣ .

(٢) الكوثر : ٢

هؤلاء أن يتوبوا إلى الله عز وجل مما صنعوا ، وإذا تابوا إلى الله وجعلوا الذبح لله وحده كما يجعلون الصلاة والصيام لله وحده ، فإنه يُغفر لهم ماسبق كما قال الله تعالى : ﴿ **قُل للذين كَفَرُوا إن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ** ﴾[1] بل إن الله تعالى يُعطيهم فوق ذلك فيبدّل الله سيئاتِهم حسناتٍ كما قال الله تعالى ﴿ **والذين لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إلَهًا آخَرَ ولاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ التي حَرَّمَ اللَّهُ إلَّا بالْحَقِّ ولاَ يَزْنُونَ ومَن يَفْعَلْ ذلك يَلْقَ أثامًا يُضاعَفْ لَهُ العَذَابُ يَوْمَ القِيَامَةِ ويَخْلُدْ فِيه مُهَانًا إلَّا مَن تَابَ وآمَنَ وعَمِلَ عَمَلًا صَالحًا فأُولئك يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِم حَسَنَاتٍ وكَان اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾[2] .

فنصيحتي لهؤلاء الذين يتقرّبون إلى أصحاب القبور بالذبح لهم :

أن يتوبوا إلى الله من ذلك ، وأن يرجعوا إليه ، وأن يخلصوا دينهم له سبحانه ، ولْيَبْشُروا إذا تابوا بالتوبة من الكَريم المنَّان ، فإن الله سبحانه وتعالى يفرح بتوبة التائبين وعودة المنيبين .

١٠٦ ـ هل يجوز للإنسان أن يغير جهة نذره إذا وجد جهة أكثر استحقاقًا بعد تحديد النذر وتحديد جهته ؟

أقدم قبل الجواب على هذا بمقدمة وهي أنه لا ينبغي للإنسان أن ينذر فإن النذر مكروه أو محرم لأن النبي ﷺ نهى عنه وقال : «إنَّه لا يَأْتي

(١) الأنفال : ٣٨ . (٢) الفرقان : ٦٨ .

بِخَير وإنّما يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ البَخيلِ» فالخير الذي تتوقعه من النذر ليس النذر سببًا له وكثير من الناس إذا مرض نذر إذا شفاه الله تعالى أن يفعل كذا وكذا وإذا ضاع له شيء نذر أن يفعل كذا وكذا إن وجده ثم إذا شفي أو وجد الضائع ليس معناه أن النذر هو الذي أتى به بل إن ذلك من عند الله عز وجل والله أكرم من أن يحتاج إلى شرط فيما سئل . فعليك أن تسأل الله سبحانه وتعالى أن يشفي هذا المريض أو أن يأتي بهذا الضائع ، أما النذر فلا وجه له وكثير من الذين نذروا إذا حصل لهم ما نذروا عليه فإنهم يتكاسلون فيما نذروه وربما يدعونه وهذا خطر عظيم واستمع إلى قول الله تعالى : ﴿ **وَمِنْهُم مَّن عَاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ فَلَمَّا آتَاهُم مِن فَضْلِهِ بَخِلُواْ بِهِ وَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُواْ اللهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُون** ﴾[1] . وعلى هذا لا ينبغي للمؤمن أن ينذر . وأما الجواب على هذا السؤال فنقول إذا نذر الإنسان شيئًا في محل ورأى أن غيره أفضل منه وأقرب إلى الله وأنفع لعباد الله فإنه لا حرج عليه أن يغير وجهة النذر إلى الموقع الفاضل ودليل ذلك «أَنَّ رجُلًا جَاءَ إلى النَّبي ﷺ فقال : يا رَسُولَ اللهِ إنِّي نَذَرتُ إنْ فَتَحَ اللهُ عَلَيْكَ مَكَّة أنْ أُصلِّي في بَيْتِ المَقْدسِ فَقَالَ : «صَلِّ هَا هُنَا» ثُمَّ أعَادَ الرَّجُل فقال : «صَلِّ هُنَا» ثم أعَادَ فَقَال : «شَأْنكَ إذَن» . فدل هذا على أن الإنسان إذا انتقل من نذره المفضول إلى هو ما أفضل فإن ذلك جائز .

(١) التوبة : ٧٥ - ٧٧

١٠٧ ـــــــــــ كنت ناذرًا بذبيحة لله واحتاج الأمر ولم يكن في البيت غيرها وبعتها بمبلغ ٥٤ جنيه مصري من مدة أربع سنوات والآن أريد أنْ أوَفّي النَّذر الذي نَذَرتُه هل أشتري بالمبلغ ذَبيحة أخرى وهل علي إثْم في عملي هذا أرجو الإفادة ولكم من الله التوفيق ؟

هذه الشاة التي نذرت لله عزَّ وجلَّ أن تذبحها إذا كان نَذْرك هذا نَذْر طاعة فإنَّه قد وَجَب عليك الوفاء به وتَعَيَّنَتْ هذه الشَّاة للنَّذر وبَيْعُك إيَّاها بعد ذلكِ غَلَط منك ومُحَرَّم عليك وعليك أن تَضمنها الآن بمثلها أو بما هو خَيْر منها وأنْ تَتُوب إلى الله سبحانه وتعالى مما صَنَعْت فاذْبح بَدَلها تَقَرُّبًا إلى الله عزَّ وجلَّ وَوَزِّعها على الفُقَراء ما دُمْت قد نويت أنَّها صدقة لله تعالى وليكن ما تَذْبحه مثل الَّذي نَذَرْتَ أَوْ أحْسن مِنْهَا .



١٠٨ ـ يصف بعض الناس الكفار بالصدق والأمانة وحسن العمل فما قولكم . أثابكم الله ؟

هذه الأخلاق إنْ صحّت مع أن فيهم الكذب والغدر والخيانة والسطو أكثر مما يوجد في بعض البلاد الإسلامية وهذا معلوم . ولكنْ إذا صحت هذه فإنها أخلاق يدعو إليها الإسلام، والمسلمون أولى أن يقوموا بها ليكسبوا بذلك حسن الأخلاق مع الأجر والثواب . أما الكفار فإنهم لا يقصدون بها إلا أمراً ماديًّا فيصدقون في المعاملة لجلْب الناس إليهم .

ولكن المسلم إذا تخلّق بمثل هذه الأمور فهو يريد بالإضافة إلى الأمر المادي أمراً شرعيًا وهو تحقيق الإيمان والثواب من الله عزّ وجلّ وهذا هو الفارق بين المسلم والكافر .

أما ما زُعِم من الصدق في دول الكفر شرقية كانت أم غربية فهذا إن صح فإنما هو نَزْرٌ قليل من الخير في جانب كثير من الشرّ ، ولو لم يكن من ذلك إلا أنهم أنكروا حقّ منْ حقّه أعظم الحقوق وهو الله عزّ وجلّ ﴿ إنَّ الشِّرْكَ لظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[1] . فهؤلاء مهما عملوا من الخير فإنه نَزْر قليل مغمور في جانب سيئاتهم وكفرهم وظلمهم فلا خير فيهم .

١٠٩ ما حكم مخالطة الكفار ومعاملتهم بالرّفق واللّين طمعا في إسلامهم ؟

لاشك أن المسلم يجب عليه أن يبغض أعداء الله ويتبرأ منهم ، لأن هذه هي طريقة الرسل وأتباعهم . قال الله تعالى : ﴿ قَدْ كانتْ لكم أُسْوةٌ حسنةٌ في إبراهيمَ والذين معه إذْ قالوا لقومهم إنّا بُرءاؤا منكم ومّما تَعْبُدون مِن دُون اللهِ كفَرْنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغْضاءُ أبداً حتّى تُؤمنوا بالله وَحْدَه ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ لا تجدُ قوماً يُؤمنون باللهِ واليومِ الآخِرِ يُوَآدُّونَ منْ حادَّ الله ورسوله ولوْ كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشِيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيَّدهم بِرُوحٍ منْه ﴾[3] . وعلى هذا لا يحل لمسلم أن يقع في قلبه محبة ومودة لأعداء الله الذين هم أعداء له في الواقع . وقال تعالى

(١) لقمان ١٣
(٢) الممتحنة ١ .

﴿ **يا أيُّها الذين آمنوا لا تتَّخِذوا عدُوّي وعَدُوَّكم أولياءَ تُلقُونَ إليهم بالمَوَدَّةِ وقَدْ كَفَرُوا بما جاءكم مِن الحَقّ** ﴾[1] . أما كَوْن المسلم يعاملهم بالرفق واللين طمعا في إسلامهم وإيمانهم فهذا لا بأس به ، لأنه من باب التأليف على الإسلام ولكن إذا يأس منهم عاملهم بما يستحقون أن يعاملهم به . وهذا مفصل في كتب أهل العلم ولا سيما كتاب « أحكام أهل الذِّمَّة » لابن القيم رحمه الله .

١١٠ ـ ما حُكم مَوَدَّة الكفّار وتفضيلهم على المسلمين ؟

لا شك أنّ الذي يوادّ الكفار أكثر من المسلمين قد فعل محرّما عظيماً ، فإنه يجب أن يحب المسلمين ، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه ، أما أن يودّ أعداء الله أكثر من المسلمين فهذا خطر عظيم ، وحرام عليه ، بل لا يجوز أن يودّهم ولو أقل من المسلمين لقوله تعالى : ﴿ **لا تَجِدُ قَوْماً يُؤمِنون باللهِ واليومِ الآخِرِ يُوَادُّون مَنْ حَادَّ اللهَ ورسولَه ولَوْ كانوا آباءَهم أو أبناءَهم أو إخوانَهم أو عَشِيرَتَهم أولئك كَتَبَ في قلوبِهم الإيمانَ وأيَّدَهم برُوحٍ مِنه ويُدخلهم جنّات تجري مِن تحتها الأنهارُ خالدين فيها رضي اللهُ عنهم ورضُوا عنه أولئك حِزْبُ اللهِ ألاَ إنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ المفلحون** ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ **يا أيُّها الذين آمنوا لا تتَّخِذوا عَدُوّي وعَدُوَّكم أولياءَ تُلقُون إليهم بالمَوَدَّةِ وقَدْ كَفَرُوا بما جاءكم مِن**

---

(١) المجادلة ٢٢

(٢) المجادلة ٢٢

الحَقّ ﴾[1] . وكذلك أيضا مَنْ أثنى عليهم ومدحهم وفضّلهم على المسلمين في العمل وغيره ، فإنه قد فعل إثماً ، وأساء الظن بإخوانه المسلمين ، وأحسن بمن ليسوا أَهْلاً لإحسانِ الظنّ . والواجب على المؤمن أن يقدّم المسلمين على غيرهم في جميع الشئون في الأعمال وفي غيرها ،وإذا حصل من المسلمين تقصير فالواجب عليه أن ينصحهم وأن يحذرهم وأن يبين لهم مَغَبَّة الظلم لعل الله أن يهديهم على يده :

١١١ ما حُكْم مُوَالاة الكفار ؟

موالاة الكفار بالموادة والمناصرة واتخاذهم بِطانة حرام مَنْهِي عنها بنص القرآن الكريم . قال الله تعالى : ﴿ **لا تَجِدُ قوماً يُؤمنون باللهِ واليومِ الآخِرِ يُوادّون مَنْ حآدَّ اللهَ ورسوله** ﴾[2] وقال الله تعالى : ﴿ **يا أَيُّها الذين آمنوا لا تَتَّخِذُوا الذين اتَّخذو دِينكم هُزُواً ولَعِباً من الذين أُوتوا الكتابَ مِن قبلكم والكفارَ أولياءَ واتَّقُوا الله إن كنتم مؤمنين** ﴾[3] وقال تعالى : ﴿ **يا أَيُّها الذين آمنوا لا تَتَّخِذُوا اليهودَ والنَّصَارى أولياءَ بعضُهم أولياءُ بَعْض ومَن يَتَوَلَّهم مِنكم فإنه مِنهم إنَّ اللهَ لا يَهْدِي القومَ الظالمين** ﴾[4] .

---

(١) الممتحنة ١ .

(٢) المجادلة ٢٢

(٣) المائدة ٥٧

(٤) المائدة ٥١ .

وقال تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لا تتَّخِذُوا بِطانةً مِن دُونِكم لا يَألُونكم خَبَالاً** ﴾[1] وأخبر أنه إذا لم يكن المؤمنون بعضهم أولياء بعض والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ، ويتميز هؤلاء عن هؤلاء فإنها تكون فتنة في الأرض وفساد كبير . ولا ينبغي أبدا أن يثق المؤمن بغير المؤمن مهما أظهر من المودة وأبدى من النصح فإن الله تعالى يقول عنهم : ﴿ **وَدُّوا لو تَكْفُرون كما كفرو فتكونون سَوَاءً** ﴾[2] ويقول سبحانه وتعالى لنبيه ﴿ **ولَن تَرْضى عَنك اليهود ولا النصارى حتى تتبعَ مِلَّتهم** ﴾[3] والواجب على المؤمن أن يعتمد على الله في تنفيذ شرعه ، وألا تأخذه فيه لومة لائم ، وألا يخاف من أعدائه فقد قال الله تعالى : ﴿ **إنَّما ذلكم الشيطانُ يُخوِّفُ أولياَءه فلا تخافوهم وخافونِ إن كنتم مؤمنين** ﴾[4] وقال تعالى : ﴿ **فَتَرى الذين في قلوبهم مرضٌ يُسارِعُون فيهم يقولون نَخْشى أن تُصيبنا دائرةٌ فعَسَى اللهُ أن يَأتِيَ بالفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِن عنده فيُصْبِحُوا على ما أَسَرُّوا في أنفسِهم نادمين** ﴾[5] .

وقال سبحانه : ﴿ **يا أيُّها الذين آمنوا إنَّما المَشْرِكُون نَجَسٌ فلا يَقْرَبُوا المسجدَ الحرامَ بعد عامِهِم هذا وإنْ خِفْتمُ عَيْلَةً فسوف يُغْنِيكم اللهُ مِن فَضْلِه إن شاءَ إنّ اللهَ عَلِيمٌ حَكِيم** ﴾[6] والله الموفق .

---

(١) ال عمران ١١٨
(٢) النساء ٨٩
(٣) البقرة ١٢٠
(٤) آل عمران ١٧٥ .
(٥) المائدة ٥٢
(٦) التوبة ٢٨

١١٢ ما حُكْم مخالطة المسلمين لغيرهم في أعيادهم ؟

مخالطة غير المسلمين في أعيادهم محرّمة لما في ذلك من الإعانة على الإثم والعدوان وقد قال الله تعالى : ﴿ **وتَعَاونوا على البرِّ والتّقْوى ولا تَعَاونوا على الإثْم والعُدْوَانِ** ﴾[1] . ولأن هذه الأعياد إن كانت لمناسبات دينية فإن مشاركتهم فيها تقتضي إقرارهم على هذه الديانة والرضاء بما هم عليه من الكفر ، وإذا كانت الأعياد لمناسبات غير دينية فإنه لو كانت هذه الأعياد في المسلمين ما أقيمت فكيف وهي في الكفار ؟ ! لذلك قال أهل العلم إنه لا يجوز للمسلمين أن يشاركوا غير المسلمين في أعيادهم لأن ذلك إقرار ورضا بما هم عليه من الدين الباطل ثم إنه معاونة على الإثم والعدوان .

واختلف العلماء فيما إذا أُهدى إليك أحدٌ من غير المسلمين هدية بمناسبة أعيادهم هل يجوز لك قبولها أو لا يجوز ؟ فمن العلماء من قال لا يجوز أن تقبل هديتهم في أعيادهم ، لأن ذلك عنوان الرضاء بها . ومنهم من يقول لا بأس به . وعلى كل حال إذا لم يكن في ذلك محظور شرعيّ وهو أن يعتقد المهدي إليك أنك راض بما هُم عليه فإنه لا بأس بالقبول وإلا فعدم القبول أولى . وهنا يحسن أن نذكر ما قاله ابن القيم رحمه الله في كتاب أحكام أهل الذمة ١ /٢٠٥ ، وأما التهنئة بشعائر الكفر المختصة به فحرام بالاتفاق مثل أن يهنئهم بأعيادهم وصومهم فيقول : عيد مبارك عليك ، أو تهنأ بهذا العيد ، ونحوه ، فهذا إن سلم

(١) المائدة ٢ .

قائله من الكفر فهو من المحرمات وهو بمنزلة أن يهنئه بسجوده للصليب .. وكثير ممن لا قَدَرَ للدين عنده يقع في ذلك ا . هـ .

١١٣ ما حكم السلام على غير المسلمين ؟

البَدْء بالسلام على غير المسلمين مُحرّم ولا يجوز ، لأن النبي ﷺ قال : لا تَبْدَأوا اليهودَ والنصارى بالسلامِ وإذا لَقِيتمُوهم في طريق فاضْطَرُّوهم إلى أضْيَقِه» ولكنهم إذا سلّموا وجب علينا أن نردّ عليهم لعموم قوله تعالى : ﴿ وإذا حُيِّيتُم بتَحِيَّةٍ فحَيُّوا بأَحْسَنَ منها أو رُدُّوها ﴾[1] وكان اليهود يُسَلِّمون على النبي ﷺ فيقولون « السَّامُ عليك يا محمدُ » والسّام بمعنى الموت ، يدعون على رسول الله ﷺ بالموت . فقال النبي عليه الصلاة والسلام «إنّ اليهود يقولون السَّامُ عليكم فإذا سَلَّموا عليكم فقولوا وعليكم». فإذا سلّم غير المسلم على المسلم وقال السام عليكم فإننا نقول وعليكم . وفي قوله ﷺ (وعليكم) دليل على أنهم إذا كانوا قد قالوا السلام عليكم فإن عليهم السلام فكما قالوا نقول لهم ، ولهذا قال بعض أهل العلم إن اليهودي أو النصراني أو غيرهم من غير المسلمين إذا قالوا بلفظ صريح « السلام عليكم » جاز أن نقول عليكم السلام .

ولا يجوز كذلك أن يُبدؤا بالتحية كأهلاً وسهلاً وما أشبهها لأن في ذلك إكراماً لهم وتعظيماً لهم ، ولكن إذا قالوا لنا مثل هذا فإننا نقول لهم مثل ما يقولون لأن الإسلام جاء بالعدل وإعطاء كل ذي حَقّ حقه ، ومن المعلوم أن المسلمين أعلى مكانة ومرتبة عند الله عزّ وجلّ فلا ينبغي أن يذلوا أنفسهم لغير المسلمين فيبدءوهم بالسلام .

(١) النساء : ٨٦ .

إذن فنقول في خلاصة الجواب : لا يجوز أن يبدأ غيرَ المسلمين بالسلام لأن النبي ﷺ نهى عن ذلك ، ولأن في هذا إذلالاً للمسلم حيث يبدأ بتعظيم غير المسلم ، والمسلم أعلى مرتبة عند الله عزّ وجلّ فلا ينبغي أن يذل نفسه في هذا . أما إذا سلّموا علينا فإننا نرد عليهم مثل ما سلموا .

وكذلك أيضا لا يجوز أن نبدأهم بالتحية مثل أهلاً وسهلاً ومرحبا وما أشبه ذلك لما في ذلك من تعظيمهم فهو كابتداء السلام عليهم .

١١٤ ـــــــ سئل فضيلة الشيخ : ورد في الحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هُريرة رضي اللّه عنه أن رسول اللّه ﷺ قال : « لا تَبْدَؤُوا الْيَهُودَ ولاَ النَّصَارَى بالسَّلاَمِ فإذا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ في طَرِيقٍ فاضْطَرُّوهُ إلى أَضْيَقِهِ » . أليس في العمل بهذا تنفير عن الدخول في الإسلام ؟

فأجاب بقوله : يجب أن نعلم أن أسدّ الدعاة في الدعوة إلى الله هو النبي عليه الصلاة والسلام ، وأن أحسن المرشدين إلى اللّه هو النبي ﷺ ، وأن أعلم الخلق بما يصلح الخلق هو النبي ﷺ . وإذا علمنا ذلك فإن أي فهم نفهمه من كلام الرسول ﷺ يكون مجانبًا للحِكْمة يجب

علينا أن نتهم هذا الفهم ، وأن نعلم أن فهمنا لكلام النبي ﷺ خطأ ؛ لكن ليس معنى ذلك أن نقيس أحاديث الرسول ﷺ بما ندركه من عقولنا ، وأفهامنا ؛ لأن عقولنا وأفهامنا قاصرة ، لكن هناك قواعد عامة في الشريعة يرجع إليها في المسائل الخاصة الفردية .

فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول : « لا تَبْدَؤُوا الْيَهُودَ والنَّصَارَى بالسَّلامِ فإذا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ في طَرِيقٍ فاضْطَرُّوهُ إلى أَضْيَقِه » والمعنى : لاتتوسعوا لهم إذا قابلكم حتى يكون لهم السَّعة ويكون الضيق عليكم ، بل استمروا في اتجاهكم وسيركم واجعلوا الضيق إن كان هناك ضيق على هؤلاء ، ومن المعلوم أن هدى النبي ﷺ ليس إذا رأى الكافر ذهب يزحمه إلى الجدار حتى يرصه على الجدار ، ما كان النبي ﷺ يفعل هذا باليهود في المدينة ، ولا أصحابه يفعلونه بعد فتوح الأمصار .

فالمعنى أنكم كما لاتبدؤونهم بالسلام لا تفسحوا لهم ، فإذا لقوكم فلا تتفرقوا حتى يعبروا ، بل استمروا على ما أنتم عليه واجعلوا الضيق عليهم إن كان في طريق ضيق ؛ وليس في الحديث تنفير عن الإسلام بل فيه إظهار لِعزَّة المسلم ، وأنه لا يذل لأحد إلا لربه عز وجل .

١١٥ سئل فضيلة الشيخ أعلى الله درجته في دار كرامته : هل يجوز لنا أن نبدأ الكفار بالسلام ؟ وكيف نرد عليهم إذا سَلَّمُوا علينا ؟

فأجاب بقوله : إن هؤلاءِ الذين يأتوننا من الشرق ومن الغرب ممن ليسوا مسلمين لا يحل لنا أن نبدأهم بالسلام ؛ لأن النبي ﷺ قال « لاتَبْدَؤُوا الْيَهُودَ ولا النَّصَارى بالسَّلام » رواه مسلم في صحيحه .

وإذا سلّموا علينا فإننا نرد عليهم بمثل ما سلموا علينا به لقوله تعالى : ﴿ وإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾[١] وسلامهم علينا بالتحية الإسلامية « السلام عليكم » لايخلو من حالين :

الحال الأولى : أن يفصحوا باللام فيقولوا « السلام عليكم » فلنا أن نقول :

عليكم السلام ، ولنا أن نقول : وعليكم .

الحال الثانية : إذا لم يفصحوا باللام مثل أن يقولوا « السام عليكم » فإننا نقول : « وعليكم » فقط ، وذلك لأن اليهود كانوا يأتون إلى رسول الله ﷺ فيسلمون عليه بقولهم « السام عليكم » غير مفصحين باللام والسام هو الموت ، يريدون الدعاء على النبي ﷺ بالموت ، فأمر

(١) النساء : ٨٦ .

النبي ﷺ أن نقول لهم « وعليكم » فإذا كانوا قالوا : « السام عليكم » فإننا نقول « وعليكم » يعني أنتم أيضًا عليكم السام هذا هو مادلت عليه السنة .

وأما أن نبدأهم نحن بالسلام فإن هذا قد نهانا عنه نبينا ﷺ .

١١٦ ـــــــــــ سُئل الشيخ : إذا سَلَّم الكافرُ على المسلم فهل يَرُدُّ عليه ؟ وإذا مَدَّ يَدَه للمصافحة فما الحُكْم ؟ وكذلك خدمته بإعطائه الشاى وهو على الكرسي ؟

إذا سلّم الكافر على المسلم سلامًا بيّنًا واضحًا فقال : « السلام عليكم » فإنك تقول : عليك السلام ، لقوله تعالى : ﴿ **وإذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا** ﴾[1] . أما إذا لم يكن بينًا واضحًا فإنك تقول : وعليك . وكذلك لو كان سلامه واضحًا يقول فيه السام عليكم يعني الموت فإنه يقال : وعليك .

فالأقسام ثلاثة :

الأول : أن يقول بلفظ صريح « السّام عليكم » . فيجاب : « وعليكم » .

(١) النساء : ٨٦ .

الثاني : أن نشك هل قال : « السّام » أو قال : « السلام » ، فيجاب : « وعليكم » .

الثالث : أن يقول بلفظ صريح : « السلام عليكم » . فيجاب : « عليكم السلام » . لقوله تعالى : ﴿ وإذا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾ .

قال ابن القيم – يرحمه الله تعالى – : فلو تحقق السمع أن الذي قال له : سلام عليكم لا شك فيه ، فهل له أن يقول : وعليك السلام أو يقتصر على قوله وعليك ؟ فالذي تقتضيه الأدلة وقواعد الشريعة أن يقال له : وعليك السلام . فإن هذا من باب العدل ، والله تعالى يأمر بالعدل والإحسان ، وقد قال تعالى : ﴿ وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها ﴾ . فندب إلى الفضل ، وأوجب العدل ، ولا ينافي هذا شيئًا من أحاديث الباب بوجه ما فإنه ﷺ إنما أمر بالاقتصار على قول الرادّ « وعليكم » بناء على السبب المذكور الذي كانوا يعتمدونه في تحيتهم ، ثم قال ابن القيم والاعتبار وإن كان لعموم اللفظ فإنما يعتبر عمومه في نظير المذكور لا فيما يخالفه . قال الله تعالى : ﴿ وإذَا جَاءوكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يحَيِّكَ بِهِ الله ويَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا الله بِمَا نَقُولُ ﴾[1] . فإذا زال هذا السبب ، وقال الكِتَابي : « سلام عليكم ورحمة الله » فالعدل في التحية أن يرد عليه نظير سلامه . أ . هـ . ٢٠٠ /١ أحكام أهل الذمة . وفي صحيح البخاري عن ابن عمر –

(١) المجادلة : ٨ .

رضي الله عنهما – أن النبي ﷺ قال : « إذا سَلَّمَ عَلَيْكُمُ الْيَهُودُ فإنَّمَا يَقُولُ أَحَدُهُمْ السَّامُ عَلَيْكُمْ ، فقولوا وعَلَيْكَ » . والسام هو الموت .

وإذا مدّ يده إليك للمصافحة فمد يدك وإلا فلا تبدأه . وأما خدمته بإعطائه الشاي وهو على الكرسي فمكروه ، لكن ضع الفنجال على الماصة ولا حَرَج .

١١٧ ———— ما حكم السلام على المسلم بهذه الصيغة « السَّلامُ على مَن اتَّبَعَ الهُدى » ؟

لا يجوز أن يسلّم الإنسان على المسلم بقوله « السلام على من اتبع الهدى » لأن هذه الصيغة إنما قالها الرسول ﷺ حين كتب إلى غير المسلمين ، وأخوك المسلم قل له : « السلام عليكم » . أما أن تقول « السلام على من اتبع الهدى » فمقتصى هذا أن أخاك هذا ليس ممن اتبع الهدى ، وإذا كانوا مسلمين ونصارى فإنه يسلم عليهم بالسلام المعتاد يقول السلام عليكم يقصد بذلك المسلمين .

١١٨ ———— ما حكم السفر إلى بلاد الكفار ؟ وحكم السفر للسياحة ؟

السفر إلى بلاد الكفار لا يجوز إلا بثلاثة شروط :

الشرط الأول : أن يكون عند الإنسان علم يدفع به الشبهات

الشرط الثاني: أن يكون عنده دين يمنعه من الشهوات .

الشرط الثالث : أن يكون محتاجا إلى ذلك .

فإن لم تتم هذه الشروط فإنه لا يجوز السفر إلى بلاد الكفار لما في ذلك من فتنة أو خوف الفتنة وفيه إضاعة المال لأن الإنسان ينفق أموالاً كثيرة في هذه الأسفار .

أما إذا دعت الحاجة إلى ذلك لعلاج أو تلقي علم لا يوجد في بلده وكان عنده علم ودين على ما وصفنا فهذا لا بأس به .

وأما السفر للسياحة في بلاد الكفار فهذا ليس بحاجة ، وبإمكانه أن يذهب إلى بلاد إسلامية يحافظ أهلها على شعائر الإسلام ، وبلادنا الآن والحمد لله أصبحت بلادا سياحية في بعض المناطق فبإمكانه أن يذهب إليها ويقضي زمن إجازته فيها .

١١٩ ـــــــــــ ما حكم الإقامة في بلاد الكفار ؟

الإقامة في بلاد الكفار خطر عظيم على دين المسلم وأخلاقه وسلوكه وآدابه ، وقد شاهدنا وغيرُنا انحراف كثير ممن أقاموا هناك فرجعوا بغير ماذهبوا به ، رجعوا فُسّاقا ، وبعضهم رجع مرتدا عن دينه وكافراً به وبسائر الأديان -والعياذ بالله- حتى صاروا إلى الجحود المطلق والاستهزاء بالدين وأهله السابقين منهم واللاحقين . ولهذا كان ينبغي بل يتعين التحفظ من ذلك ووضع الشروط التي تمنع من الهويّ في تلك

المهالك . فالإقامة في بلاد الكفر لابد فيها من شرطين أساسيين :

الشرط الأول : أمن المقيم على دينه بحيث يكون عنده من العلم والإيمان وقوة العزيمة وما يطمئنه على الثبات على دينه والحذر من الانحراف والزيغ ، وأن يكون مضمراً لعداوة الكافرين وبغضهم مبتعدًا عن موالاتهم ومحبتهم فإن موالاتهم ومحبتهم مما ينافي الإيمان . قال الله تعالى : ﴿ **لا تجدُ قوما يؤمنون بالله واليوم الآخرِ يُوآدُّون منْ حآدَّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءَهم أو إخوانهم أو عشيرَتهم** ﴾[1] الآية . وقال تعالى : ﴿ **يا أيُّها الذين آمنوا لا تتخذُوا اليهود والنصارى أولياءَ بعضُهم أولياءُ بعضٍ ومن يَتَوَلهم منكم فإنّه منهم إنّ اللهَ لا يَهْدِي القومَ الظالمين . فترى الذين في قلوبهم مرَضٌ يُسارِعون فيهم يقولون نخْشَى أن تُصِيبنَا دائرةٌ فعَسى اللهُ أن يأْتيَ بالفَتْح أوْ أمْرٍ من عنده فيُصْبحُوا على ما أسرُّوا في أنفُسهم نادمين** ﴾[2] وثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أن « مَنْ أَحبّ قوماً فهو منهم » وأن « المَرْءُ مع مَنْ أَحَبَّ » .

ومحبة أعداء الله من أعظم ما يكون خطراً على المسلم لأن محبتهم تستلزم موافقتهم واتباعهم أو على الأقل عدم الإنكار عليهم ولذلك قال النبي ﷺ « مَنْ أَحبّ قوماً فهو منهم » .

---

(١) المجادلة ٢٢

(٢) المائدة ٥١ - ٥٢ .

الشرط الثاني : أن يتمكن من إظهار دينه ، بحيث يقوم بشعائر الإسلام بدون ممانع ، فلا يُمنع من إقامة الصلاة والجمعة والجماعات إن كان معه من يصلي جماعة ومن يقيم الجمعة ، ولا يُمنع من الزكاة والصيام والحج وغيرها من شعائر الدين ، فإن كان لا يتمكن من ذلك لم تجز الإقامة لوجوب الهجرة حينئذ ، قال في المغني ص ٤٥٧ جـ٨ في الكلام على أقسام الناس في الهجرة : أحدها : مَنْ تجب عليه وهو من يقدر عليها ولا يمكنه إظهار دينه ، ولا تمكنه إقامة واجبات دينه مع المقام بين الكفار ، فهذا تجب عليه الهجرة لقوله تعالى : ﴿ **إنّ الذين توَفّاهم الملائكةُ ظالمي أنفسِهم قالوا فِيمَ كُنتم قالوا كُنّا مُسْتَضْعَفِين في الأرضِ قالوا ألم تَكُنْ أَرْضُ اللهِ واسعةً فتُهَاجِرُوا فيها فأولئك مأواهم جَهَنّمُ وسَاءتْ مَصِيراً** ﴾[1] وهذا وعيد شديد يدل على الوجوب ، ولأن القيام بواجب دينه واجب على من قدر عليه ، والهجرة من ضرورة الواجب وتتمته ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب . ا . هـ ، وبعد تمام هذين الشرطين الأساسيين تنقسم الإقامة في دار الكفر إلى أقسام :

القسم الأول : أن يقيم للدعوة إلى الإسلام والترغيب فيه فهذا نوع من الجهاد فهي فرض كفاية على من قَدَر عليها بشرط أن تتحقق الدعوة وأن لا يوجد من يمنع منها أو من الاستجابة إليها . لأن الدعوة إلى الإسلام من واجبات الدين وهي طريقة المرسلين وقد أمر النبي ﷺ بالتبليغ عنه في كل زمان ومكان فقال ﷺ « بَلّغُوا عَنّي ولو آيةً » ،

القسم الثاني : أن يقيم لدراسة أحوال الكافرين والتعرف على ما هم عليه من فساد العقيدة وبطلان التعبد وانحلال الأخلاق وفوضوية

(١) النساء ٩٧ .

السلوك ، ليحذّر الناس من الاغترار بهم ويبينّ للمعجبين بهم حقيقة حالهم ، وهذه الإقامة نوع من الجهاد أيضا لما يترتب عليها من التحذير من الكفر وأهله المتضمن للترغيب في الإسلام وهَدْيه لأن فساد الكفر دليل على صلاح الإسلام ، كما قيل وبضدها تتبين الأشياء . لكن لابد من شرط أن يتحقق مراده بدون مفسدة أعظم منه ، فإن لم يتحقق مراده بأن مُنع من نشر ما هم عليه والتحذير منه فلا فائدة من إقامته ، وإن تحقق مراده مع مفسدة أعظم مثل أن يقابلوا فعله بسَبِّ الإسلام ورسول الإسلام وأئمة الإسلام وجب الكَفّ لقوله تعالى : ﴿ **ولا تَسُبُّوا الذين يَدْعونَ مِن دون الله فيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بغَيْرِ عِلْم كذلك زَيَّنا لكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهم ثُمَّ إلى رَبِّهم مَرْجِعُهم فينبئهم بما كانوا يعملون** ﴾[1] . ويشبه هذا أن يقيم في بلاد الكفر ليكون عَيْناً للمسلمين ليعرف ما يدبّروه للمسلمين من المكايد فيَحْذَرَهم المسلمون ، كما أرسل النبي ﷺ حذيفة بن اليمان إلى المشركين في غزوة الخندق ليعرف خبرهم .

القسم الثالث : أن يقيم لحاجة الدولة المسلمة وتنظيم علاقاتها مع دولة الكفر كموظفى السفارات فحكمها حكم ما أقام من أجله .

الملحق الثقافي مثلا يقيم فيرعى شئون الطلبة ويراقبهم ويحملهم على التزام دين الإسلام وأخلاقه وآدابه ، فيحصل بإقامته مصلحة كبيرة يندرىء بها شر كبير .

القسم الرابع : أن يقيم لحاجة خاصة مباحة كالتجارة والعلاج فتباح الاقامة بقدر الحاجة وقد نص أهل العلم رحمهم الله على جواز دخول بلاد الكفار للتجارة ، وأثروا ذلك عن بعض الصحابة رضي الله عنهم .

(١) الأنعام ١٠٨ .

القسم الخامس : أن يقيم للدراسة وهي من جنس ما قبلها إقامة لحاجة لكنها أخطر منها وأشد فتكا بدين المقيم وأخلاقه ، فإن الطالب يشعر بدنو مرتبته وعلو مرتبة معلميه فيحصل من ذلك تعظيمهم والاقتناع بآرائهم وأفكارهم وسلوكهم فيقلدهم إلا إن شاء الله عصمته وهم قليل ، ثم إن الطالب يشعر بحاجته إلى معلمه فيؤدي ذلك إلى التودد إليه ومداهنته فيما هو عليه من الإنحراف والضلال . والطالب في مقر تعلمه له زملاء يتخذ منهم أصدقاء يحبهم ويتولاهم ويكتسب منهم ، ومن أجل خطر هذا القسم وجب التحفظ فيه أكثر مما قبله فيشترط فيه بالإضافة إلى الشرطين الأساسيين شروط :

الشرط الأول : أن يكون الطالب على مستوى كبير من النضوج العقلي الذي يميز به بين النافع والضار وينظر به إلى المستقبل البعيد ، فأما بعث الأحداث « صغار السن » وذوي العقول الصغيرة فهو خطر عظيم على دينهم وخلقهم وسلوكهم ، ثم هو خطر على أمتهم التي سيرجعون إليها وينفثون فيها السموم التي نهلوها من أولئك الكفار كما شهد ويشهد به الواقع ، فإن كثيرا من أولئك المبعوثين رجعوا بغير ما ذهبوا به ، رجعوا منحرفين في ديانتهم وأخلاقهم وسلوكهم ، وحصل عليهم وعلى مجتمعهم من الضرر في هذه الأمور ما هو معلوم مشاهد وما مثل بَعْث هؤلاء إلا كمثل تقديم النعاج للكلاب الضارية .

الشرط الثاني : أن يكون عند الطالب من علم الشريعة ما يتمكن به من التمييز بين الحق والباطل ومقارعة الباطل بالحق ؛ لئلا ينخدع بما هم عليه من الباطل فيظنه حقا أو يلتبس عليه أو يعجز عن دفعه فيبقى حيران أو يتبع الباطل .

وفي الدعاء المأثور « اللهمَّ أَرِني الحقَّ حقًّا وارْزُقْني اتِّبَاعَه ، وأَرِني الباطلَ باطلاً وارْزُقْني اجتنابَه ولا تَجْعَلْه مُلْتَبِساً عليَّ فأَضِلَّ » .

الشرط الثالث : أن يكون عند الطالب دين يحميه ويتحصن به من الكفر والفسوق ، فضعيف الدين لا يسلم مع الإقامة هناك إلا أن يشاء الله ، وذلك لقوة المهاجم وضَعْف المقاوم . فأسباب الكفر والفسوق هناك قوية وكثيرة متنوعة فإذا صادفت محلا ضعيف المقاومة عملت عملها .

الشرط الرابع : أن تدعوا الحاجة إلى العلم الذي أقام من أجله بأن يكون في تعلمه مصلحة للمسلمين ولا يوجد له نظير في المدارس في بلادهم فإن كان من فضول العلم الذي لا مصلحة فيه للمسلمين ، أو كان في البلاد الإسلامية من المدارس نظيره ، لم يجز أن يقيم في بلاد الكفر من أجله لما في الإقامة من الخطر على الدين والأخلاق وإضاعة الأموال الكثيرة بدون فائدة .

القسم السادس : أن يقيم للسكن وهذا أخطر مما قبله وأعظم ، لما يترتب عليه من المفاسد بالاختلاط التام بأهل الكفر ، وشعوره بأنه مواطن ملتزم بما تقتضيه الوطنية من مودة وموالاة وتكثير لسواد الكفار ، ويتربى أهله بين أهل الكفر فيأخذون من أخلاقهم وعاداتهم ، وربما قلدوهم في العقيدة والتعبد ولذلك جاء في الحديث عن النبي ﷺ : « مَنْ جَامَعَ المُشْرِكَ وسَكَنَ مَعَهُ فهَوُ مِثْلُه » . وهذا الحديث وإن كان ضعيف السند لكن له وجهة نظر ، فإن المساكنة تدعوا إلى المشاكلة . وعن قيس بن أبي حازم عن جَرِير بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي

ﷺ قال: « أنا بَرِيءٌ مِنْ كُلِّ مُسْلِمٍ يُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِ المشركين ، قالوا : يا رسول الله ولِمَ ؟ قال : لا تَرَاءى نارُهُما » رواه أبو داود والترمذي وأكثر الرواة رووه مرسلاً عن قيس بن أبي حازم عن النبي ﷺ . قال الترمذي سمعت محمداً - يعني البخاري - يقول الصحيح حديث قيس عن النبي ﷺ مرسل . ا . هـ . وكيف تطيب نفس مؤمن أن يسكن في بلاد كفار تعلن فيها شعائر الكفر ويكون الحكم فيها لغير الله ورسوله وهو يشاهد ذلك بعينه ويسمعه بأذنيه ويرضى به ، بل ينتسب إلى تلك البلاد ويسكن فيها بأهله وأولاده ويطمئن إليها كما يطمئن إلى بلاد المسلمين مع ما في ذلك من الخطر العظيم عليه وعلى أهله وأولاده في دينهم وأخلاقهم .

هذا ما توصلنا إليه في حكم الإقامة في بلاد الكفر نسأل الله أن يكون موافقا للحق والصواب .

١٢٠ وسئل الشيخ : عن مِقياس التَّشَبُّه بالكفار ؟

فأجاب بقوله : مقياس التشبه أن يفعل المُتَشَبِّه ما يختص به المُتَشَبَّه به ، فالتشبه بالكفار أن يفعل المسلم شيئًا من خصائصهم ، أما ما انتشر بين المسلمين وصار لا يتميز به الكفار فإنه لا يكون تشبهًا ، فلا يكون حرامًا من أجل أنه تشبه ، إلا أن يكون مُحرمًا من جهة أخرى . وهذا الذي قلناه هو مقتضى مدلول هذه الكلمة . وقد صرح بمثله صاحب الفتح حيث قال ص٢٧٢ ج١٠ « وقد كره بعض السلف لُبْسَ الْبُرْنُسَ لأنه كان من لباس الرُّهْبان ، وقد سئل مالك عنه فقال : لا بأس به . قيل : فإنه من لبوس النصارى ، قال كان يلبس ههنا » . أ . هـ . قلت : لو استدل مالك بقول النبي ﷺ حين سُئل ما يلبس المُحْرِم ، فقال : « لا يَلْبَسِ الْقَمِيصَ ، ولا السَّرَاوِيلَ ، ولا الْبَرَانِسَ » الحديث لكان أولى .

وفي الفتح أيضًا ص٣٠٧ ج١ : وإن قلنا النهي عنها (أي عن المياثر الأرجوان) من أجل التشبّه بالأعاجم فهو لمصلحة دينية ، لكن كان ذلك شعارهم حينئذ وهو كفار ، ثم لما لم يصر الآن يختص بشعارهم زال ذلك المعنى ، فتزول الكراهة . والله أعلم . أ . هـ .

١٢١ ــــــــ سئل : عن حُكْم تهنئة الكُّفار بعيد الْكِرِيسْمَس ؟ وكيف نردّ عليهم إذا هَنَّؤُنا بها ؟ وهل يجوز الذّهاب إلى أماكن الحفلات التي يقيمونها بهذه المناسبة ؟ وهل يأثم الإنسان إذا فعل شيئًا مما ذُكر بغير قصد ؟ وإنما فعله إماَ مجاملة أو حياءً أو إحراجا أو غير ذلك من الأسباب ؟ وهل يجوز التشبّه بهم في ذلك ؟

فأجاب فضيلته بقوله : تهنئة الكفار بعيد الكريسمس أو غيره من أعيادهم الدينية حرام بالاتفاق ، كما نقل ذلك ابن القيم – يرحمه الله – في كتابه (أحكام أهل الذمة) ، حيث قال : « وأما التهنئة بشعائر الكفر المختصة به فحرام بالاتفاق ، مثل أن يهنئهم بأعيادهم وصومهم ، فيقول : عيد مبارك عليك ، أو تهنأ بهذا العيد ونحوه ، فهذا إن سلم قائله من الكفر فهو من المحرمات وهو بمنزلة أن يهنئه بسجوده للصليب بل ذلك أعظم إثمًا عند الله ، وأشد مقتًا من التهنئة بشرب الخمر وقتل النفس ، وارتكاب الفَرْج الحرام ونحوه . وكثير ممن لا قدْر للدين عنده يقع في ذلك ، ولا يدري قُبْح ما فعل ، فمَنْ هنّأ عبدًا بمعصية أو بدعة ، أو كفر فقد تعرّض لمقت الله وسخطه » . انتهى كلامه – يرحمه الله – .

وإنما كانت تهنئة الكفار بأعيادهم الدينية حرامًا وبهذه المثابة التي ذكرها ابن القيم لأن فيها إقرارًا لما هم عليه من شعائر الكفر ، ورِضى به لهم ، وإن كان هو لا يرضى بهذا الكفر لنفسه ، لكن يحرم على المسلم أن يرضى بشعائر الكفر أو يهنىء بها غيره ، لأن الله تعالى لا يرضى بذلك كما قال الله تعالى : ﴿ **إن تكْفُرُوا فإنَّ الله غنيّ عَنكُمْ ولا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وإن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ** ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نعْمَتِي ورَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا** ﴾[2] . وتهنئتهم بذلك حرام سواء كانوا مشاركين للشخص في العمل أم لا .

وإذا هنؤونا بأعيادهم فإننا لا نجيبهم على ذلك لأنها ليست بأعياد لنا ، ولأنها أعياد لا يرضاها الله تعالى ، لأنها إما مبتدعة في دينهم ، وإما مشروعة ، لكن نسخت بدين الإسلام الذي بعث الله به محمدًا ﷺ إلى جميع الخلق ، وقال فيه : ﴿ **ومَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾[3] .

وإجابة المسلم دعوتهم بهذه المناسبة حرام ، لأن هذا أعظم من تهنئتهم بها لما في ذلك من مشاركتهم فيها .

وكذلك يحرم على المسلمين التشبه بالكفار بإقامة الحفلات بهذه المناسبة ، أو تبادل الهدايا أو توزيع الحلوى ، أو أطباق الطعام أو تعطيل

---

(١) الزمر : ٧ .

(٢) المائدة : ٣ .

(٣) آل عمران : ٨٥ .

الأعمال ونحو ذلك لقول النبي ﷺ : « مَنْ تَشَبَّه بِقَوْمٍ فهُوَ مِنْهُمْ » . قال شيخ الأُسلام ابن تيمية في كتابه : (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم) : مشابهتم في بعض أعيادهم توجب سرور قلوبهم بما هم عليه من الباطل ، وربما أطمعهم ذلك في انتهاز الفرص واستذلال الضعفاء » انتهى كلامه – يرحمه الله – .

ومن فعل شيئًا من ذلك فهو آثم سواء فعله مجاملة أو توددًا أو حياءً أو لغير ذلك من الأسباب لأنه من المداهنة في دين الله ، ومن أسباب تقوية نفوس الكفار وفخرهم بدينهم .

والله المسئول أن يعز المسلمين بدينهم ، ويرزقهم الثبات عليه ، وينصرهم على أعدائهم ، إنه قويّ عزيز .

١٢٢ ـــــــ إن للمدينة المنورة حَرَمًا كما لمكة المكرمة لقوله عليه الصَّلاة والسَّلام : «إن إبراهيم حَرَّم مكة وإنِّي حَرمت المدينة . .» الحديث ويحتج البعض بالضرورة لإدخال المُشْرك أو الكافر إلى المدينة المنورة كأن يكون مهندسًا استشاريًا أو مهندسًا لإصلاح الهاتف أو غير ذلك فما رأي الدين في ذلك ؟

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجِسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ المسجد الحَرام بَعْدَ عَامِهِم هَذَا ﴾[1] وكما هو معروف أنَّ المسجد الحرام هو مكة المكرمة أمَّا المدينة فلا تَدْخل في هذا . لكن إبْعَادُ الكَافرين والمُشْركين عن جزيرة العرب كلها هو الذي يَنْبغي لقول النَّبي ﷺ : «أخْرِجُوا المُشْرِكِين من جَزيرَة العَرب» وقوله : «لأخرِجَنَّ اليَهُودَ والنَّصارى من جَزيرِة العَرَب حتَّى لا أدعُ إلَّا مُسْلِمًا» وقوله : أخْرِجُوا اليهود والنَّصارى مِن جَزِيرة العَرَب» .

فكل هذه النُصوص تدل على أنَّ رسول الله ﷺ لا يُحبُّ أنْ يُبْقِي في هذه الجزيرة من لَيْس بمُسْلم لأنَّها لها شأن خاص - فهي المبعث للإسلام وهي المُنْتهى للإسلام كما ثَبتَ في الحديث : «إنَّ الإيمَانَ لَيَأْرِزُ إلى المَدينةِ كَمَا تَأْرِزُ الحَيَّةُ إلى جُحْرِهَا» فإذا كان كذلك فلا ينبغي أن يُمَكَّن غير المسلمين من دخول الجزيرة كلها ولكن للضرورات أحكام تُنَاط بها .

وإن الحديث في حَرام المدينة يُحْمل أنَّها لا شك لَهَا حرم وهو القول الذِي عليه جمهور أهْل العلم ولكن لا يَعْني أنهَا تدخل في لفظ المَسْجد الحرام وذلك بالإجماع .

ولكننا نقول إن الحكومة اتَّخذت احْتياطات في هذا الأمر ولابد أنَّها مُسْتَندة لفتوى من أهل العلم في هذا الباب .

---

(١) التوبة : ٢٨

وأيضا ينْبغي أن يُعْلم بأنَّ الرَّسول عليه الصلاة والسلام توفي ودرعه مَرْهونة عند يَهُودي .

١٢٣ ـــــــ هل يجوز استقدام الأيدي العاملة من غير المسلمين ؟

لا ريب أن النَّبي ﷺ أمر بإخراج المشركين من جزيرة العرب وأمر بإخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب وقال : «لأُخرجَنّ اليَهُودَ وَالنَّصَارى مِن جَزِيَرة الْعَرَبِ حَتَّى لَا أَدَعَ إلاّ مُسْلِمًا» وهذه الأحاديث تَدُلُّ على أن هدي النبي ﷺ أن تَبْقى جزيرة العرب ليس فيها إلا مسلم لما في وجود النَّصارى وغيرهم من الكفار في الجزيرة من الخطر . وهذه الجزيرة منها بدأ الإسلام وانتشر في أرجاء العالم وإليها يعود كما ثبت في الصحيح من «أَنَّ الإيمانَ يَأْرِزُ إلى المدينة كَمَا تَأْرِزُ الحيَّة إلى جُحْرِها» وإذا كان كذلك فإن استقدام غير المسلمين إلى هذه الجزيرة فيه خطر عظيم ولو لم يكن من خطره ومَضَرَّته إلَّا أن المُسْتَقْدِم لهم يألفهم ويركن إليهم وربما يقع في قلبه مَحَبَّة لهم وتَوَدُّد إليهم وقد قال الله تعالى : ﴿ **لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بالله وَاليَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ الله وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُواْ آباءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخوانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ** ﴾[1] . وربما يَشْتَبه عليه الحق بالباطل فيظن أنهم إخوة لنا ويطلق عليهم إخوة ويدّعي بما يوحي به

(١) المجادلة : ٢٢

الشيطان أنهم إخوة لنا في الإنسانية وهذا ليس بصحيح فإن الأخوة الإيمانية هي الأخوة الحقيقية ومع اختلاف الدين لا أخوة حتى إن الله عز وجل لما قال نوح ﴿ **رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ** ﴾[1]. قال: ﴿ **يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ** ﴾[2].. وقد قطع النبي ﷺ الصلة بين المؤمنين والكافرين حتى في الميراث بعد الموت، فقال: «لَا يَرِثُ الْمُسْلِمُ الْكَافِرَ وَلَا الْكَافِرُ الْمُسْلِمَ» وَإِذَا كَانَ الأمر هكذا فإن الاحتكاك بغير المسلمين واستقدامهم ومشاركتهم في الأعمال وفي الأكل والشرب والذهاب والمجيء كل هذا ربما يميت الغيرة في قلوب المسلمين حتى يألفوا من قال الله تعالى فيهم: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ** ﴾[3].

١٢٤ سئل الشيخ: عن حكم استقدام العمال الكفار؟ وحكم تقديم الطعام لهم؟

فأجاب – بقوله: المسلمون خير من الكافرين، لقول الله تعالى: ﴿ **وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ** ﴾[4]. ولكن لا بأس من استقدام غير المسلمين للحاجة.

---

(١) هود: ٤٥

(٢) هود: ٤٦

(٣) ممتحنة.

وأما تقديم الطعام لهم فإن كان على سبيل الخدمة بأن يكون يخدمهم في بيتهم ونحوه فلا ينبغي ، بل ذكر فقهاؤونا كراهة ذلك . وإن كان على غير هذا الوجه مثل أن تقدمه لهم من بيتك فلا حرج فيه لأن الحاجة داعية له .

١٢٥ ــــــــــ وسُئل : عن حكم استقدام غير المسلمين إلى الجزيرة العربية ؟

فأجاب فضيلته بقوله : استقدام غير المسلمين إلى الجزيرة العربية أخشى أن يكون من المشاقّة لرسول الله ﷺ حيث صحّ عنه في صحيح البخاري أنه قال في مرض موته : « أَخْرِجُوا الْمشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرةِ الْعَرَبِ » في صحيح مسلم أنه قال : « لَأُخْرِجَنَّ الْيَهُودَ والنَّصَارَى مِنْ جَزِيرةِ الْعَرَبِ حَتَّى لَا أَدَعُ إِلَّا مُسْلِمًا » .

لكن استقدامهم للحاجة إليهم بحيث لا نجد مسلمًا يقوم بتلك الحاجة جائز بشرط أن لا يمنحوا إقامة مطلقة .

وحيث قلنا جائز فإنه إن ترتب على استقدامهم مفاسد دينية في العقيدة أو الأخلاق صار حرامًا ، لأن الجائز إذا ترتب عليه مفسدة صار محرَّمًا تحريم الوسائل كما هو معلوم . ومن المفاسد المترتبة على ذلك ما يخشى من محبتهم والرضا بما هم عليه من الكفر ، وذهاب الْغَيْرةَ الدينية بمخالطتهم . وفي المسلمين – ولله الحمد – خير وكفاية ، نسأل الله الهداية والتوفيق .

١٢٦ سُئل الشيخ : عن حكم قول (أخي) لغير المسلم ؟ وكذلك قول صديق ورفيق ؟ وحكم الضحك إلى الكفار لطلب المودة ؟

فأجاب بقوله : أما قول : « يا أخي » لغير المسلم فهذا حرام ، ولا يجوز إلا أن يكون أخًا له من النسب أو الرضاع ، وذلك لأنه إذا انتفت أخوة النّسب والرّضاع لم يبق إلا أخوة الدين ، والكافر ليس أخًا للمؤمن في دينه ، وتذكّرْ قَوْل نبي الله تعالى نوح : ﴿ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ . قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ﴾[1] .

وأما قول : « صديق رفيق » ونحوهما فإن كانت كلمة عابرة يقصد بها نداء من جهل اسمه منهم فهذا لا بأس به ، وإن قصد بها معناها توددًا وتقربًا منهم فقد قال الله تعالى : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ والْيَوْمِ الآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ ورَسُولَهُ ولَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أوعَشِيرَتَهُمْ ﴾[2]. فكل كلمات التلطف التي يُقصد بها الموادّة لا يجوز للمؤمن أن يُخاطب بها أحدًا من الكفار .

---

(١) هود : ٤٥ : ٤٦ .

(٢) المجادلة : ٢٢ .

وكذلك الضحك إليهم لطلب المودّة بينهم كما علمت من الآية الكريمة .

١٢٧ ـــــــــ فضيلة الشيخ محمد الصالح العثيمين السلام عَليكم ورحمة الله وبركاته : هل يجوز لي أن أذهب إلى قِسٍّ لأهنئه بسلامة الوصول والعودة ؟

عليكم السلام ورحمة الله وبركاته . . .

لا يجوز الذهاب إلى أحد من الكفار عند قدومه للتهنئة بوصوله والسلام عليه لأنه ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : «لا تبدؤوا اليهود ولا النصارى بالسلام» . وأما ذهاب النبي ﷺ لليهودي الذي كان مريضًا فإن هذا اليهودي كان غلامًا يخدم النبي ﷺ فلما مرض عاده النبي ﷺ ليعرض عليه الإسلام فعرضه عليه فأسلم فأين هذا الذي يعوده ليعرض عليه الإسلام من شخص زار قسًّا ليهنئه بسلامة الوصول ويرفع من معنويته لا يمكن أن يقيس هذا على ذَاك إلا جاهل أو صاحب هوى .

١٢٨ ـــــــــ هَلْ يَجُوز البَقاءُ لي بَيْن قوم يَسُبُّون الله عزَّ وجلَّ ؟

لا يجوز البقاء بين قوم يسبون الله عز وجل لقوله تعالى : ﴿ وَقَدْ نَزلَ عَلَيْكُم فِي الْكِتَاب أَن إِذَا سَمِعْتُم آيات الله يُكفر بِهَا ويُستهْزأ

بِهَا فَلَا تَقْعدواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضوا فِي حَدِيثٍ غَيْره إِنَّكُم إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ الله جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِين فِي جَهَنَّمَ جَمِيعا ﴾[1] .

١٢٩ ــــــــ سئل الشيخ : شخص يعمل مع الكفار فبماذا تنصحونه ؟

فأجاب بقوله : ننصح هذا الأخ الذي يعمل مع الكفار ، أن يطلب عملًا ليس فيه أحد من أعداء الله ورسوله ممن يدينون بغير الإسلام ، فإذا تيسر فهذا هو الذي ينبغي ، وإن لم يتيسر فلا حرج عليه لأنه في عمله وهم في عملهم ، ولكن بشرط أن لا يكون في قلبه مودة لهم ومحبة وموالاة ، وأن يلتزم ما جاء به الشرع فيما يتعلق بالسلام عليهم ورَدّ السلام ونحو هذا . وكذلك أيضًا لايُشَيِّع جنائزَهم ولا يحضرها ، ولا يشهد أعيادَهم ، ولا يهنئهم بها .

١٣٠ ــــــــ سئل الشيخ : كيف نستفيد مما عند الكفار دون الوقوع في المحظور ؟ وهل للمصالح المرسلة دخل في ذلك ؟

فأجاب رفع الله درجته بقوله : الذي يفعله أعداء اللَّه وأعداؤنا وهم الكفار ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

---

(١) النساء : ١٤٠

القسم الأول : عبادات .

القسم الثاني : عادات .

القسم الثالث : صناعات وأعمال .

أما العبادات : فمن المعلوم أنه لا يجوز لأي مسلم أن يتشبه بهم في عباداتهم ، ومن تشبه بهم في عباداتهم فإنه على خطر عظيم فقد يكون ذلك مؤديًا إلى كفره وخروجه من الإسلام .

وأما العادات : كاللِّباس وغيره فإنه يحرم أن يتشبه بهم لقول النبي ﷺ « مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ » .

وأما الصناعات والحرف : التي فيها مصالح عامة فلا حرج أن نتعلم مما صنعوه ونستفيد منه ، وليس هذا من باب التشبه ، ولكنه من باب المشاركة في الأعمال النافعة التي لا يُعَدُّ مَنْ قام بها متشبهًا بهم .

وأما قول السائل : وهل للمصالح المرسلة دخل في ذلك ؟

فنقول : أن المصالح المرسلة لاينبغي أن تجعل دليلًا مستقلًا ، بل نقول هذه المصالح المرسلة إن تحققنا أنها مصلحة فقد شهد لها الشرع بالصحة والقبول وتكون من الشرع ، وإن شهد لها بالبطلان فإنها ليست مصالح مرسلة ولو زعم فاعلها أنها مصالح مرسلة . وإن كان لا هذا ولا هذا فإنها ترجع إلى الأصل إن كانت من العبادات فالأصل في العبادات الحَظْر ، وإن كانت من غير العبادات فالأصل فيها الحِلّ ، وبذا يتبين أن المصالح المرسلة ليست دليلًا مستقلًا .

١٣١ ـــــــ سُئل الشيخ : إذا وجد الإنسانُ شخصًا غير مسلم في الطريق وطلب إيصاله فما الحُكْم ؟وهل يجوز الأكل مما مَسَّتْه أيدي الكفار ؟

إذا وجدتَ شخصًا غير مسلم في الطريق فلا حرج عليك أن تركبه لأن الله يقول : ﴿ **لا ينْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ ولَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾[1] .

أما الأكل مما مسته الكفار فجائز ، لأن نجاسة الكافر نجاسة معنوية لا حِسِّية .

---

(١) الممتحنة : ٨ .



الجهـل بأمـــور العقيـــدة

١٣٢ وسُئل : هَلْ يُعْذَرُ الإنسانُ بالْجَهْلِ فِيما يَتَعَلَّقُ بالتَّوْحِيد ؟

فأجاب بقوله : العذرُ بالجهل ثابت في كل ما يَدِينُ به العبدُ رَبَّه ، لأن الله – سبحانه وتعالى – قال : ﴿ **إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ والنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِه** ﴾ حتى قال – عز وجل – : ﴿ **رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ ومُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى الله حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُل** ﴾[1] . ولقوله تعالى : ﴿ **ومَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا** ﴾[2] ولقوله تعالى : ﴿ **ومَا كَانَ الله لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ** ﴾[3] . ولقول النبيِّ ، ﷺ : « والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يَسْمَعُ بِي وَاحِدٌ مِنْ هَذِه الأُمَّةِ يَهُودِيّ ولا نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ لَا يُؤْمِنُ بِما جِئْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّار » . والنصوصُ في هذا كثيرة ، فمن كان

---

(١) النساء : ١٦٢ : ١٦٥.
(٢) الاسراء : ١٥ .
(٣) التوبة : ١١٥ .

جاهلًا فإنه لا يؤاخذ بجهله في أي شيء كان من أمور الدين ، ولكن يجبُ أن نعلم أن من الجهلة من يكون عنده نوع من العناد ، أى أنه يُذْكَرُ له الحقّ ولكنه لا يبحث عنه ، ولا يتبعه ، بل يكون على ما كان عليه أشياخه ، ومن يعُظِّمهم ويَتَّبِعُهم ، وهذا في الحقيقة ليس بمعذور ، لأنّه قد بلغه من الحُجَّة ما أدنى أحواله أن يكون شُبهة يحتاج أن يبحث ليتبين له الحقّ ، وهذا الذي يعظّم مَنْ يعظّم مِنْ متبوعيه شأنه شأن مَنْ قال الله عنهم : ﴿ **إنَّا وَجَدْنَا ءَابَآءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وإنَّا عَلَى ءآثَارِهِم مُّهْتَدُونَ** ﴾[1] . وفى الآية الثانية : ﴿ **وإنَّا على ءَاثَارِهِم مُّقْتَدُونَ** ﴾[2] فالمهم أن الجهل الذي يُعْذَرُ به الإنسانُ بحيث لا يعلم عن الحقّ ، ولا يُذكر له ، هو رافع للإثم ، والحكم على صاحبه بما يقتضيه عمله ، ثم إن كان ينتسب إلى المسلمين ، ويشهد أن لا إلهَ إلا الله وأنَ محمدًا رسولُ الله ، فإنه يعتبر منهم . وإن كان لا ينتسب إلى المسلمين فإن حكمه حكم أهل الدين الذي ينتسب إليه في الدنيا . وأما في الآخرة فإن شأنه شأن أهل الفَتْرة يكون أمره إلى الله - عز وجل - يوم القيامة - وأصحّ الأقوال فيهم أنهم يُمتحنون بما شاء الله ، فمن أطاع منهم دخل الجنة ، ومن عصى منهم دخل النار ؛ ولكن ليعلم أننا اليوم في عصر لا يكاد مكان في الأرض إلاّ وقد بلغته دعوة النبي ، ﷺ ، بواسطة وسائل الاعلام المتنوعة ، واختلاط الناس بعضهم ببعض ، وغالبًا ما يكون الكفر عن عناد .

---

(١) الزخرف : ٢٢ .

(٢) الزخرف : ٢٣

١٣٣ ما الحكم فيمَنْ يجهل أنّ صَرْف شيء من الدعاء لغير الله شِرْك ؟

الجهل بالحكم فيما يُكَفِّرُ كالجهل بالحكم فيما يُفَسِّق ، فكما أن الجاهل بما يفسّق يُعْذَرُ بجَهْلِه فكذلك الجاهل بما يُكَفِّرُ يُعذر بجهله ولا فرق ، لأن الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ **وما كان رَبُّك مُهْلِكَ القُرَى حَتَّى يَبْعَثَ في أُمِّها رَسُولاً يَتْلُوا عليهم آياتِنا وما كُنَّا مُهْلِكِي القُرى إلاَّ وأَهْلُها ظالمون** ﴾[1] . ويقول الله تعالى : ﴿ **وما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتّى نَبْعث رَسُولاً** ﴾[2] . وهذا يشمل كل ما يُعَذَّب عليه الإنسانُ . ويقول الله عزّ وجلّ : ﴿ **وما كان اللهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إذْ هداهم حتّى يُبَيِّنَ لهم مَّا يَتَّقُون إنَّ اللهَ بكل شيءٍ عَلِيمٌ** ﴾[3] .

لكن إذا كان هذا الجاهل مُفَرِّطا في التعلّم ، ولم يسأل ، ولم يبحث ، فهذا محل نظر . فالجهّال بما يُكفّر وبما يُفسّق إما أن لا يكون منهم تفريط وليس على بالهم إلا أن هذا العمل مباح فهؤلاء يُعذرون ولكن يُدْعَوْن للحق ، فإن أصرّوا حُكِمَ عليهم بما يقتضيه هذا الإصرار ، وأما إذا كان الإنسان يسمع أن هذا مُحرّم أو أن هذا مؤدّي للشرك ولكنه تهاون أو استكبر فهذا لا يُعذر بجهله .

---

(١) القصص : ٥٩
(٢) الإسراء : ١٥
(٣) التوبة : ١١٥

١٣٤ ـــــــ وسُئِلَ : هل يُعْذَرُ طلبةُ العِلْمِ الذين دَرَسُوا العقيدةَ على غير مَـذْهَبِ السَّلَـفِ الصالـــح - رضى الله عنهم - مُحتَجِّينَ بأنَّ العَالِمَ الفلانيَّ أو الإمامَ الفلانيَّ يَعْتَقِدُ هذه العقيدةَ ؟

فأجاب بقوله : هذا لا يُعذر به صاحبُه حيث بلغه الحقّ ، لأن الواجب عليه أن يتبع الحقّ أينما كان ، وأن يبحث عنه حتى يتبين له .

والحق - ولله الحمد - ناصع ، بَيِّن لمن صلحت نيته وحسن منهاجه ، فإن الله - عز وجل - يقول في كتابه : ﴿ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ** ﴾[1] . ولكن بعض الناس - كما ذكر الأخ السائل - يكون لهم متبوعون معظّمون لا يتزحزحون عن آرائهم ، مع أنه قد ينقدح في أذهانهم أن آراءهم ضعيفة أو باطلة ، لكن التعصّب والهوى يحملهم على موافقتهم ، وإن كانوا قد تبين لهم الهدى .

(١) القمر : ٢٢ .

تكفير المعين

١٣٥ وسُئِلَ الشيخُ : عن شروط الحُكْم بتكْفِير المسلم ؟ وحكْم مَنْ عَمِلَ شَيْئًا مُكَفِّرًا مَازِحًا ؟

فأجاب بقوله : للحكم بتكفير المسلم شرطان :

أحدهما : أن يقوم الدليل على أن هذا الشيء مما يُكَفِّر .

الثاني : انطباق الحكم على مَنْ فعل ذلك ، بحيث يكون عالما بذلك قاصدا له ، فإن كان جاهلًا لم يكفر . لقوله تعالى : ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾[1] . وقوله : ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾[2] . وقوله : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[3] .

(١) النساء : ١١٥ .
(٢) التوبة : ١١٥ .
(٣) الإسراء : ١٥ .

لكن إنْ فَرَّط بتَرْك التعلّم والتبيّن لم يُعْذَرْ ، مثل أَنْ يَبْلُغَه أَنَّ عملَه هذا كُفْر فلا يتثبّت ، ولا يبحث ، فإنه لا يكون معذورا حينئذ .

وإن كان غير قاصد لعمل ما يكفر لم يَكْفُرْ بذلك ، مثل أن يُكْرَهَ على الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان ، ومثل أن ينغلق فِكْرُه فلا يَدْري ما يقول لشدة فرح ونحوه ، كقول صاحب البعير الذي أضلّها ثم اضطجع تحت شجرة ينتظر الموت فإذا بخِطَامِها متعلّقًا بالشجرة فأخذه ، وقال : « اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وأَنَا رَبُّكَ » أخطأ من شدة الفرح .

لكن مَنْ عمل شيئًا مكفرًا مازحًا فإنه يكفر لأنه قصد ذلك ، كما نص عليه أهل العلم .

١٣٦ ــــــــــ هل يجوز أَنْ نُطْلِقَ الكفر على شخص بعينه ؟

نعم يجوز لنا أن نطلق على شخص بعينه أنه كافر إذا تحققت فيه أسباب الكفر ، فلو أننا رأينا رجلاً ينكر الرسالة ، أو رجلاً يبيح التحاكم إلى الطاغوت ، أو رجلاً يبيح الحكم بغير ما أنزل الله ويقول إنه خير من حكم الله ، بعد أن تقوم الحجة عليه ، فإننا نحكم عليه بأنه كافر ، فإذا وُجدت أسباب الكفر ، وتحققت الشروط ، وانتفت الموانع فإننا نُكفِّر الشخص بعينه ونلزمه بالرجوع إلى الإسلام أو القتل . والله أعلم .

١٣٧ سئل الشيخ : هل يجوز إطلاق الكُفْر على الشَّخْصِ المُعَيَّنِ إذا ارتكب مُكَفِّرًا ؟

فأجاب قائلًا : إذا تمت شروط التكفير في حقه جاز إطلاق الكفر عليه بعينه ، ولو لم نقل بذلك ما انطبق وَصْف الرِّدَّة على أحد ، فيعامل معاملة المرتد في الدنيا هذا باعتبار أحكام الدنيا أما أحكام الآخرة فتذكر على العموم لا على الخصوص ولهذا قال أهل السنة :

لانشهد لأحد بجنة ولا نار إلا لمن شهد له النبي ﷺ .

وكذا نقول : مَنْ صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غُفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر . ولكن لا نحكم بهذا لشخص معين ، إذ أن الحكم المعلق بالأوصاف لاينطبق على الأشخاص إلا بتحقق شروط انطباقه وانتفاء موانعه .



التوســـــل

١٣٨ ما حكم التوسل وما أقسامه ؟

التوسل اتخاذ الوسيلة ، والوسيلة كل ما يوصل إلى المقصود فهي من الوصل لأن الصاد والسين يتناوبان ، كما يُقال : صراط وسراط ، وبصطة بسطة .

والتوسل في دعاء الله تعالى أن يقرن الداعي بدعائه ما يكون سببًا في قبول دعائه ، ولابد من دليل على كون هذا الشيء سببا للقبول ولا يعلم ذلك إلا من طريق الشرع ، فمن جعل شيئا من الأمور وسيلة له في قبول دعائه بدون دليل من الشرع فقد قال على الله ما لا يعلم ، إذ كيف يدري أن ما جعله وسيلة مما يرضاه الله تعالى ويكون سببا في قبول دعائه ؟ والدعاء من العبادة ، والعبادة موقوفة على مجيء الشرع بها . وقد أنكر الله تعالى على من اتبع شرعا بدون إذنه وجعله من الشرك فقال تعالى : ﴿ **أَمْ لهم شُرَكَاءُ شَرَعُوا لهم مِنَ الدِّينِ ما لَمْ يَأْذَن بِهِ**

اللهُ ﴾[1] . وقال تعالى : **﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهم ورُهْبَانَهم أَرْبَاباً مِن دُونِ اللهِ والمسيح ابْنَ مَرْيَمَ وما أُمِرُوا إلاّ لِيَعْبُدوا إلهاً واحداً لاّ إلهَ إلا هو سُبْحانه عَمَّا يُشْرِكُون ﴾**[2] .

والتوسل في دعاء الله تعالى قسمان :

القسم الأول : أن يكون بوسيلة جاءت بها الشريعة وهو أنواع .

الأول : التوسل بأسماء الله تعالى وصفاته وأفعاله فيتوسل إلى الله تعالى بالاسم المقتضي لمطلوبه أو بالصفة المقتضية له أو بالفعل المقتضي له قال الله تعالى : **﴿ ولله الأسماءُ الحُسْنَى فادْعُوه بها ﴾**[3] . فيقول اللهم يا رحيم ارحمني ، ويا غفور اغفر لي ، ونحو ذلك . وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : « اللهُمَّ بعِلْمِكَ الغَيْبَ وقُدْرَتِكَ على الخلْق أَحْيِني ما عَلِمتَ الحياةَ خَيْراً لِي » . وعلّم أمته أن يقولوا في الصلاة عليه « اللهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ وعلى آلِ مُحمدٍ كما صَليتَ على إبراهيمَ وعلى آلِ إبراهيم » .

الثاني : التوسل إلى الله تعالى بالإيمان به وطاعته كقوله عن أولي الألباب : **﴿ رَبَّنا إنَّنا سَمِعْنَا مُنادِياً يُنادي للإيمانِ أَنْ آمنوا برَبِّكُم فآمنّا ، رَبَّنا فاغْفِر لنا ذُنُوبَنا ﴾**[4] .

---

(١) الشورى ٢١
(٢) التوبة ٣١
(٣) الأعراف ١٨٠ .
(٤) النساء ٦٤ .

وقوله ﴿ إنّه كان فَريقٌ مِنْ عِبَادِي يقولون رَبَّنا آمَنَّا فاغْفِرْ لنا وارْحَمنا ﴾[1] .

وقوله عن الحواريين ﴿ رَبَّنا آمَنَّا بِما أَنزَلْتَ واتَّبَعْنا الرَّسُولَ فاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِين ﴾[2] .

الثالث : أن يتوسل إلى الله بذكر حال الداعي المبينة لاضطراره وحاجته كقول موسى عليه الصلاة والسلام ﴿ رَبِّ إنِّي لما أَنزَلْتَ إلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾[3] .

الرابع : أن يتوسل إلى الله بدعاء مَنْ تُرجى إجابته ، كطلب الصحابة رضي الله عنهم منَ النبي ﷺ أن يدعو الله لهم مثل قول الرجل الذي دخل يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب فقال : ادْعُ اللهَ أَنْ يُغيثَنا ، وقول عُكَّاشَة بنِ مِحْصَنٍ للنبيِّ ﷺ : ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَني مِنْهم .

وهذا إنما يكون في حياة الداعي أما بعد موته فلا يجوز ، لأنه لا عمل له فقد انتقل إلى دار الجزاء ، ولذلك لما أحدب الناس في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يطلبوا من النبي ﷺ أن يستسقي لهم بل استسقى عمر بالعباس عم النبي ﷺ ، فقال له : قم فاستَسْقِ ، فقام العباس فدعا . وأما ما يروى عن العتبى أن أعرابياً جاء إلى قبر النبي ﷺ فقال : السلام عليك يا رسول الله ، سمعتُ اللهَ يقول : ﴿ ولو أنّهم إذ ظَلَمُوا أنفسَهم جَاءوك فاستغفروا اللهَ واستغفرَ لهم الرَّسُولُ

---

(١) المؤمنون ١٠٩ .
(٢) القصص ٢٤
(٣) آل عمران ١٩٣

لوجدوا الله توابا رحيما ﴾[1] . وقد جئتك مستغفرا من ذنوبي مستشفعا بك إلى ربي .. وذكر تمام القصة فهذه كذب لا تصحّ ، والآية ليس فيها دليل لذلك ، لأن الله يقول : ﴿ **ولو أنهم إذْ ظلموا أنفسهم** ﴾ . ولم يقل إذا ظَلَموا أنفسهم و ﴿ **إذْ** ﴾ لما مضى لا للمستقبل ، والآية في قوم تحاكموا أو أرادوا التحاكم إلى غير الله ورسوله كما يدل على ذلك سياقها السابق واللاحق .

القسم الثاني : أن يكون التوسل بوسيلة لم يأت بها الشرع وهي نوعان :

أحدهما : أن يكون بوسيلة أبطلها الشرع كتوسل المشركين بآلهتهم وبطلان هذا ظاهر .

الثاني : أن يكون بوسيلة سكت عنها الشرع وهذا محرم ، وهو نوع من الشرك ، مثل أن يتوسل بجاه شخص ذي جاه عند الله فيقول : أسألك بجاه نبيك . فلا يجوز ذلك لأنه إثبات لسبب لم يعتبره الشرع ، ولأن جاه ذي الجاه ليس له أثر في قبول الدعاء لأنه لا يتعلق بالداعي ولا بالمدعو ، وإنما هو من شأن ذي الجاه وحده ، فليس بنافع لك في حصول مطلوبك أو دفع مكروبك ، ووسيلة الشيء ما كان موصلا إليه ، والتوسل بالشيء إلى ما لا يوصل إليه نوع من العبث فلا يليق أن تتخذه فيما بينك وبين ربك والله الموفق

---

(١) آل عمران ٥٣

١٣٩ سئل الشيخ جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيرًا : عن حُكْم التَّوسُّل ؟

فأجاب بقوله : هذا سؤال مهم فنحب أن نبسط الجواب فيه فأقول :

التوسل : مصدر توسل يتوسل ، أي اتخذ وسيلة توصله إلى مقصوده ، فأصله طلب الوصول إلى الغاية المقصودة .

وينقسم التوسل إلى قسمين :

القسم الأول : قسم صحيح ، وهو التوسل بالوسيلة الصحيحة الموصلة إلى المطلوب وهو على أنواع نذكر منها :

النوع الأول : التوسل بأسماء الله تعالى ، وذلك على وجهين :

الأول : أن يكون ذلك على سبيل العموم ، ومثاله ماجاء في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في دعاء الهَمّ والغَمّ قال : « اللَّهُمّ إنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ، ابْنُ أَمَتِكَ ، نَاصِيتِي بِيَدِكَ ، ماضٍ فِيَّ حُكْمُك ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ ، أسألُك اللَّهُمَّ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ ، سمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ ، أَوْ أَنْزَلْتَه في كِتَابِكَ ، أَوْ عَلَّمتهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ في عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ القُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي ... . »الخ . فهنا توسل بأسماء الله تعالى على سبيل العموم « أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك » .

الوجه الثاني : أن يكون ذلك على سبيل الخصوص بأن يتوسل الإنسان باسم خاص لحاجة خاصة تناسب هذا الاسم ، مثل ما جاء في حديث أبي بكر رضي الله عنه حيث طلب من النبي ﷺ دعاءً يدعو به في صلاته فقال : « قُلْ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفسِي ظُلْمًا كَثِيرًا ، ولا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرةً مِنْ عِنْدَكَ ، وارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ » .

فطلب المغفرة والرحمة وتوسل إلى الله تعالى باسمين من أسمائه مناسبين للمطلوب وهما الغفور والرحيم .

وهذا النوع من التوسل داخل في قوله تعالى ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾[1] فإن الدعاء هنا يشمل دعاء المسألة ، ودعاء العبادة .

النوع الثاني : التوسل إلى الله تعالى بصفاته ، وهو أيضًا كالتوسل بأسمائه على وجهين :

الوجه الأول : أن يكون عامًّا كأن تقول « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى وَصِفَاتِكَ الْعُلْيَا » ثم تذكر مطلوبك .

الوجه الثاني : أن يكون خاصًّا كأن تتوسل إلى الله تعالى بصفة معينة خاصة لمطلوب خاص ، مثل ما جاء في الحديث « اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ أحييني إذا علمت الحياة خيرًا لي ، وتوفّني إذَا عَلِمْتَ الوَفَاةَ خَيْرًا لِّي » فهنا توسل لله تعالى بصفة العلم والقدرة وهما مناسبان للمطلوب .

(١) الأعراف ' ١٨٠ .

ومن ذلك أن يتوسل بصفة فعليه مقل : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ .

النوع الثالث : أن يتوسل الإنسان إلى الله عز وجل بالإيمان به ، وبرسوله ﷺ فيقول : « اللَّهُمَّ إِنِّي آمَنْتُ بِكَ وَبِرَسُولِكَ فَاغْفِرْ لِي أَوْ وَفِّقْنِي » ، أو يقول « اللَّهُمَّ بِإِيمَانِي بِكَ وَبِرَسُولِكَ أَسْأَلُكَ كَذَا وَكَذَا » ، ومنه قوله تعالى ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ** ﴾[1] إلى قوله ﴿ **رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ، رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ** ﴾[2] . فتوسلوا إلى الله تعالى بالإيمان به أن يغفر لهم الذنوب ويكفر عنهم السيئات ويتوفاهم مع الأبرار .

النوع الرابع : أن يتوسل إلى الله سبحانه وتعالى بالعمل الصالح ، ومنه قصة النَّفَرِ الثلاثة الذين أَوَوْا إلى غار ليبيتوا فيه فانطبق عليهم الغار بصخرة لا يستطيعون زحزحتها ، فتوسل كل منهم إلى الله بعمل صالح فعله ، فأحدهم توسل إلى الله تعالى بِبِرِّه بوالديه ، والثاني بِعِفَّتِهِ التامة ، والثالث بوفاءه لأجيره ، قال كل منهم « اللَّهُمَّ إن كُنت فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ » فانفرجت الصخرة ، فهذا توسل إلى الله بالعمل الصالح .

---

(١) آل عمران : ١٩٠ -١٩١ .

(٢) آل عمران : ١٩٢ -١٩٣ .

النوع الخامس : أن يتوسل إلى الله تعالى بذكر حاله ، يعني أن الداعي يتوسل إلى الله تعالى بذكر حاله وما هو عليه من الحاجة ، ومنه قول موسى عليه الصلاة والسلام ﴿ **رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ** ﴾[1] يتوسل إلى الله تعالى بذكر حاله ان ينزل إليه الخير . ويقرب من ذلك قول زكريا عليه الصلاة والسلام ﴿ **رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا** ﴾[2] فهذه أنواع من التوسل كلها جائزة لأنها أسباب صالحة لحصول المقصود بالتوسل بها .

النوع السادس : التوسل إلى الله عز وجل بدعاء الرجل الصالح الذي ترجى إجابته ، فإن الصحابة رضي اللّه عنهم كانوا يسألون النبي ﷺ أن يدعو الله لهم بدعاء عام ، ودعاء خاص ففي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلًا دخل يوم الجمعة والنبي ﷺ يخطب فقال : يارسول اللّه هَلَكَتِ الْأَمْوَالُ وانقَطَعَتِ السُّبُلُ فَادْعُ اللَّهَ يُغيثنا ، فرفع النبي ﷺ يديه وقال : « اللَّهُمَّ أَغِثْنَا » ثلاث مرات فما نزل من منبره إلا والمطر يتحادر من لحيته ، وبقي المطر أسبوعًا كاملًا . وفي الجمعة الأخرى جاء ذلك الرجل أو غيره والنبي ﷺ يخطب فقال : يارسول الله غَرَقَ الْمَالُ ، وتَهَدَّمَ البنَاءُ فَادْعُ اللَّهَ أن يمسكها عنا ، فرفع النبي ﷺ يديه وقال : « اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنَا » فما يشير إلى ناحية من السماء إلا انفرجت ، حتى خرج الناس يمشون في الشمس . وهناك عدة وقائع سأل الصحابة النبي ﷺ أن يدعو لهم على وجه الخصوص

(١) القصص : ٢٤ .

(٢) مريم : ٤ .

ومن ذلك أن النبي ﷺ ذكر أن في أمته سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب وهم الذين لا يسترقون ، ولايكتوون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون ، فقام عُكَّاشة بن مِحْصَن وقال : يارسول الله ادْعُ اللَّهَ أن يجعلَني منهم فقال : « أَنتَ مِنْهُمْ » فهذا أيضًا من التوسل الجائز وهو أن يطلب الإنسان من شخص ترجى إجابته أن يدعو الله تعالى له ، إلا أن الذي ينبغي أن يكون السائل يريد بذلك نفع نفسه ، ونفع أخيه الذي طلب منه الدعاء ، حتى لايتمحض السؤال لنفسه خاصة ، لأنك إذا أردت نفع أخيك ونفع نفسك صار في هذا إحسان إليه ؛ فإن الإنسان إذا دعا لأخيه في ظهر الغيب قال المَلَكُ : « آمِين وَلَكَ بِمِثْل » وهو كذلك يكون من المحسنين بهذا الدعاء والله يحب المحسنين .

القسم الثاني : التوسل غير الصحيح وهو : —

أن يتوسل الإنسان إلى اللّه تعالى بما ليس بوسيلة ، أي بما لم يثبت في الشرع أنه وسيلة ؛ لأن التوسل بمثل ذلك من اللغو والباطل المخالف للمعقول ، والمنقول ، ومن ذلك أن يتوسل الإنسان إلى اللّه تعالى بدعاء ميت يطلب من هذا الميت أن يدعو اللّه له ؛ لأن هذا ليس وسيلة شرعية صحيحة بل من سَفهِ الإنسان أن يطلب من الميت أن يدعو اللّه له ؛ لأن الميت إذا مات انقطع عمله ولا يمكن لأحد أن يدعو لأحد بعد موته ، حتى النبي ﷺ لايمكن أن يدعو لأحد بعد موته ﷺ ، ولهذا لم يتوسل الصحابة رضي اللّه عنهم إلى اللّه بطلب الدعاء من رسوله ﷺ بعد موته ، فإن الناس لما أصابهم الجدب في عهد عمر رضي اللّه

عنه قال : « اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِيَنَا وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا » فقام العباس رضي اللَّه عنه فدعا اللَّه تعالى . ولو كان طلب الدعاء من الميت سائغًا ووسيلة صحيحة لكان عمر ومن معه من الصحابة يطلبون ذلك من رسول اللَّه ﷺ لأن إجابة دعائه ﷺ أقرب من إجابة دعاء العباس رضي اللَّه عنه ، فالمهم أن التوسل إلى اللَّه تعالى بطلب الدعاء من ميت توسل باطل لا يحل ولا يجوز .

ومن التوسل الذي ليس بصحيح : أن يتوسل الإنسان بجاه النبي ﷺ وذلك أن جاه الرسول ﷺ ليس مفيدًا بالنسبة إلى الداعي ، لأنه لايفيد إلا الرسول ﷺ ، أما بالنسبة للداعي فليس بمفيد حتى يتوسل إلى اللَّه به ، وقد تقدم أن التوسل اتخاذ الوسيلة الصالحة التي تثمر . فما فائدتك أنت من كون الرسول ﷺ له جاه عند اللَّه ؟ ! وإذا أردت أن تتوسل إلى اللَّه على وجه صحيح فقل اللَّهُمَّ بِإِيمَانِي بِكَ وَبِرَسُولِكَ ، أَوْ بِمَحَبَّتِي لِرَسُولِكَ وما أشبه ذلك فإن هذا الوسيلة الصحيحة النافعة .

١٤٠ ما حكم التوسل بالنبي عليه الصلاة والسلام ؟

التوسل بالنبي ﷺ أقسام :

أولا : أن يتوسل بالإيمان به ، فهذا التوسل صحيح مثل أن يقول : اللهم إني آمنت بك وبرسولك فاغفر لي . وهذا لا بأس به . وقد ذكره الله تعالى في القرآن الكريم في قوله : ﴿ **رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمنوا بِرَبِّكُم فآمَنَّا . رَبَّنَا فاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنَا وكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنا وتَوَفَّنَا مَعَ الأَبْرَارِ** ﴾[1] . ولأن الإيمان بالرسول ﷺ وسيلة شرعية لمغفرة الذنوب وتكفير السيئات ، فهو قد توسل بوسيلة ثابتة شرعا .

ثانيا : أن يتوسل بدعائه ﷺ أي بأن يدعو للمشفوع له وهذا أيضا جائز وثابت لكنه لا يمكن أن يكون إلا في حياة الرسول ﷺ وقد ثبت عن عمر رضي الله عنه أنه قال: « اللَّهُمَّ إنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إلَيْكَ بنَبينا فتَسْقِينا ، وإنا نتوسل إليك بعَمِّ نَبينا فاسْقِنَا » وأَمَرَ العباسَ أَنْ يقومَ فيدعو اللهَ سبحانه وتعالى بالسقيا . فالتوسل في حياة النبي ﷺ بدعائه هذا جائز ولا بأس به .

ثالثا : أن يتوسل بجاه الرسول ﷺ سواء في حياته أو بعد مماته فهذا توسل بِدْعي لا يجوز ، وذلك لأن جاه الرسول ﷺ لا ينتفع به إلا الرسولُ ﷺ ، وعلى هذا فلا يجوز للإنسان أن يقول : اللهم إني أسألك

---

(١) آل عمران ١٩٣ .

بجاه نبيك أن تغفر لي أو ترزقني الشيء الفلاني . لأن الوسيلة لابد أن تكون وسيلة ، والوسيلة مأخوذة من الوسل بمعنى الوصول إلى الشيء فلابد أن تكون هذه الوسيلة موصلة إلى الشيء وإذا لم تكن موصلة إليه فإن التوسل بها غير مُجْدٍ ولا نافع .

وعلى هذا فنقول التوسل بالرسول عليه الصلاة والسلام ثلاثة أقسام :

القسم الأول : أن يتوسل بالإيمان به واتباعه ، وهذا جائز في حياته وبعد مماته .

القسم الثاني : أن يتوسل بدعائه أي بأن يطلب من الرسول ﷺ أن يدعو له ، فهذا جائز في حياته لا بعد مماته لأنه بعد مماته متعذر .

القسم الثالث : أن يتوسل بجاهه ومنزلته عند الله ، فهذا لا يجوز لا في حياته ولا بعد مماته ، لأنه ليس وسيلة إذ أنه لا يوصل الإنسان إلى مقصوده لأنه ليس من عمله .

فإذا قال قائل : جئتُ إلى الرسول عليه الصلاة والسلام عند قبره وسألته أن يستغفر لي أو أن يشفع لي عند الله فهل يجوز ذلك أو لا ؟

قلنا لا يجوز ، فإذا قال أليس الله يقول ﴿ **ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما** ﴾[1] . قلنا له بلى إن الله يقول ذلك ولكن يقول : ﴿ **ولو أنهم إذ ظلموا** ﴾ « وإذ » هذه ظرف لما مضى وليست ظرفا للمستقبل لم

(١) النساء ٦٤ .

يقل الله (ولو أنهم إذا ظلموا) بل قال ﴿ **إذ ظلموا** ﴾ فالآية تتحدث عن أمر وقع في حياة الرسول ﷺ ، واستغفار الرسول ﷺ بعد مماته أمر متعذر لأنه إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث كما قال الرسول ﷺ : « صدقةٌ جَارِيةٌ أو عِلْمٌ يُنْتَفَعُ به ، أو وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو له » . فلا يمكن لإنسان بعد موته أن يستغفر لأحد ، بل ولا يستغفر لنفسه أيضا لأن العمل انقطع .

١٤١ هل يجوز التوسل بجاه النبي ﷺ ؟

التوسل بجاه النبي ﷺ ليس بجائز على الراجح من قول أهل العلم ، فيحرم التوسل بجاه النبي ﷺ ، فلا يقول الإنسان : اللهم إني أسألك بجاه نبيك كذا وكذا . وذلك لأن الوسيلة لا تكون وسيلة إلا إذا كان لها أثر في حصول المقصود ، وجاه النبي ﷺ بالنسبة للداعي ليس له أثر في حصول المقصود ، وإذا لم يكن له أثر لم يكن سببا صحيحا ، والله عز وجل لا يُدْعَى إلا بما يكون سببا صحيحا له أثر في حصول المطلوب . فجَاهُ النبي ﷺ هو مما يختصُّ به النبيُّ ﷺ وحده ، وهو مما يكون مَنْقَبةً له وَحْدَه ، أما نحن فلسنا ننتفعُ بذلك ، وإنما ننتفع بالإيمان بالرسول ﷺ ومحبته ، وما أيسرَ الأمرَ على الداعي إذا قال : اللهمّ إني أسألك بإيماني بك وبرسولك كذا وكذا . بدلا من أن يقول : أسألك بجاه نبيك . ومن نعمة الله عز وجل ورحمته بنا أنه لا ينسد باب من الأبواب المحظورة إلا وأمام الإنسان أبواب كثيرة من الأبواب المباحة . والحمد لله رب العالمين .

١٤٢ ــــــــ سئل الشيخ عن هذا الحديث : أنّ أعمى أتى إلى رسولِ الله ﷺ فقال : يا رسولَ اللهِ ادْعُ اللهَ أَنْ يَكْشِفَ عن بصري . قال : أو أَدَعُكَ ، قال : يا رسولَ الله إنهّ قَدْ شَقّ عليّ ذَهابُ بَصَرِي ، فقال : فانْطَلِقْ فتَوَضَّأْ ثُمَّ صَلِّ ركعتين ، ثم قل : « اللهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ وأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بنبيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ نَبيِّ الرَّحْمةِ ، يا محمدُ إنّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إلى رَبِّي فَيقْضِي حاجتي » مَا صحة هذا ؟ وما معناه ؟

هذا الحديث اختلف أهل العلم في صحته ، فمنهم مَنْ قال : إنه ضعيف ، ومنهم من قال : إنه حسن ولكن له وجهة ليست كما يتبادر من اللفظ . فإن هذا الحديث معناه أن النبي ﷺ أمر هذا الرجل الأعمى أن يتوضأ ويصلي ركعتين ليكون صادقا في طلب شفاعة النبي ﷺ له ، وليكون وضوؤه وصلاته عنوانا على رغبته في التوسل بالنبي ﷺ والتوجه به إلى الله سبحانه وتعالى ، فإذا صدقت النية وصحت وقويت العزيمة فإن النبي ﷺ يشفع له إلى الله عز وجل ، وذلك بأن يدعو النبي ﷺ له ، فإن الدعاء نوع من الشفاعة كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « ما مِنْ رَجُل مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيقُومُ

على جنازتِه أَرْبَعُون رجلاً لا يُشْرِكُون باللهِ شيئاً إلا شَفَّعَهُم اللهُ فيه » فيكون معنى هذا الحديث أن هذا الأعمى يطلب من النبي ﷺ أن يدعو الله له لأن هذا الدعاء نوع شفاعة . أما الآن وبعد موت النبي ﷺ فإن مثل هذه الحال لا يمكن أن تكون ؛ لتعذّر دعاء النبي ﷺ لأحد بعد الموت كما قال ﷺ : « إذا مات العبدُ انقطع عملُه إلا من ثلاثٍ : صدقةٌ جاريةٌ . أو علمٌ يُنتفع به ، أو ولدٌ صالحٌ يَدْعُو له » . والدعاء بلا شك من الأعمال التي تنقطع بالموت ؛ بل الدعاء عبادة كما قال تعالى ﴿ **وقال رَبُّكم ادْعُوني أَسْتَجبْ لكم إنَّ الذين يَسْتَكْبِرُون عن عبادتي سيَدْخُلون جَهنَّم دَاخِرِين** ﴾[1] ولهذا لم يلجأ الصحابة رضي الله عنهم عند الشدائد وعند الحاجة إلى سؤال النبي ﷺ أن يدعو الله لهم ، بل قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قحط المطر « اللّهم إنّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إليك بنبينا فَتسْقِينا ، وإنّا نَتَوَسَّلُ إليك بعَمِّ نبينا فاسْقِنا فيُسْقَوْن » وطلب من العباس رضي الله عنه أن يدعو الله عز وجل بالسُّقْيا فدعا فَسُقُوا . وهذا يدلّ على أنه لايمكن أن يُطلب من رسول الله ﷺ بعد موته أن يدعو لأحد لأن ذلك متعذر لانقطاع عمله بموته صلوات الله وسلامه عليه ، وإذا كان لا يمكن لأحد أن يطلب من النبي ﷺ أن يدعو له بعد موته ﷺ فإنه لا يمكن – ومن باب أَوْلَى – أن يدعو أَحَدٌ النبي ﷺ نفسه بشيء من حاجاته أو مصالحه ، فإن هذا من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله ، والذي حرّم الله على من اتصف به الجنة قال الله تعالى : ﴿ **ولا تَدْعُ مِن دُونِ اللهِ ما لا يَنفَعُكَ**

---

(١) غافر ٦٠

ولا يَضُرُّكَ فإن فَعَلْتَ فإنَّكَ إذاً مِّنَ الظَّالِمين ﴾[1] . وقال تعالى : **﴿ فَلاَ تَدْعُ مَعَ اللهِ إلهاً آخرَ فتَكُونَ مِنَ المُعَذَّبين ﴾**[2]. وقال الله عز وجل : **﴿ ومَن يَدْعِ مَعَ اللهِ إلٰهاً آخرَ لا بُرْهانَ له به فإنّما حسابُه عِندَ رَبِّه إنّه لا يُفْلِحَ الكافرونَ ﴾**[3] . وقال تعالى : **﴿ إنّه مَن يُشْرِكْ باللهِ فقَدْ حَرَّم اللهُ عليه الجنةَ ومأواه النارُ وما للظالمين مِنْ أنصَارٍ ﴾**[4] . فالمهم أن من دعا رسولَ ﷺ بعد وفاته أو غيره من الأموات لدَفْع ضرر أو جَلْب مَنفعه فهو مشرك شركا أكبر مخرجا عن الملة ، وعليه أن يتوب إلى الله سبحانه وتعالى ، وأن يوجه الدعاء إلى العلي الكبير الذي يجيب دعوة المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ، وإني لأعجب من قوم يذهبون إلى قبر فلان وفلان يدعونه أن يفرِّج عنهم الكربات ، ويجلب لهم الخيرات ، وهم يعلمون أن هذا الرجل كان في حال حياته لا يملك ذلك فكيف بعد موته بعد أن كان جثة ، وربما يكون رميماً قد أكلته الأرض فيذهبون يَدْعُونه ، ويتركون دعاء الله عز وجل الذي هو كاشف الضر وجالب النفع والخير ، مع أن الله تعالى أمرهم بذلك وحَثّهم عليه فقال : **﴿ وقال رَبُّكم ادعُوني أستَجب لكم ﴾**[5] . وقال تعالى : **﴿ وإذا سَألَك عِبادي عَنّي فإنّي قَريب أجيب دعوةَ الدّاع إذا دَعَانِ ﴾**[6] . وقال تعالى منكرا على من دعا

---

(١) يونس ١٠٦
(٢) الشعراء ٢١٣
(٣) المؤمنون ١١٧ .
(٤) المائدة ٧٢
(٥) غافر ٦٠
(٦) البقرة ١٨٦

غيره : ﴿ أمّن يُجيبُ المضْطَرَ إذا دَعَاه ويَكْشِفُ السُّوءَ ويَجْعَلُكم خلفاءَ الأرضِ أإلَهٌ مع الله ﴾[1] . أسأل الله تعالى أن يهدينا جميعا صراطه المستقيم .

١٤٣ — هل هذا الحديث صحيح ، وهل يدل على جواز التوسل بجاه الأولياء ؟ الحديث هو : عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن عمر رضي الله عنه كان إذا قُحِطُوا استسقى بالعباس بن عبد المطَّلِب وقال : « اللهمّ إنّا كُنّا نَسْتَسْقِي إليك بِنبيِّنا فَتسْقِينا وإنّا نَتوَسلُ إليك بعَمِّ نَبِيِّنا فاسْقِنا ، فيُسْقَوْن »

هذا الحديث الذي أشار إليه السائل حديث صحيح رواه البخاري ، لكن مَنْ تأمله وجد أنه دليل على عدم التوسل بجاه النبي ﷺ أو غيره ، وذلك أن التوسل هو اتخاذ وسيلة والوسيلة هي الشيء الموصل إلى المقصود ، والوسيلة المذكورة في هذا الحديث « نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا » المراد بها التوسل إلى الله تعالى بدعاء النبي ﷺ، كما قال الرجل : « يا رسولَ اللهِ هَلَكَتِ الأموالُ وانقَطَعَتِ السُّبُل فادْعُ الله يُغِيثنا » . ولأن عمر قال للعباس : قُمْ يا عباسُ فادْعُ اللهَ فدعا ، ولو كان هذا من باب التوسل بالجاه لكان عمر

(١) النمل ٦٢ .

رضي الله عنه يتوسل بجاه النبي ﷺ قبل أن يتوسل بالعباس ، لأن جاه النبي ﷺ عند الله أعظم من جاه العباسِ وغيرِهِ ، فلو كان هذا الحديث من باب التوسل بالجاه لكن الأجدر بأمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أن يتوسل بجاه النبي ﷺ دون جاه العباس بن عبد المطلب .

والحاصل أنّ التوسل إلى الله تعالى بدعاء مَنْ تُرْجى فيه إجابة الدعاء لصلاحه لا بأس به ، فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يتوسلون إلى الله تعالى بدعاء النبي ﷺ لهم وكذلك عمر رضي الله عنه توسل بدعاء العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه .

فلا بأس إذا رأيت رجلاً صالحاً حرياً بالإجابة لكون طعامه وشرابه وملبسه ومسكنه حلالا ، وكونه معروفا بالعبادة والتقوى لا بأس أن تسأله أن يدعو الله لك بما تحب بشرط أن لا يحصل في ذلك غرور لهذا الشخص الذي طلب منه الدعاء ، فإنْ حصل منه غرور بذلك فإنه لا يحل لك أن تقتله وتهلكه بهذا الطلب منه لأن ذلك يضره .

كما إنني أيضا أقول إن هذا جائز ولكنني لا أحبذه وأرى أنّ الانسان يسأل الله تعالى بنفسه دون أن يجعل له واسطة بينه وبين الله وأن ذلك أقوى في الرجاء وأقرب إلى الخشية ، كما أنني أيضا أرغب من أن الإنسان إذا طلب من أخيه الذي ترجى إجابة دعائه أن يدعو له أن ينوي بذلك الإحسان إليه اي إلى هذا الداعي دون دفع حاجة هذا المدعو له لأنه إذا طلبه من أجل دفع حاجته صار كسؤال المال وشبهه المذموم ، أما إذا قصد بذلك نفع أخيه الداعي بالإحسان إليه ، والإحسان إلى المسلم يثاب عليه المرء كما هو معروف كان هذا أولى وأحسن . والله ولي التوفيق .

الحلـــــف

١٤٤ ما حُكْم الحَلِف بغَيْرِ اللهِ تعالى ؟ وهل منه ما رُوى عن النبيّ ﷺ من قوله « أفلح وأبيه إنْ صَدَقَ » أفتونا مأجورين ؟

الحلف بغير الله عز وجل مثل أن يقول : وحَياتك ، أو حَياتي ، أو والنبيّ ، أو السيد الرئيس ، أو والشعب ، أو ما أشبه ذلك ، كل هذا محرّم بل هو من الشرك ، لأن هذا النوع من التعظيم لا يصلح إلا لله عز وجل ، ومَنْ عظّم غير الله بما لا يكون إلا لله فهو شرك ، لكن لما كان هذا الحالف لا يعتقد أن عظمة المحلوف به كعظمة الله لم يكن الشرك شركا أكبر بل كان شركا أصغر . فمن حلف بغير الله فقد أشرك شركا أصغر قال النبي ﷺ : « لا تَحْلِفُوا بآبائِكم مَنْ كان حالفاً فلْيحْلِفْ باللهِ أو ليَصْمُتْ » . وقال ﷺ «مَنْ حَلَفَ بغَيْرِ اللهِ فقَدْ كَفَرَ أو أَشْرَكَ » . فلا تحلف بغير الله أياً كان المحلوف به ، حتى لو كان النبي ﷺ أو جبريل أو من دونهما من الرسل ومن الملائكة أو البشر أو من دون الرسل . فلا تحلف بشيء سوى الله عز وجل .

وأما قول النبي ﷺ : « أفلح وأبيه إن صدق » فهذه الكلمة « وأبيه » اختلف الحفاظ فيها فمنهم من أنكرها وقال : لم تصح عن النبي ﷺ ، وبناء على ذلك فلا إشكال في الموضوع لأن المعارض لابد أن يكون قائما وإذا لم يكن المعارض قائما فهو غير مقاوم ولا يلتفت إليه . على القول بأنها ثابتة فإن الجواب على ذلك أن هذا من المشكل والنهي عن الحلف بغير الله من الواضح فيكون لدينا مُحْكَم ومتشابه ، وطريق الراسخين في العلم في المحكم والمتشابه أن يَدَعُوا المتشابه ويأخذوا المحكم ، قال تعالى : ﴿ هو الذي أَنزَلَ عليك الكتابَ منه آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الكتابِ وأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فأَمَّا الذين في قلوبِهم زَيْغٌ فيَتَّبِعُون ما تَشَابَهَ مِنه ابْتِغاءَ الفتنةِ وابْتَغاءَ تَأْوِيله وما يَعْلَمُ تأويلَه إلا اللهُ والراسخون في العِلْمِ يقولون آمناً به كُلٌّ مِن عِندِ رَبِّناَ وما يَذَّكَّرُ إلاَّ أولوا الألبابِ ﴾[1] .

ووجه كونه متشابها أن فيه احتمالات متعددة :

١) قد يكون هذا قبل النهي .

٢) قد يكون هذا خاصا بالرسول عليه الصلاة والسلام لبُعْد الشِّرك في حقه .

٣) قد يكون هذا مما يجري على اللسان بغير قصد .

ولما كانت هذه الاحتمالات وغيرها واردة على هذه الكلمة — إنْ صحّت — عن الرسول عليه الصلاة والسلام صار الواجب علينا أن نأخذ بالمحكم وهو النهي عن الحلف بغير الله . ولكن يقول بعض الناس إن الحلف بغير الله قد جرى على لساني ويصعب علي أن أدعه فما الجواب ؟

(١) آل عمران ٧ .

نقول إن هذا ليس بحجة بل جاهد نفسك على تركه والخروج منه وحاول بقدر ما تستطيع أن تمحو من لسانك هذه الكلمة لأنها شرك ، والشرك خطره عظيم ولو كان أصغر حتى أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول : « الشرك لا يغفره الله ولو كان أصغر » . وقال ابن مسعود رضي الله عنه : « لئن أحلفُ باللهِ كاذبا أحبّ مِن أحلفَ بغيره صادقا » . قال شيخ الإسلام : وذلك لأن سيئة الشرك أعظم من سيئة الكبيرة .

١٤٥ ــ ما حكم الحلف بغير الله ؟ والحلف بالقرآن الكريم ؟

الحلف بغير الله أو بغير صفة من صفاته محرم وهو نوع من الشرك ، ولهذا قال النبي ﷺ : « لا تحلفوا بآبائكم مَنْ كان حالفاً فلْيَحْلِف بالله أو لِيَصْمُتْ » . وجاء عنه ﷺ أنه قال : « مَنْ حَلَفَ بغَيْرِ اللهِ فقَدْ كَفَرَ أو أشْرَكَ » . رواه الترمذي وحسّنه وصَحّحه الحاكم . وثبت عنه ﷺ أنه قال : « مَنْ قال واللّاتِ والعُزّى فليقلْ : لا إلهَ إلا اللهُ » .

وهذا إشارة إلى أن الحلف بغير الله شرك يطهر بكلمة الإخلاص لا إله إلا الله .

وعلى هذا فيحرم على المسلم أن يحلف بغير الله سبحانه وتعالىٰ لا بالكعبة ولا بالنبي ﷺ ولا بجبريل ، ولا بولي من أولياء الله ، ولا بخليفة من خلفاء المسلمين ، ولا بالشرف ولا بالقومية ولا بالوطنية ، كل حلف بغير الله فهو محرم ، وهو نوع من الشرك والكفر .

وأما الحلف بالقرآن الكريم فإنه لا بأس به لأن القرآن الكريم كلام الله سبحانه وتعالى تكلم الله به حقيقة بلفظه مريدا لمعناه ، وهو سبحانه وتعالى موصوف بالكلام ؛ فعليه يكون الحلف بالقرآن الكريم حلفا بصفة من صفات الله سبحانه وتعالى وذلك جائز .

١٤٦ ما حكم الحلف بغير الله ؟ والحلف بآيات الله ؟

الحلف لا يجوز إلا بالله سبحانه وتعالى أو صفة من صفاته ، أما الحلف بغير الله فهو شرك سواء كان المحلوف به وجيها عند الله عز وجل أم كان من سائر العباد ؛ ولهذا لا يجوز لنا أن نحلف بالنبي أو أن نحلف بجبريل أو بالكعبة أو بأي شيء من المخلوقات . قال النبي ﷺ : « مَنْ كان حالِفاً فلْيَحْلِفْ باللهِ أو لِيَصْمُتْ » . وقال النبي ﷺ : « مَنْ حَلَفَ بغَيْرِ اللهِ فقَدْ كَفَرَ أو أَشْرَكَ » . والنبي محمد ﷺ هو نفسه لا يرضى أنْ يُحْلَف به ولما قال له رجل : ما شاء اللهُ وشِئتَ . قال : « أَجَعَلْتَني لِلهِ نِدًّا ، بل ما شاءَ اللهُ وَحْدَه » .

فيحلف المرء بالله عز وجل فيقول : والله ، والرحمن ، ورب العالمين ، ومُجْرِي السحاب ، ومُنْزِل الكتاب ، وما أشبه ذلك .

وكذلك يُحلف بصفاته سبحانه وتعالى مثل وعِزّة الله وقدرة الله ، وما أشبه ذلك ، ويحلف بالمصحف لأنه كلام الله ، لأنه لا يريد الحلف بالورق والجلود وإنما يريد الحلف بما تضمنته هذه الأوراق . ونقول أيضا

هل يجوز الحلف بآيات الله بأن يقول الإنسان وآيات الله أو بآيات الله لأفعلن كذا ؟

فنقول في الجواب : إن قصد بالآيات الآيات الشرعية وهي القرآن الكريم فلا بأس ، وإن قصد بالآيات الآيات الكونية كالشمس والقمر والليل والنهار فهذا لا يجوز . والله أعلم .

١٤٧ ـــــ ما حُكم الحَلف بالنبيِّ ﷺ والكعبة ، والشَّرف والذِّمَّة ؟

الحلف بالنبي عليه الصلاة والسلام لا يجوز بل هو نوع من الشرك ، وكذلك الحلف بالكعبة لا يجوز بل هو نوع من الشرك ، لأن النبي ﷺ والكعبة كلاهما مخلوقان والحلف بأي مخلوق نوع من الشرك .

وكذلك الحلف بالشرف لا يجوز ، وكذلك الحلف بالذمة لا يجوز ، لقول النبي ﷺ : « مَنْ حَلَفَ بغَيْرِ اللهِ فقَدْ كَفَرَ أو أَشْرَكَ » . وقال ﷺ : « لا تَحْلِفُوا بآبائِكم ، مَنْ كان حَالِفاً فَلْيحْلِفْ باللهِ أو لِيَصْمُتْ » . ولكن يجب أن نعلم أن قول الإنسان « بذمّتي » لا يراد به الحلف ولا القسم بالذمة وإنما يراد بالذمة العهد ، يعني هذا على عهدي ومسئوليتي هذا هو المراد بها ، أما إذا أراد بها القسم فهي قسم بغير الله فلا يجوز ، لكن الذي يظهر لي أن الناس لا يريدون بها القسم ؛ إنما يريدون بالذمة العهد والذمة بمعنى العهد .

١٤٨ هل يجوز للإنسان أنْ يُقسِم على الله ؟

الإقسام على الله أن يقول الإنسان : والله لا يكون كذا وكذا ، أو والله لا يفعل الله كذا وكذا . والإقسام على الله نوعان :

أحدهما : أن يكون الحامل عليه قوة ثقة المقسِم بالله عز وجل وقوة إيمانه به مع اعترافه بضعفه وعدم إلزامه الله بشيء فهذا جائز ، ودليله قوله ﷺ : « رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ مَدْفُوعٍ بالأبواب لَوْ أَقْسَم على اللهِ لأَبَرَّه » ودليل آخر واقعي وهو حديث أنس بن النَّضْر : حينما كَسَرَتْ أخته الرُّبَيِّع سِنا لجارية من الأنصار ، فطالب أهلها بالقِصاص فطلبوا إليهم العفو فأَبَوْا ، فعَرَضُوا الأَرْشَ فأَبَوْا ، فأَتَوْا رسولَ الله ﷺ فأبوا إلا القِصاصَ ، فأمر رسولُ الله ﷺ بالقِصاص ، فقال أنس بن النضر : أَتُكْسَرُ ثَنِيَّةُ الرُّبَيِّع ؟ لا والذي بعثك بالحق لا تُكْسَرُ ثَنِيَّتُها . فقال رسول الله ﷺ : « يا أَنَسُ كتابُ اللهِ القِصاصُ » فرضي القوم فعَفَوْا ، فقال رسول الله ﷺ : إنَّ مِنْ عِبادِ اللهِ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ على اللهِ لأَبَرَّه » . وهو رَضِيَ اللهُ عنهِ لم يقسم اعتراضا على الحكم وإباءً لتنفيذه ، فجعل الله الرحمة في قلوب أولياء المرأة التي كُسِرَتْ سِنُّها فعَفَوْا عَفْواً مُطْلَقاً ، عند ذلك قال الرسول ﷺ : « إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره » . فهذا النوع من الإقسام لا بأس به .

أما النوع الثاني من الإقسام على الله : فهو ما كان الحامل عليه الغرور وإعجاب بالنفس وأنه يستحق على الله كذا وكذا ، فهذا – والعياذ بالله – مُحَرَّم ، وقد يكون مُحْبِطاً للعمل ، ودليل ذلك : أن رجلا كان عابداً وكان يمر بشخص عاص لله ، وكلما مرّ به نهاه فلم ينته ، فقال ذات يوم : والله لا يغفر الله لفلان – نسأل الله العافية – فهذا تَحَجَّرَ رحمةَ الله لأنه مغرور بنفسه ؟ ! فقال الله عز وجل : من ذا الذي يتألّى عليَّ ألا أغفر لفلان ؟ قد غفرتُ له وأحبطتُ عملَك . قال أبو هريرة : تكلّم بكلمة أَوْبَقَتْ دنياه وآخرته . ومن هذا نأخذ أن مِن أضر ما يكون على الإنسان اللسان ، كما قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه « ألا أُخبرك بمِلاك ذلك كُلّه ، قلت : بلى يا رسولَ الله فأخذ النبيُّ ﷺ بلسانه فقال : كُفَّ عليك هذا ، فقال : يا رسول الله أو إنَّا لمؤاخَذُون بما نَتكلمُ به ؟ فقال : ثَكَلَتْكَ أُمُّك يا معاذُ وهَلْ يَكُبُّ الناسَ في النَّارِ على وُجُوهِهم أو قال على مناخرِهم إلا حَصَائدُ ألسنِتهم » . والله الموفق والهادي إلى سواء الصراط .

١٤٩ — هناك من الناس من يسأل بوجه الله ، فيقول : « أسألك بوجه الله كذا وكذا » فما الحُكْم في هذا القول ؟

وجه الله أعظم من أن يَسأل به الإنسانُ شيئا من الدنيا ويجعل سؤاله بوجه الله عز وجل كالوسيلة التي يتوسل بها إلى حصول مقصوده من هذا الرجل الذي توسل إليه بذلك . فلا يُقْدِمَنَّ أحدٌ على مثل هذا

السؤال ؛ أي لا يقل : وجه الله عليك ، أو أسألك بوجه الله ، أو ما أشبه ذلك .

١٥٠ ــــــ سئل الشيخ : ماحكم من لم يقتنع بالْحَلِفِ باللّه ؟

فأجاب قائلًا : من لم يقتنع بالحلف بالله فلا يخلو ذلك من أمرين :

الأمر الأول : أن يكون ذلك من الناحية الشرعية فإنه يجب الرضى **بالحلف باللّه فيما** إذا توجهت اليمين على المُدَّعَى عليه فحَلَف فيجب الرضا بهذا الحكم الشرعي .

الأمر الثاني : أن يكون ذلك من الناحية الحسية ، ففي هذا تفصيل :

أولًا : إذا كان الحالف موضع صدق ثقة فإنك ترضى بيمينه .

ثانيًا : إذا كان غير ذلك فلك أن ترفض الرضى بيمينه ، ولهذا لما قال النبي ﷺ لحُوَيِّصَة ومُحَيِّصَة « تُبَرِئُكُمْ يَهُودُ بخَمْسِينَ يَمِينًا » . قالوا : كيف نرضى يارسولَ اللّهِ بأَيْمانِ اليَهُودِ ؟ . فأَقَرَّهُم النبيُّ ﷺ على ذلك .

١٥١ ـــــ شخص أقسم ألَّا يفعل شيئًا معينًا ، وإن فعله ليصومن شهرين متتابعين ، وهو الآن يخشى على نفسه من الوقوع في هذا الفعل فما الحكم ؟

هذا الرجل يريد أنْ يَمْتَنِع من فعل شيء معين ، فأقْسم أنَّه إن فعله لَيَصُومَنَّ شَهْرَينِ متتابعين ، وغرضه بذلك أن يذكر سَبَبًا قويًّا للمنع في نفسه ، وهو صيام شهرين متتابعين فمثل هذا يَلْحَقُ بالنَّذر ، والنَّذر الذي يُقْصدُ منه الحَث ، أو المَنْع ، أو التَّصديق ، أو التَّكذيب حكمه عند أهل العلم حكم اليمين .

وعلى هذا فنقول لهذا الرجل : إن فعلت ذلك وجب عليك كَفَّارة يَمِين ، وهي : إطْعَامُ عَشْرِة مَسَاكين أو كسْوتهم ، أو تَحْرير رَقَبة ، فإن لم تجد فصيام ثلاثة أيام .

١٥٢ لدينا أشخاص يحلفون بالطلاق في كثير من مناقشاتهم ويرددون – عليّ الطلاق إن تعمل كذا أو كذا إن تخرج إلى كذا – مع العلم أن كلاً منهم متزوج فهل يقع الطلاق في مثل هذه الحالة أم لا ؟

إن هذا السُّؤال تَضَمَّن سُؤَّالين ، السُّؤال الأول حال هؤلاء السُّفهاء الذي يُطْلِقُون أَلْسنَتهم بالطَّلاق في كل هَيِّن وعَظِيم وهؤلاء مُخَالفون لما أرشد إليه النبي ﷺ في قوله : «مَن كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بالله أَوْ لِيَصْمُت» .

فإذا أَراد المؤمن أَن يَحْلِف فليحلف بالله عزَّ وجلَّ ولا يَنْبَغي أَيضًا أَن يكثر من الحلف ولا بالله تعالى لقوله تعالى ﴿وَاحْفَظُواْ أَيْمَانَكُم﴾[1] . ومن جملة ما فُسِّرت به أن المعنى لا تكثروا الحلف بالله .

أَمَّا أَنْ يَحْلِفوا بالطَّلاق مثل عليَّ الطَّلاق أَن تفعل كذا أو عليَّ الطَّلاق ألا تفعل أو إن فعلت كذا فامرأتي طالق أو إن لم تفعل فامرأتي طالق وما أشبه ذلك من الصِّيغ ، فإن هذا خلاف ما أرشد إليه النبي ﷺ . وقد قال كثير من أهل العلم بل أكثر أهل العلم أنه إذا حَنَثَ

(١) المائدة : ٨٩

في ذلك فإن الطَّلاق يلزمه وتُطَلَّق منه امرأته ،**وإن كان القول الراجح أن الطَّلاق إذا استعمل استعمال** اليمين بأن كان القَصْد منه الحث على الشَّيء أو المنع أو التَّصديق أو التَّكذيب أو التوكيد فإن حكمه حكم اليَمين لقول الله تعالى ﴿ **يَأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحلَّ الله لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِك والله غفورٌ رحيمٌ قَدْ فَرَضَ الله لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُم** ﴾[1] . فجعل الله التَّحريم يَمِينًا . ولقول النبي ﷺ : «إنَّمَا الأعمال بِالنِّيَّات وَإِنَّمَا لكل امرىءٍ مَا نَوَى» وهذا لم يَنْوِ الطَّلاق وإنما اليمين أو نوى معنى اليمين فإذا حنث فإنه يجزأه كَفَّارة يمين هذا هو القول الراجح .

وأما المسألة الثَّانية فهي الحلف على غيرهم سواء كان ذلك بالطَّلاق أو بالله عزَّ وجلَّ أو بصفة من صفاته فإن الحلف على غيرك فيه إحراج له وربما يكون فيه ضَرَر عليه وهو بلا شَكٍّ لا يخلو من إحراج إمَّا على المحلوف عليه وإما على الحالف فالمحلوف عليه قد يفعل ما حلف عليه فيه مع تحمله المَشَقَّة فيكون في ذلك إحراج عليه وربما لا يفعل لما يجري من المَشَقَّة ويكون في ذلك إلزام للحالف بالكفارة أعني إلزامًا له بكفارة اليمين وكفارة اليمين هي كما قال الله تعالى في سورة المائدة ﴿ **فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ** ﴾[2] . فذكر الله تعالى في كَفَّارَة اليمين أربعة أشياء ثلاثة منها

---

(١) التحريم : ١ – ٢

(٢) المائدة : ٨٩

على التخيير وهي إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو تحرير رقبة وواحد على الترتيب إذا لم يجد هذه الثلاثة فإنه يصوم ثلاثة أيام مُتَتَابعة . وقد حذف المفعول في قوله تعالى ﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ ﴾ ليكون ذلك شَامِلًا لمن لم يجد ما يُطْعِمُهم به أو يَكْسُوهم أو يحرر به الرَّقبة ومن لم يجد المَسَاكين الذين يُطْعِمُهم أوْ يَكْسُوهم أو لم يجد الرَّقبة .

وعلى هذا فإذا كُنْت في بلد ليس فيه فقراء فإنه يجوز لك أن تصوم عن كفَّارة اليمين ثلاثة أيام لأنه يصدق عليك أنَّك لم تجد .

١٥٣ ما حكم الحلف بالمصحف ؟

هذا السؤال ينبغي أن نبسط الجواب فيه وذلك أن القَسَم بالشيء يدل على تعظيم ذلك المقسم به تعظيما خاصا لدى المقسم ، ولهذا لا يجوز لأحد أن يحلف إلا بالله تعالى بأحد أسمائه ، أو بصفة من صفاته ، مثل أن يقول : والله لأفعلن ، ورب الكعبة لأفعلن ، وعزة الله لأفعلن ، وما أشبه ذلك من صفات الله تعالى .

والمصحف يتضمن كلام الله وكلام الله تعالى من صفاته هو – أعني كلام الله – صفة ذاتية فعلية لأنه بالنظر إلى أصله وأن الله لم يزل ولا يزال موصوفا به ، لأن الكلام كمال فهو من هذه الناحية من صفات الله الذاتية ، إذ لم يزل ولا يزال متكلما فعالاً لما يريده وبالنظر إلى أحاده يكون من الصفات الفعلية لأنه يتكلم متى شاء ، قال الله تعالى : ﴿ إنَّما

أمْرُه إذا أراد شيئاً أن يَقُولَ له كُن فَيَكُونُ ﴾[1] . فقرن القول بالإرادة ، وهو دليل على أن كلام الله يتعلق بإرادته ومشيئته سبحانه وتعالى ، والنصوص في هذا متضافرة كثيرة ، وأن كلام الله تحدث آحاده حسب ما تقتضيه حكمته ، وبهذا نعرف بطلان قول من يقول إن كلام الله أزلي ولا يمكن أن يكون تابعا لمشيئته وأنه هو المعنى القائم بنفسه وليس هو الشيء المسموع الذي يسمعه من يكلمه الله عز وجل . فإن هذا قول باطل ، حقيقته أن قائله جعل كلام الله المسموع مخلوقا .

وقد ألف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كتابا يعرف باسم « التسعينية » بين بطلان هذا القول من تسعين وجها .

فإذا كان المصحف يتضمن كلام الله وكلام الله تعالى من صفاته ، فإنه يجوز الحلف بالمصحف ، بأن يقول الإنسان : والمصحف . ويقصد ما فيه من كلام الله عز وجل ، وقد نص على ذلك فقهاء الحنابلة رحمهم الله ، ومع هذا فإن الأولى للإنسان أن يحلف بما لا يشوش على السامعين بأن يحلف باسم الله عز وجل فيقول : والله ؛ ورب الكعبة ؛ أو والذي نفسي بيده ؛ وما أشبه ذلك من الأشياء التي لا تستنكرها العامة ولا يحصل لديهم فيها تشويش . فإن تحديث الناس بما يعرفون وتطمئن إليه قلوبهم خير وأَوْلَى ، وإذا كان الحلف إنما يكون بالله وأسمائه وصفاته فإنه لا يجوز أن يحلف أحد بغير الله ؛ لا بالنبي ﷺ ؛ ولا بجبريل ؛ ولا بالكعبة ؛ ولا بغير ذلك من المخلوقات . قال النبي عليه الصلاة والسلام :

---

(١) يس ٨٢ .

« مَنْ كان حَالِفاً فَلْيَحْلِف باللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ » . وقال النبي ﷺ : « مَنْ حَلَفَ بغَيْرِ اللهِ فقَدْ كَفَرَ أو أَشْرَكَ » ، فإذا سمع الإنسان شخصا يحلف بالنبي أو بحياة النبي أو بحياة شخص آخر فلينهه عن ذلك وليبين له أن هذا حرام ولا يجوز ، ولكن ليكن نهيه وبيانه على وِفْق الحكمة حيث يكون باللطف واللين والإقبال على الشخص وهو يريد نصحه وانتشاله من هذا المحرم . لأن بعض الناس تأخذه الغَيْرة عند الأمر والنهي فيغضب ويحمر وجهه وتنتفخ أَوْدَاجُه وربما يشعر في هذه الحال أنه ينهاه انتقاما لنفسه فيلقي الشيطان في نفسه هذه العِلّة . ولو أن الإنسان أنزل الناس منازلهم ودعا إلى الله بالحكْمة واللين والرفق لكان ذلك أقرب إلى القبول . وقد ثبت عن النبي ﷺ : « إنَّ اللهَ يُعْطِي على الرِّفْق ما لا يُعْطِي على العُنْف » . ولا يخفي على الكثير ما حصل من النبي ﷺ في قصة الأعرابي الذي جاء إلى المسجد فبال في طائفة منه فزجره الناس وصاحوا به فنهاهم النبي ﷺ عن ذلك فلما قضى بوله دعاه النبي عليه الصلاة والسلام وقال : « إنَّ هذه المساجدَ لا يَصْلُحُ فيها شيءٌ مِنْ الأَذَى أو القَذَر ، وإنما هي للتكبير والتسبيحِ وقراءة القرآنِ » . أو كما قال ﷺ . ثم أمر أصحابه أن يَصُبُّوا على البول ذَنُوبا من ماء . فبهذا زالت المفسدة وطَهر المكان وحصل المقصود بالنسبة لنصيحة الأعرابي الجاهل ، وهكذا ينبغي لنا نحن في دعوة عباد الله إلى دين الله أن نكون داعين إلى الله سبحانه وتعالى فنسلك الطريق التي تكون أقرب إلى إيصال الحق إلى قلوب الخلق وإصلاحهم . والله الموفق .

١٥٤ ما حكم القَسَم بصفة من صفات الله تعالى ؟

القسم بصفة من صفات الله تعالى جائز ؛ مثل أن تقول : وعزة الله لأفعلن ، وقدرة الله لأفعلن ، وما أشبه ذلك . وقد نصّ على هذا أهلُ العلم حتى قالوا : إنه لو أقسم بالمصحف لكان جائزا ، لأن المصحف مشتمل على كلام الله ، وكلام الله من صفاته .



الخـــوف والرجــــاء

١٥٥ ما مذهب أهل السنة والجماعة في الرجاء والخوف ؟

اختلف العلماء هل يُقَدِّم الإنسانُ الرجاء أو يُقَدِّم الخوف ؟

✵ فقال الإمام أحمد رحمه الله : « ينبغي أن يكون خوفه ورجاؤه واحدا ، فلا يُغَلِّب الخوف ، ولا يُغَلِّب الرجاء » قال رحمه الله : « فأيُّهما غلب هلك صاحبُه » لأنه إنْ غلّب الرجاء وقع الإنسان في الأمن من مَكْر الله . وإن غلب الخوف وقع في القُنوط من رحمة الله .

✵ وقال بعض العلماء : « ينبغي تغليب الرجاء عند فِعْل الطاعة ، وتغليب الخوف عند إرادة المعصية ، لأنه إذا فعل الطاعة فقد أتى بمُوجب حُسْن الظنّ . فينبغي أن يغلب الرجاء وهو القَبول ، وإذا هَمَّ بالمعصية أن يغلّب الخوف لِئلاَّ يقع في المعصية » .

✵ وقال آخرون : « ينبغي للصحيح أن يغلّب جانبَ الخوف ، وللمريض أن يغلب جانب الرجاء ، لأن الصحيح إذا غلّب جانب

الخوف تجنب المعصية ، والمريض إذا غلب جانب الرجاء لَقِيَ اللهَ وهو يُحسن الظنَّ به » .

✲ والذي عندي في هذه المسالة ان هذا يختلف باختلاف الأحوال وأنه إذا خاف إذا غلّب جانب الخوف أنْ يَقنُطَ من رحمة الله وجب عليه أن يردَّ ويقابل ذلك بجانب الرجاء ، وإذا خاف إذا غلّب جانب الرجاء أن يأمن مكر الله فليردّ ويغلب جانب الخوف ، والإنسان في الحقيقة طبيب نفسه ، إذا كان قلبه حيّا ، أما صاحب القلب الميت الذي لا يعالج قلبه ولا ينظر أحوال قلبه فهذا لا يهمه الأمر .

١٥٦ وسُئل الشيخ : عن احتجاج العاصي إذا نُهِيَ عن معصية بقوله تعالى : ﴿ إنَّ الله غَفُور رَّحِيم ﴾ ؟

فأجاب قائلًا : إذا احتج بهذا احتججنا عليه بقوله تعالى : ﴿ نَبِّيءْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . وأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ ﴾[1] . وبقوله تعالى : ﴿ اعْلَمُوا أَنَّ الله شَدِيدُ الْعِقَابِ وأَنَّ الله غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2] . فإذا أتى بآيات الرجاء يقابل بآيات الوعيد .

وليس هذا الجواب منه إلا جواب المتهاون ، فنحن نقول له : اتق الله – عز وجل – وقم بما أوجب الله عليك ، واسأله المغفرة ، لأنه ليس كل أحد يقوم بما أوجب الله عليه يقوم به على وجهه الأكمل .

---

(١) الحجر : ٤٩ ، ٥٠ .

(٢) المائدة : ٩٨ .

التـــوكل

١٥٧ سئل الشيخ : ما حكم التعلق بالأسباب ؟

فأجاب حفظه الله بقوله : التعلّق بالأسباب أقسام :

القسم الأول : ما ينافي التوحيد في أصله ، وهو أن يتعلق الإنسان بشيء لا يمكن أن يكون له تأثير ويعتمد عليه اعتمادًا كاملًا معرضًا عن الله مثل تعلق عُبَّادِ القبور بمن فيها عند حلول المصائب . وهذا شرك أكبر مخرج عن الملة وحكم الفاعل ما ذكره الله تعالى بقوله : ﴿ **إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ** ﴾(١) .

القسم الثاني : أن يعتمد على سبب شرعي صحيح مع غفلته عن المسبِّب وهو الله تعالى فهذا نوع من الشرك ولكن لا يُخْرِج من الملة ؛ لأنه اعتمد على السبب ونسي المسبِّب وهو الله تعالى .

(١) المائدة : ٧٢ .

القسم الثالث : أن يتعلق بالسبب **تعلقًا** مجردًا لكونه سببًا **فقط** مع اعتماده الأصلي على الله فيعتقد أن هذا السبب من الله ، وأن الله لو شاء قطعه ولو شاء لأبقاه وأنه لا أثر للسبب في مشيئة الله عز وجل ، فهذا لا ينافي التوحيد لا أصلًا ولا كمالًا .

ومع وجود الأسباب الشرعية الصحيحة ينبغي للإنسان أن لا يعلق نفسه بالسبب بل يعلقها بالله ، فالموظف الذي يتعلق قلبه بمرتبه تعلقًا كاملًا مع الغفلة عن المسبِّب وهو الله فهذا نوع من الشرك ، أما إذا اعتقد أن المرتب سبب والمسبِّب هو الله سبحانه وتعالى فهذا لا ينافي التوكل والرسول ﷺ كان يأخذ بالأسباب مع اعتماده على المسبِّب وهو الله عز وجل .

التطـــير والتشـــاؤم

١٥٨ ــ شخص سكن في دار فأصابته الأمراض وكثير من المصائب مما جعله يتشاءم هو وأهله من هذه الدار ، فهل يجوز له تركها لهذا السبب ؟

ربما يكون بعض المنازل أو بعض المركوبات أو بعض الزوجات مشئوما يجعل الله بحكمته مع مصاحبته إما ضررا أو فوات منفعة أو نحو ذلك ، وعلى هذا فلا بأس ببيع هذا البيت والانتقال إلى بيت غيره ، ولعل الله أن يجعل الخير فيما ينتقل إليه وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال : « الشُّؤْمُ في ثلاث : الدارُ والمرأةُ والفَرَس » فبعض المركوبات يكون فيها شؤم ، وبعض الزوجات يكون فيهن شؤم ، وبعض البيوت يكون فيها شؤم ، فإذ رأى الإنسان ذلك فليعلم أنه بتقدير الله عزّ وجلّ وأن الله سبحانه وتعالى بحكمته قَدّر ذلك لينتقل الإنسان إلى محل آخر . والله أعلم .



الرقـــــى والتمـــــائم

١٥٩ ما حكم الرُّقْيَة ؟

الرّقية على المريض المصاب بسحر أو غيره من الأمراض لا بأس بها إن كانت من القرآن الكريم أو من الأدعية المباحة ، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يرقي أصحابه ، ومن جملة ما يرقاهم به : « رَبُّنا اللهُ الذي في السماء تَقَدَّسَ اسْمُك ، أَمْرُكَ في السماءِ والأَرْضِ ، كما رحمتُك في السماءِ فاجْعَلْ رَحْمَتَكَ في الأَرْضِ ، أَنْزِلْ رحمةً مِن رحمتِك ، واشْفِ مِن شِفائِك على هذا الوَجَع » فيبرأ . ومن الأدعية المشروعة : « بسم اللهِ أَرْقِيك مِن كلِّ دَاءٍ يُؤْذِيك مِن شرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ اللهُ يَشْفِيكَ بِسْمِ الله أَرْقِيكَ » ومنها أن يضع الإنسان يده على الألم الذي يؤلمه من بدنه فيقول « أَعُوذُ باللهِ وعِزَّتِه مِنْ شَرِّ ما أَجِدُ وأُحَاذِرُ » إلى غير ذلك مما ذكره أهل العلم من الأحاديث الواردة عن الرسول ﷺ وأما كتابة الآيات والأذكار وتعليقها فقد اختلف أهل العلم في ذلك فمنهم من أجازه ومنهم من منعه ، والأقرب المنع من ذلك لأن هذا لم يرد عن النبي ﷺ وإنما الوارد أن يقرأ على المريض . أما أن تُعَلَّق الآيات

أو الأدعية على المريض في عنقه أو في يده أو تحت وسادته وما أشبه ذلك فإن ذلك من الأمور الممنوعة على القول الراجح لعدم ورودها ، وكل إنسان يجعل من الأمور سبباً لأمر آخر بغير إذن من الشرع فإن عمله هذا يُعَدّ نوعا من الشرك لأنه إثبات سبب لم يجعله الله سببا .

١٦٠ ــــ هل الرُّقية تُنافي التوكل ؟

التوكل هو صدق الاعتماد على الله عزّ وجلّ في جَلْب المنافع ودَفْع المضار ، مع فِعْل الأسباب التي أمر الله بها ، وليس التوكل أن تعتمد على الله بدون فعل الأسباب ، فإن الاعتماد على الله بدون فعل الأسباب طَعْن في الله عزّ وجلّ وفي حِكمته تبارك وتعالى ، لأن الله تعالى ربط المسببات بأسبابها. وهنا سؤال منْ أعظم الناس توكلاً على الله ؟ .

الجواب هو الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهل كان يعمل الأسباب التي يتقي بها الضرر ؟ الجواب نعم ، كان إذا خرج إلى الحرب يلبس الدروع ليتوقّى السهام ، وفي غزوة أحد ظاهر بين درعين أي لبس درعين ، كل ذلك استعداد لما قد يحدث ، ففِعْل الأسباب لا ينافي التوكل إذا اعتقد الإنسان أن هذه الأسباب مجرد أسباب فقط لا تأثير لها إلا بإذن الله تعالى ، وعلى هذا فالقراءة قراءة الإنسان على نفسه ، وقراءته على إخوانه المرضى لا تنافي التوكل ، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه كان يَرْقي نفسه بالمعوذات وثبت أنه كان يقرأ على أصحابه إذا مَرِضُوا . والله أعلم .

١٦١ عندنا في السُّودان بعض من النَّاس يُعْرفون بالمَشَايخ يَكْتُبون المحَّاية للنَّاس إذا مرض الشَّخص أو أصابه سِحْرُ أو غير ذلك من الأمور الخُرَافية ما حكم من يَتَعامل مَعهم وما حُكم عملهم هذا ؟

إن الرُّقية على المريض المُصَاب بِسِحْر أو بغيره من المرض لا بأس بها إنْ كَانَتْ من القرآن أو من الأدعية المباحة ، فقد ثَبَت أن النبي ﷺ كان يَرْقى أصحابه ومن جُمْلة ما يرْقاهم به : «رَبنَا الله الذي في السَّماء تَقَدَّسَ اسْمُكَ ، أمْرُك في السَّماء والأرْضِ كما رَحْمَتُك في السَّماء فاجْعَل رَحْمَتَك في الأرض . أنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحْمَتِك واشْفِ من شفَائِك عَلى هَذا الوجع فيبرأ» .

ومن الأدْعية المشروعة : «بسْم الله أرقيكَ مِنْ كُلِّ دَاءٍ يُؤْذِيكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أوْ عَيْن حَاسِدِ الله يشفيك بسْم الله أرْقيكَ» .

ومنها : أنْ يَضَع الإنسان يده على الألم الذي يؤْلمه من بدنه فيقول : «أعُوذ بالله وَعزتِه مِنْ شَرِّ مَا أجِدُ وَأُحَاذرُ» إلى غَيْر ذَلِك ممَّا ذكره أهْل العِلْم مِنَ الأحَادِيث الوَارِدة عَن الرَّسول ﷺ .

وأما كتابة الآيات والأذكار وتعليقها فقد اختلف أهل العلم في ذلك فمنهم من أجازه ومنهم من مَنَعه والأقرب المَنْع من ذلك لأن هذا لم

يرد عن النبي ﷺ وإنما الوارد أنْ يَقْرأ على المريض إمَّا أنْ تُعَلَّق الآيات أو الأدعية على المريض في عُنقِه أوْ تحت وسادته وما أشْبه ذلك فإنَّ ذلك من الأمور الممْنوعة على القول الرَّاجح لعدم وُرُودها وكل إنسان يجعل من الأمور سببًا لأمرٍ آخر بغير إذْنٍ من الشَّرع فإنَّ عمله هذا يُعدُّ نوعًا من الشِّرك ، لأنَّه إثبات سبب لم يجعله الله سببًا هذا بقطع النَّظر عن حال هؤلاء المَشَايخ فلا نَدْري فلعل هؤلاء المَشَايخ من المُشَعْوذِين الَّذين يَكْتبون أشياء مُنْكرة وأشياء مُحرَّمة فإنَّ ذلك لا شك في تحريمه ولهذا قال أهل العلم : لا بأس بالرق بشرط أن تكون مَعْلومة خالية من الشرك .

١٦٢ ــــ ما حُكْم تعليق التمائم والحُجُب ؟

هذه المسألة أعني تعليق الحجب والتمائم تنقسم إلى قسمين :

أحدهما : أن يكون المُعَلَّق من القرآن .

والثاني : أن يكون من غير القرآن الكريم مما لا يُعرف معناه .

فأما الأول وهو تعليقها من القرآن الكريم فقد اختلف في ذلك أهل العلم سَلَفًا وخلفاً . فمنهم مَنْ أجاز ذلك ورأى أنه داخل في قوله تعالى : ﴿ وننَزل مِنَ القُرْآنِ ما هُوَ شِفَاءٌ ورَحْمَةٌ للمُؤْمِنِين ﴾[1] . وقوله

---

(١) الإسراء ٨٢

تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ ﴾[1] . وأن من بركته أن يعلق ليدفع به السوء .

ومنهم من منع ذلك وقال إن تعليقها لم يثبت عن النبي ﷺ إنه سببٌ شرعي يدفع به السوء أو يُرفع به ، والأصل في مثل هذه الأشياء التوقيف وهذا القول هو الراجح وأنه لا يجوز تعليق التمائم ولو من القرآن الكريم ، ولا يجوز أيضا أن تجعل تحت وسادة المريض أو تعلّق في الجدار وما أشبه ذلك ، وإنما يدعى للمريض ويقرأ عليه مباشرة كما كان النبي ﷺ يفعل .

وأما إذا كان المعلق من غير القرآن الكريم مما لا يفهم معناه وهو القسم الثاني فإنه لا يجوز بكل حال لأنه لا يدري ماذا يكتب ، فإن بعض الناس يكتبون طلاسم وأشياء معقدة حروف متداخلة ما تكاد تعرفها ولا تقرأها ، فهذا من البدع وهو محرّم ولا يجوز بكل حال . والله أعلم .

١٦٣ ـــ ما حُكْم لُبس السوار لعلاج الروماتيزم ؟

اعلم أن الدواء سبب للشفاء والمُسَبِّب هو الله تعالى فلا سبب إلا ما جعله الله تعالى سببا ، والأسباب التي جعلها الله تعالى أسباباً نوعان :

أولا : أسباب شرعية كالقرآن الكريم والدعاء كما قال النبي ﷺ في

(١) ص ٢٩ .

سورة الفاتحة : « وما يُدْرِيك أَنَّها رُقْيَة » وكما كان ﷺ يرقي المرضى بالدعاء لهم فيشفي الله تعالى بدعائه من أراد شفاءه به .

النوع الثاني : أسباب حسيّة كالأدوية المادية المعلومة عن طريق الشرع كالعسل ، أو عن طريق التجارب مثل كثير من الأدوية ، وهذا النوع لابد أن يكون تأثيره عن طريق المباشرة لا عن طريق الوَهْم والخيال ، فإذا ثبت تأثيره بطريق مباشر محسوس صحّ أن يُتخذ دواءً يحصل به الشفاء بإذن الله تعالى ، أما إذا كان مجرد أوهام وخيالات يتوهمها المريض فتحصل له الراحة النفسية بناء على ذلك الوهم والخيال ويهون عليه المرض وربما ينبسط السرور النفسي على المرض فيزول ، فهذا لا يجوز الاعتماد عليه ولا إثبات كونه دواء لئلا ينساب الإنسان وراء الأوهام والخيالات ولهذا نُهى عن لبس الحَلْقَةِ والخيط ونحوهما لرفع المرض أو دفعه لأن ذلك ليس سبباً شرعياً ولا حسيا ، وما لم يثبت كونه سبباً شرعياً ولا حسياً لم يجز أن يجعل سبباً ، فإن جعله سبباً نوع من منازعة الله تعالى في ملْكه ، وإشراك به حيث شارك الله تعالى في وضع الأسباب لمسبباتها ، وقد ترجم الشيخ محمد بن عبد الوَهَّاب رحمه الله لهذه المسالة في كتاب التوحيد بقوله بابٌ مِن الشِّرْك لُبْسَ الحَلْقَةِ والخيط ونحوهما لدَفْعِ البلاء أو رَفْعِه .

وما أظن السوار الذي أعطاه الصيدلي لصاحب الروماتيزم الذي ذكر في السؤال إلا من هذا النوع ، إذ ليس ذلك السوار سبباً شرعيا ولا حسيا تعلم مباشرته لمرض الروماتيزم حتى يبرئه فلا ينبغي للمصاب أن يستعمل ذلك السوار حتى يعلم وجه كونه سبباً . والله الموفق .

١٦٤ ـــــ ما حُكْم وَضْع العروس قدمها في دم خروف مذبوح ؟

ليس لهذه العادة من أصل شرعي وهي عادة سيئة لأنها :

١ - عقيدة فاسدة لا أساس لها من الشرع .

٢ - أن تلوثها بالدم النجس سَفَه ، لأن النجاسة مأمور بإزالتها والبعد عنها .

وبهذه المناسبة أود أن أقول لإخواني المسلمين : إن من المشروع أن الإنسان إذا أصابته النجاسة فليبادر بإزالتها وتطهيرها ، فإن هذا هو هَدْي النبي ﷺ فإن الأعرابي لما بال في المسجد « أمر النبيُ ﷺ أَنْ يُراقَ على بَوْلِه ذَنُوباً مِنْ ماءٍ » وكذلك الصبي الذي بال في حِجْر النبيِّ ﷺ دعا النبي ﷺ بماءٍ فأَتْبَعَه إياه - أي أتبعه بولَ الصبي - وتأخير إزالة النجاسة سبب يؤدي إلى نسيان ذلك ثم يصلي الإنسان وهو على نجاسة ، وهذا وإن كان يُعذر به على القول الراجح - وأنه لو صلى بنجاسه نسي أن يغسلها فصلاته صحيحة - لكن ربما يتذكر في أثناء الصلاة وحينئذ إذا لم يمكنه أن يتخلص من النجاسة مع الاستمرار في صلاته فلازم ذلك أن سوف يقطع صلاته وينصرف ويبتدؤها من جديد .

وعلى كل حال هذه العادة السيئة التى وقع السؤال عنها فيها تلوث المرأة بالنجاسة الذي هو من السفه فإن الشرع أمر بالتخلص من النجاسة وتطهيرها . ثم إنني أخشى أن يكون هناك عقيدة أخرى وهو أن يذبحوه

إما لجن أو شياطين ، أو ما أشبه ذلك، فيكون هذا نوعا من الشرك ومعلوم أن الشرك لا يغفره الله عزّ وجلّ . والله المستعان .

١٦٥ وضع التمر على الطعام لئلا تأتيه الحشرات هل ينافي كمال التوحيد ؟

هذا الفعل وهو وضع التمر على الطعام لئلا تصيبه الحشرات لا أعلم له أصلا من الشرع ، ولا أصلا من الواقع ، فإن الحشرات تأتي إلى ما يلائمها فمنها ما يلائمه التمر وتأتي حوله وتأكل منه ، ومنها ما يلائمها الدَّسم فتأتي إليه وتطعم منه ، ولا أصل لهذا الذي يفعل وإذا لم يكن له أصل من الشرع ولا أصل من الواقع فإنه لا ينبغي للإنسان أن يفعله ، لأنه مبني على مجرد أوهام وخيالات لا حقيقة لها والله أعلم .

١٦٦ ما حكم النَّفْث في الماء ؟

النفث في الماء على قسمين :

القسم الأول : أن يراد بهذا النفث التبرك بريق النافث فهذا لا شك أنه حرام ونوع من الشرك لأن ريق الإنسان ليس سببا للبركة والشفاء ولا أحد يتبرك بآثاره إلا محمد ﷺ . أما غيره فلا يتبرك بآثاره ، فالنبي ﷺ يتبرك بآثاره في حياته وكذلك بعد مماته إذا بقيت تلك الآثار كما كان عند أم سَلَمَةَ رضي الله عنها جُلْجُل من فِضّة فيه شَعَرَاتٌ مِنْ شَعَرِ

النَّبيّ ﷺ يُسْتَشْفَى بها المرضى فإذا جاء مريضٌ صَبَّتْ على هذه الشَّعَراتِ ماءً ثم حَركَتْه ثم أعطته الماءَ . ولكن غير النبي ﷺ لا يجوز لأحد أن يتبرك بريقه ، أو بعرقه ، أو بثوبه ، أو بغير ذلك ، بل هذا حرام ونوع من الشرك ، فإذا كان النفث في الماء من أجل التبرك بريق النافث فإنه حرام ونوع من الشرك ، وذلك لأن كل من أثبت لشيء سببا غير شرعي ولا حسي فإنه قد أتى نوعا من الشرك ، لأنه جعل نفسه مسببا مع الله وثبوت الأسباب لمسبباتها إنما يتلقى من قبل الشرع فلذلك كل من تمسك بسبب لم يجعله الله سببا لا حسا ولا شرعا فإنه قد أتى نوعا من الشرك .

القسم الثاني : أن ينفث الإنسان بريق تلا فيه القرآن الكريم مثل أن يقرأ بالفاتحة – والفاتحة رقية وهي من أعظم ما يرقى به المريض – فيقرأ الفاتحة وينفث في الماء فإن هذا لا بأس به ، وقد فعله بعض السلف وهو مجرّب ونافع بإذن الله ، وقد « كان النبي ﷺ يَنْفُثُ في يَدَيْه عند نومه بقُلْ هو الله أحد ، وقُلْ أعوذ برب الفَلَق ، وقُلْ أعوذ برب الناس ، فيمسح بهما وَجْهَه وما استطاعَ مِنْ جَسَدِه » صلوات الله وسلامه عليه ، والله الموفق .

١٦٧ —— فضيلة الشيخ : بعض أهل المزارع يذهبون إلى رجل ليكتب لهم ورقة تطرد لهم الطيور ، وتحمي مزارعهم . فما حكم هذا العمل ؟

هذا العمل ليس بجائز شرعاً وذلك لأنه لا يمكن أن تكون هذه الورقة تطرد الطيور عن المزارع فإن هذا ليس معلوماً بالحس ولا معلوماً بالشرع ، وكل سبب ليس معلوماً بالحسّ ولا بالشرع فإن اتخاذه محرّم ، فلا يجوز أن يعملوا هذا العمل . وإنما عليهم أن يكافحوا هذه الطيور التي تنقص محاصيلهم بالوسائل المعتادة التي يعرفها الناس دون هذه الأمور التي لا يُعلم لها سبب حسي ولا شرعي .

١٦٨ —— يوجد أناس يحملون القرآن ولكنهم يتعاملون بالتمائم والسحر هل تجوز الصلاة خلفهم أم لا ؟

الذين يعملون بالتَّمائم يُنظر في تمائمهم هذه فإن كانت التَّمائم تتضمن شركًا ودعاء لغير الله واستغاثة بغير الله واستنجادًا بغير الله فإن هذا شرك أكبر مُخْرِج عن المِلَّة لأنَّ دعاء غير الله والاستغاثة به لا يَقْدِر عليه إلا الله شرْكُ أكبر وهو من السَّفه والضَّلال أمَّا كونه من السفه فلأنه خروج

عن ملة التوحيد التي هي ملة إبراهيم وقد قال الله تعالى ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَن مِلَّةِ إبْرَاهِيمِ إلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَه ﴾[1] . وأمَّا كونه من الضَّلال فقد قال الله تعالى ﴿ ومَنْ أضَلُّ ممَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ الله مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ وَهُم عَنْ دُعَائِهِم غَافِلُون وَإذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُم أعْدَاءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِم كَافِرِين ﴾[2] .

وبين الله عزَّ وجلَّ أن من دعا غير الله فقد عبده ولكنّ هذا لا ينفعه لأن هذا المدعو لا يمكن أن يستجيب له ولو دعاه إلى يوم القيامة ، فلا أحد أضل ممن يدعو من هذه حاله .

وأما إذا كانت التّمائم من القرآن أو من أدعية مباحة فقد اختلف العلماء في تعليقها سواء علقها في الرقبة أو على العضد أو على الفخذ أو جعلها تحت وسَادته أو ما أشبه ذلك والرَّاجح من أقوال العلم عندي أنها لا تجوز لأن ذلك لم يرد عن النبي ﷺ وليس من حَقِّنا أن نثبت سببًا لم ترد به الشريعة فإن إثبات الأسباب التي ترد بها الشريعة كإثبات الأحكام التي لم تَرِد بها الشريعة بل إن إثبات السبب هو في الحقيقة حكم بأنَّ هذا السبب نافع فلابد من أنْ يثبت ذلك عن صاحب الشرع وإلا كان لغوًا وعبثًا لا يليق بالمؤمن .

وأما كونه يَتعاطى السِّحر فإنْ كان السِّحر بالاستعانة بالأرواح الشّيطانية ودعائها وما أشبه ذلك فهو شِرْكٌ أكبر مُخْرجُ عن الملَّة لأنَّه

(١) البقرة : ١٣٠
(٢) الأحقاف : ٥ ،٦

كفر ، وإن كان بما سوى ذلك فمحل خلاف بين أهل العلم مثل أن يكون بأدوية ونحوها وقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّياطين عَلَى مُلْك سُلَيْمانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمانُ وَلَكِنَّ الشَّياطينَ كَفَرواْ يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى المَلَكَيْنِ ببابِلَ هَارُوت ومَارُوت ومَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أحَدٍ حَتَّى يَقُولا إنَّمَا نَحنُ فِتنَةٌ فَلَا تَكْفُر فَيَتَعَلَّمُون مِنهُما مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ المَرء وَزَوْجه ومَا هُم بِضَارِّين بِهِ مِنْ أحَدٍ إلَّا بإِذْنِ الله وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُم وَلا يَنفَعُهُم وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ في الآخِرةِ مِنْ خَلَاق وَلبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُم لَوْ كَانُوا يَعْلَمُون ﴾[1] . والسَّاحر حتى ولو لم يصل إلى حد الكفر فإن الواجب قتله إذا لم يَتُب من سِحْره لأن قَتْلَه فيه مصلحة له ومصلحة لغيره .

أما كونه مصلحة له فلأنَّه يسلم من التمادي في ذلك العمل المحرم أو العمل الذي يصل إلى الكفر ، وهذا خير له فإنَّ الله تعالى إذا أملى للكافر والمعتدي الظالم فإنَّ ذلك ليس من مصلحته بل هو من مضرته كما قال الله تعالى﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِين كَفرواْ أنما نُمْلِي لَهُم خَيرٌ هم لأنفُسِهم إنَّما نُمْلِي لَهُم لِيزْدَادُوا إثْمًا وَلَهُم عَذابٌ مُهِين ﴾[2] .

وأمَّا كونه مصلحة لغيره فواضح فإنَّ الناس يسلمون من شره وأضراره .

---

(١) البقرة : ١٠٢

(٢) آل عمران : ١٧٨

تأثيـــر العـــين

١٦٩ ـــــ اختلف بعض الناس في العين فقال بعضهم لا تؤثر لمخالفتها للقرآن الكريم . فما القول الحق في هذه المسألة ؟

القول الحق ما قاله النبي ﷺ وهي : « إنَّ العَيْنَ حَقٌّ » وهذا أمر قد شهد له الواقع ولا أعلم آيات تعارض هذا الحديث حتى يقول هؤلاء إنه يعارض القرآن الكريم ، بل إن الله سبحانه وتعالى قد جعل لكل شيء سببا ، حتى إن بعض المفسرين قالوا في قوله تعالي : ﴿ **وإن يَكَادُ الذين كَفروا لَيُزْلِقُونَكَ بأبْصارِهم لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ** ﴾[1] قالوا : إن المراد هنا العين . ولكن على كل حال سواء كان هذا هو المراد بالآية أم غيره فإن العين ثابته وهي حق ولا ريب فيها ، والواقع يشهد لذلك منذ عهد الرسول ﷺ إلى اليوم .

---

(١) القلم ٥١ .

ولكن من أُصيب بالعين فماذا يصنع ؟ الجواب يعامل بالقراءة وإذا عُلم عائنُه فإنه يطلب منه أن يتوضأ ويؤخذ ما يتساقط من ماء وضوئه ثم يعطي للمعائن يصب على رأسه وعلى ظهره ويسقى منه وبهذا يشفى بإذن الله ، وقد جرت العادة عندنا أنهم يأخذون من العائن ما يباشر جسمه من اللباس مثل الطاقيه وما أشبه ذلك ويربصونها بالماء ثم يسقونها المصاب ورأينا ذلك يفيده حسبما تواتر عندنا من النقول . فإذا كان هذا هو الواقع فلا بأس باستعماله لأن السبب إذا ثبت كونه سبباً شرعاً أو حسا فإنه يعتبر صحيحا . أما ما ليس بسبب شرعي ولا حسي فإنه لا يجوز اعتماده مثل أولئك الذين يعتمدون على التمائم ونحوها يعلقونها على أنفسهم ليدفعوا بها العين فإن هذا لا أصل له ، سواء كانت هذه من القرآن الكريم أو من غير القرآن الكريم . وقد رخّص بعض السلف في تعليق التمائم إذا كانت من القرآن الكريم ودعت الحاجة إليها .

١٧٠ هل العَيْنُ تُصيب الإنسانَ ؟ وكيف تُعَالج ؟ وهل التحرّز منها ينافي التوكل ؟

رَأْيُنا في العين أنها حقّ ثابت شَرْعاً وحِسا قال الله تعالى : ﴿ وإن يَكَادُ الذين كفروا لَيُزْلِقُونك بأَبْصَارِهم ﴾[1] . قال ابن عباس وغيره في تفسيرها : أي يُعِينُوك بأبصارِهم ، ويقول النبي ﷺ : « العَيْنُ حَقٌّ ، ولو كان شَيْءٌ سابَقَ القَدَرَ سَبَقَتْ العَيْنُ ، وإذا اسْتُغْسِلْتُم فاغْسِلُوا » رواه

---

(١) القلم ٥١ .

مسلم . ومن ذلك ما رواه النسائيّ وابن ماجة « أنَّ عامر بنَ رَبِيعة مَرَّ بسَهْل بن حُنيف وهو يغتسل فقال : لم أَرَ كاليوم ولا جِلْد مُخَبَّأة . فما لبثَ أَنْ لُبِطَ به فأُتِي به رسولُ الله ﷺ فقيل له : أَدْرِكْ سهلا صريعا . فقال : مَنْ تَتَّهِمُون . قالوا : عامر بن ربيعة . فقال النبي ﷺ عَلامَ يَقْتُلُ أحدُكم أخاه ؟ إذا رأى أحدُكم مِنْ أَخِيه ما يُعْجِبُه فَلْيَدْعُ له بالبركةِ . ثم دعا بماءٍ فأمر عامراً أن يتوضأ فيغسلَ وَجْهَه ويديه إلى المرفقينِ وركبتيه وداخلةَ إزارِه ، وأمره أَنْ يُصَبَّ عليه . وفي لفظ يُكْفَأُ الإناءُ مِنْ خَلْفِه » والواقع شاهد بذلك ولا يمكن إنكاره .

وفي حالة وقوعها تستعمل العلاجات الشرعية وهي :

(١) القراءة فقد قال النبي ﷺ : « لا رُقْيَةَ إلاَّ مِنْ عَيْنٍ أو حُمةٍ » وقد كان جبريل يَرْقِي النبيَّ ﷺ فيقول : « بسم الله أَرْقِيك مِنْ كُلِّ شَيءٍ يُؤْذِيك مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أو عَيْنٍ حَاسِدٍ ، اللهُ يَشْفِيك بسم اللهِ أَرْقِيك » .

(٢) الاستغسال : كما أمر به النبيُّ ﷺ عامرَ بنَ ربيعة في الحديث السابق ثم يصب على المصاب .

أما الأخذ من فضلاته العائدة من بوله أو غائطه فليس له أصل ، وكذلك الأخذ من أثره وإنما الوارد ما سبق من غسل أعضائه وداخلة إزاره . ولعل مثلها داخلة غترته وطاقيته وثوبه والله أعلم .

والتحرز من العين مقدما لا بأس به ولا ينافي التوكل ، بل هو التوكل ، لأن التوكل الاعتماد على الله سبحانه مع فعل الأسباب التي أباحها أو أمر بها ، وقد كان النبي ﷺ يُعَوِّذ الحسن والحسين ويقول : « أُعِيذُكما

بكلماتِ اللهِ التامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وهَامَّةٍ ومِنْ كُلِّ عَيْنٍ لاَمَّةٍ . ويقول : هكذا كان إبراهيمُ يُعَوِّذُ إسحقَ وإسماعيلَ عليهما السلام » . رواه البخاري .

—————— ١٧١ **سئل الشيخ : بعض الناس عندما يرى مَنْ ينظر إليه وهو يأكل يرمي قطعة على الأرض خوفًا من العين . فما حُكْم هذا العمل ؟**

فاجاب حفظه اللّه تعالى ورعاه بقوله : هذا اعتقاد فاسد ، ومخالف لقول النبي ﷺ « إذا سَقَطَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيُمِطْ مَا بِها مِنَ ٱلأَذَى ولْيَأْكُلْهَا » .

مس الجن ، وعلاجه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الجنّ والإنس ليعبدوه ، وشَرَع لهم ما تقتضيه حِكْمَتهُ ليجازيهم بما عَمِلُوه ، وأشهد أن لا إلهَ إلّا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وكان الله على كل شيء قديرًا . وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه ، المبعوثُ إلى الإنس والجن بشيرًا ونذيرًا ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ، ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد : -

فقد قال الله تعالى : ﴿ **وما خَلَقْتُ الجِنَّ والإنس إلَّا لِيَعْبُدُونِ . مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ ومَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ، إنَّ الله هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ** ﴾[1] .

والجن عالم غيبي خلقوا من نار ، وكان خَلْقهُم قبل خَلْق الإنس ، كما قال الله تعالى : ﴿ **ولَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حمأ**

(١) الذاريات : ٥٦ .

مَّسْنُونٍ . والْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ﴾[1] وهم مُكَلَّفون ، يُوَجَّه إليهم أمر الله تعالى ونهيه ، فمنهم المؤمن ، ومنهم الكافر ، ومنهم المطيع ومنهم العاصي ، قال الله تعالى عنهم : ﴿ وأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ ومِنَّا الْقَاسِطُون فَمَنْ أَسْلَمَ فأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا . وأَمَّا الْقَاسِطُون فكَانُوا لجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾[2] . وقال : ﴿ وأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ ومِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴾[3] . أي جماعات متفرقة وأهواء ، كما يكون ذلك في الإنس ، فالكافر منهم يدخل النار بالإجماع ، والمؤمن يدخل كالإنس ، قال الله تعالى : ﴿ ولِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ . فَبِأَيِّ ءَالآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾[4] . والظلم بينهم وبين الإنس مُحَرَّم ، كما هو بين الآدميين . لقوله تعالى في الحديث القدسي : « يا عِبَادِي إنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ على نَفْسِي وجَعَلْتُه بَيْنَكُم مُحَرَّمًا فلا تَظَالَمُوا » . رواه مسلم ، ومع هذا فهم يعتدون على الإنس أحيانا ، كما يعتدى الانس عليهم أحيانًا ، فمن عدوان الإنس عليهم أن يستجمر الإنسان بعَظْم أو رَوْث ، ففي صحيح مسلم عن ابن مسعود – رضي الله – أن الجنَّ سألوا النبيَّ ﷺ الزَّاد فقال : « لَكُمْ كُلُّ عَظْم ذُكِرَ اسْمُ الله عَلَيْهِ ، يَقَعُ في أَيْدِيكُمْ ، أوفر ما يَكُون لَحْمًا ، وكُلُّ بَعْرَةٍ عَلَفٌ لِدَوَآبِّكُمْ » ، قال النبي ﷺ « فَلَا تَسْتَنْجُوا بِهِمَا فإنَّهُمَا طَعَامُ إخْوَانِكُمْ » .

---

(١) الحجر : ٢٦-٢٧ .

(٢) الجن : ١٤-١٥ .

(٣) الجن : ١١ .

(٤) الرحمن : ٤٦ .

ومن عدوان الجن على الإنس أنهم يتسلّطون عليهم بالوسوسة التي يلقونها في قلوبهم ، ولهذا أمر الله تعالى بالتعوذ من ذلك فقال : ﴿ **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ . مَلِكِ النَّاسِ . إِلَهِ النَّاسِ . مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ . الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ . مِنَ الْجِنَّةِ والنَّاسِ** ﴾ . وتأمل كيف قال الله تعالى : ﴿ **مِنَ الْجِنَّةِ والنَّاسِ** ﴾ فبدأ بذكر الجن ، لأن وسوستهم أعظم ، ووصولهم إلى الإنسان أخفى .

فإن قلت : كيف يصلون إلى صدور الناس فيوسوسون فيها ؟

فاستمع الجواب من محمد رسول الله ﷺ حين قال لرجلين من الأنصار : « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنْ الإنسانِ مَجْرَى الدَّمِ ، وإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ في قُلُوبِكُمَا شَرًّا أَوْ قال شَيْئًا » . وفي رواية : « يَبْلُغُ مِنْ ابْنِ آدَمَ مَبْلَغَ الدَّمِ » .

ومن عدوان الجن على الإنس أنهم يخيفونهم ، ويلقون في قلوبهم الرّعب ،ولا سيما حين يلتجيء الإنس إليهم ، ويستجيرون بهم ، قال الله تعالى : ﴿ **وأَنَّهُ كان رجالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُهُمْ رَهَقًا** ﴾[1] . أي خوفًا وإرهابًا وذُعْرًا .

ومن عدوان الجن على الإنس أن الجني يصرع الإنسي فيطرحه ، ويدعه يضطرب حتى يغمى عليه ، وربما قاده إلى ما فيه هلاكه من إلقائه في حفرة أو ماء يغرقه ، أو نار تحرقه ، وقد شبَّه الله تعالى آكلي الرّبا

---

(١) الجن : ٦ .

عند قيامهم من قبورهم بالمصروع الذي يتخبطه الشيطان ، قال الله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ** ﴾[1] قال ابن جَرِيرٍ : وهو الذي يتخبّطه فيصرعه . وقال ابن كثير : إلا كما يقوم المصروع حال صرعه ، وتخبط الشيطان له . وقال البغوي : يتخبّطه الشيطان أي يصرعه ، ومعناه أن آكل الربا يبعث يوم القيامة كمثل المصروع . وروى الإمام أحمد في مسنده ٤ /١٧١ -١٧٢ عن يَعْلَى بنِ مُرَّةَ - رضي الله عنه - أنَّ امرأةً أَتَتْ النَّبيَّ ﷺ بابنٍ لها قد أصابه لَمَم ، فقال النبيُّ ﷺ : « اخْرُجْ عَدُوَّ الله أَنَا رَسُولُ الله » . قال : فبَرِأَ الصَّبِيُّ ، فأَهْدَتْ أُمُّه إلى النبي ﷺ كبشين وشيئًا من أَقِطٍ وسَمْن ، فأخذ النبيُّ ﷺ الأَقِطَ والسَّمْنَ وأَحَدَ الْكَبْشَيْنِ ، ورَدَّ عليها الآخَرَ ، وإسناده ثقات . وله طرق قال عنها ابن كثير في تاريخه (البداية والنهاية) : فهذه طرق جيدة متعددة ، تفيد غلبة الظن أو القطع عند المتبحرين أن يعلى بن مرة حدث بهذه القصة في الجملة .

قال ابن القيم - يرحمه الله تعالى - وهو أحد تلاميذ شيخ الإسلام ابن تيمية البارزين في كتابه (زاد المعاد) ٤ /٦٦ الصرع صرعان : صرع من الأرواح الخبيثة الأرضية ، وصرع من الأخلاط الرديئة . والثاني هو الذي يتكلم فيه الأطباء في سببه علاجه . وأما صرع الأرواح فأئمتهم (أي الأطباء) وعقلاؤهم يعترفون به ، ولا يدفعونه . . وأما

---

(١) البقرة : ٢٧٥ .

جهلة الأطباء وسقطهم وسفلتهم ومن يعتقد الزندقة فضيلة ، فأولئك ينكرون صرع الأرواح ، ولا يقرون بأنها تؤثر في بدن المصروع ، وليس معهم إلا الجهل ! وإلا فليس في الصناعة الطبية ما يدفع ذلك ، والحسّ والوجود شاهدان به . . ومن له عقل ومعرفة بهذه الأرواح وتأثيراتها يضحك من جهل هؤلاء وضعف عقولهم .

أيها الناس إن للتخلص من هذا النوع من الصرع أمرين : وقاية وعلاج :

فأما الوقاية فتكون بقراءة الأوراد الشرعية من كتاب الله تعالى ، وصحيح سنة رسول الله ﷺ وبقوة النفس وعدم الجريان وراء الوساوس والتخيلات التى لا حقيقة لها ، فإن جريان الإنسان وراء الوساوس والأوهام يؤدي إلى أن تتعاظم هذه الأوهام والوساوس حتى تكون حقيقة .

وأما العلاج أعني علاج صرع الأرواح ، فقد اعترف كبار الأطباء أن الأدوية الطبيعية لا تؤثر فيه . وعلاجه بالدعاء والقراءة والموعظة ، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يعالج بقراءة آية الكرسي والمعوذتين ، وكثيرًا ما يقرأ في أذن المصروع : ﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ** ﴾[1] . قال تلميذه ابن القيم حدثني أنه قرأ مرة هذه الآية في أذن المصروع فقالت الروح : نعم ومدّ بها صوته : قال : فأخذت له عصًا وضربته بها في عروق عنقه حتى كَلَّتْ يدي من

---

(١) المؤمنون : ١١٥ .

الضرب . وفي أثناء ذلك قالت : أنا أحبّه فقلت لها : هو لا يُحبك . قالت : أنا أريد أن أحجّ به ، فقلت لها : هو لا يريد أن يحج معك . قالت : أنا أدعه كرامة لك . قلت : لا ولكن طاعة لله ورسوله . قالت : فأنا أخرج . فقعد المصروع يلتفت يمينًا وشمالًا ، وقال ما جاء بي إلى حضرة الشيخ . هذا كلام ابن القيم - يرحمه الله - عن شيخه ، وقال ابن مفلح في كتاب : (الفروع) ، وهو من تلاميذ شيخ الإسلام أيضًا : كان شيخنا إذا أُتِيَ بالمصروع وَعَظَ مَنْ صرعه ، وأمره ونهاه ، فإن انتهى وفارق المصروع أخذ عليه العهد أن لا يعود ، إن لم يأتمر ولم ينته ولم يفارق ضربه حتى يفارقه ، والضرب في الظاهر على المصروع ، ،إنما يقع في الحقيقة على مَنْ صرعه . وأرسل الإمام أحمد إلى مصروع ففارقه الصارع ، فلما مات أحمد عاد إليه .

وبهذا تبين أن صرع الجن للإنس ثابت بمقتضى دلالة الكتاب والسنة والواقع ، وأنكر ذلك المعتزلة ! . ولولا ما أثير حول هذه المسألة من بلبلة وجدال أدى إلى جعل كتاب الله تعالى دالاً على معانٍ تخييلية لا حقيقة لها ، ولولا أن إنكار هذا يستلزم تسفيه أئمتنا وعلمائنا من أهل السنة ، أو تكذيبهم أقول لولا هذا وهذا ما تكلّمت في هذه المسألة لأنها من الأمور المعلومة بالحسّ والمشاهدة ، وما كان معلومًا بالحسّ والمشاهدة لا يحتاج إلى دليل ، لأن الأمور الحسية دليل بنفسها وإنكارها مكابرة أو سَفْسَطة . فلا تخدعوا أنفسكم ، ولا تتعجلوا ، واستعيذوا بالله من شرور خَلْقه من الجن والإنس ، واستغفروه وتوبوا إليه ، إنه هو الغفور التواب الرحيم .

السحر

١٧٢ هل للسحر حقيقة ؟ وهل سُحِرَ النبيُّ ﷺ ؟

السحر ثابت ولا مِرْيَةَ فيه وهو حقيقة وذلك بدلالة القرآن الكريم والسنة . أما القرآن الكريم فإن الله تعالى ذكر عن سحرة فرعون الذين ألقوا حبالهم وعصيهم وسحروا أعين الناس واسترهبوهم حتى إن موسى عليه الصلاة والسلام كان يُخَيَّل إليه من سحرهم أنها تسعى ، وحتى إنه أَوْجَس في نفسه خِيفة ؛ فأمره الله تعالى أن يلقي عصاه فألقاها فإذا هي حية تسعى تلقف ما يأفكون . وهذا أمر لا إشكال فيه . وأما السنة ففيها أحاديث متعددة في ثبوت السحر وتأثيره .

وأما النبي عليه الصلاة والسلام سُحِرَ فَنَعَمْ فقد ثبت من حديث عائشة وغيرها أن النبي ﷺ سُحِرَ ، وأنه كان يُخَيَّل إليه أنه أَتَى الشَيْءَ وهو لم يأته . ولكن الله تعالى أنزل عليه سورتي قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس فشفاه الله بهما .

١٧٣ سئل حَفِظَهُ الله ورعاه : هل للسحر حقيقة ؟

فأجاب قائلا : للسحر حقيقة ولا شك وهو مؤثر حقيقة ، لكن كونه يقلب الشيء أو يحرك الساكن أو يسكن المتحرك هذا خيال وليس حقيقة ، انظر إلى قول الله تعالى في قصة السحرة من آل فرعون يقول الله تعالى : ﴿ سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾(١) قال : ﴿ سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاس وَاسْتَرْهَبُوهُمْ ﴾ كيف سحروا أعين الناس ؟ سحروا أعين الناس حين صار الناس ينظرون إلى حِبَال السحرة وعِصِيِّهم كأنها ثعابين تمشي كما قال الله تعالى : ﴿ يُخَيَّلُ إِلَيهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴾(٢) فالسحر في قلب الأشياء ، وتحريك الساكن ، أو تسكين المتحرك ليس له أثر ، لكن في كونه يسحر أو يؤثر على المسحور حتى يرى الساكن متحركًا والمتحرك ساكنًا ، أثره ظاهر جدًا إذن فله حقيقة ويؤثر على بدن المسحور وحواسه وربما يهلكه .

١٧٤ وسئل فضيلته : هل ثبت أن النبي ﷺ سُحِرَ ؟

فأجاب بقوله : نعم ثبت في الصحيحين وغيرهما أن النبي ﷺ سُحِرَ ، لكن لم يؤثر عليه من الناحية التشريعية أو الوحي ، إنما غاية

---

(١) الأعراف : ١١٦ . (٢) طه : ٦٦ .

ما هنالك أنه وصل إلى درجة يخيل إليه أنه فعل الشيء و لم يكن فعله ، وهذا السحر الذي وُضِعَ كان من يهودي يقال له لبيد بن الأعصم وضعه له ، ولكن الله تعالى أنجاه منه حتى جاءه الوحي بذلك وَعَوَّذَ بالمعوذتين عليه الصلاة والسلام ، ولا يؤثر هذا السحر على مقام النبوة لأنه لم يؤثر في تصرف النبي ﷺ فيما يتعلق بالوحي والعبادات .

وقد أنكر بعض الناس أن يكون النبي ﷺ سُحِرَ ، بحجة أن هذا القول يستلزم تصديق الظالمين الذين قالوا : ﴿ **إن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا** ﴾[1] ولكن هذا لاشك أنه لا يستلزم موافقة هؤلاء الظالمين بما وصفوا به النبي ﷺ لأن أولئك يَدَّعُونَ أن الرسول ﷺ مسحور فيما يتكلم به من الوحي وأن ما جاء به هذيان كهذيانِ المسحور ، وأما السحر الذي وقع للرسول ﷺ فلم يؤثر عليه في شيء من الوحي ولا في شيء من العبادات ، ولا يجوز لنا أن نُكَذِّبَ الأخبار الصحيحة بمجرد فَهْمٍ سيء فهمه من فهمه .

١٧٥ سئل الشيخ : عن أقسام السحر ؟ وهل الساحر كافر ؟

فأجاب بقوله : – السحر ينقسم إلى قسمين :

الأول : عُقَدٌ ورُقى – ، أي قراءات وطلاسم يتوصل بها الساحرُ إلى الإشراك بالشياطين فيما يريد لضرر المسحور ، قال الله تعالى :

---

(١) الإسراء : ٤٧ .

﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَان وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾[1] الآية .

الثاني : أدوية وعقاقير تؤثر على بدن المسحور ، وعقله ، وإرادته ، ومَيْلِهِ وهو ما يسمى عندهم بالعَطْفِ والصَّرْفِ ، فيجعلون الإنسان ينعطف على زوجته أو امرأة أخرى حتى يكون كالبهيمة تقوده كما تشاء ، والصرف بالعكس من ذلك ، فيؤثر في بدن المسحور بإضعافه شيئًا فشيئًا حتى يَهْلِكَ ، وفي تصوره بأن يتخيل الأشياء على خلاف ما هي عليه .

وكفر الساحر اختلف فيه أهل العلم : فمنهم من قال يكفر . ومنهم من قال لا يكفر .

ولكن التقسيم السابق الذي ذكرناه يتبين به حكم هذه المسألة : فمن كان سحره بواسطة الشياطين فإنه يكفر ، ومن كان سحره بالأدوية والعقاقير فإنه لا يكفر ولكنه يعتبر عاصيًا .

١٧٦ سئل فضيلة الشيخ : عن السحر وحكم تعلمه ؟

فأجاب بقوله : **السحر قال العلماء هو في اللغة « عبارة عن كل ما لَطُفَ وخَفِيَ سَبَبُهُ »** بحيث يكون له تأثير خفي لا يطلع عليه الناس ، وهو بهذا المعنى يشمل التنجيم ، والكهانة ، بل إنه يشمل التأثير بالبيان

---

(١) البقرة : ١٠٢ .

والفصاحة كما قال عليه الصلاة والسلام « إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا » فكل شيء له أثر بطريق خفي فهو من السحر ، وأما في الاصطلاح فَعَرَّفَهُ بعضُهُم بأنه : « **عَزَائِم وَرُقَى وَعُقَدٌ توثر في القلوب والعقول والأبدان فَتسْلُبُ العقلَ ، وتُوجِدُ الحُبَّ ، والبُغْضَ فَتُفَرِّق بين المرء وزوجه وتُمْرِضُ البدن وتسلب تفكيره** »

وتعلم السحر محرم بل هو كفر إذا كانت وسيلته الإشراك بالشياطين قال الله تبارك وتعالى : ﴿ **وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُر فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهم وَلاَ يَنْفَعُهمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَالَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ** ﴾[1] فَتَعَلُّمُ هذا النوع من السحر وهو الذي يكون بواسطة الإشراك بالشياطين كُفر ، واستعماله أيضًا كفر وظلم وعدوان على الخلق ، ولهذا يُقْتَلُ الساحِرُ إمَّا رِدَّةً وإمَّا حَدًا فإن كان سحره على وجه يكفر به فإنه يقتل ردة وكفرًا ، وإن كان سحره لا يصل إلى درجة الكفر فإنه يقتل حدًا دفعًا لشره وأذاه عن المسلمين .

---

(١) البقرة : ١٠٢ .

١٧٧ ما حُكْم حَلِّ السِّحْر عن المسحور « النُّشْرَة » ؟

حَلُّ السحر عن المسحور « النُّشْرة » الأصح فيها أنها تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول : أن تكون بالقرآن الكريم والأدعية الشرعية والأدوية المباحة فهذه لا بأس بها لما فيها من المصلحة وعدم المفسدة ، بل ربما تكون مطلوبة لأنها مصلحة بلا مضرة .

القسم الثاني : إذا كانت النُّشْرة بشيء محرم كنقض السحر بسحر مثله فهذا موضع خلاف بين أهل العلم : فمن العلماء من أجازه للضرورة .

ومنهم من منعه لأن النبي ﷺ سئل عن النشرة فقال : « هي مِنْ عَمَلِ الشَّيطَانِ » . وإسناده جيد رواه أبو داود . وعلى هذا يكون حلّ السحر بالسحر محرّما ، وعلى المرء أن يلجأ إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء والتضرع لإزالة ضرره والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ **وإذا سألك عِبادِي عَنِّي فإنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إذا دَعَانِ** ﴾[١] . ويقول الله تعالى : ﴿ **أمَّن يُجِيبُ المضْطَرَ إذا دَعاه ويَكْشِفُ السُّوءَ ويجعلُكم خلفاءَ الأَرْضِ أإِلَهٌ مَعَ اللهِ قليلا ما تَذَكَّرُون** ﴾[٢] . والله الموفق .

---

(١) البقرة ١٨٦ .
(٢) النمل ٦٢

١٧٨ ما حكم التوفيق بين الزوجين بالسحر ؟

هذا محرّم ولا يجوز وهذا يسمى بالعَطْف ، وما يحصل به التفريق يسمى بالصَّرف وهو أيضامحرّم ، وقد يكون كفراً وشركاً . قال الله تعالى : ﴿ وما يُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولا إنّما نَحْنُ فِتْنَةٌ فلا تَكْفُرْ فيتعلَّمون مِنهما ما يُفَرِّقُون به بين المَرءِ وزَوْجه ، وما هُم بضَارِّينَ به مِنْ أَحَدٍ إلاّ بإذْنِ اللهِ ، ويَتعلَّمون ما يَضُرُّهم ولا يَنفعهُم ولقَدْ عَلِمُوا لمَنِ اشْتَراه مَالهُ في الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ ﴾[١] .

١٧٩ هناك مَنْ يُحضر الجنَّ بطلاسم يقولها ، ويجعلهم يُخرجون له كنوزا مدفونة في أرض القرية منذ زمن بعيد . فما حكم هذا العمل ؟

هذا العمل ليس بجائز ، فإن هذه الطلاسم التي يحضرون بها الجن ويستخدمونهم بها لاتخلو من شرك في الغالب والشرك أمره خطير قال الله تعالى : ﴿ إنَّه مَن يُشْرِكْ باللهِ فقَدْ حَرَّمَ اللهُ عليه الجنَّةَ ومَأْوَاه النَّارُ وما للظالمين مِنْ أنصَارٍ ﴾[٢] . والذي يذهب إليهم يغريهم ويغرّهم ، يغريهم بأنفسهم وأنهم على حق ، ويغرهم بما يعطيهم من الأموال .

---

(١) البقره ١٠٢
(٢) المائدة ٧٢

فالواجب مقاطعة هؤلاء وأَنْ يَدَع الإنسان الذهاب إليهم وأن يحذّر إخوانه المسلمين من الذهاب إليهم ، والغالب في أمثال هؤلاء أنهم يحتالون على الناس ويبتزون أموالهم بغير حق ، ويقولون القول تخرّصاً ، ثم إن وافق القدر أخذوا ينشرونه بين الناس ويقولون نحن قلنا وصار كذا ونحن قلنا وصار كذا ، وإن لم يوافق ادّعَوْا دعاوي باطلة أنها هي التي منعت هذا الشيء ، وإني أوجه النصيحة إلى من ابتلى بهذا الأمر وأقول لهم : احذروا أن تمتطوا الكذب على الناس والشرك بالله عز وجل وأخذ أموال الناس بالباطل ، فإن أمد الدنيا قريب والحساب يوم القيامة عسير ، وعليكم أن تتوبوا إلى الله تعالى من هذا العمل ، وأن تصححوا أعمالكم وتطيبوا أموالكم . والله الموفق .

١٨٠ ———— سئل فضيلة الشيخ : هل قتل الساحر رِدَّةٌ أو حد ؟

فأجاب قتل الساحر قد يكون حدًا ، وقد يكون ردة بناء على التفصيل السابق في كفر الساحر فمتى حكمنا بكفره فقتله ردة ، وإذا لم نحكم بكفره فقتله حد . والسحرة يجب قتلهم سواء قلنا بكفرهم أم لا ، لعظم ضررهم وفظاعة أمرهم ، فهم يُفَرِّقُونَ بين المرء وزوجه ، وكذلك العكس فهو قد يعطفون فيؤلفون بين الأعداء ويتوصلون بذلك إلى أغراضهم كما لو سحر امرأة ليزني بها ، فيجب على ولي الأمر قتلهم بدون استتابة مادام أنه حَدٌّ لأن الحدَّ إذا بلغ الإمام لا يستتاب صاحبه بل يقام بكل حال ، أما الكفر فإنه يستتاب صاحبه ، وبهذا نعرف خطأً من أدخل حكم المرتد في الحدود ، وذكروا من الحدود حد الردة ؛ لأن

قتل المرتد ليس من الحدود لأنه إذا تاب انتفى عنه القتل ، ثم إن الحدود كفارة لصاحبها وليس بكافر ، والقتل بالردة ليس بكفارة وصاحبه كافر لا يصلي عليه ، ولا يُغَسَّلُ ، ولا يُدْفَنُ في مقابر المسلمين .

فالقول بقتل السحرة موافق للقواعد الشرعية ؛ لأنهم يَسْعَوْنَ في الأرض فسادًا وفسادهم من أعظم الفساد ، وإذا قتلوا سلم الناس من شرهم ، وارتدع الناس عن تعاطي السحر .



إبليـــس والوســوسـة

١٨١ **رجل مَنّ الله عليه بالهداية وتذوق حلاوة الإيمان ، وفتح الله عليه بالفهم والمعرفة بآياته ، ثم انقلب حاله ، وفقد حلاوة الإيمان ، وكثرت عنده الهواجس والوساوس ، ومنها ما لو نطق به كفر وهو لا يرضى بذلك فماذا يفعل حتى يعود إلى ما كان عليه ؟**

الجواب على ذلك أيها الإخوة أنَّ الله عزَّ وجلَّ ما أنْزل دَاء إلا أنْزَل له دَواء ، حتى الأمور المعنوية والنفسية أنزل الله لها الدواء ، فما هو الدواء ؟

الدَّوَاءُ أنَّ النبي ﷺ شكا إليه الصَّحابة ما وقع في نفوسهم من الأمور التي يحِبُّون أن يخروا من السماء ولا يتكلموا فيها ، فأمر النبي ﷺ

أن ينتهوا عن ذلك ، وأن يستعيذوا بالله من الشَّيطان الرَّجيم . قال النبي ﷺ : «لا يَزال النَّاس يَتَسَاءَلُونَ مَنْ خَلَقَ كَذَا ؟ مَنْ خَلَقَ كَذا ؟ حتَّى يَقُولُواْ مَنْ خَلَقَ الله ؟» قال النبي ﷺ : «فَإِذَا وَجَدَ أَحَدكُم ذَلِكَ ، فَلْيَسْتَعِذْ بِالله وَلْيَنْتَه» أي يَسْتعيذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم ، ويعرض عن هذه الهواجيس بالكلية . وهذا كما يكون في الخالق عزَّ وجلَّ يكون في العبادات : يأتي الإنسان فيتوضأ وضوءًا كاملًا ، ثم يقول له الشَّيطان إن الوضوء لم يتم ، ثم يذهب فيتوضأ فيقول لم يتم ، ويذهب ويتوضأ وهكذا ، ودواء هذه الوساوس كلها الانتهاء ، فيستعيذ بالله من الشَّيطان الرجيم وتنتهي . وقل إذا توضأت أول مرة حتى لو وقع في نفسك أنك لم تتوضأ ، فقل : وليكن ذلك فلا تعيد الوضوء ولا يهمك .

إذن هذا الأخ الذي هَدَاه الله للإيمان ، وذَاقَ حلاوة الإيمان وازْدَادَ منه ، ثم حَصلت له هذه الوَسَاوس نقول له : أبشر فإن هذا صريح الإيمان ، والشيطان لم يأت لك بهذه الوَسَّاوس إلا لِيَصُدَّك عن الإيمان فاستعذ بالله وانته ، ولا يهمنك .

قيل لابن عباس رضي الله عنه : إنَّ اليهود يقولون إننا لا تَلْحَقُنا الوساوس في صَلاتنا . فقال ابن عباس : صَدَقُوا ، وما يَصْنَعُ الشَّيطان بقلب خراب . قلوب النَّصارى واليهود خَارِبة ، فهل يأتي الشَّيطان ليفسدها وهي خاربة . الشيطان إنما يأتي لبناء قائم ليهدمه ، أما بناء مُتَهَدِّم فلا يأتيه الشَّيطان ، وهذا يدل على أنَّ الإنسان كلما ازداد إيمانًا بالله

عز وجل تسلط عليه الشَّيطان بمثل هذه الوساوس ودواؤه أن يَسْعيذ بالله وينتهي .

وأقول للأخ السائل : أبشر بخير ، ما دُمت تقاوم هذه الوَسَاوس ، وتستعيذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم ، وأعرض عنها ، فإنها لا تَضُرّك إن شاء الله تعالى .

١٨٢ ـــــــــ سُئل الشيخ : عن رَجُل يوسوس له الشيطانُ بوَسَاوِسَ عظيمةٍ فيما يتعلّق بالله - عَزّ وجَلّ - وهو خائف من ذلك جِدًّا ؟

فأجاب فضيلته بقوله : ما ذكر مِن جهة مشكلة السائل التي يخاف من نتائجها ، أقول له : أَبْشِرْ بأنه لن يكون لها نتائج إلاّ النتائج الطيبة ، لأن هذه وساوس يصول بها الشيطان على المؤمنين ليزعزع العقيدة السليمة في قلوبهم ، ويوقعهم في القلق النفسي والفكري ليكدّر عليهم صفو الإيمان ، بل صفوَ الحياةِ إن كانوا مؤمنين .

وليست حاله بأوّل حال تعرض لأهل الإيمان ، ولا هي آخر حال ، بل ستبقى ما دام في الدنيا مُؤْمن . ولقد كانت هذه الحالُ تعرض للصحابة - رضي الله عنهم - فعن أَبي هريرة - رضي الله عنه - قال جاء أُنَاس مِن أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ إلى النبيّ ﷺ فسَأَلُوه إنَّا نَجِدُ في أَنْفُسِنا ما يَتَعَاظَمُ أَحَدُنا أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ ، فقال : « أَوَ قَدْ وَجَدتُّمُوه ؟ »

قالوا : نَعَمْ ، قال : « ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ » . رواه مسلم ، وفي الصحيحين عنه أيضًا أنّ النبيَّ ، ﷺ قال : « يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فيَقُولُ مَنْ خَلَقَ كَذَا ؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا ؟ حَتَّى يَقُولَ مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ ؟ : ! فإِذا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ وَلْيَنْتَهِ » .

وعن ابنِ عباسٍ – رَضِيَ الله عنهما – أن النبي ﷺ جاءه رجلٌ فقال : إِنِّي أُحَدِّثُ نَفْسِي بالشيءِ لَأَنْ أَكُونَ حُمَمَةً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَكَلَّمَ بِهِ ، فقال النبيُّ ﷺ : « الْحَمْدُ للهِ الَّذِي رَدَّ أَمْرَهُ إِلَى الْوَسْوَسَةِ » . رواه أبو دَاوُدَ .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – يرحمه الله – في كتاب الإيمان : والمؤمن يُبتلى بوساوس الشيطان بوساوس الكفر التي يضيق بها صدره . كما قالت الصحابةُ يا رَسُولَ الله إِنَّ أَحَدَنا لَيَجِدُ في نَفْسِه ما لَأَنْ يَخِرَّ مِن السماءِ إلى الأَرْضِ أَحَبُّ إليه مَنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ بَه . فقال : « ذَاكَ صَرِيحُ الْإِيمَانِ » . وفي رواية : « ما يَتَعَاظَمُ أَنْ يَتَكَلَّمَ به » قال : « الْحَمْدُ للهِ الَّذِي رَدَّ كَيْدَه إِلَى الْوَسْوَسَةِ » . أي حصول هذا الوسواس مع هذه الكراهة العظيمة له ، ودَفْعه عن القلب هو من صريح الإيمان ، كالمجاهد الذي جاءه العدو فدافعه حتى غلبه ، فهذا عظيم الجهاد ، إلى أن قال : « ولهذا يُوجد عند طلاب العلم والعبادة من الوساوس والشبهات ما ليس عند غيرهم ، لأنه (أي الغير) لم يسلك شرع الله ومنهاجه ، بل هو مقبل على هواه في غفلة عن ذكر ربه ، وهذا مطلوب الشيطان بخلاف المتوجهين إلى ربهم بالعلم والعبادة ، فإنه عدوهم يطلب صدّهم عن الله تعالى » ا . هـ . المقصود منه ذكره في ص١٤٧ من الطبعة الهندية .

فأقول لهذا السائل : إذا تبيّن لك أن هذه الوساوس من الشيطان فجَاهِدْها وكَابِدْها ، واعلم أنها لن تضرك أبدًا مع قيامك بواجب المجاهدة والإعراض عنها ، والانتهاء عن الانسياب ورءاها ، كما قال النبي ﷺ : « إنَّ الله تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا وَسْوَسَتْ بِهِ صُدُورُها ما لَمْ تَعْمَلْ به أَوْ تَتَكَلَّمْ » . متفق عليه .

وأنت لو قيل لك : هل تعتقد ما توسوس به ؟ وهل تراه حَقًّا ؟ وهل يمكن أن تصف الله سبحانه به تعالى ؟ لقلتَ : ما يكون لنا أن نتكلم بهذا ، سبحانك هذا بهتان عظيم ، ولأنكرتَ ذلك بقلبك ولسانك ، وكنتَ أبعد الناس نفورًا عنه ، إذن فهو مجرد وساوس وخطرات تعرض لقلبك ، وشِبَاك شِرْك من الشيطان الذي يجري من ابن آدم مَجْرَى الدم ، ليرديك ويُلَبِّسَ عليك دِينَك .

ولذلك تجد الأشياءَ التافهة لا يلقى الشيطان في قلبك الشك فيها أو الطعن ، فأنت تسمع مثلًا بوجود مدن مهمةٍ كبيرة مملوءة بالسكان والعمران في المشرق أو المغرب ، ولم يخطر ببالك يومًا من الأيام الشك في وجودها أو عيبها بأنها خراب ودمار لا تصلح للسُّكْنَى ، وليس فيها ساكن ونحو ذلك ، إذ لا غرض للشيطان في تشكك الإنسان فيها ، ولكن الشيطان له غرضٌ كبيرٌ في إفساد إيمان المؤمن ، فهو يسعى بخَيْلِهِ ورَجِلِه ليطفيء نورَ العلم والهداية في قلبه ، ويوقعه في ظُلْمة الشك والحَيْرة ، والنبيُّ ﷺ بيّن لنا الدواء الناجع الذي فيه الشفاء ، وهو قوله : « فَلْيَسْتَعِذْ بالله ولْيَنْتَهِ » فإذا انتهى الإنسان عن ذلك واستمر في عبادة الله طلبا ورغبة فيما عند الله زال ذلك عنه ، بحول الله ، فأَعرِضْ

عن جميع التقديرات التي تَرِدُ على قلبك في هذا الباب وها أنت تعبد الله وتدعوه وتعظمه ، ولو سمعتَ أحدًا يصفه بما توسوس به لقتلتَه إن أمكنك ، إذن فما توسوس به ليس حقيقة بل هو خواطر ووساوس لا أصل لها ، كما لو انفتح على شخص طاهر الثوب قد غسل ثوبه لحينه ثم أخذ الوَهْم يساوره لعله تنجس لعله لا تجوز الصلاة به ، فإنه لا يلتفت إلى هذا .

ونصيحتي تتلخص فيما يأتي :

١ - الاستعاذة بالله ، والانتهاء بالكلية عن هذه التقديرات كما أمر بذلك النبي ﷺ .
٢ - ذِكْرُ الله تعالى ، وضَبْطُ النَّفْس عن الاستمرار في هذه الوساوس .
٣ - الانهماك الجِدِّي في العبادة والعمل امتثالًا لأمر الله ، وابتغاء لمرضاته ، فمتى التفتَّ إلى العبادة التفاتًا كليًّا بجِدٍّ وواقعية نَسِيتَ الاشتغالَ بهذه الوساوس - إن شاء الله - .
٤ - كثرة اللجوء إلى الله والدعاء بمعافاتك من هذا الأمر ، وأسأل الله تعالى لك العافية والسلامة من كل سُوء مكروه .

١٨٣ كثيرًا ما يَهِمُّ الإنسان بعمل الخير ، ثمَّ يأتي الشيطان فيوسوس له ويقول : إنك تريد ذلك رياء وسمعة . فيبعدنا عن فعل الخير ، فكيف يمكن تجنب مثل هذا الأمر[1] ؟

يمكن تَجَنُّب مثل هذا الأمر بالاستعاذة بالله من الشَّيطان الرَّجيم ، والمضي قدمًا في فعل الخير ، ولا يلتفت إلى هذه الوساوس التي تثبطه عن فعل الخير ، وهو إذا أعرض عن هذا واستعاذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم زال عنه ذلك بإذن الله .

١٨٤ شخص يوسوس إليه الشيطان بهذا السؤال « مَنْ خَلَقَ اللهَ ؟ » فهل يؤثّر ذلك عليه ؟

هذا الوسواس لا يؤثر عليه وقد أخبر به النبي عليه الصلاة والسلام أن الشيطان يأتي إلى الإنسان فيقول مَنْ خَلَقَ كذا ومن خلق كذا إلى أن يقول مَنْ خَلَقَ اللهَ ؟ وأعلمنا رسول الله ﷺ بالدواء الناجع وهو أن نستعيذ بالله من الشيطان الرجيم وننتهي عن هذا .

فإن طرأ عليك هذا الشيء وخطر ببالك فقل : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وانْتَه عنه وأَعْرِضْ إعراضاً كلّيًا . وسيزول بإذن الله .

١٨٥ كلنا يعلم مدى عدواة إبليس للإنسان ، فكيف يغوي إبليس أكثر من شخص في وقت واحد وهو لم يلد ولم يتزوج ؟

إن الشّياطين كثيرون وليس الشيطان واحدًا قال الله تعالى فيه ﴿ **أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أولياء مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُم عَدُوٌّ** ﴾[1] . وكل إنسان له قَرين من الشّياطين يأمره بالفحشاء والمنكر ولكن من عَصَمَه الله منه فهو المُعْتصم بعزة الله عزَّ وجلَّ ، وعليك أيها السَّائل أن تتجنب كل ما يأمرك الشّيطان به لأن الله سبحانه وتعالى يقول ﴿ **إنَّ الشّيْطَانَ لَكُم عَدُوّ فَاتَّخِذُوه عَدُوًّا إنَّما يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَابِ السَّعير** ﴾[2] .

فإذا قلت ما الذي يدعو إليه الشّيطان : قلنا أنه يدعو إلى الفحشاء والمنكر لقوله تعالى ﴿ **الشّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ والله يَعِدُكُم مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفضْلًا . .** ﴾[3] . وقوله تعالى ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوات الشّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبع خُطُواتِ الشّيْطَانِ فَإِنَّه يَأْمُر بالفحشاء والمُنْكَر . . .** ﴾[4] .

فكل شيء اكتشفت من نفسك أنك تَطْلُبه وهو ممَّا حرَّم الله عزَّ وجل فهو من أمر الشّيطان فعليك أن تتجنَّبه لأنه من طلب عَدوك وعدوك لا يَأْمرك بما فيه خَيْرٌ لك .

---

(١) الكهف : ٥٠
(٢) فاطر : ٦
(٣) البقرة : ٢٦٨
(٤) النور : ٢١

الملائكـــة والجـــن

١٨٦ ــــ ما الحكمة من إيجاد الكرام الكاتبين مع أن الله يعلم كل شيء ؟

نقول في مثل هذه الأمور إننا قد ندرك حكمتها وقد لا ندرك ، فإن كثيرا من الأشياء لا نعلم حكمتها كما قال الله تعالى : ﴿ **ويَسْألُونك عن الْروحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ومَا أُوتِيتُم مِنَ الْعِلْمِ إلاّ قَلِيلا** ﴾[١] فإن هذه المخلوقات لو سألَنا سائلٌ : ما الحكمة أن الله جعل الإبل على هذا الوجه ، وجعل الخيل على هذا الوجه ، وجعل الحَمير على هذا الوجه ، وجعل الآدمي على هذا الوجه ، وما أشبه ذلك . لو سألنا عن الحكمة في هذه الأمور ما علمناها ولو سئلنا ما الحكمة في أن الله عز وجل جعل صلاة الظهر أربعا وصلاة العصر أربعا والمغرب ثلاثا وصلاة العشاء أربعا وما أشبه ذلك ما استطعنا أن نعلم الحكمة في ذلك ، وبهذا علمنا أن كثيرا من الأمور الكونية وكثيرا من الأمور الشرعية تخفى علينا حكمتها ، وإذا كان كذلك فإنا نقول إن التماسنا للحكمة في بعض الأشياء

---

(١) الإسراء ٨٥ .

المخلوقة أو المشروعة إن منّ الله علينا بالوصول إليها فذاك زيادة فضل وخير وعلم ، وإن لم نصل إليها فإن ذلك لا ينقصنا شيئا . ثم نعود إلى جواب السؤال وهو ما الحكمة في أن الله عز وجل وكّل بنا كراما كاتبين يعلمون ما نفعل ؟

فالحكمة في ذلك بيان أن الله سبحانه وتعالى نظّم الأشياء وقدّرها وأحكمها إحكاما متقنا حتى إنه سبحانه وتعالى جعل على أفعال بني آدم وأقوالهم كراما كاتبين موكلين بهم يكتبون ما يفعلون مع أنه سبحانه وتعالى عالم بما يفعلون قبل أن يفعلوه ، ولكن كل هذا من أجل بيان كمال عناية الله عز وجل بالإنسان وكمال حفظه تبارك وتعالى ، وأن هذا الكون منظم أحسن نظام ومحكم أحسن إحكام . والله عليم حكيم .

١٨٧ ـــــــــ أيهما أفضل الملائكة أم الصالحون من البشر ؟

هذه المسألة وهي المفاضلة بين الملائكة وبين الصالحين من البشر محل خلاف بين أهل العلم ، وكل منهم أدلى بدلوه فيما يحتجّ به من النصوص ، ولكن القول الراجح أن يقال : إن الصالحين من البشر أفضل من الملائكة باعتبار النهاية فإن الله سبحانه وتعالى يعدهم من الثواب ما لا يحصل مثله للملائكة فيما نعلم ، بل إن الملائكة في مقرهم أي في مقر الصالحين وهو الجنة يدخلون عليهم من كل باب ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾[1]

(١) الرعد ٢٤

أما باعتبار البداية فإن الملائكة أفضل ، لأنهم خُلقوا من نور وجُبلوا على طاعة الله عز وجل والقوة عليها ، كما قال الله تعالى في ملائكة النار : **﴿ عليها ملائكةٌ غِلاَظٌ شِداَدٌ لا يَعْصُون اللهَ ما أَمَرَهم ويَفْعَلُون ما يُؤْمَرُون ﴾**[1] وقال عز وجل :**﴿ ومَنْ عِندَه لا يَسْتَكْبِرُون عن عِبادَتِه ولا يَسْتَحْسِرُون . يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ والنَّهارَ لا يَفْتُرُون ﴾**[2] هذا هو القول الفصل في هذه المسألة .

وبعد فإن الخوض فيها وطلب المفاضلة بين صالحي البشر والملائكة من فضول العلم ، الذي لا يضطر الإنسان إلى فهمه والعلم به . والله المستعان .

١٨٨ هل إبليس من الملائكة ؟

إبليس ليس من الملائكة ، لأن إبليس خُلق من نار ، والملائكة خُلقت من نور ، ولأن طبيعة إبليس غير طبيعة الملائكة ، فالملائكة وصفهم الله تعالى بأنهم : **﴿ لايَعْصُون اللهَ ما أَمَرَهم ويَفْعَلُون ما يُؤْمَرُون ﴾**[3] . ووصفهم الله تعالى بقوله : **﴿ ومَنْ عِندَه لا يَسْتَكْبِرُون عَنْ عِبادَته ولا يَسْتَحْسِرُون . يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ والنهارَ لا يَفْتُرُون ﴾**[4] أما الشيطان فإنه على العكس من ذلك فإنه كان مستكبرا كما قال تعالى : **﴿ إلاّ إبْلِيسَ أَبَى واسْتَكْبَرَ وكان مِنَ الكافرين ﴾**[5] ولكن لما وَجّه الخطابَ إلى

---

(١) التحريم ٦

(٢) الأنبياء ١٩ - ٢٠ .

(٣) التحريم ٦

(٤) الأنبياء ١٩ - ٢٠

(٥) البقرة ٣٤

الملائكة بالسجود لآدم وكان إبليس من بينهم - أي معهم مشاركا لهم في العبادة وإن كان قلبه - والعياذ بالله - منطويا على الكفر والاستكبار - صار الخطاب متوجها إلى الجميع فلهذا صح استثناؤه منهم فقال تعالى : ﴿ **فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ** ﴾ وإلا فأصله ليس منهم بلا شك كما قال تعالى : ﴿ **فَسَجَدُوا إِلا إبليس كان من الجِنِّ ففَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّه** ﴾[1] . والله أعلم .

١٨٩ ———— هل يجوز للإنسان أن يدعو الله أن يهدي شيطانه ؟

لا يجوز أن يدعو أحد بهذا ، لأنه ينافي حِكْمة الله وقضاءه وقدره ، فإن الله سبحانه قضى بحكمته على إبليس باللعنة إلى يوم الدين .

١٩٠ ———— وسئل الشيخ : هل الجن من الملائكة ؟

فاجاب بقوله : الجن ليسوا من الملائكة لأن الملائكة خُلقوا من نور والجن خلقوا من نار ، قال الله تعالى : ﴿ **والجانَّ خلَقْناه مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُوم** ﴾[2] . وثبت عن النبي ﷺ : « أنّ الملائكة خلقوا من نور » . ولأن الملائكة كما وصفهم الله تعالى بقوله : ﴿ **عِبَادٌ مُكْرَمُون**

(١) الكهف ٥٠

(٢) الحجر ٢٧

لا يَسْبِقُونَه بالقَوْلِ وهُم بأمْرِه يَعْمَلُون ﴾[1] . والجن فيهم المؤمن والكافر والمطيع والعاصي قال الله تعالى : ﴿ قال ادْخُلوا في أُمَمٍ قَدْ خلَتْ مِن قَبْلِكم مِنَ الجنِّ والإنسِ في النَّار ﴾[2] . وقال عن الجنّ : ﴿ وإنَّا مِنَّا المسلمون ومِنَّا القاسِطُون فَمَنْ أَسْلَمَ فأولئك تَحَرَّوْا رَشَدًا وأمَّا القَاسِطُون فكانوا لجَهَنَّمَ حَطَباً ﴾[3] . وقال عنهم أيضا :﴿ وإنَّا مِنَّا الصالحون ومِنَّا دُونَ ذلك كُنَّا طرائق قِدَداً ﴾[4] ولأن الملائكة – كما قال أهل العلم – صَمَد – لا يأكلون ولا يشربون ، والجن يأكلون ويشربون فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال للجن الذين وفدوا إليه : « لَكُم كُلُّ عَظْمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عليه تَجِدُونه أَوْفَرَ ما يكون لحماً » . فتبين بهذه الأدلة أن الملائكة ليسوا من الجن فأما قوله تعالى : ﴿ فسَجَدَ الملائكةُ كُلُّهم أجمعون إلاَّ إبْلِيسَ ﴾[5] . فإنما استثناه لأنه كان معهم حينذاك وليس منهم ، ويبين ذلك قوله تعالى في سورة الكهف ﴿ فَسَجَدُوا إلا إبْلِيس كَانَ من الجِنِّ ففَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾[6] . فعَلَّل فِسْقَه عن أمر ربه بكونه من الجن ، ولو كان الملائكة من الجن لأمكن أن يفسقوا عن أمر ربهم كما فسق إبليس ، وهذا الاستثناء يسمى استثناء منقطعاً كما يقول النَّحْويون : جاء القوم إلا حماراً . وهو كلام عربي فصيح ، فاستثنى الحمار من القوم وإن لم يكن منهم .

---

(١) الأنبياء ٥٦ – ٥٧

(٢) الأعراف ٣٨ .

(٣) الجن ١٤ – ١٥

(٤) الجن ١١

(٥) الحجر ٣٠

(٦) الكهف ٥٠ .

١٩١ هل للجن تأثير على الإنس ؟ وما طريق الوقاية منهم ؟

لا شك أن الجن لهم تأثير على الإنس بالأذية التي قد تصل إلى القتل ، وربما يؤذونه برمي الحجارة وربما يُرَوِّعُون الإنسان إلى غير ذلك من الأشياء التي ثبتت بها السنة ، ودل عليها الواقع . فقد ثبت أن الرسول ﷺ أذن لبعض أصحابه أن يذهب إلى أهله في أحدى الغزوات – وأظنها غزوة الخندق – وكان شابا حديث عهد بعُرْس ، فلما وصل إلى بيته وإذا امرأته على الباب فأنكر عليها ذلك فقالت له : ادخل فدخل فإذا حية ملتوية على الفراش ، وكان معه رمح فوخزها بالرمح حتى ماتت وفي الحال – أي الزمن الذي ماتت فيه الحية – مات الرجل فلا يدري أيهما أسبق موتا الحية أم الرجل فلما بلغ ذلك النبي ﷺ نهى عن قتل الجنان التي تكون في البيوت إلا الأَبْتَر وذا الطُّفْيَتَيْنِ .

وهذا دليل على أن الجن قد يعتدون على الإنس ، وأنهم يؤذونهم . كما أن الواقع شاهد بذلك ، فإنه قد تواترت الأخبار واستفاضت بأن الإنسان قد يأتي إلى الخربة فيُرْمَى بالحجارة وهو لا يرى أحدا من الإنس في هذه الخربة ، وقد يسمع أصواتا وقد يسمع حفيفاً كحفيف الأشجار وما أشبه ذلك مما يستوحش به ويتأذى به ، وكذلك أيضا قد يدخل الجني إلى جسد الآدمي إما بعشق أو لقصد الإيذاء أو لسبب آخر من الأسباب ، ويشير إلى هذا قوله تعالى : ﴿ **الذين يأكلون الرِّبَا لا يَقُومُون إلاّ كما يَقُومُ الذي يَتَخَبَّطُه الشَّيْطَانُ مِن المَسِّ** ﴾[1] وفي هذا

(١) البقرة ٢٧٥

النوع قد يتحدث الجني من باطن الإنسي نفسه ، ويخاطب من يقرأ عليه آيات من القرآن الكريم وربما يأخذ القارىء عليه عهدا ألا يعود إلى غير ذلك من الأمور الكثيرة التي استفاضت بها الأخبار وانتشرت بين الناس .
وعلى هذا فإن الوقاية المانعة من شر الجن أن يقرأ الإنسان ما جاءت به السنة مما يتحصن به منهم مثل آية الكرسي فإن آية الكرسي إذا قرأها الإنسان في ليلةٍ لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح . والله الحافظ .

١٩٢ ــ هل للجن حقيقة ؟ وهل لهم تأثير ؟ وما علاج ذلك ؟

أما حقيقة حياة الجن فالله أعلم بها ولكننا نعلم أن الجن أجسام حقيقية وأنهم خلقوا من النار وأنهم يأكلون ويشربون ويتزاوجون ولهم ذرية كما قال الله تعالى في الشيطان : ﴿ **أَفَتَتَّخِذُونَه وذُرِّيَّته أَوْلِيَاءَ مِن دوني وهم لكم عَدُوٌّ** ﴾[١] وأنهم مكلّفون بالعبادات فقد أرسل إليهم النبي عليه الصلاة والسلام وحضروا واستمعوا القرآن الكريم كما قال الله تعالى : ﴿ **قُلْ أُوحي إليَّ أنه استَمَعَ نَفَرٌ من الجِنِّ فقالوا إنَّا سَمِعْنا قُرءانا عَجَباً . يَهْدِي إلى الرُّشدِ فامَنَّا به ولَن نُشْرِكَ بِرَبِّنا أَحَدًا** ﴾[٢] وكما قال تعالى : ﴿ **وإذْ صَرَفْنَا إليك نَفَرًا مِنَ الجِنِّ يَسْتَمِعُون القرآنَ فلَمَّا حَضَرُوه قالوا أَنصِتُوا فلمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إلى قومِهم مُنذِرين . قالوا يا قومنا**

---

(١) الكهف ٥٠
(٢) الجن ١ - ٢

إنّا سَمِعْنا كِتاباً أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسى مُصَدِّقاً لما بين يَدَيْه يَهْدِي إلى الحَقِّ وإلى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[1] إلى آخر الآيات . وثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال للجن الذين وفدوا إليه وسألوه الزاد قال : « لكم كُلُّ عَظَمٍ ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عليه تَجِدُونَه أَوْفَرَ ما يكون لحَمْاً » وهم – أعني الجن – يشاركون الإنسانَ إذا أكل ولم يذكر اسم الله على أكله ، ولهذا كانت التسمية على الأكل واجبة ، وكذلك على الشرب كما أمر بذلك النبي ﷺ . وعليه فإن الجن حقيقة واقعة وإنكارهم تكذيب للقرآن الكريم وكفر بالله عز وجل وهم يؤمرون وينهون ويدخل كافرهم النار كما قال الله تعالى : ﴿ **قال ادْخُلُوا في أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكم مِن الجِنِّ والإنسِ في النَّارِ كُلَّما دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَها** ﴾[2] ومؤمنهم يدخل الجنة أيضا لقوله تعالى : ﴿ **ولِمَنْ خافَ مَقامَ رَبِّهِ جَنَّتانِ ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكما تُكَذِّبَانِ ، ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكما تُكَذِّبَانِ** ﴾[3] والخطاب للجن والإنس ولقوله تعالى : ﴿ **يا مَعْشَرَ الجِنِّ والإنسِ أَلَم يَأْتِكُم رُسُلٌ مِنكُم يَقُصُّونَ عليكم آياتي ويُنذِرُونَكُم لِقاءَ يَوْمِكم هذا قالوا شَهِدْنا على أَنفُسِنا وغَرَّتْهُم الحياةُ الدنيا وشَهِدُوا على أَنفُسِهِم أَنَّهم كانوا كافرين** ﴾[4] إلى غير ذلك من الآيات والنصوص الدالة على أنهم مكلّفون يدخلون الجنة إذا آمنوا ويدخلون النار إذا لم يؤمنوا .

---

(١) الأحقاف ٢٩ – ٣٠ .
(٢) الأعراف ٣٨
(٣) الرحمن ٤٦ - ٤٩
(٤) الأنعام ١٣٠

أما تأثيرهم على الإنس فإنه واقع أيضا فإنهم يؤثّرون على الإنس إما أن يدخلوا في جسد الإنسان فيصرع ويتألم ، وإما أن يؤثروا عليه بالترويع والإيحاش وما أشبه ذلك .

والعلاج من تأثيرهم بالأوراد الشرعية مثل قراءة آية الكرسي(٤) فإن من قرأ آية الكرسي في ليلةٍ لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح .

١٩٣ ـــــــ سئل الشيخ : ما حكم خدمة الجن والإنس ؟

فأجاب بقوله : ذكر شيخ الإسلام رحمه الله في المجلد الحادي عشر من مجموع الفتاوى ما مقتضاه أن استخدام الإنس للجن له ثلاث حالات :

الأولى : أن يستخدمه في طاعة الله كأن يكون نائبًا عنه في تبليغ الشرع ، فمثلًا إذا كان له صاحب من الجن مؤمن يأخذ عنه العلم فيستخدمه في تبليغ الشرع لنظرائه من الجن ، أو في المعونة على أمور مطلوبة شرعًا فإنه يكون أمرًا محمودًا أو مطلوبًا وهو من الدعوة إلى الله عز وجل . والجن حضروا للنبي ﷺ وقرأ عليهم القرآن وولّوا إلى قومهم منذرين ، والجن فيهم الصلحاء والعباد والزهاد والعلماء لأن المنذر لابد أن يكون عالمًا بما ينذر عابدًا .

---

(١) البقرة ٢٥٥ .

الثانية : أن يستخدمهم في أمور مباحة فهذا جائز بشرط أن تكون الوسيلة مباحة فإن كانت محرمة فهو محرم مثل أن لا يخدمه الجني إلا أن يشرك بالله كأن يذبح للجني أو يركع له أو يسجد ونحو ذلك .

الثالثة : أن يستخدمهم في أمور محرمة كنهب أموال الناس وترويعهم وما أشبه ذلك ، فهذا محرم لما فيه من العدوان والظلم ،ثم إن كانت الوسيلة محرمة أو شركًا كان أعظم وأشد .

١٩٤ ــــــــــ وسئل : ما حكم سؤال الجن وتصديقهم فيما يقولون ؟

فأجاب قائلًا : سؤال الجن وتصديقهم فيما يقولون : قال عنه شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى : إن من يسأل الجن أو يسأل من يسأل الجن على وجه التصديق لهم في كل ما يخبرون به والتعظيم للمسؤول فهو حرام .

وأما إن كان ليمتحن حاله ويختبر باطن أمره وعنده ما يميز به صدقه من كذبه فهذا جائز ثم استدل له ثم ذكر ما روى عن أبي موسى الأشعري أنه أبطأ عليه خبر عمر رضي الله عنه وكان هناك امرأة لها قرين أي صاحب من الجن فسأله عنه فأخبره أنه ترك عمر يسم إبل الصدقة .

١٩٥ سئل الشيخ : هل الْجِنُّ يعلمون الغيب ؟

فأجاب بقوله : الجن لا يعلمون الغيب ولا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله واقرأ قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾[١] ومن ادعى علم الغيب فهو كافر . أو من صدق من يدعي علم الغيب فإنه كافر أيضًا لقوله تعالى : ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ من فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ ﴾[٢] فلا يعلم غيب السموات والأرض إلا الله وحده وهؤلاء الذين يَدَّعُون أنهم يعلمون الغيب في المستقبل كل هذا من الكهانة وقد ثبت عن النبي ﷺ « أَنَّ مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا » فإن صدقه فإنه يكون كافرًا لأنه إذا صدقه بعلم الغيب فقد كذب قوله تعالى : ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ ﴾[٣] .

---

(١) سبأ : ٢٤ .

(٢) النمل : ٢٤ .

(٣) النمل : ٦٥ .



خـــوارق العـــادات

١٩٦ ـــــــــــ سُئِلَ الشيخ : عن رجل يستغيث بغير اللّه ويزعم أنه وَلِيّ اللّه فما علامات الولاية ؟

فأجاب : علامات الولاية بَيَّنَهَا اللّه عز وجل في قوله ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ . الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ** ﴾[1] فهذه علامات الولاية : الإيمان بالله ، وتقوى اللّه عز وجل « فَمَن كَانَ مُؤْمِنًا تَقِيًّا ، كَانَ لِلّهِ وَلِيًّا » . أما من أشرك به فليس بولي لله بل هو عدو لله كما قال تعالى ﴿ **من كَانَ عَدُوًّا لِّلّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ** ﴾[2] . فإي إنسان يدعو غير اللّه ، أو يستغيث بغير اللّه بمالا يقدر عليه إلا اللّه عز وجل ، فإنه مشرك كافر ، وليس بولي لله ولو ادعى ذلك ، بل دعواه أنه ولي مع عدم توحيده وإيمانه وتقواه دعوى كاذبة تنافي الولاية .

---

(١) يونس : ٦٢ .

(٢) البقرة : ٩٨ .

ونصيحتي لإخواني المسلمين في هذه الأمور أن لا يغتروا بهؤلاء ، وأن يكون مرجعهم في ذلك إلى كتاب اللّه ، وإلى ما صح من سنة النبي ﷺ حتى يكون رجاؤهم وتوكلهم واعتمادهم على اللّه وحده ، وحتى يؤمنوا بذلك لأنفسهم استقرارًا وطمأنينة ، وحتى يحفظوا بذلك أموالهم أن يبتزها هؤلاء المخرفون ، كما أن في لزوم مادل عليه الكتاب والسنة في مثل هذه الأمور في ذلك إبعادٌ لهؤلاء عن الاغترار بأنفسهم ، هؤلاء الذين يَدْعون أنفسهم أحيانًا أسيادًا وأحيانًا أولياء ، ولو فكرت أو تأملت ماهم عليه لوجدت فيهم بعدًا عن الولاية والسيادة ، ولكنك تجد الولي حقيقة أبعد الناس أن يدعو لنفسه وأن يحيطها بهالة من التعظيم والتبجيل وما أشبه ذلك ، تجده مؤمنًا ، تقيًا ، خفيًا لايظهر نفسه ، ولا يحب الإشهار ، ولا يحب أن يتجه الناس إليه ، أو أن يتعلقوا به خوفًا أو رجاءً . فمجرد كون الإنسان يريد من الناس أن يعظموه ، ويحترموه ، ويبجلوه ، ويكون مرجعًا لهم ، ومتعلقًا لهم ، هذا في الحقيقة ينافي التقوى وينافي الولاية ، ولهذا جاء في الحديث عن النبي ﷺ فيمن طلب العلم ليماري به السُّفَهَاء ، أو يُجَارِي به العلماء ، أو لِيَصْرِفَ وُجُوهَ الناس إليه فعليه كذا وكذا من الوعيد ، فالشاهد في قوله « أَوْ لِيَصْرِفَ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ » فهؤلاء الذين يَدَّعُونَ الولايةَ ويحاولون أن يصرفوا وجوه الناس اليهم هم أبعد الناس عن الولاية .

فنصيحتي لإخواني المسلمين أن لايغتروا بهؤلاء وأمثالهم وأن يرجعوا إلى كتاب اللّه وسنة رسوله ﷺ ، وأن يعلقوا آمالهم ورجاءهم بالله وحده .

١٩٧ سُئِلَ الشيخ عمن يَدَّعِي أنه ينفع ويضر وحُكْمِ تَصْدِيقِهِ ؟

فأجاب قائلًا : هؤلاء الذين يَدَّعُونَ أنهم ينفعون ، أو يضرون كَذَبَةٌ لايجوز لأحد أن يصدقهم ، ولا أن يسألهم ، ويجب على من علم بهم أن يبلغ ولاة الأمور ليتخذوا اللازم ، فلا أحد يملك النفع والضرر إلا اللّه وحده لا شريك له حتى النبي ﷺ قال اللّه له ﴿ **قُلْ إِنِّي لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلاَ رَشَدًا قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا** ﴾[١] وأمره أن يقول ﴿ **لاَ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ** ﴾[٢] ومن زعم أن أحدًا يملك الضرر ، أو النفع بغير أسباب حسية معلومة ، فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل ؛ لأنه مُكَذِّبٌ لله تعالى ولرسوله ﷺ .

وإني أقول لهؤلاء الذين يتوهمون صدق ما قاله هؤلاء الدَّجاجلَةِ أقول لهم : اثبتوا على دينكم وإيمانكم واعلموا أنه لا يملك أحدٌ الضررَ والنفعَ إلا اللّه وحده لاشريك له ، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال لابن عباس رضي اللّه عنهما « **وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَن يَنفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنفعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ** » وفي القرآن الكريم لما ذكر اللّه السحرة قال ﴿ **وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾[٣]

---

(١) الجن : ٢١ -٢٢ .

(٢) الأعراف : ١٨٨ .

(٣) البقرة : ١٠٢ .

فالمهم أن هؤلاء كَذَبَةٌ فيما ادَّعُوهُ من كونهم يملكون النفع والضرر ، فإن ذلك إلى اللّه وحده لاشريك له ، وعليهم أن يتوبوا إلى اللّه من هذا العمل ، وأن يعترفوا بقصورهم وتقصيرهم ، وأنهم ضعفاء أمام قدرة اللّه ، وأنهم لايملكون دفع الضرر عن أنفسهم فضلًا عن غيرهم ، كما لا يملكون لأنفسهم جَلْبَ نفعٍ فضلًا عن جَلْبِهِ لغيرهم إلا ماشاء اللّه سبحانه وتعالى ، وعلى من يتوهم صدقَهُم أن يتوب الى اللّه من تصديقهم وأن يعلم أنهم كذبة وَلاَ حَقَّ لهم ولاَ حَظَّ لهم في مثل هذه الأمور .

۱۹۸ ـــــــ سئل الشيخ : عن قوم يضربون أنفُسَهُم بالحديد والسلاح ولا يتأثرون ويزعمون أنهم أولياء لله ؟

فأجاب بقوله : كون هؤلاء يضربون أنفسهم بالحديد أو غير الحديد ولا يتأثرون بذلك فإن هذا لا يدل على صدقهم ولا على أنهم من أولياء الله ، ولا على أن هذا كرامة لهم ، وإنما هذا من أنواع السحر الذي يسحرون به أعين الناس ، والسحر يكون في مثل هذا وغيره ، فإن موسى عليه الصلاة والسلام لما ألقى سحرةُ فرعون حبالَهُم وعِصِيَّهُم صارت من سحرهم يخيل إليه إنها تَسْعَى ، وأنها حَيَّاتٌ وأَفَاعِي كما قال الله عز وجل ﴿ **سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ** ﴾[1] فهذا الذي يفعلونه لاشك أنه نوع من أنواع السحر وأنه ليس بكرامة .

---

(۱) الأعراف : ١١٦ .

واعلم – رحمك الله – أن الكرامة لاتكون إلا لأولياء الله ، وأولياء الله هم الذين اتقوه واستقاموا على دينه وهم من وصفهم الله بقوله﴿ **أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ** ﴾[1] وليس كل من ادَّعَى الولايةَ يكون وليًّا وإلا لكان كل واحد يدعيها ، ولكن يوزن هذا المُدَّعِي للولاية بعمله ، إن كان عمله مبنيًا على الإيمان والتقوى فإنه ولي ، لكن مجرد ادِّعَائِهِ أنه من أولياء الله ليس من تقوى الله عز وجل ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ **فَلاَ تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى** ﴾[2] . فإذا ادَّعَى أنه من أولياء الله فقد زَكَّى نفسه ، وحينئذٍ يكون واقعًا في معصية الله فيما نهاه الله عنه وهذا ينافي التقوى .

وعلى هذا فإن أولياء الله لا يزكون أنفسهم بمثل هذه الشهادة وإنما هم يؤمنون بالله ويتقونه ، ويقومون بطاعته على الوجه الأكمل ، ولا يَغُرُّون الناس ويخدعونهم بهذه الدعوى حتى يضلوهم عن سبيل الله .

١٩٩ سئل الشيخ : عن حكم سؤال العَرَّافِ ؟

فأجاب : سؤال العراف ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : أن يَسْأَلَهُ فَيُصَدِّقَهُ وَيَعْتَبِر قَوْلَهُ فهذا حَرَمٌ بل كفر ؛ لأن تصديقه في علم الغيب تكذيب للقرآن .

---

(١) يونس : ٦٢ .

(٢) النجم : ٣٢ .

القسم الثاني : أن يسأله ليختبره هل هو صادق أو كاذب ، لا لأجل أن يأخذ بقوله فهذا جائز ، وقد سأل النبي ﷺ ابن صيّاد قال : « مَاذَا خَبَّأْتُ لَكَ » ؟ قال : الدُّخُّ . فقال النبي ﷺ : « اخْسَأْ فَلَن تَعْدُو قَدْرَكَ » . فالنبي ﷺ سأله عن شيء أضمره له لأجل أن يختبره لا ليصدقه ويعتبر قوله .

القسم الثالث : أن يسأله لِيُظْهِرَ عَجْزَهُ وَكَذِبَهُ ، وهذا أمر مطلوب وقد يكون واجبًا .

٢٠٠ ـــــــ وسئل جزاء الله خيرًا : عن الكهانة ؟ وحكم إتيانِ الكُهَّانِ ؟

فأجاب بقوله : الكهانة فَعَالَةٌ مأخوذة من التَّكَهُّنِ ، وهو التَّخَرُّصُ والتماس الحقيقة بأمور لا أساس لها ، وكانت في الجاهلية صنعةً لأقوام تتصل بهم الشياطين وتسترق السمع من السماء وتحدثهم به ، ثم يأخذون الكلمة التي نقلت إليهم من السماء بواسطة هؤلاء الشياطين ويضيفون إليها ما يضيفون من القول ، ثم يحدثون بها الناس فإذا وقع الشيء مطابقًا لما قالوا اغْتَرَّ بِهِمُ الناس واتخذوهم مرجعًا في الحكم بينهم ، وفي استنتاج ما يكون في المستقبل ، ولهذا نقول : الكاهن هو الذي يخبر عن المُغَيَّبَاتِ في المستقبل .

والذي يأتي إلى الكاهن ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : أن يأتي إلى الكاهن فيسأله من غير أن يصدقه ، فهذا محرم ، وعقوبة فاعله ان لا تُقْبَلَ له صلاة أربعين يومًا ، كما ثبت في

صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال : « مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةٍ »

القسم الثاني : أن يأتي إلى الكاهن فيسأله ويصدقه بما أخبر به ، فهذا كفر بالله عز وجل ؛ لأنه صدقه في دعوى علمه الغيب ، وتصديقُ البشر في دَعْوَى علم الغيب تكذيب لقول الله تعالى : ﴿ **قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ** ﴾[1] ولهذا جاء في الحديث الصحيح « مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَر بِمَا نزل عَلَى مُحَمَّد ﷺ » .

القسم الثالث : أن يأتي إلى الكاهن فيسأله لِيُبَيِّنَ حَالَهُ للناس ، وأنها كهانة وتمويه وتضليل ، فهذا لا بأس به ، ودليل ذلك أن النبي ﷺ أتاه ابن صياد ، فأضمر له النبي ﷺ شيئًا في نفسه فسأله النبي ﷺ ماذا خبأ له ؟ فقال : الدُّخُ يريد الدُّخَانَ . فقال النبي ﷺ : « اخْسَأْ فَلَن تَعْدُوَ قَدْرَكَ » . هذه أحوال من يأتي إلى الكاهن ثلاثة : —

الأولى : أن يأتي فيسأله بدون أن يصدقه ، وبدون أن يقصد بيان حاله فهذا محرم ، وعقوبة فاعله أن لا تقبل له صلاة أربعين ليلة .

الثانية : أن يسأله فيصدقه وهذا كفر بالله عز وجل يجب على الإنسان أن يتوب منه ويرجع إلى الله عز وجل وإلا مات على الكفر .

الثالثة : أن يأتيه فيسأله ليمتحنه ويبين حاله للناس فهذا لا بأس به .

---

(١) النمل : ٦٥ .

٢٠١ وسئل فضيلتهُ : عن التنجيم وحكمه ؟

فأجاب بقوله : التنجيم مأخوذ من النجم ، وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية ، بمعنى أن يربط المنجم ما يقع في الأرض ، أو ما سيقع في الأرض بالنجوم بحركاتها ، وطلوعها ، وغروبها ، واقترانها ، وافتراقها وما أشبه ذلك ، والتنجيم نوع من السحر والكهانة ، وهو محرم ، لأنه مبني على أوهام لا حقيقة لها ، فلا علاقة لما يحدث في الأرض بما يحدث في السماء ، ولهذا كان من عقيدة أهل الجاهلية أن الشمس والقمر لا ينكسفان إلا لموت عظيم ، فكسفت الشمس في عهد النبي ﷺ في اليوم الذي مات فيه ابنه إبراهيم رضي الله عنه فقال الناس : كسفت الشمس لموت إبراهيم ، فخطب النبي ﷺ الناس حين صلى الكسوف وقال : « إنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ لاَ يَنكَسِفَانِ لِمَوتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ » فأبطل النبيُّ ﷺ ارتباطَ الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية وكما أن التنجيم بهذا المعنى نوع من السحر والكهانة فهو أيضًا سبب للأوهام والانفعالات النفسية التي ليس لها حقيقة ولا أصل ، فيقع الإنسان في أوهام ، وتشاؤمات ، ومتاهات لا نهاية لها . وهناك نوع آخر من التنجيم وهو أن الإنسان يستدل بطلوع النجوم على الأوقات ، والأزمنة ، والفصول ، فهذا لا بأس به ولا حرج فيه ، مثل أن تقول إذا دخل نجم فلان فإنه يكون قد دخل موسم الأمطار ، أو قد دخل وقت نضوج الثمار وما أشبه ذلك ، فهذا لا بأس به ولا حرج فيه .

٢٠٢ سئل الشيخ : ما العلاقة بين التنجيم والكهانة وأيُّهُمَا أخطَرُ ؟

فأجاب قائلًا : العلاقة بين التنجيم والكهانة أن الكل مبني على الوهم والدجل ، وأكل أموال الناس بالباطل ، وإدخال الهموم والغموم عليهم وما أشبه ذلك .

وبالنسبة لخطرهما على المسلمين فهذا ينبني على شيوع هذا الأمر بين الناس فقد يكون في بعض البلاد لا أثر للتنجيم عندهم إطلاقًا ولا يهتمون به ولا يصدقون به ، ولكن الكهانة منتشرة بينهم فتكون أخطر ، وقد يكون الأمر بالعكس . لكن من حيث واقع الكهانة والتنجيم فإن الكهانة أخطر .

٢٠٣ سئل الشيخ رعاه الله : ما حكم الاستسقاء بالأنْوَاءِ ؟

فأجاب بقوله : الاستسقاء بالأنواء ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : شرك أكبر وله صورتان :

الصورة الأولى : أن يدعو الأنواء بالسقيا ، كأن يقول يانوء كذا أسقنا أو أغثنا وما أشبه ذلك ، فهذا شرك أكبر قال الله تعالى : ﴿ **وَمَن يَدْعُ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندِ رَبِّهِ إِنَّهُ لاَ**

يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾[1] وقال الله تعالى : **﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَدًا ﴾**[2] وقال عز وجل : **﴿ وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللهِ مَا لاَيَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾**[3] وهذا شرك في العبادة والربوبية .

الصورة الثانية : أن يَنسبَ حصول الأمطار إلى هذا النوء ولو لم يَدِّعِهَا على أنها هي الفاعلة بنفسها دون الله ، بأن يعتقد أنها هي التي تنزل المطر دون الله فهذا شرك أكبر في الربوبية .

القسم الثاني : شرك أصغر وهو أن يجعل هذه الأنواء سببًا والله هو الخالق والفاعل وإنما كان شركًا أصغر لأن كل من جعل سببًا لم يجعله الله سببًا لا بوحيه ، ولا بقدره ، فهو مشرك شركًا أصغر .

٢٠٤ سئل الشيخ : عن أقسام علم النجوم ؟

فأجاب بقوله : علم النجوم ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : علم يستدل به على الحوادث الأرضية ، فهذا محرم ، فيستدل مثلًا باقتران النجم الفلاني بالنجم الفلاني على أنه سيحدث كذا وكذا ، ويستدل بولادة إنسان في هذا النجم أنه سيكون سعيدًا ، وفي هذا النجم الآخر بأنه سيكون شقيًا ، فيستدلون باختلاف أحوال النجوم على اختلاف الحوادث الأرضية ، والحوادث الأرضية ليست للنجوم بها

(١) المؤمنون : ١١٧ .
(٢) الجن : ١٨ .
(٣) يونس : ١٠٦ .

علاقة ولهذا في حديث زيد بن خالد الجُهَني رضي الله عنه قال : « صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ عَلَى أَثَرِ سَمَاءٍ مِنَ اللَّيْلِ فَلَمَّا انصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ : « هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ » قَالُوا اللهُ وَرَسُولُهُ أعلم . قال : قال : « أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِن بِي وَكَافِرٌ فَمَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا – البَاءُ لِلسَّبَبِيَّةِ – فَإِنَّهُ كَافِر بِي مُؤْمِن بِالْكَوْكَبِ وَمَن قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمتِه فَذَلِكَ مُؤْمِن بِي كَافِر بِالْكَوْكَبِ » فالنجوم لا تأتي بالمطر ولا الرياح ، ومنه نعرف خطأ الذين يقولون إذا طلع النجم الفلاني ازداد هبوب الرياح لأن النجوم لا صلة لها بالرياح .

القسم الثاني : علم يستدل بها على الجهات والأوقات ، فهذا جائز ، وقد يكون واجبًا كما قال الفقهاء « إذَا دخل وقتُ الصلاة يجب على الإنسان أن يتعلم علامات القبلة من النجوم والشمس والقمر » قال الله تعالى ﴿ وَأَلْقَى فِي ٱلْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[1] فلما ذكر الله عز وجل العلامات الأرضية انتقل إلى العلامات الأفقية فقال تعالى : ﴿ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾[2] فالاستدلال بهذه النجوم على الأزمنة والأمكنة لا بأس به مثل أن يقال إذا طلع النجم الفلاني دخل وقت المطر أو وقت الربيع ، والعرب في الجاهلية يتشاءمون بالأنواء ويتفاءلون بها ، فبعض النجوم يقولون هذا نجم نحس لا خير فيه ، وبعضها بالعكس يقولون : هذا نجم سعود وخير ، ولهذا إذا أمطر قالوا مطرنا بنوء وكذا ، ولا يقولون مطرنا بفضل الله ورحمته ، مع أن النجم ليس سببًا للمطر . ألسنا نجد هذا النوء

(١) النحل : ١٥ .

(٢) النحل : ١٦ .

بعينه سنة يكون فيه مطر وفي سنة أخرى لا يكون فيه مطر ؟ ! ونجد السنوات تمر بدون مطر مع وجود النجوم الموسمية التي كانت كثيرًا ما يكون في زمنها الأمطار ، فالنوء لا تأثير له فقولنا طلع هذا النجم كقولنا طلعت الشمس فليس له إلا طلوع وغروب ، والنوء وقت تقدير وهو يدل على دخول الفصول فقط .

٢٠٥ ـــــــ سئل الشيخ : عن حكم تعلم علم النجوم ؟ وما الحكمة من خلقها ؟

فأجاب حفظه الله تعالى بقوله : علم النجوم على نوعين :

النوع الأول : علم التأثير وهذا النوع ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : - أن يعتقد أن هذه النجوم مؤثرة فاعلة ، بمعنى أنها هي التي تخلق الحوادث فهذا شرك مخرج عن الملة ؛ لأنه جعل المخلوق خالقًا فَادَّعَى أن مع الله خالقًا آخر .

القسم الثاني : - أن يستدل بحركاتها وتنقلاتها على ما يحدث في المستقبل مثل أن يعتقد أن فلانا ستكون حياته شقاء ؛ لأنه ولد في النجم الفلاني ، ونحو ذلك فهذا قد ادَّعَى علم الغيب ودعوى علم الغيب كفر مخرج من الملة لأنه تكذيب لقوله تعالى **﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ من فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾**[1] وهذا من أقوى أنواع الحصر لأنه بالنفي والاستثناء ، فإذا ادَّعَى علم الغيب فقد كذّب القرآن .

---

(١) النمل : ٦٥ .

القسم الثالث : أن يعتقد أنها سبب لحدوث الخير والشر أي أنه إذا وقع شيء نسبه إلى النجوم ، ولا ينسب إلى النجوم شيئًا إلا بعد وقوعه فهذا شرك أصغر لأنه أضاف الحوادث إلى ما ليس سببًا لها شرعًا ولا حسًا .

فإن قيل : ينتقض هذا بما ثبت عن النبي ﷺ « أَنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللهِ يُخَوِّفُ اللهُ بِهِمَا عِبَادَهُ » فمعنى ذلك أنهما علامة إنذار .

فالجواب :

أن هذا لا يدل على أن للكسوف تأثيرًا في الحوادث من الجدب والقحط والحروب ولذلك قال النبي ﷺ « أَنَّهُمَا لاَ يَنكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ » لا في ما مضى ، ولا في المستقبل ، وإنما يخوف الله بهما عباده لعله يرجعون .

النوع الثاني : علم التسيير بأن يستدل بسيرها على شيء مّا فهذا على قسمين :

القسم الأول : أن يستدل بسيرها على المصالح الدينية ، فهذا مطلوب وإذا كان على مصالح دينية واجبة كان ذلك واجبًا ، كما لو أراد أن يستدل بالنجوم على جهة القبلة ، فالنجم الفلاني يكون ثلث الليل قبلة ، والنجم الفلاني ربع الليل قبلة فهذا فيه فائدة عظيمة .

القسم الثاني : – أن يستدل بها على المصالح الدنيوية وهذا لا بأس به وهو نوعان : –

النوع الأول : أن يُستَدَلَّ بها على الجهات ، كمعرفة أن القطب يقع شمالًا ، والجدي وهو قريب منه يدور حوله شمالًا ، وهكذا فهذا جائز قال تعالى : ﴿ **وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ** ﴾[1] .

النوع الثاني : أن يستدل بها على الفصول ؛ وهو ما يعرف بتعلم منازل القمر ، فهذا كرهه بعض السلف ، وأباحه آخرون ، والذين كرهوه قالوا : يخشى إذا قيل طلع النجم الفلاني فهو وقت الشتاء ، أن بعض العامة يعتقد أنه هو الذي يأتي بالبرد ، أو بالحر ، أو بالرياح . والصحيح عدم الكراهة .

أما الحكمة من خلقها فالله عز وجل قد خلق هذه النجوم لحكم كثيرة منها :

الأول : زينة للسماء قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ** ﴾[2] ولا يلزم من ذلك أن تكون النجوم مرصعة في السماء .

فإن قيل : فما الجواب عن قوله تعالى ﴿ **وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا** ﴾[3] ؟

قلنا : إنه لا يلزم من تزين الشيء بالشيء أن يكون ملاصقًا له ، أرأيت لو أن رجلًا عَمَّرَ قَصْرًا وجعل حوله ثريات من الكهرباء كبيرة وجميلة وهي حول القصر وليست على جدرانه فالناظر إلى القصر من بعد يرى أنها زينة له وإن لم تكن ملاصقة له .

---

(١) النحل : ١٦ .
(٢) الملك : ٥ .
(٣) الملك : ٥ .

الثانية : أنها رجوم للشياطين أي لشياطين الجن الذين يَسْتَرِقُونَ السمع ، فهم لهم قوة عظيمة نافذة قال تعالى عن عملهم لسليمان ﴿ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ﴾[2] أي من سبأ إلى الشام ، وهو عرش عظيم لملكة سبأ فهذا يدل على قوته ، وسرعته ، ونفوذه .

قال تعالى عن الجن : ﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾[3] .

الثالثة : علامات يهتدي بها قال تعالى : ﴿ وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾[4] فالعلامات : تشمل كل ما جعل الله في الأرض من علامة كالجبال ، والأنهار والطرق وهن علامات أرضية ، ثم ذكر العلامة الأفقية في قوله تعالى ﴿ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾[5] والنجم اسم جنس يشمل كل ما يهتدى به ولا يختص بنجم معين ؛ لأن لكل قوم طريقة في الاستدلال بهذه النجوم على الجهات سواء جهة القبلة ، أو المكان برًا أو بحرًا ، وهذه نعمة من الله أن جعل أشياء علوية لا يحجب دونها شيء لأنك في الليل لا تشاهد جبالًا ولا أودية ولا رملًا ، وهذا من تسخير الله تعالى قال تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ﴾[6] .

---

(١) ص : ٣٧ -٣٨ .

(٢) النمل : ٣٩ .

(٣) الجن : ٩ .

(٤) النحل : ١٥ -١٦ .

(٥) النجم : ١٦ .

(٦) الجاثية : ١٧ .

٢٠٦ ـــــ سئل حفظه الله : عن حكم ربط المطر بالضغط الجوي والمنخفض الجوي ؟

فأجاب قائلًا : تعليق المطر بالضغط الجوي ، والمنخفض الجوي ، وهو وإن كان قد يكون سببًا حقيقيًا ، ولكن لا ينبغي فتح هذا الباب للناس بل يقال هذا من رحمة الله ، وهذا من فضله ونعمته ، وقال تعالى **﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِهِ ﴾**[١] وقال عز وجل : **﴿ اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِهِ ﴾**[٢] فتعلق المطر بالمنخفضات الجوية من الأمور الجاهلية التي تصرف الإنسان عن تعلقه بربه .

وليعلم أن النسبة تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : نسبة إيجاد وهذا شرك أكبر .

القسم الثاني : نسبة سبب وهذه شرك أصغر .

القسم الثالث : نسبة وقت وهذه جائزة . والله أعلم .

---

(١) النور : ٤٣ .

(٢) الروم : ٤٨ .

علـــم الغـــيب

٢٠٧ ما الحُكْمُ فِيمَنْ يَدَّعِي عِلْمَ الغَيْب ؟

الحُكْم فيمن يَدَّعي عِلْم الغيب أنه كافر لأنه مكذّب لله عزّ وجلّ . قال الله تعالى : ﴿ قُلْ لا يَعْلَمُ مَن في السموات والأرضِ الغيبَ إلا اللهُ وما يَشْعُرُونَ أيَّانَ يُبْعَثُون ﴾(١) . وإذا كان الله عزّ وجلّ يأمر نبيه محمدا ﷺ أن يعلن للملأ أنه لا يعلم من في السموات والأرض الغيبَ إلا الله فإنّ من ادعى علم الغيب فقد كذّب اللهَ عزّ و جلّ في هذا الخبر . ونقول لهؤلاء كيف يمكن أن تعلموا الغيبَ والنبيُّ ﷺ لا يعلم الغيب ؟ ! هل أنتم أشرف أم الرسول ﷺ ؟ فإن قالوا نحن أشرف من الرسول كفروا بهذا القول ، وإن قالوا هو أشرف فنقول لماذا يحجب عنه الغيب وأنتم تعلمونه ، وقد قال الله عزّ وجلّ عن نفسه : ﴿ عالمُ الغَيْبِ فلا يُظْهِرُ على غَيْبه أحَدًا . إلاّ مَن ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فإنَّه يَسلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْه ومِنْ خَلْفِه رَصَدًا ﴾(٢) وهذه آية ثانية تدل على كُفْر من

---

(١) النمل ٦٥
(٢) الجن ٢٦ - ٢٧

ادّعى عِلْم الغيب ، وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يعلن للملأ بقوله : **﴿ قُل لا أَقُولُ لكم عِندي خزائنُ اللهِ ولا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ولا أقولُ لَكُمْ إنِّي مَلَكٌ إنْ أَتَّبِعُ إلاّ ما يُوحَى إلَيّ ﴾**[1] .

٢٠٨ ـــ سئل الشيخ : عن دَوَرَان الأرض ؟ ودوران الشمس حول الأرض ؟ وما توجيهكم لمن أُسْنِدَ إليه تدريس مادة الجغرافيا ؟ وفيها أن تعاقب الليل والنهار بسبب دوران الأرض حول الشمس ؟

فأجاب فضيلته بقوله : خلاصة رأينا حول دوران الأرض أنه من الأمور التي لم يرد فيها نفي ولا إثبات لا في الكتاب ولا في السنة ، وذلك لأن قوله تعالى : **﴿ وأَلْقَى في الأَرْضِ رَوَاسِيَ أن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾**[2] . ليس بصريح في دورانها ، وإن كان بعض الناس قد استدلّ بها عليه محتجًّا بأن قوله : **﴿ أن تميد بكم ﴾** . يدل على أن للأرض حركة ، لولا هذه الرّواسي لاضطربت بمن عليها .

وقوله : **﴿ الله الَّذي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا ﴾**[3] . ليس بصريح في انتفاء دورانها ، لأنها إذا كانت محفوظة من الميدان في دورانها بما ألقى الله فيها من الرواسي صارت قرارًا ، وإن كانت تدور .

---

(١) الأنعام : ٥٠ .
(٢) لقمان : ١٠ .
(٣) غافر : ٦٤ .

أما رَأينا حول دوران الشمس على الأرض الذي يحصل به تعاقب الليل والنهار فإننا مستمسكون بظاهر الكتاب والسنة من أن الشمس تدور على الأرض دورانًا يحصل به تعاقب الليل والنهار حتى يقوم دليل قطعي يكون لنا حجّة بصرف ظاهر الكتاب والسنة إليه – وأنّى ذلك – فالواجب على المؤمن أن يستمسك بظاهر القرآن الكريم والسنة في هذه الأمور وغيرها .

ومن الأدلة على أن الشمس تدور على الأرض دورانًا يحصل به تعاقب الليل والنهار ، قوله تعالى : ﴿ وتَرَى الشَّمْسَ إذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ اليَمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشِّمَال ﴾[1] . فهذه أربعة أفعال أُسندت إلى الشمس ﴿ طلعت ﴾ ، ﴿ تزاور ﴾ ، ﴿ غربت ﴾ ، ﴿ تقرضهم ﴾ . ولو كان تعاقب الليل والنهار بدوران الأرض لقال : وترى الشمس إذا تبين سطح الأرض إليها تزوار كهفهم عنها أو نحو ذلك وثبت عن النبي ﷺ أنه قال لأبي ذرّ حين غربت الشمس : « أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ ؟ » فقال : الله ورسولُه أعلمُ . قال : « فإنَّها تَذْهَبُ وتَسْجُدُ تَحْتَ الْعَرْشِ ، وتَسْتَأْذِنُ فيُؤْذَنُ لها ، وأنَّها تَسْتَأْذِنُ فلا يُؤْذَنُ لها ويقالُ : ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ فتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِها » . ففي هذا إسناد الذّهاب والرّجوع والطّلوع إليها وهو ظاهر في أن الليل والنهار يكون بدوران الشمس على الأرض .

---

(١) الكهف : ١٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وأما ما ذكره علماء الفلك العصريون فإنه لم يصل عندنا إلى حدّ اليقين فلا ندع من أجله ظاهر كتاب ربّنا وسنة نبينا .

ونقول لمن أسند إليه تدريس مادة الجغرافيا يبين للطلبة أن القرآن الكريم والسنة كلاهما يدلّ بظاهره على أن تعاقب الليل والنهار ، إنما يكون بدوران الشمس على الأرض لا بالعكس ، فإذا قال الطالب : أيهما نأخذ به أظاهر الكتاب والسنة أم ما يدعيه هؤلاء الذين يزعمون أن هذه من الأمور اليقينيات ؟

فجوابه : أنا نأخذ بظاهر الكتاب والسنة ، لأن القرآن الكريم كلام الله تعالى الذي هو خالق الكون كله ، والعالم بكل ما فيه من أعيان وأحوال ، وحركة وسكون ، وكلامه تعالى أصدق الكلام وأبينه ، وهو سبحانه أنزل الكتاب تبيانًا لكلّ شيء ، وأخبر سبحانه أنه يبين لعباده لئلا يضلّوا ، وأما السنة فهي كلام رسول رب العالمين ، وهو أعلم الخلق بأحكام ربه وأفعاله ، ولا ينطق بمثل هذه الأمور إلا بوحي من الله - عز وجل - لأنه لا مجال لتلقيها من غير الوحي وفي ظنّي - والله أعلم - أنه سيجيء الوقت الذي تتحطم فيه فكرة علماء الفلك العصريين كما تحطمت فكرة داروين حول نشأة الإنسان .

تعقيب على مزاعم الكمبيوتر

قال تعالى فى كتابه المبين : ﴿ ولله غَيْبُ السَّمَواتِ وَالأَرْض وإلَيْه يُرْجَعُ الأَمْرُ كُله ﴾[1] وقال : ﴿ ولله غَيْبُ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ ومَا أَمْرُ السَّاعِةِ إلَّا كَلَمْحِ البَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾[2] .

وقال جل ذكره : ﴿ وعِنْدَهُ مَفاتِحُ الغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إلا هُوَ ﴾[3] .

وأمر نبيه أن يعلن للملأ قوله : ﴿ قل إنَّ رَبِي يَقذِفُ بالحَقِّ عَلَّام الغيوب ﴾[4] .

وقوله : ﴿ قل لا يَعْلَمُ مَنْ في السَّمَواتِ والأَرض الغَيْبَ إلا الله ﴾[5] . وقوله : ﴿ قلْ إنْ أَدْرِي أَقريبٌ مَا تُوعدُون أمْ يجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا . عَالِمُ الغَيْب فَلَا يُظْهِر عَلَى غَيْبِه أحَدًا إلا مَن ارتضى مِن رسولٍ فإنَّه يَسْلُك مِن بَيْن يَدَيْه ومن خَلْفِهِ رَصَدًا ﴾[6] .

فبيّن الله تعالى فى هذه الآيات الكريمة أن غيب السّمٰوات والأرض لله تعالى وحده لا يُشْركه فيه غيره ولا يُظْهر سُبحانه أحدًا على هذا الغيب إلا من ارتضاه من الرُّسل الكرام .

---

(١) هود : ١٢٣ .
(٢) النحل : ٧٧ .
(٣) الأنعام : ٥٩ .
(٤) سبأ : ٤٨ .
(٥) النمل : ٦٥ .
(٦) الجن ٢٥ – ٢٧ .

وكل علم يتعلّق بالمستقبل فإنّه من علم الغيب كما قال تعالى : ﴿ **وما تدري نفسٌ مَاذَا تكْسِبُ غدًا ومَا تدري نفسٌ بأيّ أرْضٍ تمُوت** ﴾[1] .

ومن ذلك علم قيام السّاعة فإنّه من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله ولم يُطْلع الله عليه أحدًا من خلْقه حتى أشْرَفَ الرسُل من الملائكة والبشر لا يعلمونه كما ثبت ذلك فى الحديث الصّحيح الذى رواه مسلم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « أنّ جبريل أتى إلى النّبى ﷺ فى صورة رَجُل شَدِيدُ بَيَاضُ الثّياب شَدِيدُ سَوَاد الشّعْر لا يُرَى عَليه أثَر السّفر ولا يَعْرفه أحَد مِنَ الصحابة فسأل النبى ﷺعَنِ الإسْلام والإيمَان والإحسَان فبينها له ثمّ قال : أخبرني عن السّاعة .
فقال له النّبي ﷺ : « ما المسْئول عنْها بأعْلَم مِنَ السّائل قَال فَأخبرني عَن أمارَتها فأخْبَره بشيءٍ مِنْها »، فقوله ﷺ : « ما المسئولُ عَنها بأعْلَمَ مِنَ السائل » يعني : أنّ علمي وعِلْمك فيهاسواء فلست أعلم بهامنك حتى أخبرك فإذا كُنْتَ لا تعلمها فأنا لا أعْلمها فإذا انتفى عِلْمُها عن أفضل الرُّسل من الملائكة وأفضل الرُّسل من البشر فانتفاء عِلْمها عمن سواهما أولى .

وقد جاءت نُصوص الكتاب والسنّة بنَفي علم الخلق بوقت السّاعة بخصوصه ، فالآية الأولى قوله تعالى فى سورة الأعراف : ﴿ **يَسْألُونك عَن السّاعة أيّان مُرْسَاها قل إنّما عِلْمها عِنْدَ رَبّى لا يُجلّيها لوقْتها إلا**

---

(١) لقمان : ٣٤ .

هُوَ ثقلت فى السَّموات والأرْض لا تأتيكُم إلا بَغتَةً يَسألُونك كَأنك حَفيّ عنها قُلْ إنَّما علْمُها عِنْدَ الله ولكنَّ أكْثرَ النَّاسِ لا يعلمون ﴾[1] . أي لا يعلمون أن علمها عند الله تعالى فهم يَسألون عنها . وقد أكَّد الله تعالى أن علْمها عنده وحده فى جمل أرْبَع وهى قوله : **﴿ إنَّما عِلْمُها عِنْدَ رَبّي ﴾ ﴿ لا يَجليها لِوَقْتها إلا هُو ﴾ ﴿ إنما عِلْمها عِنْدَ الله ﴾** وهذه الجمل أفادت اختصاص علمها بالله عزَّوجلَّ بدلالة الحَصر التي هى من أقوى دلالات الاختصاص .

أما الجملة الرابعة فهي قوله : **﴿ لا تأتيكم إلا بَغْتة ﴾** فإن النَّاس لو أمكنهم العلم بها ما جاءتهم بغتة لأن المُبَاغتة لا تكون فى الشيء المعلوم.

فإن قال قائل : ألا يحتمل أن يكون فى قوله تعالى : **﴿ ولكنَّ أكْثر النَّاس لا يعلمون ﴾** دليل على أنَّ بعض الناس يعلمون متى تقوم ؟

قلنا : لا يحتمل ذلك لأنَّه يُنَافِي التَّأكيد الوارد فى هذه الجمل ويناقضه فكيف يؤكد الله تعالى أن علمها عنده وحده ثم يشير إلى أن بعض الناس يعلمون ذلك .

ولو قدر على الفرض الممتنع – أن أحدًا من الناس قدْ يعلمه الله تعالى به فإنَّ ذلك من علم الغيب الذي لا يظهر الله تعالى عليه إلا من ارتضى من رسول . وقد سبق أن الرسول البشرى محمد ﷺ والرَّسول الملكى جبريل لا يعلمان ذلك فمن ذا يمكن أن يعلمه من سواهما من الخلق ؟

---

(١) الأعراف : ١٨٧ .

والآية الثانية قوله فى سورة لقمان : ﴿ إنَّ الله عِنْده عِلْمُ السَّاعِةِ وَيُنزِّلُ الغَيثَ ويَعْلمُ مَا فِي الأَرْحامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذا تَكْسِبُ غدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بأَيِّ أَرْضٍ تَمُوت إنَّ الله عليم خبير ﴾[1] . وهذه الخمس هى مفاتيح الغيب التي قال الله عنها : ﴿ وعِنْدَه مَفَاتِحُ الغيب لا يَعْلَمُهَا إلَّا هو ﴾[2] كما فسرها به أعلم الخلق بمراد الله عز وجل رسول ﷺ قال : ففي صحيح البخارى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبى ﷺ قال : « مفاتح الغيب خَمْس : ﴿ إنَّ الله عِنْدهُ عِلمُ السَّاعة وَيُنزِّلُ الغَيْثَ وَيَعلمُ مَا في الأَرْحام ومَا تَدْري نَفس مَاذا تَكْسبُ غدًا ومَا تدْري نَفس بأيِّ أرْضٍ تَمُوت إنَّ الله عَلِيم خبير ﴾[3] . فثبت بذلك إنَّ علم السَّاعة مما يختص الله تعالى به لأنه من علم الغيب ولا يظهر الله تعالى أَحَدًا من خلقه على غيبه إلا من ارتضاه من الرُّسل فمن ادعى علم شىء من غير الرسل فهو كاذب مُكَذِّب لله تعالى .

فإن قال قائل : ما تقولون عما قيل إنَّهم يطلعون على الجنين قبل وَضْعه فيعلمون أذكر أم أنثى وإنهم يتوقعون نزول المطر في المستقبل فينزل كما توقعوا ؟

قلنا : الجواب عن الأول أنهم لا يعلمون أنه ذكر أم أنثى إلا بعد أن يُخَلَّق فَتبين ذُكُورته أوْ أنوثته وحينئذ لا يكون منَ الغيب المحض المُطلق بل هو غيب نسبي . ولهذا ثبت فى الصحيحين من حديث أنس

(١) لقمان : ٣٤ .
(٢) الأنعام : ٥٩ .
(٣) لقمان : ٣٤ .

عن النبى ﷺ في قصة الملك الموكل بالرَّحم أنه يقول عند تخليق الجنين : « يَا رب أذَكر أمْ أنثى يا رَبُّ أشَقِي أمْ سعيد فما الرزق فَما الأجل فَيكْتب كذلك فى بطن أمّه » .

وفى صحيح مسلم من حديث حذيفة بن أسيد عن النبى ﷺ في الملك الموكل بالرَّحم : « قال يَا رب أذكر أمْ أنثى فيَقضي رَبك ما شاء ويَكْتُب الملك » فقد علم الملك أنَّ الجنين ذكر أمْ أنثى وهو في بطن أمه لكنه قبل أن يُخلق لا يعلم الملك ولا غيره أنَّه ذكر أو أنثى .

والجواب عن الثانى : أمَّ هذه التَّوقعات إنَّما تكون بوسائل حسِّية وهي الأرصاد الدَّقيقة التي يُعْلَمُ بها تكيفات الجو وتهيؤه لِنزول المطر بوجه خَفي لا يُدْرك بمجرد الحسّ وهذا التوقع بهذه الأرصاد لَيس من علم الغيب الذي يَخْتَص به الله عزَّ وجلَّ فهو كَتَوقعنا أن ينزل المَطر حين يتكاثب السَّحاب ويتراكم ويَدْنوا من الأرض ويَحصْل فيه رعد وبرق .

والآية الثالثة قوله في سورة الأحزاب : ﴿ يسألك النَّاسُ عَنِ السَّاعِة قُلْ أنما عِلْمُها عِنْد الله وما يُدرِيك لَعَلَّ السَّاعةَ تَكونُ قريبًا ﴾[1] .

والآية الرابعة قوله فى سورة الزخرف : ﴿ وتَبارَك الَّذي لَهُ مُلْكُ السَّمَواتِ والأرْض ومَا بَيْنهُما وعِنْده عِلْمُ السَّاعة وإليه تُرْجَعُونَ ﴾[2] . فتقديم الخبر في قوله ﴿ وعنده علم الساعة ﴾ يفيد الاختصاص كما هو معلوم .

(١) الأحزاب : ٦٣ .   (٢) الزخرف : ٨٥ .

والآية الخامسة قوله تعالى في سورة النازعات : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا فِيمَ أَنتَ مِنْ ذِكْرَاهَا إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا ﴾[1] . فقدم الخبر في قوله ﴿ إلى ربك منتهاها ﴾ ليفيد اختصاص ذلك به تبارك وتعالى .

هذه خمس آيات من كتاب الله تعالى كلها صَرِيحة في أن علم الساعَة خاص بالله لا يطلع عليه ملك مُقَرب ولا نبي مُرسل .

وأما السنَّة فمنها ما سَبَق فى حديث عُمر بن الخطاب رضى الله عنه .

فإن قيل ما تقولون في قوله تعالى فى سورة طه : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾[2] . حيثُ إن ظاهرها أنه تعالى لم يخفها ؟

فالجواب من ثلاثة أوجه :

الأول : أنَّ كثيرًا من المفَسِّرين أو أكثرهم قال معنى الآية أكاد أخفيها عن نَفْسي وهو من المبالغة في الإخفاء كقوله ﷺ في المتصدق يخفِي صدقته : « حتى لا تعلم شِمالُه مَا تُنْفق يَمينه » .

الثاني : أنْ يُقال هب أن ظاهر الآية أن الله تعالى لم يُخفها عن النَّاس ولكن لغموض وسائل العلم بها صار كمن كاد يُخْفِيها فإن هذا الظاهر مَدْفوع بالنُّصوص الصَّحيحة الصَّرِيحة بأنه لا يَعْلم متى تقوم السَّاعة إلا الله تعالى وطريق الرَّاسخين في العلم أن يَحْمِلوا النُّصوص المُتَشابهة

(١) النازعات : ٤٢ – ٤٤ .

(٢) طه : ١٥ .

على النصوص المُحْكمة لتكون النصوص كلها محكمة متفقة غير مُتنافية ولا مُتَناقضة ﴿ **فَأَمَّا الَّذين في قُلُوبهم زيْغٌ فيتَّبعُون ما تَشابه مِنْه ابْتغاءَ الفِتنِة وابْتغاء تأْويلِه وما يَعْلَمُ تأويلَهُ إلَّا الله** ﴾[1] .

الثالث : أنْ يقال إنْ أَبَى آب إلَّا أنْ يتمسك بالظاهر ويقول إن المراد أكاد أخفيها عن الخلق فالجواب أن يقال :

الإخفاء ثلاثة أنواع : إخفاءُ ذِكر وقرب وإخفاء وقوع .

١ - فأما إخفاء الذكر : فهو أن لا يذكر الله تعالى السَّاعة للخلق ولا يبين لهم شيئا من أحْوالها وهذا مُحَال تأْباه حكْمَة الرَّب جلَّ وعلا ويكذبه الواقع فإن الإيمان باليوم الآخر أَحَد أركان الإيمان الستَّة فالعلم به من ضروريات الإيمان ولهذا لم يخف الله تعالى السَّاعة بل أعْلم عِبَاده بها وبين عن أحوالها وأهوالها ما يَشْفي ويَكْفِي فيما أوْحاه إلى رسول ﷺ من الكتاب والسنة .

٢ - وأما إخفاء القُرب فهو أن لا يذكر الله تعالى للخلق شيئًا من عَلاماتها الدالة على قربها وهي أشراطها ولكن رَحْمَة الرّب الواسعة اقتضت أن يُبين للخلق قُرْب قيامها بما يُظْهره من العلامات الدَّالة عليه ليزدادوا بذلك إيمانًا ويَسْتعدُّوا لها بالعمل الصَّالح المَبْني على الإخلاص لله تعالى والمُتابعة لرسوله ﷺ وفي كتاب الله تعالى وسنّة رسوله ﷺ من أشْراط السَّاعة ما يتبين به قربها إجمالًا تارة وتفصيلًا تارة أخرى .

---

(١) آل عمران : ٧.

٣ - وأما إخفاء الوقوع : فهو أنْ لا يذكر الله تعالى وقتًا مَحْدُودًا تقوم فيه السَّاعة وهذا مَا دَلَّ عليه الكتاب والسُّنة فليس في الكتاب والسُّنة تحديد لوَقْت قِيام السَّاعة بل فيهما النَّص الصَّريح الذي لا يَحْتمل التَّأويل بأنَّ علم ذلك مَوْكُول إلى الله تعالى لا يَعْلم به مُقرب ولا نبي مُرسل وكل ما قيل في توقع وقت السَّاعة فهو ظن وتخمين باطل مردود على قائله لمخالفته كتاب الله تعالى وسنّة رسوله ﷺ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ص ١٨٩ ج ٣٥ مجموع الفتاوى أثناء جواب له عن المُنجّمين قال : « ووافقهم على ذلك من زَعم أنه استخرج بقاء هذه الملة من حساب الجُمل الذى للحروف التي في أوائل السور وهي مع حذف التكرير أربعة عشر حرفًا وحسابها فى الجملة الكثير (كذا فى الكتاب) ستُّمائة وثلاثة وتسعون ومن هذا أيضًا في التفسير أنَّ الله تعالى لما أنزل : ﴿ الم ﴾ قال بعض اليهود بقاء هذه الملة إحدى وثلاثون فلما أنزل بعد ذلك : ﴿ الر ﴾ و﴿ المر ﴾ قالوا خلط علينا فهذه الأمور التي توجد فى ضلال اليهود والنَّصارى وضلال المشركين والصَّابئين من المُتَفلسفة والمنجّمين مُشْتملة من هذا الباطل على ما لا يعلمه إلا الله تعالى ، وهذه الأمور وأشباهها خارجة عن الإسلام محرمة فيه فيجب إنكارها والنَّهي عنها على المسلمين على كل قادر بالعلم والبيان واليد واللسان فإن ذلك من أعظم ما أوجبه الله تعالى من الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر وهؤلاء وأشباههم أعداء الرسل وسوس الملل ولا ينفق الباطل إلا بثوب من الحق » . انتهى كلام الشيخ رحمه الله تعالى .

وعلى هذا فينزل قوله تعالى : ﴿ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ على النوع الثانى إخفاء القرب فإنه سبحانه لم يخفها الإخفاء المطلق بترك ذكرها و لم يبينها البيان المطلق بذكر متى قيامها وإنما بين لهم علاماتها وهي أشراطها وأخفى عنهم علْم قيامها وهذا مُقْتضى حكمته ورحمته فإنه تعالى لو أبان للنَّاس لحَصَل لهم على الشّر والفساد وتَعَطّل المصالح ما لا يعلمه إلّا الله خُصُوصًا منْ كانوا قريبين من النهاية ولكن الرَّب جلَّ وعلا أخفى ذلك كما أخفى علم كل إنسان بنهاية حياته لئلَّا يستنيم ويدع العمل خصوصًا عند قُرب حلول أجله . ومن تأمَّل ما أبانه الله تعالى لخلقه من أمور الغيب وما أخفاه عنهم تبين له من حكمة الله ورحمته ما يُبْهر عَقْله ويعلم به أنَّ لله الحكمة البالغة والرحمة الواسعة فيما أبان وما أخفى ﴿ فَلِلَّهِ الحَمْد رَبِّ السَّموات ورَبِّ الأَرْض رَبِّ العَالمين وله الْكِبْرِيَاءُ في السَّمواتِ والأَرْض وَهُو العَزِيزُ الحَكِيم ﴾[1] . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

(١) الجاثية : ٣٦ - ٣٧ .



الدعـــــاء والذكـــــر

٢٠٩ ــ هل يجوز للإنسان أن يدعو على نفسه بالموت ؟

دعاء الإنسان على نفسه بالموت حرام ولا يجوز ، لأن النبي ﷺ يقول : « لا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكم الموتَ لضرٍّ نَزَل به » فعلى الإنسان أن يصبر ويحتسب ، وأن يسأل الله الهداية والثبات ، وإذا كان مصابا بضر فليسأل الله العافية ، فإن الأمر كله لله . والله ولي التوفيق .

٢١٠ ــ يقول الله عز وجل ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ وقد دعوتُ اللهَ عزّ وجَلّ فلم يَستَجِبْ لى فكيف ذلك ؟

فأجاب فضيلة الشيخ بقوله : الحمد لله رب العالمين وأصلى وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين وأسأل الله تعالى لي ولإخوانى المسلمين التوفيق للصواب عقيدة وقولا وعملا . يقول الله عز وجل :

﴿ وقال رَبُّكم ادْعُوني أَستَجِبْ لكم إنّ الذين يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتي سَيَدْخُلُون جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[1] . ويقول السائل إنه دعا الله عز وجل ولم يستجب الله له ، فيستشكل هذا الواقع مع هذه الآية الكريمة التي وعد الله تعالى فيها مَنْ دعاه بأن يستجيب له والله سبحانه وتعالى لا يخلف الميعاد . والجواب على ذلك أن للإجابة شروطا لابد أن تحقق وهي :

الشرط الأول : الإخلاص لله عز وجل بأن يخلص الإنسان في دعائه ، فيتجه إلى الله سبحانه وتعالى بقلب خاضر صادق في اللجوء إليه ، عالم بأنه عز وجل قادر على إجابة الدعوة ، مؤمل الإجابة من الله سبحانه وتعالى .

الشرط الثاني : أن يشعر الإنسان حال دعائه بأنه في أَمَسِّ الحاجة ، بل في أمس الضرورة إلى الله سبحانه وتعالى ، وأن الله تعالى وحده هو الذي يجيب دعوة المضطر إذا دعاه ويكشف السوء . أما أن يدعو الله عز وجل وهو يشعر بأنه مستغن عن الله سبحانه وتعالى وليس في ضرورة إليه ، وإنما يسأل هكذا عادة فقط فإن هذا ليس بحَرِيٍّ بالإجابة .

الشرط الثالث : أن يكون متجنبا لأكل الحرام فإن أكل الحرام حائل بين الإنسان والإجابة ، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « إنَّ اللهَ طَيِّبٌ لا يَقْبل إلاّ طَيِّباً وإنَّ اللهَ أَمَرَ المؤمنين بما أَمَرَ به المُرْسَلِين فقال تعالى : ﴿ يا أَيُّها الذين آمنوا كُلوا مِن طَيبات ما رزقناكم واشْكُرُوا للهِ إن كُنتُم إيَّاه تَعْبُدُون ﴾[2] . وقال تعالى : ﴿ يا أَيُّها

(١) غافر ٦٠ .
(٢) البقرة ١٧٢

الرُّسلُ كُلُوا مِن الطيباتِ واعملوا صالحا ﴾[1] ثم ذكر النبيُّ ﷺ الرجلَ يُطِيلَ السَّفَرَ أشْعَثَ أغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْه إلى السماءِ يا رَبِّ يا رَبِّ ، ومَطْعَمُه حَرَامٌ ، ومَلْبَسُه حَرَامٌ ، وغُذِيَ بالحَرام . فقال النبي ﷺ « فأنَّى يُسْتَجَابُ له » .

فاستبعد النبي ﷺ أن يستجاب لهذا الرجل الذي قام بالأسباب الظاهرة التي بها تستجلب الإجابة وهي :

أولا : رَفْعُ اليدين إلى السماء ، أي إلى الله عز وجل لأنه تعالى في السماء فوق العرش ، ومد اليد إلى الله عز وجل من أسباب الإجابة كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد في المسند : « إنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحِي مِن عَبْدِه إذا رَفَعَ إليه يَدَيْه أنْ يَرُدَّهما صِفْراً » .

ثانيا : هذا الرجل دعا الله تعالى باسم الرب « يا رَبِّ يا رَبِّ » والتوسل إلى الله تعالى بهذا الاسم من أسباب الإجابة ، لأن الرب هو الخالق المالك المدبر لجميع الأمور فبيده مقاليد السموات والأرض ، ولهذا تجد أكثر الدعاء الوارد في القرآن الكريم بهذا الاسم : **﴿ رَبَّنا إننا سمعْنا مُنادياً يُنادِي للإيمانِ أنْ آمِنُوا بَربِّكم فآمَنَّا رَبَّنا فاغْفِرْ لنا ذنوبنا وكَفِّرْ عَنا سيئاتِنا وتَوفَّنا مع الأبرار . رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعدتنا عَلى رُسلك ولا تخزِنا يَوْم القِيَامة إنَّك لا تُخلِفُ الميعاد . فاستجاب لهم ربُّهم أني لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامل مِنكم من ذكر أو أُنثى بعْضُكم من بَعْضٍ .. ﴾**[2] الآياتِ . فالتوسل إلى الله تعالى بهذا الاسم من أسباب الإجابة .

---

(١) المؤمنون ٥١

(٢) آل عمران ١٩٣ – ١٩٥ .

ثالثا : هذا الرجل كان مسافرا ، والسفر غالبا من أسباب الإجابة لأن الإنسانَ في السفر يشعر بالحاجة إلى الله عز وجل والضرورة إليه أكثر مما إذا كان مقيما في أهله . وأشعث أغبر كأنه غير معني بنفسه ، كأن أهم شيء عنده أن يلتجيء إلى الله ويدعوه على أي حال كان هو سواء كان أشعث أغبر أم مترفا ، والشعث والغبر له أثر في الإجابة كما في الحديث الذي روي عن النبي ﷺ أن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا عشيةَ عرفةَ يُباهي الملائكةَ بالواقفين فيها يقولُ : « أَتَوْنِي شُعْثاً غُبْراً ضَاحِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍ عَمِيقٍ » .

هذه الأسباب لإجابة الدعاء لم تُجد شيئا لكون مطعمه حرام وملبسه حرام وغُذِيَ بالحرام قال النبي ﷺ : « فأنَّي يُسْتَجابُ له » فهذه الشروط لإجابة الدعاء إذا لم تتوافر فإن الإجابة تبدو بعيدة ، فإذا توافرت ولم يستجب الله للداعي فإنما ذلك لحكمة يعلمها الله عز وجل ولا يعلمها هذا الداعي ، فعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم . وإذا تمت هذه الشروط ولم يستجب الله عز وجل فإنه إما أن يدفع عنه من السوء ما هو أعظم ، وإما أن يدّخرها له يوم القيامة فيوفيه الأجر أكثر وأكثر لأن هذا الداعي الذي دعا بتوفر الشروط ولم يستجب له ولم يصرف عنه من السوء ما هو أعظم يكون قد فعل الأسباب ومنع الجواب لحكمة فيعطي الأجر مرتين مرة على دعائه ومرة على مصيبته بعدم الإجابة فيدخر له عند الله عز وجل ما هو أعظم وأكمل . ثم إن المهم أيضا أن لا يستبطيء الإنسان الإجابة فإن هذا من أسباب منع الإجابة أيضا كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ : « يُسْتَجَابُ لأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ : قالوا كَيْفَ يَعْجَلُ يا رسولَ الله ؟ قال : يقولُ دَعَوْتُ ودَعَوْتُ ودَعَوْتُ فلَمْ

يُسْتَجَبْ لي » . فلا ينبغي للإنسان أن يستبطيء الإجابة فيستحسر عن الدعاء ويدع الدعاء ، بل يُلِحُّ في الدعاء . فإن كل دعوة تدعو بها الله عز وجل فإنها عبادة تقربك إلى الله عز وجل ، وتزيدك أجرا . فعليك يا أخي بدعاء الله عز وجل في كل أمورك العامة والخاصة الشديدة واليسيرة . ولو لم يكن من الدعاء إلا أنه عبادة لله سبحانه وتعالى لكان جديرا بالمرء أن يحرص عليه . والله الموفق .

٢١١ سئل فضيلة الشيخ : عن حُكْم دعاء المخلوق ؟

فأجاب رعاه الله بقوله : الدعاء ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول : جائز وهو أن تدعو مخلوقًا بأمر من الأمور التي يمكن أن يدركها بأشياء محسوسة معلومة ، قال صلى الله عليه وسلم : في حقوق المسلم على أخيه : « وإذا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ » . وقال صلى الله عليه وسلم : « وتُعِينُ الرَّجُلَ في دَآبَّتِه » الحديثَ .

الثاني : أن تدعو مخلوقًا مطلقًا – سواء كان حيًّا أو ميتًا – فيما لايقدر عليه إلا اللّه فهذا شرك أكبر ؛ لأن هذا من فعل الله لا يستطيعه البشر مثل : يافلان اجعل مافي بطن امرأتي ذكرًا .

الثالث : أن تدعو مخلوقًا لايجيب بالوسائل الحسية المعلومة كدعاء الأموات ، فهذا شرك أكبر أيضًا ، لأن هذا لايقدر عليه المدعو ، ولا بد أن يعتقد فيه الداعي شيئًا سريًّا يدبر به الأمور .

٢١٢ — سئل الشيخ : عن رجل محافظ على الصلاة والصيام ، وظاهر حالة الاستقامة ، إلا أنَّ له حَلَقات يدعو فيها الرسول ﷺ وعبد القادر ، فما حُكْم عمله هذا

فأجاب بقوله : ماذكره السائل يُحزن القلب ، فإن هذا الرجل الذي وصفه بأنه يحافظ على الصلاة ، والصيام ، وأن ظاهر حاله الاستقامة قد لعب به الشيطان وجعله يخرج من الإسلام بالشرك وهو يعلم أو لا يعلم ، فدعاؤه غير اللَّه عز وجل شرك أكبر مخرج عن الملة ، سواء دعا الرسول عليه الصلاة والسلام أو دعا غيره ، وغيره أقل منه شأنًا وأقل منه وجاهة عند اللَّه عز وجل ، فإذا كان دعاء رسول اللَّه ﷺ شركًا فدعا غيره أقبح وأقبح من عبد القادر أو غير عبد القادر ، والرسول عليه الصلاة والسلام نفسه لايملك لأحد نفعًا ولا ضرًّا قال اللَّه تعالى آمرًا له ﴿ **قُلْ إنّي لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا ولا رَشَدًا** ﴾[1] وقال آمرًا له ﴿ **قُلْ لاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ ولا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ولاَ أَقُولُ لَكُمْ إِنّي مَلَكٌ إنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما يُوحَى إِلَيَّ** ﴾[2] وقال تعالى آمرًا له ﴿ **قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفسِي نَفْعًا ولاَ ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ولَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَستَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ ومَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلَّا نَذِيرٌ وبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ**

(١) الجن : ٢١ .

(٢) الأنعام : ٥٠ .

يؤمنون ﴾[1] بل قال الله تعالى آمرًا له **﴿ قُلْ إنّي لَن يُجيرَني مِنَ اللَّهِ أحَدٌ ولَنْ أجِدَ مِن دُونِه مُلْتَحَدًا ﴾**[2] فإذا كان الرسول ﷺ نفسه لا يجيره أحد من الله فكيف بغيره ؟ ! فدعاء غير الله شرك مخرج عن الملة ، والشرك لايغفره الله عز وجل إلا بتوبة من العبد لقوله تعالى **﴿ إنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أن يُشْرَكَ به ويَغْفِرُ مَا دُونَ ذلك لمن يَشَاءُ ﴾**[3] وصاحبه في النار لقوله تعالى **﴿ إنّه مَن يُشرِكْ باللَّهِ فقَدْ حَرَّم اللَّهُ عليه الجَنَّةَ ومَأوَاهُ النَّارُ وما للظَّالمين مِنْ أنصَارٍ ﴾**[4].

ونصيحتي لهذا الرجل أن يتوب إلى الله من هذا الأمر المحبط للعمل ، فإن الشرك يحبط العمل قال الله تعالى : **﴿ ولَقَدْ أُوحِيَ إليك وإلى الذين مِن قَبْلِك لَئِنْ أشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُك ولَتَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِين ﴾**[5] فليتبْ إلى الله من هذا ، وليتعبد لله بما شرع من الأذكار والعبادات ، ولا يتجاوز ذلك إلى هذه الأمور الشركية ، وليتفكر دائمًا في قوله تعالى : **﴿ وقال رَبُّكُمُ ادْعُوني أستَجِبْ لَكُمْ إنَّ الذين يَسْتَكْبِرُون عَنْ عِبَادِتي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾**[6] .

---

(١) الأعراف : ١٨٨ .

(٢) الجن : ٢٢ .

(٣) النساء : ٤٨ .

(٤) المائدة : ٧٢ .

(٥) الزمر : ٦٥ .

(٦) غافر : ٦٠ .

٢١٣ ـــــــ يقول السائل : كثيرًا ما نجد رسائل على أستار الكعبة على عنوانها جملة تقول : (إلى المولى عز وجل إلى الله الكريم) ، وبداخل الرسالة ما يلي : (يا حبيب الله نتمنى زيارة بيتك والقرب منه ، ونتمنى الصلاة في حرمك الشريف ، وأرجوك يا حبيب الله أن تقبل طلبنا هذا ، وأن تقربنا منك مع حرمي وزوجي ، لأكون بقربك أسعد ، والصلاة عليك يا حبيب الله) (خادمك المطيع علوية بنت عائشة) فما رأيكم فيمن كتبها واعتقدها ؟

هذه الرسالة موجَّهة من علوية عائشة إلى النبى ﷺ – فيما يظهر – وهذه الرّسالة تتضمن دعاء غير الله عزّ وجلّ ، ودعاء غير الله عز وجل شرك أكبر مخرج عن المِلَّة ، لأن النبي ﷺ نَفْسه لا يَمْلك لنفسه نَفْعا ولا ضَرًّا ، ولا يملك لغيره نفعًا ولا ضرًا ، قال الله تعالى : قل – أي يا محمد – ﴿ **قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللهِ ولا أَعْلَمُ الغَيْبَ ولا أَقُولُ لَكُم إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا ما يُوحَى إِلَيَّ** ﴾[1] .

(١) الأنعام : ٥٠

فهو ﷺ ليس عنده خزائن الله فيعطيها من شاء ولا يعلم الغيب ، فيحذر ما يأتي به الغيب ، وهو ليس بملك ، بل هو بشر ، بل هو عبد من عباد الله ﷺ ، فهو متبع لما أوحى إليه ، بل إن وصفه ﷺ بالعبودية ؛ إنما جاء في مقام الإكرام له كمقام إنزال القرآن ، ومقام الإسراء ، والدفاع عنه .

على كل حال فإن هذه الرِّسالة وما أشبهها شِرْك أكبرُ مُخْرِجُ عن المِلَّة ، والنبى ﷺ لا يملك لهذه المرأة ولا لغيرها أن يدفع ضررًا أو يجلب نفعًا﴿ **قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا** ﴾[1] . وهو ﷺ جمع عشيرته الأقربين وسار يُنَاديهم بأسمائهم : «لا أُغْنِي عَنْكُم مِنَ الله شَيْئًا» فعلى هذه المرأة أن تتوب إلى الله عزَّ وجلَّ ، وأن تجعل دعاءها إلى الله سبحانه ، فهو الذي يَكْشِفُ السُّوء ، وهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه .

وفى كلامها نقطة نحب أن نعلق عليها وهى قولها فى الرسول ﷺ : (يا حبيب الله) ، فهو حبيب الله لا شك ، ولكن هناك وصف أعلى من ذلك وهو (خليل الله) فالرسول ﷺ خليل الله ، كما قال ﷺ : «إن الله اتَّخَذَنِي خَلِيلًا كَمَا اتَّخَذَ إِبْرَاهِيم خَلِيلًا» ، ولهذا فمن وصفه بالمحبة فقط ، فقد نَزَّلَهُ عن رتبته لأن الخلة أعظم من المحبَّة وأعْلَى .

فكل المؤمنين أحبَّاء الله ، ولكن الرَّسول عليه الصَّلاة والسَّلام في مقام أعلى من ذلك ، وهى الخُلَّة ، لذلك نقول إن محمدًا رسول الله ﷺ خليل الله وهذا أعلى من قولنا : إنَّه حبيب الله .

(١) الجن : ٢١

٢١٤ سئل الشيخ : ما حكم دُعاءِ أصحاب القبور ؟

فأجاب بقوله : الدُّعَاءُ ينقسم إلى قسمين :

القسم الأول : دعاء عبادة ، ومثاله الصلاة ، والصوم وغير ذلك من العبادات ، فإذا صلى الإنسان ، أو صام فقد دعا ربه بلسان الحال أن يغفر له ، وأن يجيره من عذابه ، وأن يعطيه من نَوَالِهِ ، ويدل لهذا قوله تعالى : ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴾[1] فجعل الدعاء عبادةً ، فمن صَرَفَ شيئًا من أنواع العبادة لغير الله فقد كفر كُفْرًا مُخْرِجًا عن المِلَّةِ ، فلو ركع الإنسان أو سجد لشيء يعظمه كتعظيم الله في هذا الركوع أو السجود لكان مُشْركًا خارجًا عن الإسلام ، ولهذا منع النبي ﷺ من الانحناء عند الملاقاة سدًا لِذَرِيعةِ الشرك فسئل : الرجل يلقى أخاه أينحني له ؟ قال « لا » . وما يفعله بعضُ الجُهَّالِ إذا سلم عليك انحنى لك خطأ ويجب عليك أن تبين له ذلك وتنهاه عنه .

القسم الثاني : دعاء المسألة ، وهذا ليس كله شركًا بل فيه تفصيل :

أولًا : إن كان المدعو حيًا قادرًا على ذلك فليس بشرك ، كقولك اسقني ماءً لمن يستطيع ذلك قال ﷺ « مَن دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوه » قال الله تعالى : ﴿ **وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ**

---

(١) غافر : ٦٠ .

فَارْزُقُوهُم مِنْهُ ﴾[1] فإذا مد الفقير يَدَهُ وقال ارْزُقْنِي أي : اعْطِنِي فهو جائز كما قال تعالى : ﴿ فَارْزُقُوهُم مِنْهُ ﴾ .

ثانيًا : إن كان المدعو ميتًا فإن دعاءه شِرْك مُخْرِج عن المِلَّةِ . ومع الأسف أن بعض البلاد الإسلامية من يعتقد أن فلانًاالمقبور الذي بقي جثة أو أكلته الأرض ينفع أو يضر ، أو يأتي بالنسل لمن لا يُولَدُ له ، وهذا – والعِيَاذُ باللهِ – شِرْك أَكْبَر مخرج عن الملة ، وإقرارُ هذا أشَدُّ من إقرار شرب الخمر ، والزنا ، واللُّواطِ ؛ لأنه إقرار على كفر ، وليس إقرارًا على فسوق فقط فنسأله اللهَ أن يصْلح أحوالَ المسلمين .

٢١٥ سئل : ما المراد بقول النبي ﷺ « لا يُسْأَلُ بِوَجْهِ الله إلَّا الجَنَّة ؟

فأجاب رعاه الله بقوله :اختلف في المراد به على قولين :

القول الأول : أن المراد لا تسألوا أحدًا من المخلوقين بوجه الله فإذا أردت أن تسأل أحدًا من المخلوقين لا تسأله بوجه الله ، لأنه لا يسأل بوجه الله إلا الجنة ، والخلق لا يقدرون على إعطاء الجنة ، فإذًا لا يسألون بوجه الله مطلقًا .

القول الثاني : أنك إذا سألت الله فإن كان الجنة وما يستلزم دخولها فاسأل بوجه الله ، وإن كان من أمور الدنيا فلا تسأل بوجه الله ، فأمور الآخرة تسأل بوجه الله كقولك مثلًا أسألك بوجهك أن تنجيني من النار ، والنبي ﷺ استعاذ بوجه الله لما نزل قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ

---

(١) النساء : ٨ .

الْقَادِرُ عَلَى أن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوقِكُمْ ﴾[1] قال : أَعُوذُ بِوَجْهِكَ ﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾[1] قَالَ : أَعُوذُ بِوَجْهِكَ ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾[1] قَالَ : هَذِهِ أَهْوَنُ أَوْ أَيْسَرُ .

ولو قيل إنه يحتمل المعنيين جميعًا لكان له وجه .

٢١٦ ــ هل قوله تعالى : ﴿ وأن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا ما سَعَى ﴾ يدل على أن الصواب لا يصل إلى الميت إذا هُدِي له ؟

قوله تعالى : ﴿ وأن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾[2] . المراد ، والله أعلم أن الإنسان لا يستحق مِنْ سَعْي غَيْره شيئًا ، كما لا يحمل مِنْ وِزْرِ غَيْرِه شيئًا ، وليس المراد أنه لا يصل إليه ثواب سعي غيره ، لكثرة النصوص الواردة في وصول ثواب سعي الغير إلى غيره وانتفاعه به إذا قصده به ، فمن ذلك :

١ – الدعاء : فإن المدعو له ينتفع به بنص القرآن الكريم والسّنة وإجماع المسلمين ، قال الله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ واسْتَغْفِرْ لذَنبكَ ولِلْمُؤْمِنِينَ والْمُؤْمِنَاتِ ﴾[3] . وقال تعالى : ﴿ والَّذِين جَاءوُا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ولإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بالْإِيمَانِ ولَا تَجْعَلْ في قُلُوبِنَا غِلاًّ

(١) الأنعام : ٦٥ .

لِّلَّذِينَ ءامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءوُفٌ رحِيمٌ ﴾[1] فالذين سبقوهم بالإيمان هم المهاجرون والأنصار ، والذين جاءوا من بعدهم هم التابعون فمن بعدهم إلى يوم الدين ، وثبت عن رسول الله ﷺ أنه أغمض أبا سَلَمَةَ بعد موته ، وقال : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَبِي سَلَمَةَ ، وارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي المَهْدِيِّينَ ، وأخْلِفْهُ فِي عَقِبِهِ ، وافْسَح لَهُ فِي قَبْرِهِ ، وَنوِّرْ لَهُ فِيه » . وكان ﷺ يصلي على أموات المسلمين ، ويدعوا لهم ، ويزور المقابر ، ويدعو لأهلها ، واتبعته أمته في ذلك حتى صار هذا من الأمور المعلومة بالضرورة من دين الإسلام ، وصح عنه ﷺ أنه قال : « ما مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ على جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لا يُشْرِكُونَ باللهِ شَيْئًا إلَّا شَفَّعَهُمُ الله فِيه . . » .

وهذا لا يعارض قولَ النبيِّ ﷺ : « إذا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انقَطَعَ عَمَلُه إلَّا مِنْ ثَلَاثٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَه » . رواه مسلم . لأن المراد به عَمَلُ الإنسان نَفْسِه ، لا عمل غيره له ، وإنما جعل دعاء الوالد الصالح من عمله ، لأن الولد من كَسْبه حيث إنه هو السبب في إيجاده ، فكان دعاؤه لوالده دعاء من الوالد نفسه . بخلاف دعاء غير الولد لأخيه ، فإنه ليس من عمله ، وإن كان ينتفع به فالاستثناء الذي في الحديث من انقطاع عمل الميت نفسه لا عمل غيره له ، ولهذا لم يقل انقطع العمل له ، بل قال : « انقطع عمله » ، وبينهما فَرْقٌ بَيِّن .

---

(٢) الحشر : ١٠ .

٢ – الصدقة عن الميت : ففي صحيح البخاري عن عائشة –رضي الله عنها – أن رجلًا قال للنبي ، ﷺ : إنّ أُمّي افْتُلِتَتْ نَفْسُهَا (مَاتَتْ فَجْأَةً) ، وأَظُنُّها لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ فهَلْ لها أَجْر إنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا ؟ قال : « نَعَمْ » . وروى مسلم نحوه من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – والصدقة عبادة مالية مَحْضَة .

٣ – الصيام عن الميت : ففي الصحيحين عن عائشة – رضي الله عنها – أنّ النبي ﷺ قال : « مَنْ مَاتَ وعَلَيْهِ صِيَام صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ » . والولى هو الوارث ، لقوله تعالى : ﴿ وأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ الله إنَّ الله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيم ﴾[1] ولقول النبي ﷺ : « أَلْحقُوا الْفَرَائِضَ بأَهْلِهَا فَمَا بَقِيَ فَهُوَ لِأَوْلَى رَجُلٍ ذَكَرٍ » . متفق عليه . والصيام عبادة بدنية مَحْضَة .

٤ – الحج عن غيره : ففي الصحيحين من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – أنَّ امرأةً مِنْ خَثْعَمٍ قالت : يا رَسُولَ الله إنَّ فَرِيضَةَ الله على عِبَاده في الحَجِّ أَدْرَكَتْ أبي شَيْخًا كَبِيرًا لا يَثْبُتُ على الرَّاحِلَةِ أَفَأَحُجُّ عَنْهُ ؟ قال : « نَعَمْ » . وذلك في حَجَّةِ الْوَدَاع . وفي صحيح البخاري عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن امرأة من جُهَيْنَة قالتْ للنبيّ ﷺ : إنَّ أُمّي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ فلم تحج حَتَّى مَاتَتْ أَفَأَحُجُّ عَنْهَا ؟ قال : « نَعَمْ » ، حُجّي عَنْهَا ، أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكِ دَيْن أَكُنْتِ قَاضِيتِهِ ؟ اقْضُوا الله ، فالله أَحَقُّ بالْوَفَاءِ » .

---

(١) الأنفال : ٧٥ .

فإن قيل : هذا من عمل الولد لوالده ، وعمل الولد من عمل الوالد كما في الحديث السابق ، « إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث » . حيث جعل دعاء الولد لوالده من عمل الوالد فالجواب من وجهين :

أحدهما : أن النبي ﷺ لم يُعَلِّل جواز حج الولد عن والده بكونه ولده ، ولا أومأ إلى ذلك بل في الحديث ما يبطل التعليل به لأن النبي ﷺ شَبَّهَهُ بقضاء الدَّيْن الجائز من الولد وغيره ، فجعل ذلك هو العِلَّة ، أعني كونه قضاء شيء واجب عن الميت .

الثاني : أنه قد جاء عن النبي ﷺ ما يدلّ على جواز الحج عن الغيرو حتى من غير الولد فعن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن النبي ﷺ سَمِعَ رجلًا يقول : « لَبَّيْكَ عَنْ شُبْرُمَة . قال : مَنْ شُبْرُمَةُ ؟ قال : أَخٌ لي أَوْ قَرِيب لي . قال : حَجَجْتَ عَنْ نَفْسِكَ ؟ قال : لا . قال : حُجَّ عَنْ نَفْسِكَ ثُمَّ حُجَّ عَنْ شُبْرُمَةَ » . قال في البلوغ : رواه أبو داود وابن ماجة . وقال في الفروع : إسناده جيد احتج به أحمد في رواية صالح ، لكنه رَجّح في كلام آخر أنه موقوف . فإن صحّ المرفوع فذاك وإلا فهو قول صحابي لم يظهر له مخالف فهو حجة ودليل على أن هذا العمل كان من المعلوم جوازه عندهم ، ثم إنه قد ثبت حديث عائشة في الصيام : « من مات وعليه صيام صام عنه وليُّه » . والولى هو الوارث سواء كان ولدًا أم غير ولد ، وإذا جاز ذلك في الصيام مع كونه عبادة محضة فجوازه بالحج المَشُوب بالمال أَوْلَى وأَحْرَى .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٥ – الأضحية عن الغير : فقد ثبت في الصحيحين عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال : ضَحَّى النبيُّ ﷺ بِكَبْشَيْن أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْن ، ذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ وسَمَّى وكَبَّر ، ووَضَعَ رِجْلَه على صِفَاحِهِمَا » ، ولأحمد من حديث أبي رَافع – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ كان إذا ضَحَّى اشْتَرَى كَبْشَيْنِ سَمِينَيْن أَقْرَنَيْنِ أَمْلَحَيْنِ ، فيَذْبَحُ أَحَدَهُمَا ويقولُ : « اللَّهُمَّ هذا عَنْ أُمَّتي جَمِيعًا مَنْ شَهِدَ لَكَ بِالتَّوحِيدِ ، وشَهِدَ لي بِالْبَلَاغِ » ، ثُمَّ يَذْبَحُ الآخَرَ ويَقُولُ : « هَذا عَنْ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ » . قال في مَجْمَع الزَّوَائِدِ « وإسنادُه حَسَن » ، وسكت عنه في التلخيص . والأضحية عبادة بدنية قوامها المال ، وقد ضَحَّى النبيُّ ﷺ عن أهل بيته وعن أمته جميعًا ، وما من شك في أن ذلك ينفع المُضَحَّى عنهم ، وينالهم من ثوابه ، ولو لم يكن كذلك لم يكن للتضحية عنهم فائدة .

٦ – اقتصاص المظلوم من الظالم بالأخذ من صالح أعماله : ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال : « مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَة لِأَخِيه فَلْيَتَحَلَّلْه مِنْهَا ، فإنَّه لَيْس ثَمَّ دِينَارٌ ولا دِرْهَمٌ ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيه مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فإنْ لَمْ يَكُنْ لَهَ حَسَنَات أُخِذَ مِنْ سَيِّئَات أَخِيهِ فطُرِحَتْ عَلَيْهِ » . وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال : « أَتَدْرُونَ مَنْ المُفْلِسُ ؟ » قالوا : المُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَه ولَا مَتَاعَ . فقال : « إنّ المُفْلِسَ مِنْ أُمَّتي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وصِيَامٍ وزَكَاةٍ ، ويَأْتِي وقَدْ شَتَمَ هذا ، وقَذَفَ هذا ، وأَكَلَ مَالَ هذا ، وسَفَكَ دَمَ هذا ، وضَرَبَ هذا ، فيُعْطَى هذا

مِنْ حَسَنَاتِه ، وهذا مِنْ حَسَنَاتِه ، فإنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ ما عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ » .

فإذا كانت الحسنات قابلة للمقاصّة بأخذ ثوابها من عامل إلى غيره كان ذلك دليلًا على أنها قابلة لنقلها منه إلى غيره بالإهداء .

٧ – انتفاعات أخرى بأعمال الغير : كرفع درجات الذُّرِّيَّة في الجنة إلى درجات آبائهم ، وزيادة أجر الجماعة بكثرة العدد وصحة صلاة المنفرد بمصافة غيره له ، والأمن والنصر بوجود أهل الفضل ، كما في صحيح مسلم عن أبي بُرْدَةَ عن أبيه أن النبي ﷺ رَفَعَ رَأْسَه إلى السماء – وكان كثيرًا ما يرفع رأسه إلى السماء – فقال : « النُّجُومُ أَمَنَة لِلسَّمَاءِ فإذا ذَهَبَتْ النُّجُومُ أَتَى السماءَ ما تُوعَدُ ، وأَنَا أَمَنَةٌ لأَصْحَابِي فإذا ذَهَبْتُ أَتَى أصحابي ما يُوعَدُونَ ، وأَصْحَابِي أَمَنَة لأُمَّتِي فإذا ذَهب أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُون » ، وفيه أيضًا عن أبي سَعِيدٍ الخُدْرِي – رضي الله عنه – قال : قال رسولُ الله ﷺ : « يَأْتِي على النَّاسِ زَمَان يُبْعَثُ مِنْهُمْ الْبَعْث فيقولون : انظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ فِيكم أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ النبيِّ ﷺ فيُفْتَحُ لَهُمْ بِهِ ، ثُمَّ يبْعَثُ الْبَعْثُ الثاني فيَقُولُونَ : هَلْ فِيكُمْ مَنْ رَأَى أَصْحَابَ النبيِّ ﷺ فيُفْتَحُ لَهُمْ بِهِ ، ثُمَّ يُبْعَثُ الْبَعْث الثَّالِثُ فيُقَالُ : انظُرُوا هَلْ تَرَوْنَ فِيهِم مَنْ رَأَى مَنْ رَأَى أَصْحَابَ النبيِّ ﷺ ثُمَّ يَكُونُ الْبَعْث الرَّابِعُ فيُقَالُ : انظُرُوا هَلْ تَرَوْنَ فِيهِمْ أَحَدًا رَأَى مَنْ رَأَى أَحَدًا رَأَى أَصْحَابَ النبيِّ ﷺ فيُوجَدُ الرَّجُلُ فيُفْتَحُ لَهُمْ بِهِ » .

فإذا تبينّ أن الرجل ينتفع بغيره وبعمل غيره ، فإن من شرط انتفاعه أن يكون من أهله ، وهو المسلم . فأما الكافر فلا يَنتفع بما أُهديَ إليه من عمل صالح ، ولا يجوز أن يُهْدَى إليه ، كما لا يجوز أَنْ يُدْعَى له ويُستغفر له ، قال الله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ والَّذِينَ ءامَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ ولَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴾[1] . وعن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – أنّ جَدَّه العاصَ بْنَ وائل السَّهْمِي أَوْصَى أَنْ يُعْتَق عنه مائة رقبة فأعتق ابنه هشام خمسين رقبة ، وأراد ابنه عمرو بن العاص أن يعتق عنه الخمسين الباقية ، فسأل النبيَّ ﷺ فقال : « إنَّهُ لو كان مُسْلِمًا فأَعْتَقْتُمْ أَوْ تَصَدَّقْتُمْ عَنْهُ أَوْ حَجَجْتُمْ بَلَغَهُ ذَلِكَ » . وفي رواية : « فلَوْ كَانَ أَقَرَّ بالتَّوْحِيدِ فصُمْتَ وتَصَدَّقْتَ عَنْهُ نَفَعَهُ ذَلِكَ » . رواه أحمد وأبو داود .

فإن قيل : هلا تقتصرون على ما جاءت به السنة من إهداء القُرَب ، وهي الحج والصوم والصدقة والعِتْق .

فالجواب : أن ما جاءت به السنة ليس على سبيل الحصر ، وإنما غالبه قضايا أعيان ، سُئل عنها النبيُّ ﷺ فأجاب به . وأَوْمَأَ إلى العموم بذكر العِلَّة الصادقة بما سُئل عنه وغيره ، وهي قوله « أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ على أمِّكِ دَيْن أَكُنْتِ قَاضِيتِهِ » . ويدل على العموم أنه قال : « مَنْ مَاتَ وعَلَيْهِ

(١) التوبة : ١١٣ .

صِيَام صَامَ عَنْه وَلِيُّه » . ثم لم يمنع الحج والصدقة والعتق ، فعلم من ذلك أن شأن العبادات واحد ، والأمر فيها واسع .

فإن قيل : فهل يجوز إهداء القُرَب الواجبة ؟

فالجواب : أما على القول بأنه لا يصح إهداء القرب إلا إذا نواه المهدي قبل الفعل ، بحيث يفعل القربة بنية أنها عن فلان ، فإن إهداء القرب الواجبة لا يجوز لتعذر ذلك ، إذ من شرط القرب الواجبة أن ينوي بها الفاعل أنها عن نفسه قيامًا بما أوجب الله تعالى عليه ، اللهم إلا أن تكون من فروض الكفايات ، فربما يقال بصحة ذلك حيث ينوي الفاعل القيام بها عن غيره لتعلق الطلب بأحدهما لا بعينه . وأما على القول بأنه يصح إهداء القرب بعد الفعل ويكون ذلك إهداء لثوابها بحيث يفعل القربة ويقول : اللهم اجعل ثوابها لفلان ، فإنه لا يصح إهداء ثوابها أيضًا على الأرجح . وذلك لأن إيجاب الشارع لها إيجابًا عَيْنِيًّا دليل على شدة احتياج العبد لثوابها ، وضرورته إليه ، ومثل هذا لا ينبغي أن يؤثر العبد بثوابه غيره .

فإن قيل : إذا جاز إهداء القرب إلى الغير فهل من المستحسن فعله ؟

فالجواب : أن فعله غير مستحسن إلا فيما وردت به السنة ، كالأضحية والواجبات التي تدخلها النيابة ، كالصوم والحج ، وأما غير ذلك فقد قال شيخ الإسلام في الفتاوى ص٣٢٢ -٣٢٣ ج٢٤ مجموع ابن قاسم « إن الأمر الذي كان معروفًا بين المسلمين في القرون المفضّلة أنهم كانوا يعبدون الله بأنواع العبادات المشروعة فَرْضِها ونَفْلِها ،

ويدعون للمؤمنين والمؤمنات كما أمر الله بذلك ، لأحيائهم وأمواتهم » ، قال : « ولم يكن من عادة السّلف إذا صلوا تطوعًا وصاموا وحجوا أو قرأوا القرآن الكريم يهدون ذلك لموتاهم المسلمين ، ولا لخصوصهم[1] . بل كان عادتهم كما تقدم ، فلا ينبغي للناس أن يعدلوا عن طريقة السلف ، فإنه أفضل وأكمل . أ . هـ .

وأما ما رُوِيَ أنّ رجلًا قال : يا رسولَ الله إنَّ لي أبوينِ وكنتُ أَبِرُّهُمَا في حياتهما فكيف الْبِرُّ بَعْدَ مَوْتِهما ؟ فقال : « إنَّ من البر أَنْ تُصَلِّيَ لهما مع صلاتك وتصوم لهما مع صيامك وتصدق لهما مع صدقتك » ، فهو حديث مُرْسَل لا يصح . وقد ذكر الله تعالى مكافأة الوالدين بالدعاء ، فقال تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾[1] وعن أبي أُسيدٍ – رضي الله عنه – أن رجلًا سأل النبيَّ ﷺ : هل بَقَى مِنْ بِرِّ أَبَوَيَّ شَيءٌ أبرّهُمَا به بعد موتهما ؟ قال : « نَعَمْ ، الصلاةُ عَلَيْهِمَا ، والاسْتِغْفَارُ لهما ، وإنفاذُ عَهْدِهِمَا مِن بَعْدِهمَا ، وصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لا تُوصَلُ إلَّا بِهِمَا ، وإكْرَامُ صَدِيقِهِمَا » رواه أبو داود وابن ماجه . ولم يذكر النبي ﷺ من برهما أن يصلي لهما مع صلاته ، ويصوم لهما مع صيامه .

فأما ما يفعله كثير من العامة اليوم حيث يقرأون القرآن الكريم في شهر رمضان أو غيره ، ثم يؤثرون موتاهم به ويتركون أنفسهم فهو لا ينبغي لما فيه من الخروج عن جادّة السلف ، وحرمان المرء نفسه من

---

(١) الإسراء : ٤ .

ثواب هذه العبادة ، فإن مُهْدِي العبادة ليس له من الأجر سوى ما يحصل من الإحسان إلى الغير . أما ثواب العبادة الخاصّ فقد أهداه ، ومن ثَمّ كان لا ينبغي إهداء القُرَب للنبي ﷺ لأن النبي ﷺ له ثواب القربة التي تفعلها الأمة ؛ لأنه الدال عليها والآمر بها ، فله مثل أجر الفاعل ، ولا ينتج عن إهداء القرب إليه سوى حرمان الفاعل نفسه من ثواب العبادة .

وبهذا تعرف فقه السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ، حيث لم ينقل عن واحد منهم أنه أهدى شيئًا من القرب إلى النبي ﷺ مع أنهم أشد الناس حبًا للنبي ﷺ وأحرصهم على فعل الخير ، وهم أهدى الناس طريقًا وأصوبهم عملًا ، فلا ينبغي العدول عن طريقتهم في هذا وغيره ، فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها . والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

٢١٧ ــــــــــــ **واجهتني في حياتي عدة مشاكل جعلتني أكره الحياة فكنت كلما أتضجر أتوجه إلى الله بأن يأخذ عمري في اقرب وقت وهذه هي أمنيتي حتى الآن لأنني لم أر حلًا لمشاكلي سوى الموت هو وحده الذي يخلصني من هذا العذاب فهل هذا حرام علي ؟**

إن تَمَنِّي الإنسان الموت لِضُرٍّ نَزَلَ به وقوع في ما نهي عنه رسول الله ﷺ حيث قال : «لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُم المَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ فَإِنْ كَانَ لَابُدَّ مُتَمَنِّيًا فَلْيَقُلْ اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الحَيَاةَ خَيْرًا لِي وَتَوَفَّنِي مَا عَلِمْتَ الوَفَاةَ خيرًا لِي» فلا يَحِلُّ لأحد نزل به ضُرٌّ أو ضَائقة أو مشْكلة أن يتمنى الموت بل عليه أن يصبر ويحتسب الأجر عند الله تعالى وينتظر الفرج منه لقول النبي ﷺ «واعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ وَأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ وَأَنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا» .

وليعلم المُصَاب بأي مُصيبة أَنَّ هذه المَصَائب كَفَّاراتٍ لما حَصَلَ منه من الذُّنوب فإنه لا يُصِيب المَرْء المُؤْمن هَمٌّ ولا غَمٌّ ولا أذَى إلا كفَّر الله عنه به حتى الشَّوكة يُشَاكها . ومع الصَّبر والاحْتِساب ينال

منزلة الصابرين تلك المنزلة العالية التي قال الله تعالى في أهلها : ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾[1] . وكون هذه المرأة لا ترى حلًا لمشاكلها إلا الموت أرى أن ذلك نظر خاطىء فإن الموت لا تنحل به المشاكل بل ربما تزداد به المصائب فكم من إنسان مات وهو مصاب بالمشاكل والأذى ولكنه كان مسرفًا على نفسه لم يستعْتَب من ذَنْبه ولم يَتُب إلى الله عزَّ وجلَّ فكان في موته إسراع لِعُقُوبته ولو أنه بقي على الحياة وَوَفَّقَه الله تعالى للتوبة والاستغفار والصبر وتحمل المشاق وانتظار الفرج لكان في ذلك خير كثير له .

فعليك أيتها السائلة أن تصبري وتحتسبي وتنتظري الفرج من الله عز وجل فإن الله تعالى يقول في كتابه ﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴾[2] . والنبي ﷺ يقول فيما صَحّ عنه «وَاعْلَم أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ وَأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ وَأَنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا» .

٢١٨ ـــــ سئل فضيلة الشيخ عن قول الإنسان : « إن الله على ما يشاء قدير » عند ختم الدعاء ؟

فأجاب بقوله : هذا لا ينبغي لوجوه :

---

(١) البقرة : ١٥٥ – ١٥٦
(٢) الشرح : ٥ – ٦

الأول : أن الله تعالى إذا ذَكَرَ وَصفَ نفسه بالقدرة لم يقيّد ذلك بالمشيئةفي قوله تعالى : ﴿ **ولَوْ شاء اللّهُ لَذَهَبَ بسَمْعِهم وأبصارِهم إنّ اللهَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِير** ﴾[1] . وقوله : ﴿ **أَلَم تَعلَمْ أنّ اللهَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِير** ﴾[2] . وقوله ﴿ **أَلَم تَعْلَم أنّ اللهَ له مُلْكُ السمواتِ والأَرْضِ** ﴾[3] فعمّم في القدرة كما عمّم في الملك . وقوله ﴿ **ولِلهِ مُلْكُ السمواتِ والأَرْضِ وما بَيْنَهُما يَخْلُقُ ما يَشاءُ واللهُ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِير** ﴾[4] . فعمّم في الملك والقُدْرة ، وخصّ الخلق بالمشيئة لأن الخلق فعل ، والفعل لا يكون إلا بالمشيئة أما القدرة فصفة أزلية أبدية شاملة لما شاء وما لم يشأه لكن ما شاء سبحانه وقع وما لم يشأه لم يقع . والآيات في ذلك كثيرة .

الثاني : أن تقييد القدرة بالمشيئة خلاف ما كان عليه النبي ﷺ وأتباعه فقد قال الله عنهم : ﴿ **يَوْمَ لا يُخْزِي اللهُ النبيَّ والذين آمنوا معه نُورُهم يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهم وبِأَيْمانِهم يقولون رَبَّنا أَتْمِمْ لنا نُورَنا واغْفِرْ لنا إنَّك على كُلِّ شَيْءٍ قدير** ﴾[5] . ولم يقولوا إنك على ما تشاء قدير ، وخير الطريق طريق الأنبياء وأتباعهم فإنهم أهدى عِلْما وأَقْوَمُ عملا .

الثالث : أن تقييد القدرة بالمشيئة يُوهم اختصاصها بما يشاؤه الله تعالى فقط ، لا سيما وأن ذلك التقييد يؤتي به في الغالب سابقا حيث يقال :

(١) البقرة ٢٠
(٢) البقرة ١٠٦
(٣) البقرة ١٠٧ .
(٤) المائدة ١٧
(٥) التحريم ٨ .

« على ما يشاء قدير » وتقديم المعمول يفيد الحصر كما يُعلم ذلك في تقرير علماء البلاغة ، وشواهده من الكتاب والسنة واللغة . وإذا خصت قدرة الله تعالى بما يشاؤه كان ذلك نَقْصاً في مدلولها وقَصْراً لها عن عمومها ، فتكون قدرة الله تعالى ناقصة حيث انحصرت فيما يشاؤه ، وهو خلاف الواقع ، فإن قدرة الله تعالى عامة فيما يشاؤه وما لم يشأه لكن ما شاءه فلا بد من وقوعه وما لم يشأه فلا يمكن وقوعه .

فإذا تبين أن وصف الله تعالى بالقدرة لا يُقيّد بالمشيئة بل يطلق كما أطلقه الله تعالى لنفسه فإن ذلك لا يعارضه قول الله تعالى : ﴿ **وهو على جمعهم إذا يشاء قدير** ﴾[1] . فإن المقيد هنا بالمشيئة هو الجمع لا القدرة ، والجمع فعل لا يقع إلا بالمشيئة ولذلك قيد بها . فمعنى الآية أن الله تعالى قادر على جمعهم متى شاء وليس بعاجز عنه كما يَدّعيه مَنْ ينكره . وفي تقييده بالمشيئة رَدٌّ لقول المشركين الذين قال الله تعالى عنهم : ﴿ **وإذا تُتْلَى عليهم آياتُنا بَيِّناتٍ مَّا كان حُجَّتَهم إلاَّ أن قَالُوا ائْتُوا بآبَائنا إن كُنْتُمْ صَادِقِين قُلْ اللهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتكم ثُمَّ يَجْمَعُكم إلى يَوْمِ القِيامَةِ لا رَيْبَ فِيه ولكنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يعلمون** ﴾[2] . فلما طلبوا الإتيان بآبائهم تَحَدِّياً وإنكاراً لما يجب الإيمان به من البعث بيّن الله تعالى أن ذلك الجمع الكائن في يوم القيامة لا يقع إلا بمشيئته ولا يوجب وقوعه تحدّي هؤلاء وإنكارهم كما قال الله تعالى : ﴿ **زَعَمَ الذين كفروا أن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى ورَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِما عَمِلْتُم وذلك على**

---

(١) الشورى ٢٩

(٢) الجاثية ٢٥ - ٢٦

اللهِ يَسِير ، فآمِنُوا باللهِ ورَسُولِه والنُّورِ الذي أَنزَلْنَا واللهُ بما تعملون خَبِير . يَوْمَ يَجْمَعُكم لِيَوْمِ الجَمْعِ ذلك يَوْمُ التَّغَابُنِ ﴾[1] . والحاصل أنّ قوله تعالى : **﴿ وهو على جَمْعِهِم إذا يَشاءُ قَدِير ﴾** لا يعارض ما قرّرناه من قبل لأن القَيْد بالمشيئة ليس عائداً إلى القدرة وإنما يعود إلى الجَمْع .

وكذلك لا يعارضه ما ثبت في صحيح مسلم في كتاب « الإيمان » في « باب آخر أهل النار خروجاً » من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ رَجُلٌ » . فذكر الحديث وفيه أن الله تعالى قال للرجل « إنّي لا أُسْتَهزِيءُ مِنك ولكنّي على ما أشاءُ قادرٌ » . وذلك لأن القدرة في هذا الحديث ذُكرت لتقرير أمر واقع ، والأمر الواقع لا يكون إلا بعد المشيئة ، وليس المراد بها ذكر الصفة المطلقة التي هي وصف الله تعالى أزلا وأبدا ، ولذلك عَبّر عنها باسم الفاعل « قادر » دون الصفة المشبّهة « قدير » . وعلى هذا فإذا وقع أمر عظيم يستغربه المرء أو يستبعده فقيل له في تقريره إن الله على ما يشاء قادر ، فلا حرج في ذلك ، ومازال الناس يعبّرون بمثل هذا في مثل ذلك فإذا وقع أمر عظيم يُستغرب أو يُستبعد قالوا : قادر على ما يشاء ، فيجب أن يعرف الفرق بين ذِكْر القدرة على أنها صفة لله تعالى فلا تقيد بالمشيئة ، وبين ذكرها للتقرير أمر واقع فلا مانع من تقييدها بالمشيئة لأن الواقع لا يقع إلا بالمشيئة ، والقدرة هنا ذُكرت لإثبات ذلك الواقع وتقرير وقوعه . والله سبحانه أعلم .

---

(١) التغابن ٧ -٩ .

٢١٩ بعض الناس يقول في دعائهم « إن شاء الله » فما رأيكم في هذا القول غفر الله لكم وأعلى درجتكم .

فأجاب قائلا : لا ينبغي للإنسان إذا دعا الله سبحانه وتعالى أن يقول « إن شاء الله » في دعائه بل يعزم المسألة ويعظم الرغبة فإن الله سبحانه وتعالى لا مُكْرِهَ له وقد قال سبحانه وتعالى ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[1] فوعد بالإستجابة ، وحينئذ لا حاجة إلى أن يقال إن شاء الله لأن الله سبحانه وتعالى إذا وفّق العبدَ للدعاء فإنه يجيبه إما بمسألته ، أو بأن يرد عنه شراً ، أو يدّخرها له يوم القيامة ، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « لا يَقُلْ أَحَدُكم اللهُمّ اغْفِرْ لي إنْ شِئْتَ ، اللّهم ارْحَمْني إنْ شِئْت ، لِيَعْزِمْ المسألةَ ولْيُعْظِمْ الرَّغْبَةَ ، فإنَّ اللهَ تعالى لا مُكْرِهَ له » .

فإن قال قائل ألم يثبت عن النبي ﷺ أنه كان يقول للمريض « لا بَأْسَ طَهُورٌ إنْ شاءَ اللهُ » ؟ فنقول : بلى ، ولكن هذا يظهر أنه ليس من باب الدعاء وإنما هو من باب الخبر والرجاء ، وليس دعاء ، فإن الدعاء من آدابه أن يجزم به المرء . والله أعلم .

---

(١) غافر ٦٠ .



رؤيــــة الله عــز وجــل

٢٢٠ ـــــــــ ما مذهب السَّلَف في رؤية الله عزّ وجلّ ؟

يقول الله عزّ وجلّ في القرآن الكريم حين ذكر القيامة ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إلى رَبِّها نَاظِرَةٌ ﴾[١] . فأضاف النظر إلى الوجوه ، والذي يمكن به النظر في الوجوه العين ، ففي الآية دليل على ان الله سبحانه وتعالى يُرى بالعين ولكن رؤيتنا لله عزّ وجلّ لا تقتضي الإحاطةَ به لأنّ الله تعالى يقول : ﴿ ولا يُحِيطُونَ بِه عِلْماً ﴾[٢] . فإذا كنا لا يمكن أن نحيط بالله علماً – والإحاطة العلمية أوسع وأشمل من الإحاطة البصرية – دلّ ذلك على أنه لا يمكن أن نحيط به إحاطة بصرية ويدلّ لذلك قوله تعالى : ﴿ لا تُدْرِكُه الأَبْصَارُ وهو يُدْرِكُ الأَبْصَارَ ﴾[٣] . فالأبصار وإن رأته لا يمكن أن تدركه ، فالله عزّ وجلّ يُرى بالعين رؤيةً

(١) القيامة ٢٢ – ٢٣ .
(٢) طه ١١٠
(٣) الأنعام ١٠٣ .

حقيقية ، ولكنه لا يُدرك بهذه الرؤية لأنه عزّ وجلّ أعظم من أن يُحاط به ، وهذا الذي ذهب إليه السلف ويرون أن أكمل نعيم ينعم به الإنسان أن ينظر إلى وجه الله عزوجلّ ،ولهذا كان من دعاء النبي ﷺ « أسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إلى وَجْهِكَ » قال : « لذة النظر » ، لأن لهذا النظر لذّة عظيمة لا يُدركها إلا مَنْ أدركها بنعمة من الله وفَضْل منه ، وأرجو اللهَ تعالى أن يجعلني وإياكم منهم .

هذه هي حقيقة الرؤية التي أجمع عليها السلف . أما من زعم أن الله لا يُرى بالعين ، وأن الرؤية عبارة عن كمال اليقين ، فإن قوله هذا باطل مخالف للأدلة ، ويكذّبه الواقع ، لأن كمال اليقين موجود في الدنيا أيضا قال النبي ﷺ في تفسير الإحسان : « الإحسانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كأنَّكَ تَرَاهُ فإنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإنَّهُ يَرَاكَ » . وعبادتك لله كأنك تراه هذا هو كمال اليقين ، فدعوى أن النصوص الواردة في الرؤية تعني كمال اليقين ، لأن المتيقن يقينا كاملا كالذي يشاهد بالعين ، دعوى باطلة وتحريف للنصوص وليس بتأويل بل هو تحريف باطل يجب رَدّه على مَنْ قال به . والله المستعان .

٢٢١ — هل ثبت أنّ النبيَّ ﷺ رأى اللهَ عزّ وجلّ في اليقظةِ وفي المنام ؟

رؤية الله عزّ وجلّ في اليقظة لم تثبت ، حتى ما رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية : أنّ ابن عباس لم يقل إنّ النبيَّ ﷺ رأى ربه بعينه ، ولا يمكن لأحد أن يرى الله تعالى في

الدنيا بعينه يَقظةً لأن موسى لما قال ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إليكَ ﴾[1] قال الله له : ﴿ لَن تَرَاني ولَكِن انظُرْ إلى الجبلِ فإنِ استقرَّ مكانَه فسوف تَراني ، فلَمَّا تَجَلَّى رَبُّه للجَبَلِ جَعَلَه دَكًّا وخَرَّ موسى صَعِقاً ، فلَمَّا أَفاقَ قال سُبْحانَك تُبْتُ إليْكَ وأَنَا أَوَّلُ المؤمنينَ ﴾[2] .

✵ أما في المنام فقد ورد حديث في السنن صَحَّحه كثير من الحفاظ « أنَّ النبيَّ ﷺ رأى رَبَّه في المنام » . وقد شرح ابنُ رجب هذا الحديث في رسالة مختصرة ، فأُحِيلُ السائلَ عليها .

٢٢٢ ــــــــــــ سُئل الشيخُ : عما جاء في شَرْح « لُمْعَة الاعتقاد » من قول فضيلته « رُؤْيَةُ الله في الدُّنْيا مُسْتَحِيلة » . وقد ذكر الشِّنْقِيطي – رحمه الله – أن رؤية الله – عز وجَل – بالأبصار جائزة عقلًا في الدنيا والآخرة ، وأما شَرْعًا فهي جائزة وواقعة في الآخرة ، وأما في الدنيا فممنوعة شرعًا . وما نقله النووي عن بعض أهل العلم أن رؤية الله تعالى في

---

(١) الأعراف ١٤٣

(٢) الأعراف ١٤٣ .

الدنيا جائزة ، فنرجو من فضيلتكم توضيح ذلك ؟

فأجاب بقوله : ما ذكرتُه في شرح « لمعة الاعتقاد » لا ينافي ما ذكره الشيخ الشنقيطي وغيره من أنّ رؤية الله تعالى في الدنيا ممكنة ، فإن قولي : « إنه مستحيل » أي بحسب خبر الله – عز وجل – بأنه لن يراه إذ لا يمكن أن يتخلف مدلول خبره تعالى ، وقد جاءت بمثل ذلك السنة ، حيث قال النبي ﷺ وهو يتحدث عن الدَّجّال . « واعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَرَوْا رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا » . أخرجه مسلم .

ثم اعلم أن المستحيل في حق الله تعالى نوعان :

أحدهما : مستحيل لكونه لا يليق بجلاله كالجَهْل والعَجْز ونحوهما ، فهذا لا يمكن لمن عَرَف الله تعالى وقدره حق قدره أن يخطر بباله جوازُه ، أو ينطق لسانُه بسؤاله .

الثاني : مستحيل بالنسبة لغيره لكمال صفات الله تعالى ، كرؤية الإنسان ربه في الدنيا ، فإن هذا مستحيل لكون البشر لا يطيق أن يرى الله تعالى في الدنيا لنقص حياة البشر حينئذ . ولذلك تكون الرُّوية ممكنة يوم القيامة لأن حياة البشر حينذاك أكمل .

وعلى كل حال فقد دلت النصوص وإجماع السلف على أن الله تعالى لم يره أحد في الدنيا يقظة ، وإن كان قد روى عن ابن عباس – رضي الله عنهما – ما ظاهره أن نبينا محمدًا ﷺ رأى الله تعالى ، فالله أعلم .

تعبيــــر الــــرؤى

٢٢٣ سئل فضيلة الشيخ : ما معنى قول النبي ﷺ « رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِن سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِن النُّبُوَّة » ؟ ومن الذي تصدق رؤياه ؟

فأجاب بقوله : معنى قوله ﷺ « رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِن ستةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِّنَ النُّبُوَّةِ » أن رؤيا المؤمن تقع صادقة لأنها أمثال يضربها المَلَكُ للرائي ، وقد تكون خبرًا عن شيء واقع أو شيء سيقع فيقع مطابقًا للرؤيا فتكون هذه الرؤيا كوحي النبوة في صدق مدلولها وإن كانت تختلف عنها ولهذا كانت جزءًا من ستة وأربعين جزءًا من النبوة وتخصيص الجزء بستة وأربعين جزءًا من الأمور التوقيفية التي لا تعلم حكمتها كأعداد الركعات والصلوات .

وأما الذي تصدق رؤياه فهو الرجل المؤمن الصدوق إذا كانت رؤياه صالحة ، فإذا كان الإنسان صدوق الحديث في يقظته وعنده إيمان وتقوى فإن الغالب أن الرؤيا تكون صادقة ولهذا جاء هذا الحديث مقيدًا في بعض

الروايات بالرؤيا الصالحة من الرجل الصالح وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « أَصْدَقهُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُهُمْ حَدِيثًا » .

ولكن ليعلم أن ما يراه الإنسان في منامه ثلاثة أقسام :

القسم الأول : رؤيا حق صالحة وهي التي أخبر عنها النبي ﷺ أنها جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة ، وغالبًا ما تقع ، ولكن أحيانًا يكون وقوعها عى صفة ما رآه الإنسان في منامه تمامًا ، وأحيانًا يكون وقوعها على صفة ضرب الأمثال في المنام ، يضرب له المثل ثم يكون الواقع على نحو هذا المثل وليس مطابقًا له تمامًا ، مثل ما رأى النبي عليه الصلاة والسلام قُبيل غزوة أحد أن في سيفه ثلمة ، ورأى بقرًا تنحر ، فكان الثلمة التي في سيفه استشهاد عمه حمزة رضي الله عنه ؛ لأن قبيلة الإنسان بمنزلة سيفه في دفاعهم عنه ومعاضدته ومناصرته ، والبقر التي تنحر كان استشهاد من استشهد من الصحابة رضي الله عنهم لأن في البقر خيرًا كثيرًا ، وكذلك الصحابة رضي الله عنهم كانوا أهل علم ونفع للخلق وأعمال صالحة .

القسم الثاني : الحلم وهو ما يراه الإنسان في منامه مما يقع له في مجريات حياته ، فإن كثيرًا من الناس يرى في المنام ما تحدثه نفسه في اليقظة وما جرى عليه في اليقظة وهذا لا حكم له .

القسم الثالث : إفزاع من الشيطان ، فإن الشيطان يصور للإنسان في منامه ما يفزعه من شيء في نفسه ، أو ماله ، أو في أهله ، أو في مجتمعه ، لأن الشيطان يحب إحزان المؤمنين كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا

النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّه ﴾[1] فكل شيء ينكد على الإنسان في حياته ويعكر صفوه عليه فإن الشيطان حريص عليه سواء ذلك في اليقظة أو في المنام ، لأن الشيطان عدو كما قال الله تعالى : **﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوه عَدُوًّا ﴾**[2] وهذا النوع الأخير أرشدنا رسول الله ﷺ إلى التحرز منه فأمر من رأى في منامه ما يكره أن يستعيذ بالله من الشيطان ، ومن شر ما رأى ، وأن يتفل عن يساره ثلاث مرات ، وأن ينقلب على جنبه الآخر ، وأن لا يحدث أحدا بما رأى فإذا فعل هذه الأمور فإن ما رآه مما يكره في منامه لا يضره شيئًا . وهذا يقع كثيرًا من الناس ويكثر السؤال عنه لكن الدواء له ما بَيَّنَهُ النبي ﷺ كما في حديث جابر عند مسلم « إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ الرُّؤْيَا يَكْرَهُهَا فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلاَثًا ، وَلْيَسْتَعِذْ بِالله مِنَ الشَّيْطَانِ ثَلاَثًا ، وَلْيَتَحَوَّلْ عَنْ جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ » وكما في حديث أبي سعيد الخدري عند البخاري « إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ الشَّيْطَانِ فَلْيَسْتَعِذْ مِن شَرِّهَا وَلاَ يَذْكُرُهَا لأَحَدٍ فَإِنَّهَا لاَ تَضُرُّهُ » . وكما في حديث أبي قتادة عند مسلم قال : « كُنتُ أَرَى الرُّؤْيَا فَتُمْرِضُنِي حَتَّى سَمِعَتُ رسول الله ﷺ يقول : الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ مِنَ الله فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يُحِبُّ فَلاَ يُحَدِّث بِهَا إِلَّا مَن يُحِبُّ وإِنْ رَأَى مَا يَكْرَهُ فَلْيَتْفُلْ عَنْ يَسَارِه ثَلاَثًا وَلْيَتَعَوَّذْ بِالله مِن شَرِّ الشَّيْطَانِ وَشَرِّهَا وَلاَ يُحَدث بِهَا أَحَدًا فَإِنَهَا لَن تَضُرَّهُ » وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « فَإِنْ رَأَى أَحدكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُمْ فَلْيُصَلِّ وَلاَ يُحَدِّث بِهَا النَّاس » أخرجه مسلم .

---

(١) المجادلة : ١٠ . (٢) فاطر : ٦ .

فأمر النبي ﷺ من رأى ما يكره بأمور :

١ - أن يبصق عن يساره ثلاثًا .

٢ - أن يستعيذ بالله من شر الشيطان ثلاثًا .

٣ - أن يستعيذ بالله من شر ما رأى .

٤ - أن يتحول عن جنبه الذي كان عليه إلى الجنب الآخر .

٥ - أن لا يحدث بها أحدًا .

٦ - أن يقوم فيصلي .

٢٢٤ ما تفسير رؤية المتوفى في الحلم وفي كل مرة ؟

رؤية المتوفى في المنام إن كانت على وَجْهٍ طَيِّب فإنَّه مَرْجيٌّ له الخير وإن كانت على غير ذلك فقد يكون هذا من ضرب الأمثال من الشياطين لأنَّ الشيطان قد يضرب المثل بشخص على وجه مكروه ليحزن الحي . ذلك أن الشَّيطان حريص على كل ما يدخل الحزن والهم والغم على المؤمنين لقول الله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ** ﴾[1] . وعلى هذا فالإنسان إن رأى ما يَكْرَه في مَنَامه بالنِّسبة للميت فإنه ينبغي له أن يتعوَّذ بالله من شرِّ الشَّيطان ومن شر ما رأى وألا يحدث أحدًا بما رآه في هذا الميت وحينئذ لا يضر الميت شيئًا ، وهكذا كل من رأى في مَنَامِه ما يَكْرَه

(١) المجادلة : ١٠

فإنَّ المَشْرُوع له أن يَتَعوَّذ بالله من شر الشَّيطان ومِنْ شرٍّ ما رأى وأن يتْفُل عن شماله ثلاث مرات وأن يَنْقَلِبَ من جَنُبه الذي كان نائمًا عليه إلى الجنب الآخر وإن توضأ وصَلَّى فهو أطيب وأفْضَلُ ولا يحـدث أحَدًا بما رأى وحينئذ لا يضره ما رأى .

الفرقــة الناجيــة

٢٢٥ وسُئل الشيخ: عن أبْرَزِ خصائص الفِرْقة الناجِية؟ وهل النقص من هذه الخصائص يخرج الإنسان منها؟

فأجاب: أبرز الخصائص للفرقة الناجية هي التمسك بما كان عليه النبيﷺ في العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والمعاملة، هذه الأمور الأربعة تجد الفرقة الناجية بارزة فيها: –

ففي العقيدة تجدها متمسكة بما دل عليه كتاب الله، وسنة رسولهﷺ من التوحيد الخالص في ألوهية الله، وربوبيته، وأسمائه وصفاته.

وفي العبادات تجد هذه الفرقة متميزة في تمسكها التام وتطبيقها لما كان عليه النبيﷺ في العبادات في أجناسها، وصفاتها، وأقدارها، وأزمنتها، وأمكنتها، وأسبابها، فلا تجد عندهم ابتداعًا في دين الله،

بل هم متأدبون غاية الأدب مع اللّٰه ورسوله لايتقدمون بين يدي اللّٰه ورسوله في إدخال شيء من العبادات لم يأذن به الله .

وفي الأخلاق تجدهم كذلك متميزين عن غيرهم بحُسْن الأخلاق كمحبة الخير للمسلمين وانشراح الصدر ، وطلاقة الوجه ، وحسن المنطق والكرم ، والشجاعة إلى غير ذلك من مكارم الأخلاق ومحاسنها .

وفي المعاملات تجدهم يعاملون الناس بالصدق ، والبيان اللذين أشار إليهما النبيﷺ في قوله : « الْبَيِّعَانِ بالخِيارِ مالَمْ يَتَفَرَّقَا ، فإنْ صَدَقا وبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا في بَيْعِهِما ، وإنْ كَذَبَا وكَتَما مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِما » .

والنقص من هذه الخصائص لايخرج الإنسان عن كونه من الفرقة الناجية لكن لكلٍّ درجاتٌ مما عملوا ، والنقص في جانب التوحيد ربما يُخرجه من الفرقة الناجية مثل الإخلال بالإخلاص وكذلك في البدع ربما يأتي ببدع تخرجه عن كونه من الفرقة الناجية .

أما في مسألة الأخلاق والمعاملات فلا يخرج الإخلال بهما من هذه الفرقة وإن كان ذلك ينقص مرتبته .

وقد نحتاج إلى تفصيل في مسألة الأخلاق فإن من أهم ما يكون من الأخلاق اجتماع الكلمة ، والإتفاق على الحق الذي أوصانا به اللّٰه تعالى في قوله : ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا والَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ومَا وَصَّيْنَا بِهِ إبْراهِيمَ ومُوسَى وعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ ولاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ** ﴾[1] وأخبر أن الذين فَرّقوا دينهم وكانوا شيعًا أن

---

(١) الشورى : ١٣ .

محمدًا ﷺ بريءٌ منهم فقال الله عز وجل ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُم وكانوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُم فِي شَيْءٍ** ﴾[1] فاتفاق الكلمة وائتلاف القلوب من أبرز خصائص الفرقة الناجية – أهل السنة والجماعة – فهم إذا حصل بينهم خلاف ناشيء عن الاجتهاد في الأمور الاجتهادية لا يحمل بعضهم على بعض حقدًا ، ولا عداوة ، ولا بغضاء بل يعتقدون أنهم إخوة حتى وإن حصل بينهم هذا الخلاف . حتى أن الواحد منهم ليصلي خلف الواحد الذي يرى المأموم أنه ليس على وضوء ويرى الإمام أنه على وضوء ، مثل أن الواحد منهم يصلي خلف شخص أكل لحم إبل ، وهذا الإمام يرى أنه لا ينقض الوضوء ، والمأموم يرى أنه ينقض الوضوء فيرى أن الصلاة خلف ذلك الإمام صحيحة ، وإن كان هو لو صلاها بنفسه لرأى أن صلاته غير صحيحة ، كل هذا لأنهم يرون أن الخلاف الناشيء عن اجتهاد فيما يَسُوغ فيه الاجتهاد ليس في الحقيقة بخلاف ؛ لأن كل واحد من المختلفين قد تبع مايجب عليه اتباعه من الدليل الذي لايجوز له العدول عنه ، فهم يرون أن أخاهم إذا خالفهم في عمل ما إتباعًا للدليل هو في الحقيقة قد وافقهم ؛ لأنهم هم يدعون إلى إتباع الدليل أينما كان ، فإذا خالفهم موافقة لدليل عنده ، فهو في الحقيقة قد وافقهم ؛ لأنه تمشى على مايدعون إليه ويهدون إليه من تحكيم كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، ولا يخفي على كثير من أهل العلم ما حصل من الخلاف بين الصحابة في مثل هذه الأمور ، حتى في عهد النبي ﷺ ، ولم يُعَنِّفْ أحدًا منهم ، فإنه عليه الصلاة والسلام لما رجع من غزوة الأحزاب وجاءه

(١) الأنعام : ١٥٩ .

جبريل وأشار إليه أن يخرج إلى بني قُرَيْظَةَ الذين نقضوا العهد فندب النبي ﷺ أصحابه فقال : « لايُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُم العَصْرَ إلَّا في بَنِي قُرَيْظَةَ » فخرجوا من المدينة إلى بني قريظة وأَرْهَقَتْهم صلاةُ العصر منهم مَنَ أخَّرَ صلاة العصر حتى وصل إلى بني قريظة بعد خروج الوقت ؛ لأن النبيﷺ قال : « لا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمُ الْعَصرَ إلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ » منهم من صَلَى الصلاة في وقتها ، وقال إن الرسولﷺ أراد منا المبادرة إلى الخروج ولم يُرد منا أن نؤخر الصلاة عن وقتها - وهؤلاء هم المصيبون - ولكن مع ذلك لم يُعنّف النبيُّﷺ أحدًا من الطائفتين ، ولم يحمل كل واحد على الآخر عداوة ، أو بغضاء بسبب اختلافهم في فهم هذا النص ، لذلك أرى أن الواجب على المسلمين الذين ينتسبون إلى السنة أن يكونوا أمة واحدة ، وأن لايحصل بينهم تحزّب ، هذا ينتمي إلى طائفة ، والآخر إلى طائفة أخرى ، والثالث إلى طائفة ثالثة ، وهكذا ، بحيث يتناحرون فيما بينهم بأسنة الألسن ، ويتعادون ويتباغضون من أجل اختلاف يسوغ فيه الاجتهاد ، ولا حاجة إلى أن أخص كل طائفة بعينها ، ولكن العاقل يفهم ويتبين له الأمر .

فأرى أنه يجب على أهل السنة والجماعة أن يتحدوا حتى وان اختلفوا فيما يختلفون فيه فيما تقتضيه النصوص حسب أفهامهم ، فإن هذا أمر فيه سَعَة ولله الحمد ، **والمهم ائتلاف القلوب واتحاد الكلمة** ولا ريب أن أعداء المسلمين يحبون من المسلمين أن يتفرقوا سواء كانوا أعداءً يصرحون بالعداوة ، أو أعداء يتظاهرون بالولاية للمسلمين ، أو للإسلام وهم ليسوا كذلك ، فالواجب أن نتميز بهذه الميزة التي هي ميزة للطائفة الناجية وهي الاتفاق على كلمة واحدة .

٢٢٦ وسُئل عن أصول أهل السُّنَّة والجماعة في العقيدة والفِقْه، وباقي أمورِ الدِّين، مع ذكر قاعدة في ذلك تصلح لعموم المسلمين؟

فأجاب بقوله: قاعدة أهل السنة والجماعة في العقائد وغيرها من أمور الدِّين، هو التمسك التامُّ بكتاب الله وسنة رسوله، ﷺ، وما عليه الخلفاء الراشدون منْ هَدْي وسُنَّة، لقول الله تعالى: ﴿ قُلْ إن كُنتُمْ تُحِبُّون الله فَاتَّبِعُوني يُحْبِبْكُمُ الله ﴾(١). ولقوله تعالى: ﴿ مَن يُطِعِ الرَّسُول فَقَدْ أَطَاعَ الله ومَن تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾(٢). ولقول الله تعالى: ﴿ وما ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ومَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾(٣). وهذا وإن كان في قسمة الغنائم فهو في الأمور الشرعية من باب أَوْلَى، ولأن النَّبِيَّ، ﷺ، كان يخطب الناسَ يَوْم الجمعة، فيقول أما بعد: «فإنَّ خَيْرَ الحديثِ كِتَابُ الله، وخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وكُلَّ بِدْعةٍ ضَلَالةٌ، وكُلَّ ضَلَالةٍ في النار». ولقوله، ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المهْدِيينَ مِنْ بَعْدِي، تَمَسَّكُوا بِهَا وعَضُّوا عَلَيْهَا بالنَّوَاجِذِ، وإيَّاكُمْ ومُحْدثَاتِ الأُمُور، فإنَّ

(١) آل عمران: ٣١.
(٢) النساء: ٨٠.
(٣) الحشر: ٧.

كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ » . والنصوص في هذا كثيرة ، فطريق أهل السنة والجماعة ومنهاجهم هو التمسك التام بكتابِ الله وسنةِ رسوله ، ﷺ ، وسنةِ الخلفاء الراشدين المهديين من بعده ، ومن ذلك أنهم يقيمون الدين ولا يتفرّقون فيه امتثالًا لقول الله تعالى : ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّين مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ ومُوسَى وعِيسىأَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ** ﴾[1] ، وهم وإنْ حَصَلَ بينهم من الخلاف ما يحصل مما للاجتهاد فيه مَسَاغ ، فإن هذا الخلاف لا يؤدي إلى اختلاف قلوبهم بل تجدهم متآلفين متحابين ، وإن حصل منهم هذا الاختلاف الذي طريقه الاجتهاد .

٢٢٧ سُئل فضيلةُ الشيخ : مَنْ هُمْ أَهْلُ السُّنَّة والجماعة ؟

فأجاب – حفظه الله تعالى – بقوله : أهل السنة والجماعة هم الذين تمسّكوا بالسُّنَّة ، واجتمعوا عليها ، ولم يلتفتوا إلى سواها ، لا في الأمُور العلميَّة العَقَدية ، ولا في الأمور العمليَّة الحُكْمية ، ولهذا سُمُّوا ، أَهْلَ السُّنَّة ، لأنهم متمسكون بها ، وسُمُّوا أهل الجماعة ، لأنهم مجتمعون عليها .

وإذا تأملتَ أحوال أهل البدع وجدتَّهم مختلفين فيما هم عليه من المنهاج العَقَدي أو العَمَلي ، مما يدلّ على أنهم بعيدون عن السنة بقدر ما أحدثوا من البدعة .

---

(٤) الشورى : ١٣ .



الفـــــرق

٢٢٨ ـــــــ رجل مُدَرّس ويدرّس مذهب أبي حنيفة رحمه الله ، وكذلك يعلّم تلاميذه الصوفية ، والمدائح النبوية ، فاعترض عليه طالب من الطلبة ، فقيـل إنه وَهّابيّ ، وأنّ الوهّابية لا تُقِرُّ المدائحَ النبوية ، فنرجوا من فضيلتكم بيان الحقّ في هذه المسائل وجزاكم الله خيراً .

الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين . وبعد ..

فإن هذا السؤال سؤال عظيم اشتمل على مسائل في أصول الدين ومسائل تاريخية ومسائل عملية .

✵ أما المسائل العملية : فإنه ذكر أنه يفقّه تلامذتّه على مذهب الإمام أبي حنيفة ولا رَيْب أن مذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله أحد المذاهب الأربعة المتبوعة المشهورة ، ولكن .. ليعلم أنَّ هذه المذاهب الأربعة لا

ينحصر الحقّ فيها بل الحقّ قد يكون في غيرها فإن إجماعهم على حكم مسألة من المسائل ليس إجماعاً للأمة . والأئمة أنفسهم رحمهم الله ما جعلهم الله أئمة لعباده إلا حيث كانوا أهلاً للإمامة حيث عرفوا قَدْر أنفسهم ، وعلموا أنه لا طاعة لهم إلا فيما كان موافقاً لطاعة النبي ﷺ ، وكانوا يُحَذِّرون عن تقليدهم إلا فيما وافق السنة ، ولا ريب أن مذهب الإمام أبي حنيفة ومذهب الإمام أحمد ومذهب الإمام الشافعي ومذهب الإمام مالك وغيرهم من أهل العلم أنها قابلة لأن تكون خطأً وصواباً ، فإنّ كل أحد يُؤخذ من قوله ويترك إلا رسولَ الله ﷺ ، وعلى هذا فإنه لا حَرَجَ عليه أن يفقّه تلامذته على مذهب الإمام أبي حنيفة ، بشرط إذا تبين له الدليل بخلافه تبع الدليل وتركه ، ووضح لطلبته أن هذا هو الحقّ وأن هذا هو الواجب عليهم .

✵ أما فيما يتعلق بمسألة الصوفية وغنائهم ومديحهم وضربهم بالدفّ والتغبير التي يضربون الفراش ونحوه بالسَّوْط فما كان أكثر غباراً فهو أشدّ صدقاً في الطلب ، وما أشبه ذلك مما يفعلونه ، فإن هذا من البدع المحرّمة التي يجب عليه أن يقلع عنها ، وأن ينهى أصحابه عنها ، وذلك لأن خير القرون وهم القرن الذين بُعث فيهم النبيُّ ﷺ لم يتعبدوا لله بهذا التعبد ، ولأن هذا التعبد لا يورث القلب إنابة إلى الله ولا انكساراً لديه ولا خشوعاً لديه ، وإنما يورث انفعالات نفسية يتأثر بها الإنسان من مثل هذا العمل ، كالصراخ وعدم الانضباط والحركة الثائرة وما أشبه ذلك ، وكل هذا يدل على أن هذا التعبد باطل وأنه ليس بنافع للعبد ، وهو دليل واقعي غير الدليل الأثري الذي قال فيه رسول الله ﷺ « عليكم بسُنَّتي وسُنَّةِ الخلفاء الراشدين ، تَمَسَّكُوا بها ، وعَضُّوا عليها

بالنواجذ ، وإيَّاكم ومحدثات الأمورِ ، فإنَّ كُلَّ بِدْعةٍ ضَلاَلَةٌ » . فهذا التعبد من الضلال المبين الذي يجب على العبد أن يُقْلع عنه ، وأن يتوب إلى الله ، وأن يرجع إلى ما كان عليه النبيُّ ﷺ وخلفاؤه الراشدون ، فإنّ هَدْيَهم أكمل هَدْي ، وطريقَهم أحسنُ طريق . وقال الله تعالى :

﴿ **ومَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً ممن دَعَا إلى اللهِ وعَمِلَ صَالحاً وقال إنني مِن المسلمين** ﴾[1] .

ولا يكون العمل صالحا إلا بأمرين :

✲ الإخلاص لله ، والموافقة لشريعته التي جاء بها رسوله ﷺ . وأما ما ذكره من مجادلة الطالب له ، وقول بعضهم إنه رجل وهابي وأن الوهابية لا يقرون المدائح النبوية وما إلى ذلك ، فإننا نخبره وغيره بأن الوهابية ولله الحمد كانوا من أشدّ الناس تمسكا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ومن أشدّ الناس تعظيما لرسول الله ﷺ واتباعاً لسنته . ويدلّك على هذا أنهم كانوا حريصين دائماً على اتباع سنة الرسول ﷺ ، والتقيد بها ، وإنكار ما خالفها من عقيدة أو عمل قولي أو فعلي .

ويدلك على هذا أيضا أنهم جعلوا الصلاة على النبي ﷺ ركناً من أركان الصلاة لا تصح الصلاة إلا بها ، فهل بعد هذا من شكٍّ في تعظيمهم لرسول الله ؟ !

وهم أيضا إنما قالوا بأنها ركن من أركان الصلاة لأن ذلك هو مقتضى الدليل عندهم ، فهم متبعون للدليل معظمون للرسول لا يغلون بالنبي ﷺ في أمر لم يشرعه الله ورسوله ثم إن حقيقة الأمر أن إنكارهم

---

(١) فصلت ٣٣ .

للمدائح النبوية المشتملة على الغلوّ في رسول الله ﷺ هو التعظيم الحقيقي لرسول الله ﷺ ، وهو سلوك الأدب مع الله ورسوله حيث لم يُقَدِّموا بين يَدَي الله ورسوله ، فلم يغلوا لأن النبي ﷺ نهاهم عن ذلك فقال النبي ﷺ : « أيها الناسُ قُولُوا بقولِكم أَوْ بعض قولِكم ولا يَسْتَهْوِيَنَّكم الشيطانُ » . ونهى عليه الصلاة والسلام عن الغلو فيه كما غلت النصارى في المسيح ابن مريم . قال ﷺ : « لا تُطْرُوني كما أَطْرَتِ النَّصَارى عيسى ابنَ مريمَ ، إنّما أَنَا عَبْدٌ ، فقولوا عَبْدُ اللهِ ورسولُهُ » . والمهم أن طريق الشيخ محمد بن عبد الوَهَّاب رحمه الله وأتباعه وهو الإمام المجدّد ، طريقه هي ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه لمن تتبعها بعلم وإنصاف . وأما من قال بجهل أو بظلم وجَوْر فإنه لا يمكن أن يكون لأقواله منتهى . فإن الجائر أو الجاهل يقول كلما يمكنه أن يقول من حق وباطل ولا انضباط لقوله . وإذا لم تستحي فاصنعْ ما شِئْتَ ، ومن أراد أن يعرف الحق في هذا فليقرأ ما كتبه الشيخ محمد بن عبد الوَهَّاب رحمه الله وأحفاده والعلماء من بعده حتى يتبين له الحق ، إذا كان منصفا ومريدا للحق .

❋ ثم إن المدائح النبوية المشتملة على الغُلُوِّ لا شك أن رسول الله ﷺ لا يرضى بها بل إنما جاء بالنهي عنها والتحذير منها ، فمن المدائح التي يحرصون عليها ويتغنون بها ما قاله الشاعر :

يا أكرمَ الخَلْق ما لي مَنْ ألوذُ به ... سواك عند حلول الحادثِ العَمَمِ
فإنّ من جُودكَ الدنيا وضَرّتَهَا ... ومن علومك عِلْمُ اللّوْحِ والقَلَمِ

وأشباه ذلك مما هو معلوم ، ومثل هذا بلا شك كُفْرٌ بالرسول ﷺ ، وإشراكٌ بالله عزّ وجلّ ، فإن رسول الله ﷺ بَشَر ، لا يعلم من الغيب

إلا ما أعلمه الله عزّ وجلّ ، والدنيا وضرَّتها وهي الآخرة ليست من جُود رسول الله ﷺ بل هي من خلْق الله عزّ وجلّ فهو الذي خلق الدنيا والآخرة ، وهو الذي جاد فيهما بما جاد على عباده سبحانه وتعالى ، وكذلك علم اللوح والقلم ليس من علوم الرسول ﷺ ، بل إن علم اللوح والقلم إلى الله عزّ وجلّ ، ولا يعلم منه رسول الله ﷺ إلا ما أطلعه الله عليه ، وهذا هو حقيقة الأمر ، وهذا وأمثاله هي المدائح التي يتغنى بها هؤلاء الذين يدّعون أنهم مُعظِّمون لرسول الله ﷺ ، ومن العجائب أن هؤلاء المغالين يدّعون أنهم معظّمون لرسول الله ﷺ تجدهم معظّمين له كما زعموا في مثل هذه الأمور وهم في كثير من سننه فاترون معرضون والعياذ بالله .

✵ فأنصح القائل وغيره بأن يعود إلى الله عزّ وجلّ ، وأن لا يطري رسول الله ﷺ كما أطرى النصارى عيسى ابنَ مريم ، وأن يعلم أن رسول الله ﷺ بشر يمتاز عن غيره بالوحي الذي أوحاه الله إليه ، وما خصّه الله به من المناقب الحميدة والأخلاق العالية ولكن ليس له من التصرف في الكون شيء وإنما التصرف في الكون والذي يُدعى ويُرجى ويُؤلّه هو الله عزّ وجلّ وحده لا إله إلا هو سبحانه وتعالى عمّا يشركون .

٢٢٩ وسئل حفظه الله تعالى : عن افتراق أمة النبي محمد ﷺ بعد وفاته ؟

فأجاب بقوله : أخبر النبي ﷺ فيما صح عنه أن اليهود افترقوا على إحدى وسبعين فرقة ، والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وأن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ، وهذه الفرق كلها في النار إلا واحدة ، **وهي من كان على مثل ماكان عليه النبي ﷺ وأصحابه** ، وهذه الفرقة هي الفرقة الناجية التي نجت في الدنيا من البدع وتنجو في الآخرة من النار ، وهي الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة التي لاتزال ظاهرة قائمة بأمر اللّٰه عز وجل ، وهذه الفرق الثلاث والسبعون التي واحدة منها على الحق والباقي على الباطل . قد حاول بعض الناس أن يعدّدها ، وشَعَّبَ أَهْلَ البدع إلى خمس شُعَب ، وجعل من كل شُعْبة فروعًا ليصلوا إلى هذا العدد الذي عَيَّنَه النبي ﷺ ، ورأى بعض الناس أن الأَوْلَى الكَفّ عن التعداد لأن هذه الفرق ليست وحدها هي التي ضلت بل قد ضل أناس ضلالا أكثر مما كانت عليه من قبل ، وحدثت بعد أن حُصرت هذه الفرق باثنتين وسبعين فرقة ، وقالوا إن هذا العدد لا ينتهي ولا يمكن العلم بانتهائه إلا في آخر الزمان عند قيام الساعة ، فالأَوْلَى أن نُجْمِلَ ما أجمله النبي ﷺ ونقول إن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، ثم نقول كل من خالف ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابة فهو داخل في هذه الفرق ، وقد يكون

الرسول ﷺ أشار إلى أصول لم نعلم منها الآن إلا ما يبلغ العشرة وقد يكون أشار إلى أصول تتضمن فروعًا كما ذهب إليه بعض الناس فالعلم عند الله عز وجل .

٢٣٠ ـــــــــــ سُئل الشيخ : عما يتعلّمه طلبة المدارس في بعض البلاد الإسلامية من أن مذهب أهل السنة هو : « الإيمان بأسماء الله تعالى ، وصفاته ، من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ولا تمثيل » . وهل تقسيم أهل السنة إلى قسمين : مدرسة ابن تيمية وتلاميذه ، ومدرسة الأشاعرة والماتريدية تقسيم صحيح؟ وما موقف المسلم من العلماءِ المُؤَوِّلِينَ ؟

فأجاب بقوله : لاشك أن ما يتعلمه الطلبة في المدارس من أن مذهب أهل السنة هو : (الإيمان بأسماء الله تعالى ، وصفاته ، من غير تحريف ولا تعطيل ، ولا تكييف ولا تمثيل) . هو المطابق للواقع بالنسبة لمذهب أهل السنة ، كما تشهد بذلك كتبهم المطولة والمختصرة ، وهو الحق الموافق لما جاء في الكتاب والسنة وأقوال السلف ، وهو مقتضى النظر

الصحيح ، والعقل الصريح ، ولسنا بصدد سَرْد أفراد الأدلة في ذلك ، لعدم طلبه في السؤال ، وإنما نجيب على ما طلب وهو تقسيم أهل السنة إلى طائفتين في مدرستين :

إحداهما : مدرسة ابن تيمية وتلاميذه المانعين لصرف النصوص عن ظواهرها .

الثانية : مدرسة الأشاعرة والماتريدية الموجبين لصرفها عن ظواهرها في أسماء الله وصفاته .

فنقول : من المعلوم أن بين هاتين المدرستين اختلافًا بَيِّنًا في المنهاج فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته ، فالمدرسة الأولى يقرر مُعَلِّمُوها وجوب إبقاء النصوص على ظواهرها فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته ، مع نفي ما يجب نفيه عن الله تعالى ، من التمثيل أو التكييف ، والمدرسة الثانية يقرر معلموها وجوب صرف النصوص عن ظواهرها فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته .

وهذان المنهاجان متغايران تمامًا ، ويظهر تغايرهما بالمثال التالي :

قال الله تعالى : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾[1] . وقال فيما حكاه عن معاتبة إبليس حين أَبى أن يسجد لآدم بأَمْرِ الله : ﴿ يا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[2] . فقد اختلف

---

(1) المائدة : ٦٤ .

(2) ص : ٧٥ .

معلمو المدرستين في المراد باليدين اللتين أثبتهما الله تعالى لنفسه ، فقال أهل المدرسة الأولى : يجب إبقاء معناهما على ظاهره ، وإثبات يدين حقيقيتين لله تعالى ، على وجه يليق به . وقال أهل المدرسة الثانية : يجب صرف معناهما عن ظاهره ، ويحرم إثبات يدين حقيقيتين لله تعالى ، ثم اختلفوا في المراد بهما هل هو القوة أو النعمة .

وبهذا المثال يتبين أن مِنهاجَيْ أهل المدرستين مختلفان متغايران ، ولا يمكن بعد هذا التغاير أن يجتمعا في وصف واحد ، هو أهل السنة ، إذن فلابد أن يختص وصف أهل السنة بأحدهما دون الآخر ، فلنحكم بينهما بالعدل ، ولنعرضهما على ميزان القسط وهو كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ، ﷺ ، وكلام الصحابة والتابعين لهم بإحسان من سلف الأمة وأئمتها . وليس في هذا الميزان ما يدل بأي وجه من وجوه الدلالة ، المطابقة ، أو التضمن ، أو الالتزام صريحًا أو إشارة على ما ذهب إليه أهل المدرسة الثانية ، بل في هذا الميزان ما يدل دلالة صريحة أو ظاهرة أو إشارية على ما ذهب إليه أهل المدرسة الأولى ، وعلى هذا فيتعين أن يكون وصف أهل السنة خاصًا بهم لا يشاركهم فيه أهل المدرسة الثانية ، لأن الحكم بمشاركتهم إياهم جَوْر ، وجَمْع بين الضِّدَّيْنِ ، والجَوْر ممتنع شرعًا ، والجمع بين الضدين ممتنع عقلًا .

وأما قول أهل المدرسة الثانية ، (المُؤَوِّلِينَ) لا مانع من تأويل أسماء الله وصفاته إذا لم يتعارض هذا مع نص شرعي .

فنقول : مجرد صرف اللفظ عن ظاهره بلا دليل شرعي مخالف للدليل ، وقَوْل على الله تعالى بلا عِلْم ، وقد حَرّم الله تعالى ذلك في قوله : ﴿ قُلْ إنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ مِنْهَا ومَا بَطَنَ والْإِثْمَ والْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وأن تُشْرِكُوا بالله مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وأَنْ تَقُولُوا عَلَى الله مَالَا تَعْلَمُونَ ﴾[1] . وقوله : ﴿ ولا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْم إنَّ السَّمْعَ والْبَصَرَ والْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾[2] . وهؤلاء المؤَوِّلُون لأسماء الله تعالى وصفاته ليس لهم عِلْم مأثور فيما أَوَّلُوها إليه ، ولا نظر معقول سوى شُبَه يَحْتَجُّون بها يناقض بعضُها بعضًا ، ويلزم عليها من النقص في ذات الله تعالى وصفاته ووَحْيه ، أكثر مما زعموه من النقص في إثباتها على ظاهرها ، وليس هذا موضع البسط في ذلك .

وإنما المقصود بيان أن وصف (أهل السنة) لا يمكن أن يُعْطَى لطائفتين يتغاير منهاجهما غاية التغاير وإنما يستحقه من كان قوله موافقًا للسنة فقط ، ولا ريب أنّ أهل المدرسة الأولى (غير المؤولين) أحق بالوصف المذكور من أهل المدرسة الثانية (المؤولين) لمن نظر في منهاجيهما بعلم وإنصاف فلا يصح تقسيم أهل السنة إلى الطائفتين بل هم طائفة واحدة .

(١) الأعراف : ٣٣ .

(٢) الإسراء : ٣٦ .

وأما احتجاجهم بقول ابن الجَوْزِي في هذا الباب فنقول : أقوال أهل العلم يُحْتَجّ لها ولا يحتج بها ، فليس قول واحد من أهل العلم بحجة على الآخرين .

وأما قولهم إن الإمام أحمد أَوَّل في حديث : « قُلُوبُ بَنِي آدَمَ بَيْنَ أُصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ » ، وحديث : « الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ يَمِينُ اللهِ فِي الْأَرْضِ » . وقوله تعالى : ﴿ وهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ ﴾[1] .

فنقول : لا يصح عن الإمام أحمد يرحمه الله أنه تأوّل الحديثين المذكورين ، قال في الفتاوى ص٣٩٨ ج٥ من مجموع الفتاوى ابن تيمية ، جمع ابن القاسم : وأما ما حكاه أبو حامد الغَزَّالي من أن أحمد لم يتأول إلا في ثلاثة أشياء « الحجر الأسود يمين الله في الأرض » و« قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن » . و« إني أَجِدُ نَفَسَ الرَّحْمَنِ مِن قِبَلِ الْيَمَنِ » ، فهذه الحكاية كذب على أحمد ، لم ينقلها أحد عنه بإسناد ، ولا يعرف أحد من أصحابه نَقْلَ ذلك عنه . أ . هـ .
وأما قوله تعالى : ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ . فإن الإمام أحمد لم يتأولها وإنما فسّرها ببعض لوازمها وهو العلم ، رَدًّا على الجهمية الذين فسّروها بخلاف المراد بها ، حيث زعموا أنها تقتضي كون الله تعالى في كل مكان بذاته – تعالى الله عن قولهم – فبيّن يرحمه الله تعالى – أن المعية هنا بمعنى الإحاطة بالخلْق التي من جملتها العلم بهم . وذلك أن المعية لا تقتضي

(١) الحديد : ٤ .

الحلول والاختلاط بل هي في كل موضع بحسبه ، ولهذا يقال : سقاني لبنا معه ماء . ويقال : صليت مع الجماعة . ويقال فلان مع زوجته .

ففي المثال الأول : اقتضت المزج والاختلاط ، وفي الثاني اقتضت المشاركة في المكان والعمل بدون اختلاط ، وفي الثالث اقتضت المصاحبة وإن لم يكن اشتراك في مكان أو عمل ، وإذا تبين أن معنى المعية يختلف بحسب ما تضاف إليه فإن معية الله تعالى لخلقه تختلف عن معية المخلوقين لمثلهم ، ولا يمكن أن تقتضي المَزْج والاختلاط أو المشاركة في المكان ؛ لأن ذلك ممتنع على الله عز وجل لثبوت مباينته لخلقه وعلوه عليهم . وعلى هذا يكون الله معنا وهو على العَرْش فوق السموات لأنه محيط بنا علما وقدرة وسلطانا وسمعًا وبصرًا وتدبيرًا ، وغير ذلك مما تقتضيه ربوبيته ، فإذا فسرّها مُفَسرٌ بالعِلْم لم يخرج بها عن مقتضاها ، ولم يكن متأولًا إلا عند من يفهم من المعيّة المشاركة في المكان أو المزج والاختلاط على كل حال . وقد سبق أن هذا ليس بمتعين في كل حال .

هذا بالنسبة لما نُقل عن الإمام أحمد في تأويل هذه النصوص الثلاثة .

أما بالنظر لها من حيث هي فقد تقدّم قريبا أنه لا تأويل في الآية الكريمة إذا فسّرها مفسر بالعلم ، لأنه تفسير لها ببعض مقتضياتها لا نقل لها عن المعنى الذي تقتضيه .

وأما حديث : « إنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلُّهَا بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرحمنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ » . فقد رواه مُسْلِم في صَحِيْحِه في كتاب القَدَر في الباب الثالث منه رقم ١٧ ص٢٠٤٥ ،

وليس فيه تأويل عند أهل السنة والجماعة حيث يؤمنون بما دلَّ عليه من إثبات الأصابع لله تعالى على الوجه اللائق به ، ولا يلزم من كون قلوبنا بين أصبعين منها أن تماس القلب فإن السحاب مسخر بين السماء والأرض ولا يمس السماء ولا الأرض فكذلك قلوب بني آدم بين أصبعين من أصَابع الرحمن ولا يستلزم ذلك المماسة .

وأما حديث : « الحَجَرُ يَمِينُ الله في الأَرْضِ » . فقد قال فيه شيخ الإسلام ابن تَيْمِيَةَ في الفتاوي ص٣٩٧ ج٦ من مجموع ابن قاسم : قد رُوِيَ عن النبيِّ ، ﷺ ، بإسناد لا يثبت ، والمشهور إنما هو عن ابن عباس . قال : « الحجرُ الأسودُ يَمِينُ الله في الأَرْضِ ، فَمَنْ صَافَحَه وقَبَّلَه فكأنَّما صافح الله وقَبَّلَ يَمِينَه » . وفي ص٤٤ ج٣ من المجموع المذكور : صريح في أن الحجر الأسود ليس هو صفة الله ولا نَفْس يمينه ، لأنه قال يمين الله في الأرض (فقيّده في الأرض ولم يُطْلِق ، فيقول يمين الله ، وحكم اللفظ المُقَيَّد يخالف المُطْلَق) . وقال : فمن قَبَّلَه وصافحه فكأنَّما صافح الله وقَبَّل يمينَه ، ومعلوم أنَّ المُشَبَّهَ غير المُشَبَّهِ بِهِ » . أ . هـ .

قلت وعلى هذا فلا يكون الحديث من صفات الله تعالى التي أُوِّلَتْ إلى معنى يخالف الظاهر فلا تأويل فيه أصلًا .

وأما قولهم إن هناك مدرستين : إحداهما مدرسة ابن تيمية فيقال نسبة هذه المدرسة إلى ابن تيمية تُوهِمُ أنه لم يُسبق إليها ، وهذا خطأ فإن ما ذهب إليه ابن تيمية هو ما كان عليه السلف الصالح وأئمة الأمة ،

فليس هو الذي أحدث هذه المدرسة كما يُوهمه قول القائل الذي يريد أن يقلل من شأنها ، والله المستعان .

وأما موقفنا من العلماء المؤولين فنقول : مَنْ عُرِفَ منهم بحُسْن النية وكان لهم قَدَمُ صِدْق في الدين واتباع السنة فهو معذور بتأويله السائغ ، ولكن عُذْره في ذلك لا يمنع من تخطئة طريقته المخالفة لما كان عليه السلف الصالح من إجراء النصوص على ظاهرها واعتقاد ما دل عليه ذلك الظاهر من غير تكييف ولا تمثيل ، فإنه يجب التفريق بين حكم القول وقائله ، والفعل وفاعله فالقول الخطأ إذا كان صادرًا عن اجتهاد وحُسْن قَصْد لا يُذَمُّ عليه قائلُه ، بل يكون له أَجْر على اجتهاده ، لقول النبيّ ﷺ : « إذا حَكَمَ الْحَاكِمُ فاجْتَهدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ ، وإذا حَكَمَ فاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْر » . متفق عليه ، وأما وَصْفه بالضلال فإنْ أُريد بالضلال الضلال المطلق الذي يُذمُّ به الموصوف ، ويُمْقَت عليه ، فهذا لا يُتَوَجَّه في مِثْل هذا المجتهد الذي عُلِمَ منه حُسْن النية ، وكان له قَدَمُ صِدْق في الدين واتباع السنة ، وإن أريد بالضلال مخالفة قوله للصواب من غير إشعار بذم القائل فلا بأس بذلك ، لأن مثل هذا ليس ضلالا مطلقًا ، لأنه من حيث الوسيلة صواب ، حيث بذل جهده في الوصول إلى الحق لكنه باعتبار النتيجة ضلال حيث كان خلاف الحق .

وبهذا التفصيل يزول الإشكال والتهويل ، والله المستعان .

٢٣١ سُئل الشيخ : هَلْ يُعتبر الشِّيعةُ في حُكْمِ الكافرين ؟ وهل يدعو المسلمُ الله تعالى أن ينصر الكفارَ عليهم ؟

فأجاب بقوله : الشيعة ، والصواب أن يقال الرافضة لأن تشيعهم لعلي بن أبي طالب – رضي الله عنه – تشيع متطرف غالٍ لا يقبله عليّ – رضي الله عنه – . فالرافضة كما وصفهم شيخ الإسلام ابن تيمية يرحمه الله تعالى – في كتابه : « اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم » حيث قال ص٣٩١ : إنهم أكذب طوائف أهل الأهواء وأعظمهم شِرْكًا ، فلا يوجد في أهل الأهواء أكذب منهم ، ولا أبعد عن التوحيد ، حتى إنهم يخرّبون مساجد الله التي يذكر فيها اسمه ، فيعطلونها عن الجمعة والجماعات ، ويعمرون المشاهد التي أقيمت على القبور التي نهى الله ورسوله عن اتخاذها . وقال ص٤٣٩ من الكتاب المذكور : « الرافضة أمة مخذولة ليس لها عقل صريح ، ولا نقل صحيح ، ولا دين مقبول ، ولا دنيا منصورة » وقال في الفتاوى ص٣٥٦ ج٣ من مجموع ابن قاسم : « وأصل قول الرافضة أن النبي ﷺ نَصَّ على عليٍّ نَصًّا قاطعًا للعذر وأنه إمام معصوم ، ومَنْ خالفه كفر ، وأن المهاجرين والأنصار كتموا النص وكفروا بالإمام المعصوم ، واتبعوا أهواءهم وبدلوا الدين وغيّروا الشريعة وظلموا واعتدوا بل كفروا إلا نفرًا قليلًا إما بضعة عشر أو أكثر ، ثم يقولون : إن أبا بكر وعمر ونحوهما

ما زالا منافقين ، وقد يقولون : بل آمنوا ثم كفروا . وأكثرهم يُكَفِّر مَنْ خالف قولهم ويسمون أنفسهم المؤمنين ، ومن خالفهم كفارًا إلى أن قال ومنهم ظهرت أمهات الزندقة والنفاق كزندقة القرامطة الباطنية وأمثالهم » .

وانظر قوله فيهم أيضًا ص٤٢٨ -٤٢٩ ج٤ من الفتاوى المذكورة .

وإذا شئت أن تعرف ما كان الرافضة عليه من الخبث فاقرأ كتاب « الخطوط العريضة » لمحب الدين الخطيب ، فقد ذكر عنهم ما لم يذكر عن اليهود والنصارى في أعظم خلفاء هذه الأمة أبي بكر وعمر ، وكان من دعائهم : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد والعن صنمي قريش وجِبْتَيْهم وطاغوتَيْهِم وابنتيهما - يعنون أبا بكر وعمر وعائشة وحفصة - رضي الله عنهم أجمعين - .

وأما خطر الرافضة على الإسلام فكبير جدًّا وقد كانوا هم السبب في سقوط الخلافة الإسلامية في بغداد ، وإدخال التتر عليها ، وقتل العدد الكثير من العلماء ، كما هو معلوم في التاريخ .

وخطرهم يأتي من حيث إنهم يدينون بـ(التّقية) التي حقيقتها النفاق وهو إظهار قبول الحق مع الكفر به باطنًا ، والمنافقون أضر على الإسلام من ذوي الكفر الصريح ، وقد حصر الله تعالى العداوة فيهم ، وأنزل فيهم سورة كاملة ، فقال تعالى في سورة المنافقين : ﴿ **هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ** ﴾[1] .

---

(١) المنافقون : ٤ .

وأما كوننا ندعو الله تعالى أن ينصر الكفار عليهم فلا حاجة إليه ، وإنما ندعو الله تعالى أن ينصر المسلمين الصادقين الذين يقولون بقلوبهم وألسنتهم : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] الذين يُحَكِّمُون شريعة الله تعالى ظاهرًا وباطنًا ، ويتولَّوْن أصحابَ رسول الله ﷺ من غير إفراط ولا تفريط ، منزلين كل واحد منزلته ، ندعو الله تعالى أن ينصر المسلمين المتصفين بذلك على أعدائهم من الروافض وغيرهم .

٢٣٢ ـــــ سئل الشيخ : عن إطلاق المسيحية على النصرانية ، والمسيحي على النصراني ؟

فأجاب بقوله : لاشك أن انتساب النصارى إلى المسيح بعد بعثة النبي ﷺ انتساب غير صحيح لأنه لو كان صحيحًا لآمنوا بمحمد ﷺ فإن إيمانهم بمحمد ﷺ إيمان بالمسيح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام لأن الله تعالى قال : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[2] . ولم يبشرهم المسيح عيسى ابن مريم بمحمد ﷺ إلا من

---

(١) الحشر : ١٠ .

(٢) الصف : ٦ .

أجل إن يقبلوا ما جاء به ، لأن البشارة بما لا ينفع لَغْو من القول لا يمكن أن تأتي من أدنى الناس عقلًا فضلًا من أن تكون صدرت من عند أحد الرسل الكرام أولي العزم عيسىٰ ابن مريم عليه الصلاة والسلام وهذا الذي بَشّر به عيسى ابن مريم بني إسرائيل هو محمد ﷺ وقوله : ﴿ **فلَمّا جَاءهم بالبينات قالوا هذا سِحْرٌ مُّبين** ﴾ . وهذا يدل على أن الرسول الذي بشر به قد جاء ولكنهم كفروا به وقالوا هذا سحر مبين ، فإذا كفروا بمحمد ﷺ فإن هذا كُفْر بعيسىٰ ابن مريم الذي بشّرهم بمحمد ﷺ وحينئذٍ لا يصح أن ينتسبوا إليه فيقولوا أنهم مسيحيون إذ لو كانوا حقيقة لآمنوا بما بشر به المسيح ابن مريم ، لأن عيسىٰ ابن مريم وغيره من الرسل قد أخذ الله عليهم العهد والميثاق أن يؤمنوا بمحمد ﷺ كما قال الله تعالى : ﴿ **وإذْ أَخذَ الله مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا ءاتَيْتُكُم مِّن كِتَاب وحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُم رسولٌ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُم لَتُؤْمِنُنّ به ولَتنصُرُنَّهُ** ﴾[١] . ثم قال : ﴿ **وأَخذْتُم عَلى ذَلِكُمْ إصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قال فاشْهدُوا وأَنَاْ مَعَكم مِّنَ الشَّاهِدِينَ** ﴾[٢] . والذي جاء مصدقًا لما معهم هو محمدٌ ﷺ لقوله تعالى : ﴿ **وأَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْن يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ ومُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ الله ولا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ** ﴾[٣] . وخلاصة القول أن نسبة النصاري إلى المسيح عيسىٰ ابن مريم نسبة يكذّبها الواقع ، لأنهم كفروا ببشارة المسيح عيسىٰ ابن مريم عليه الصلاة والسلام وهو محمد ﷺ ، وكُفْرُهم به كُفر بعيسىٰ .

---

(١) آل عمران : ٨١ (٢) آل عمران : ٨١ . (٣) المائدة : ٤٨ .

القبر وما يتعلق به من أحكام مختلفة

٢٣٣ ــــــــ هل عذاب القبر يشمل المؤمنَ العاصي أم أنه خاصٌّ بالكفار ؟

عذاب القبر المستمر يكون للمنافق والكافر . وأما المؤمن العاصي فإنه قد يعذب في قبره لأنه ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ مر بقبرين فقال : « إنَّهما لَيُعَذَّبَانِ ، وَما يعَذَّبَان في كَبِير ، أَمَّا أحدهما فكان لا يَسْتَتِرُ مِنْ البَوْل ، وأَمَّا الآخَرُ فكان يَمْشِي بالنَّمِيمَةِ » وهذا معروف أنهما كانا مسلمين .

٢٣٤ ــــــــ ما حكم إهداء القراءة للميت ؟

هذا الأمر يقع على وجهين :

أحدهما : أن يأتي إلى قبر الميت فيقرأ عنده ، فهذه لا يستفيد منه الميت لأن الاستماع الذي يفيد من سمعه إنما هو في حال الحياة حيث يُكتب للمستمع ما يكتب للقارىء ، وهنا الميت قد انقطع عمله كما قال

النبي ﷺ : « إذا ماتَ ابنُ آدمَ انقَطَعَ عملُه إلاّ مِن ثلاثٍ : صَدَقةٌ جاريةٌ ، أو عِلْمٌ يُنتفعُ به ، أو وَلَدٌ صالحٌ يَدْعُو له » .

والوجه الثاني : أن يقرأ الإنسان القرآن الكريم تقربا إلى الله سبحانه وتعالى ويجعل ثوابه لأخيه المسلم أو قريبه . فهذه المسألة مما اختلف فيها أهل العلم : فمنهم من يرى أن الأعمال البدنية المَحْضَة لا ينتفع بها الميت ولو أُهديت له ، لأن الأصل أن العبادات مما يتعلق بشخص العابد ، لأنها عبارة عن تذلل وقيام بما كُلّف به ، وهذا لا يكون إلا للفاعل فقط إلا ما ورد النص في انتفاع الميت به فإنه حسب ما جاء في النص يكون مخصّصا لهذا الأصل .

ومن العلماء من يرى أن ما جاءت به النصوص من وصول الثواب إلى الأموات في بعض المسائل يدل على أنه يصل إلى الميت من ثواب الأعمال الأخرى ما يهديه إلى الميت . ولكن يبقى النظر هل هذا من الأمور المشروعة أو من الأمور الجائزة يعني هل نقول إن الإنسان يطلب منه أن يتقرب إلى الله سبحانه وتعالى بقراءة القرآن الكريم ثم يجعلها لقريبه أو أخيه المسلم أو أن هذا من الأمور الجائزة التي لا يندب إلى فعلها ؟

الذي نرى أن هذا من الأمور الجائزة التي لا يندب إلى فعلها ، وإنما يندب إلى الدعاء للميت والاستغفار له وما أشبه ذلك مما نسأل الله تعالى أن ينفعه به ، وأما فعل العبادات وإهداؤها فهذا أقل ما فيه أن يكون جائزا فقط وليس من الأمور المندوبة . ولهذا لم يندب النبي ﷺ أمته إليه بل أرشدهم إلى الدعاء للميت ، فيكون الدعاء أفضل من الإهداء .

٢٣٥ سُئِلَ فضيلة الشيخ : عن حكم التلاوة لروح الميت ؟

فأجاب قائلًا : التلاوة لروح الميت يعني أن يقرأ القرآن وهو يريد أن يكون ثَوَابُهُ لميت من المسلمين هذه المسألة محل خلاف بين أهل العلم على قولين :

القول الأول : أن ذلك غير مشروع وأن الميت لا يَنتَفِعُ بِهِ أي لاينتفع بالقرآن في هذه الحال .

القول الثاني : أنه ينتفع بذلك وأنه يجوز للإنسان أن يَقْرَأَ القرآن بِنِيَّةِ أنه لفلان أو فلانة من المسلمين سواءً كان قريبًا أو غير قريب .

والراجح : القول الثاني لأنه ورد في جنس العبادات جواز صرفها للميت ، كما في حديث سعد بن عُبَادَةَ رضي الله عنه حين تصدق ببستانه لأُمِّهِ ، وكما في قصة الرجل الذي قال للنبي ﷺ إنَّ أُمِّي افْتُلِتَتْ نَفْسُهَا وَأَظُنُّهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ لَتَصَدَّقَتْ أَفَأَتَصَدَّقُ عَنْهَا ؟ قال النبي ﷺ : « نَعَم » وهذه قضايا أعيان تدل على أن صرف جنس العبادات لأحد من المسلمين جائز وهو كذلك ، ولكن أفضل من هذا أن تدعو للميت وتجعل الأعمال الصالحة لنفسك لأن النبي ﷺ قال : « إذَا مَاتَ ابْن آدَمَ انقَطَعَ عَمَلُهُ إلَّا مِن ثَلاَثٍ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَد صَالِح يَدْعُو لَهُ » ولم يَقُلْ أو ولد صالح يتلو له أو يصلي له أو يصوم له أو يتصدق عنه بل قال : —

« أَوْ وَلَد صَالِح يَدْعُو لَهُ » والسياق في سياق العمل ، فَدَلَّ ذلك على أن الأفضلَ أن يدعو الإنسان للميت لا أن يجعل له شيئًا من الأعمال الصالحة ، والإنسان محتاج إلى العمل الصالح أن يجد ثوابَهَ له مُدَّخَرًا عند اللَّه عز وجل .

أما ما يفعله بعض الناس من التلاوة للميت بعد موته بأجرة مثل أن يُحْضِرُوا قارئا للقرآن بأجرة ليكون ثوابُهُ للميت فإنه بدعة ولا يصل إلى الميت ثوابٌ ؛ لأن هذا القارىء إنما قرأ لأجل الدنيا ومن أتى بعبادة من أجل الدنيا فإنه لاحَظٌّ له منها في الآخرة كما قال اللَّه تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[1] .

وإني بهذه المناسبة أوجه نصيحة لإخواني الذين يعتادون مثل هذا العمل أن يحفظوا أموالهم لأنفسهم أو لورثة الميت وأن يعلموا أن هذا العمل بدعة في ذاته وأن الميت لا يصل إليه ثوابه وحين إذن يكون أكلًا للأموال بالباطل ولم ينتفع الميت بذلك .

---

(١) هود : ١٥ -١٦ .

٢٣٦ هل ترد أرواح الموتى إليهم يومي الاثنين والخميس ليردّوا السلام على الزوّار ؟

هذا لا أصل له ، وزيارة المقابر مشروعة كل وقت لقول النبي عليه الصلاة والسلام : « زُورُوا القبورَ فإنَّها تُذَكِّرُكم الآخرة » . وينبغي للزائر أن يفعل ما كان يفعله النبي ﷺ من السلام عليهم دون القراءة فقد كان مما يقوله عليه الصلاة والسلام : « السلام عليكم دار قوم مؤمنين أنتم السابقون وإنا إن شاء الله بكم للاحقون يرحم الله المستقدمين منكم والمستأخرين ، نسأل اللهَ لنا ولكم العافية ، اللهم لا تَحْرِمْنا أجرَهم ، ولا تفتنا بعدهم ، واغفر لنا ولهم » . ولا تنبغي القراءة على القبر لأن ذلك لم يرد عن النبي ﷺ وما لم يرد عنه فإنه لا ينبغي للمؤمن أن يعمله .

واعلم أن المقصود بالزيارة أمران :

أحدهما : انتفاع الزائر بتذكر الآخرة والاعتبار والاتعاظ ، فإن هؤلاء القوم الذين هم الآن في بطن الأرض كانوا بالأمس على ظهرها وسيجرى لهذا الزائر ما جرى لهم فيعتبر ، ويغتنم الأوقات والفرص ويعمل لهذا اليوم الذي سيكون في هذا المثوى الذي كان عليه هؤلاء .

وثانيهما : الدعاء لأهل القبور بما كان الرسول ﷺ يدعو به من السلام وسؤال الرحمة ، وأما أن يسأل الأموات ويتوسل بهم فإن هذامحرّم ومن الشرك ، ولا فرق في هذا بين قبر النبي ﷺ وقبر غيره ، فإنه

لا يجوز أن يتوسل أحد بقبر النبي عليه الصلاة والسلام ، أو بالنبي ﷺ بعد موته ، فإن هذا من الشرك لأنه لو كان هذا حقا لكان أسبق الناس إليه الصحابة رضي الله عنهم ، ومع ذلك فإنهم لا يتوسلون به بعد موته ، فقد استسقى عمر رضي الله عنه ذات يوم فقال :«اللهمّ إنّا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا». ثم قام العباس رضي الله عنه فدعا . وهذا دليل على أنه لا يتوسل بالميت مهما كانت درجته ومنزلته عند الله تعالى وإنما يتوسل بدعاء الحي الذي ترجى إجابة دعوته لصلاحه واستقامته في دين الله عز وجل ، فإذا كان الرجل ممن عرف بالدين والاستقامة وتوسل بدعائه فإن هذا لا بأس به كما فعل أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه ، وأما الأموات فلا يتوسل بهم أبدا ، ودعاؤهم شرك أكبر مخرج عن الملة قال الله تعالى : ﴿ **وقال رَبُّكم ادْعُوني أَسْتَجِبْ لكم إنّ الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴾[1] .

٢٣٧ وسئل الشيخ : ما المراد بقول النبي ﷺ « لاَتَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبورًا » ؟

فأجاب بقوله : اختلف في المعنى المراد بقول النبي ﷺ « لاَتَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبورًا » على قولين : –

---

(١) غافر ٦٠

القول الأول : أن المعنى لا تَدْفِنُوا فيها موتَاكُم وهذا ظاهر اللفظ ، ولكنه أورد على ذلك دفن النبي ﷺ في بيته . وأجيب بأنه من خصائصه .

القول الثاني : أن المعنى لاتجعلوا البيوت مثل المقابر لا تُصَلُّونَ فيها ؛ لأنه من المتقرر عندهم أن المقابر لا يُصَلَّى فيها ويؤيده ما جاء في بعض الطُّرُقِ « اجْعَلُوا مِن صَلاَتِكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ ، وَلاَ تَجْعَلُوهَا قُبُورًا » .

وكِلاَ المَعْنَيَيْنِ صحيح فإن الدفن في البيوت وسيلة إلى الشرك ، ولأن العادة المتبعة من عهد النبي ﷺ إلى يومنا أن الدفن مع المسلمين ، ولأنه يضيق على الورثة وربما يستوحشون منه ، وقد يحدث عنده من الأفعال المحرمة ما يتنافى مع مقصود الشارع وهو تذكير الآخرة .

وفي هذا الحديث دليل على أن المقابر ليست محلًا للصلاة ؛ لأن اتخاذ المقابر مكانًا للصلاة سبب للشرك .

والحديث يدل أيضًا على أن الأفضل أن المرء يجعل من صلاته في بيته ، وذلك جميع النوافل لقوله ﷺ « أَفْضَلُ صَلاَةِ الْمَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الْمَكْتُوبَةَ » إلا ما ورد الشرع أن يفعل في المسجد مثل صلاة الكسوف ، وقيام الليل في رمضان ، حتى ولو كنت في مكة أو المدينة فإن صلاة النافلة في بيتك أفضل لعموم الحديث ، ولأن النبي ﷺ قال ذلك وهو في المدينة .

٢٣٨ ــــــــ سئل فضيلة الشيخ : هل استجاب الله دعوة نبيه ﷺ بأن لا يَجْعَلَ قبره وَثَنًا يُعْبَدُ أم اقتضت حكمَتُه غير ذلك ؟

فأجاب : يقول ابن القَيِّم : إن اللّٰه استجاب له فلم يذكر أن قبره ﷺ جُعِلَ وثنًا ، بل أنه حمى قبره بثلاثة جدران فلا أحد يصل إليه حتى يجعله وثنًا يعبد من دون اللّٰه ، ولم نسمع في التاريخ أنه جُعِلَ وثنًا .

صحيح أنه يوجد أناس يغلون فيه ، ولكن لم يصلوا إلى جعل قبره وثنًا . ولكن قد يعبدون الرسول ﷺ ولو في مكان بعيد .

٢٣٩ ــــــــ سئل الشيخ : عن حكم إسراج المقابر ؟

فأجاب قائلًا : المقبرة التي لايحتاج الناس إليها كما لو كانت المقبرة واسعة ، وفيها موضع قد انتهى الناس من الدفن فلا حاجة إلى إسراجه ، أما الموضع الذي يُقْبَرُ فيه فَيُسْرَجُ ما حوله فقد يقال بجوازه لأنها لاتسرج إلا بالليل فليس في ذلك مايدل على تعظيم القبر بل اتخذت للحاجة . ولكن الذي نرى المنع مطلقًا للأسباب الآتية : -

السبب الأول : - أنه ليس هناك ضرورة .

السبب الثاني : – أن الناس إذا وجدوا ضرورة لذلك فيمكنهم أن يحملوا سراجًا معهم .

السبب الثالث : – أنه إذا فتح هذا الباب فإن الشَّرَّ سَيَتَّسِعُ في قلوب الناس ولا يمكن ضَبْطُهُ فيما بعد .

أما إذا كان في المقبرة حجرةٌ يوضع فيها اللبن ونحوه ، فلا بأس بإضائتها لأنها بعيدة عن القبور ، والإضاءة داخله لا تشاهد .

٢٤٠ ــــــ سئل الشيخ كيف نُجيبُ عُبَّادَ القبور الذي يَحْتَجُّونَ بدفن النبي ﷺ في المسجد النبوي ؟

فأجاب بقوله : الجواب عن ذلك من وجوه :

الوجه الأول : أن المسجد لم يُبْنَ على القبر بل بُنِيَ في حياة النبي ﷺ .

الوجه الثاني : أن النبي ﷺ لم يُدْفَنْ في المسجد حتى يقال إن هذا مِن دَفْنِ الصالحين في المسجد ؛ بل دُفِنَ ﷺ في بيته .

الوجه الثالث : أن إدخال بيوت الرسول ﷺ ومنها بيت عائشة مع المسجد ليس باتفاق الصحابة ، بل بعد أن انقرض أكثرهم ، وذلك في عام أربعة وتسعين هجرية تقريبًا ، فليس مما أجازه الصحابة ؛ بل أن بعضهم خالف في ذلك وممن خالف أيضًا سعيد بن المسيب .

الوجه الرابع :أن القبر ليس في المسجد حتى بعد إدخاله ، لأنه في حجرة مستقلة عن المسجد مَبْنِيًّاعليه ، ولهذا جُعِلَ هذا المكانُ محفوظًا ومحوطًا بثلاثة جدران ، وجُعِلَ الجِدَارُ في زاوية منحرفة عن القبلة أي أنه مُثَلَّثٌ ، والركن في الزاوية الشمالية حيث لا يستقبله الإنسان إذا صلى لأنه مُنْحَرِفٌ ، وبهذا يَبْطُلُ احتجاج أهل القبور بهذه الشبهة .

٢٤١ ـــــــ هل يَشْرُعُ للإنسان أن يقول « اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي لِقَبْرِ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنَ الزَّائِرِينَ » أو يقول : « لِمَسْجِدِ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنَ الزَّائِرِينَ » ؟

فأجاب قائلًا : المشروع أن يقول لمسجده ﷺ من الزائرين ؛ لأن مسجده هو الذي تُشَدُّ إليه الرِّحَالُ وليس قبره ، قال النبي ﷺ : - « لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثلاثة مَسَاجِدَ الْحَرَامِ ، وَمَسْجِدِي هَذَا والمسجد الأقصى » .

وها هنا نقطة أحب أن أُنَبِّهَ عليها وهي : أن كثيرًا من الناس يتشوقون إلى زيارة قبر النبي ﷺ أكثر مما يتشوقون إلى زيارة مسجده ، بل أكثر مما يتشوقون إلى زيارة الكعبة ، بيتِ اللَّهِ عز وجل ، وهذا من الضلال البَيِّنِ ، فإن حق النبي عليه الصلاة والسلام ولايشك أحد أنه دون حق اللَّه تعالى ، فالرسول عليه الصلاة والسلام بَشَرٌ مُرْسَلٌ من عند الله ، ولولا أن اللَّه اجتنباه برسالته ، لم يكن له من الحق هذا الحق

الذي يَفُوقُ حقَّ كُلِّ بشر ، أما أن يكون مساويًا لحقِّ اللَّهِ عز وجل ، أو يكون في قلب الإنسان مَحَبَّةٌ لرسول اللَّه ﷺ تزيد على محبة اللَّه ، فإن هذا خطأ عظيم ، فمحبة الرسول ﷺ تَابِعَةٌ لمحبة اللَّه ، وتعظيمنا له ﷺ تابعٌ لتعظيم اللَّه عز وجل ، وهو دون تعظيم اللَّه تعالى ، ولهذا نهى النبي ﷺ أن نَغْلُوا فيه وأن نجعل له حقًّا مساويًا لحقِّ اللَّه عز وجل ، فقد قال له رجل مرة : مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ . فقال النبي ﷺ : « أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ » .

والخلاصة : أنه يجب على الإنسان أن يكون تعظيمُ اللَّه تعالى ومحبتُه في قلبه أعظمَ من محبةِ وتعظيمِ كُلِّ أَحَدٍ ، وأن تكون محبة النبي ﷺ وتعظيمه في قلبه أعظم من محبة وتعظيم كل مخلوق ، وأما أن يسواي بين حق الرسول ﷺ وحق اللَّه تعالى فيما يختص اللَّه به فهذا خطأ عظيم .

٢٤٢ ـــــ سئل فضيلة الشيخ : عن رجل بَنَى مسجدًا وأَوْصَى أن يُدْفَنَ فيه فَدُفِنَ فما العمل الآن ؟

فأجاب : هذه الوصية أعني الوصية أن يدفن في المسجد غير صحيحة ، لأن المساجد ليست مقابر ، ولا يجوز الدفن في المسجد ، وتنفيذا هذه الوصية محرم ، والواجب الآن نَبْشُ هذا القبر وإخراجه إلى مقابر المسلمين .

٢٤٣ وسئل فضيلته : عن رجل تُوُفِّي وبعد مدة رآه رجل في المنام وطلب منه أن يخرجه من القبر ويَبْنِي له مقامًا ففعل فما حكم هذا أفتونا مغفورًا لكم ؟

فأجاب قائلًا : الحكم في هذا أنه فعل محرم ، وأن المَرائِي التي تُرَى في المنام إذا كانت مخالفة للشرع فإنها باطلة ، وهي من ضرب الأمثلة التي يضربها الشيطان ومن وحي الشيطان فلا يجوز تنفيذها أبدًا ، لأن الأحكام الشرعية لا تتغير بالمَنَامَاتِ ، والواجب عليهم الآن أن يهدموا هذا المقام الذي بَنَوهُ له وأن يردوه إلى مقابر المسلمين .

ونصيحتي لهؤلاء وأمثالهم أن يعرضوا كل ما رَأَوْهُ في المنام على الكتاب والسنة ، فما خالف الكتاب والسنة فَمُطَّرَح مَرْدُوُد ولا عِبْرَةَ بِهِ ، ولا يجوز للإنسان أن يعتمد في أمور دينه على هذه المرائي الكاذبة ؛ لأن الشيطان أقسم بعزة الله عز وجل أن يُغْوِيَ بني آدم إلا عباد الله المخلصين ، فمن كان مخلصًا لله ومخلصًا له ، متبعًا لدينه مبتغيًا لدينه فإنه يسلم من إغواء الشيطان وشره ، وأما من كان على خلاف ذلك فإن الشيطان يتلاعب به في عبادته ، وفي اعتقاداته وفي أفكاره ، وفي أعماله ، فليحذره يقول الله عز وجل : ﴿ **إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ** ﴾[1] .

(١) فاطر : ٦ .

۲٤٤ ــــــ سئل فضيلة الشيخ : عن مقبرة قديمة أصبحت طريقًا للناس والبهائم كيف يُعْمَلُ بها ؟

فأجاب بقوله : أود أن أُبيِّنَ بهذه المناسبة : أن لأصحاب القبور حقوقًا لأنهم مسلمون ، ولهذا نهى النبي ﷺ أن يُوطَأَ على القبر وأن يُجْلَسَ عليه وقال : « لأن يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ فَتحْرِقَ ثِيَابَهُ فَتَمْضِيَ إِلَى جِلْدِهِ خيرٌ لَهُ مِنْ أَن يُجْلِسَ عَلَى الْقَبْرِ » وكما نهى النبي ﷺ عن امْتِهَانِ القبور فإنه نهى أيضًا عن تعظيمها بما يفضي إلى الغلو والشرك ، فنهى أن يُجَصَّصَ القبرُ وأن يُبْنَى عليه ، وأن يُكْتَبَ عليه .

وهذه القضية التي ذكرت في السؤال المقبرة القديمة التي أصبحت ممرًا وطريقًا للمشاة والسيارات ومَرْعَى للبهائم يجب عليهم أن يرفعوا أمرها إلى ولاة الأمور لاتخاذ اللازم في حمايتها وصيانتها وفتح طرق حولها يعبر الناس منها إلى الجهات الأخرى .

٢٤٥ ــــــ وسئل غفر الله له : عن رجل حَفَرَ لتأسيسِ بيتهِ فوجد عظامًا فأخرجها فما حكم عَمَلِهِ هذا ؟

فأجاب قائلًا : إذا تَيَقَّنَ أو غلب على ظَنِّهِ أنها عظام موتى مسلمين فإنه لا يجوز نقلُ العظام ، وأصحاب القبور أَحَقُّ بالأرض منه لأنهم لَمَّا دُفِنُوا فيها مَلَكُوهَا ، ولا يحل له أن يبني بيته على قبور المسلمين ، ويجب

عليه إذا تيقن أن هذا المكان فيه قبور أن يزيل البناء ، وأن يَدَعَ القبور لا بناء عليها . وفي مثل هذه الحال الواجب مراجعة ولاة الأمور .

٢٤٦ ـــــــ وسئل الشيخ : ما المراد بالقبر هل هو مدفن الميت أو البَرْزَخُ ؟

فأجاب : أصل القبر مدفن الميت قال الله تعالى : ﴿ **ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ** ﴾[١] . قال ابن عباس : أي أكرمه بدفنه . وقد يراد به البرزخ الذي بين موت الإنسان وقيام الساعة وإن لم يدفن كما قال الله تعالى : ﴿ **وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴾[٢] يعني من وراء الذين ماتوا ؛ لأن أول الآية يدل على هذا ﴿ **حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ . لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كلمةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴾[٣] .

ولكن هذا الداعي إذا دعى « أَعُوذُ بِاللَّهِ مِن عَذَابِ الْقَبْرِ » يريد من عذاب مدفن الموتى ، أو من عذاب البرزخ الذي بين موته وبين قيام الساعة ؟

الجواب : يريد الثاني لأن الإنسان في الحقيقة لا يدري هل يموت ويدفن أو يموت وتأكله السباع ، أو يحترق ويكون رمادًا ما يدري ﴿ **وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ** ﴾[٤] فاستحضر أنك إذا قلت

---

(١) عبس : ٢١ .
(٢) المؤمنون : ١٠٠ .
(٣) المؤمنون : ١٠٠
(٤) لقمان : ٣٤ .

من عذاب القبر أي من العذاب الذي يكون للإنسان بعد موته إلى قيام الساعة .

٢٤٧ وسئل هل عذاب القبر ثابت ؟

فأجاب بقوله : عذاب القبر ثابت بصريح السنة وظاهر القرآن وإجماع المسلمين هذه ثلاثة أدلة :

أما صريح السنة فقد قال النبي عليه الصلاة والسلام : « تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ » .

وأما إجماع المسلمين فلأن جميع المسلمين يقولون في صلاتهم « أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ عَذَابِ جَهَنَّمَ ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ » حتى العَامَّة الذين ليسوا من أهل الإجماع ولا من العلماء .

وأما ظاهر القرآن فمثل قوله تعالى في آل فرعون : ﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** ﴾[1] .

قال : ﴿ **النَّارُ يُعْرَضُون عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا** ﴾ ثم قال : ﴿ **وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** ﴾ ولا شك أن عرضهم على النار ليس من أجل أن يتفرجوا عليها ، بل من أجل من أن يصيبهم من عذابها ، وقال تعالى : ﴿ **وَلَو تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوتِ والملائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ أخرِجُوا أنفسكم** ﴾[2] الله أكبر إنهم لشحيحون

---

(١) غافر : ٤٦ .

(٢) الأنعام : ٩٣ .

بأنفسهم ما يريدون أن تخرج : ﴿ الْيَوْمَ تُجزَونَ عَذَابَ الْهونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾[1] . فقال : ﴿ الْيَوْمَ ﴾ وَ « أل » هنا للعهد الحضوري اليوم يعني اليوم الحاضر الذي هو يوم وفاتهم ﴿ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ .

إذن فعذاب القبر ثابت بصريح السنة ، وظاهر القرآن ، وإجماع المسلمين ، وهذا الظاهر من القرآن يكاد يكون كالصريح لأن الآيتين اللتين ذكرناهما كالصريح في ذلك .

٢٤٨ وسئل الشيخ : هل عذاب القبر على البدن أو على الروح ؟

فأجاب بقوله : الأصل أنه على الروح لأن الحكم بعد الموت للروح ، والبدن جثة هامدة ، ولهذا لا يحتاج البدن إلى إمداد لبقائه فلا يأكل ولا يشرب ، بل تأكله الهوام ، والأصل أنه على الروح لكن قال شيخ الإسلام ابن تيمية إن الروح قد تتصل بالبدن فيعذب أو ينعم معها ، وأن لأهل السنة قولاً آخر بأن العذاب أو النعيم يكون للبدن دون الروح واعتمدوا في ذلك على أن هذا قد رؤي حسًا في القبر فقد فتحت بعض القبور ورؤي أثر العذاب على الجسم ، وفتحت بعض القبور ورؤي أثر النعيم على الجسم .

---

(١) الأنعام : ٩٣

وقد حدثني بعض الناس أنهم في هذا البلد هنا في عنيزة كانوا يحفرون لسور البلد الخارجي فمروا على قبر فانفتح اللحد فوجد فيه ميتًا قد أكلت كَفَنَهُ الأرضُ وبقي جسمه يابسًا لكن لم تأكل منه شيئًا حتى إنهم قالوا إنهم رأوا لحيته وفيها الحنا وفاح عليهم رائحة كأطيب ما يكون من المسك فتوقفوا وذهبوا إلى الشيخ وسألوه فقال دعوه على ما هو عليه واجنبوا عنه ، واحفروا من يمين أو من يسار .

فبناء على ذلك قال العلماء إن الروح قد تتصل في البدن فيكون العذاب على هذا وهذا ، وربما يستأنس لذلك بالحديث الذي قال فيه رسول الله ﷺ : « إِنَّ القَبْرَ لَيَضِيِّقُ عَلَى الْكَافِرِ حَتَّى تَخْتَلِفَ أَضْلاَعُهُ » فهذا يدل على أن العذاب يكون على الجسم لأن الأضلاع في الجسم والله أعلم .

٢٤٩ ـــــــ وسئل الشيخ : إذا لم يدفن الميت فأكلته السباع أو ذرته الرياح فهل يُعَذَّبُ عذاب القبر ؟

فأجاب قائلا : نعم ويكون العذاب على الروح لأن الجسد قد زال وتلف وفني وإن كان هذا أمرًا غيبيًا لا أستطيع أن أجزم بأن البدن لا يناله من هذا العذاب ولو كان قد فني واحترق لأن الأمر الأخروي لا يستطيع الإنسان أن يقيسه على المشاهد في الدنيا .

٢٥٠ سئل الشيخ : كيف نجيب من ينكر عذاب القبر ويحتج بأنه لو كشف القبر لوجد لم يتغير ولم يَضِقْ ولم يتسع ؟

فأجاب حفظه الله بقوله : يجاب من أنكر عذاب القبر بحجة أنه لو كشف القبر لوجد أنه لم يتغير بعدة أجوبة منها :

أولًا : أن عذاب القبر ثابت بالشرع قال الله تعالى في آل فرعون ﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** ﴾[1] وقوله ﷺ : « فلولا أن لا تدافنوا لَدَعَوْتُ الله أَن يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ ثُمَّ أَقْبَلَ بِوَجْهِهِ فَقَالَ : تَعَوَّذُوا بِالله مِنْ عَذَابِ النَّارِ ، قَالُوا : نَعُوذُ بِالله مِنْ عَذَابِ النَّارِ ، فَقَالَ : تَعَوَّذُوا بِالله مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ، قَالُوا : نَعُوذُ بِالله مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ » وقول النبي ﷺ في المؤمن : « وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ » إلى غير ذلك من النصوص فلا يجوز معارضة هذه النصوص بوهم من القول بل الواجب التصديق والإذعان .

ثانيًا : أن عذاب القبر على الروح في الأصل ، وليس أمرًا محسوسًا على البدن فلو كان أمرًا محسوسًا على البدن لم يكن من الإيمان بالغيب ولم يكن للإيمان به فائدة لكنه من أمور الغيب ، وأحوال البرزخ لا تقاس بأحوال الدنيا .

---

(١) غافر : ٤٦ .

ثالثًا : أن العذاب والنعيم وسعة القبر وضيقه ، إنما يدركه الميت دون غيره والإنسان قد يرى في المنام هو نائم على فراشه أنه قائم وذاهب وراجع ، وضارب ومضروب ، ويرى أنه في مكان ضيق موحش ، أو في مكان واسع بهيج ، والذي حوله لا يرى ذلك ولا يشعر به .

والواجب على الإنسان في مثل هذه الأمور أن يقول سمعنا وأطعنا ، وآمنا وصدقنا .

٢٥١ وسئل هل عذاب القبر دائم أو منقطع ؟

فأجاب بقوله : أما إن كان الإنسان كافرًا والعياذ بالله فإنه لا طريق إلى وصول النعيم إليه أبدًا ويكون عذاب مستمرًا .

وأما إن كان عاصيًا وهو مؤمن ، فإنه إذا عُذِّبَ في قبره يُعَذَّبُ بقدر ذنوبه وربما يكون عذاب ذنوبه أقل من البرزخ الذي بين موته وقيام الساعة وحينئذٍ يكون منقطعًا .

٢٥٢ وسئل الشيخ : هل يُخَفَّفُ عَذَابُ القبر عن المؤمن العاصي ؟

فأجاب قائلًا : نعم قد يخفف لأن النبي ﷺ مَرَّ بقبرين فقال : « إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَان وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ ... بَلَى إِنَّهُ كَبِيرٌ أَمَا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لاَ يَسْتَبْرِءُ » أو قال : « لاَ يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ » ثم أخذ جريدة رطبة فشقها نصفين فغرز في كل قبر واحدة

وقال « لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا » وهذا دليل على أنه قد يخفف العذاب ، ولكن ما مناسبة هاتين الجريدتين لتخفيف العذاب عن هذين المُعَذَّبَيْنِ ؟

(١) **قيل** : لأنهما أي الجريدتين تسبحان ما لم ييبسا ، والتسبيح يخفف من العذاب على الميت ، وقد فَرَّعُوا على هذه العلة المستنبطة – التي قد تكون مستبعدة أنه يُسَنُّ للإنسان أن يذهب إلى القبور ويسبح عندها من أجل أن يخفف عنها .

(٢) **وقال بعض العلماء** : هذا التعليل ضعيف لأن الجريدتين تُسبحان سواء كانتا رطبتين أم يابستين لقوله تعالى : **﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾**[1] وقد سُمع تسبيح الحصى بين يدي رسول الله ﷺ مع أن الحصى يابس ، إذن ما العلة ؟

العلة : أن الرسول ﷺ ترجى من الله عز وجل أن يخفف عنهما من العذاب ما دامت هاتان الجريدتان رطبتين ، يعني أن المدة ليست طويلة وذلك من أجل التحذير عن فعلهما ، لأن فعلهما كبير كما جاء في الرواية « بَلَى إِنَّهُ كَبِيرٌ » أحدهما لا يستبرىء من البول ، وإذا لم يستبرء من البول صلى بغير طهارة ، والآخر يمشي بالنميمة يفسد بين عباد الله والعياذ بالله ويلقي بينهم العداوة والبغضاء ، فالأمر كبير ، **وهذا هو الأقرب أنها شفاعة مؤقتة تحذيرًا للأمة لا بخلًا من الرسول ﷺ بالشفاعة الدائمة .**

---

(١) الإسراء : ٤٤ .

ونقول استطرادًا : إن بعض العلماء – عفا الله عنهم – قالوا : يسن أن يضع الإنسان جريدة رطبة ، أو شجرة ، أو نحوها على القبر ليخفف عنه ، لكن هذا الاستنباط بعيد جدًا ولا يجوز أن نصنع ذلك لأمور :

أولًا : أننا لم يكشف لنا أن هذا الرجل يعذب بخلاف النبي ﷺ .

ثانيًا : أننا إذا فعلنا ذلك فقد أسأنا إلى الميت ، لأننا ظننا به ظن سوء أنه يعذب وما يدرينا فلعله يُنَعَّم ، لعل هذا الميت ممن منَّ الله عليه بالمغفرة قبل موته لوجود سبب من أسباب المغفرة الكثيرة فمات وقد عفا رب العباد عنه ، وحينئذ لا يستحق عذابًا .

ثالثا : أن هذا الاستنباط مخالف لما كان عليه السلف الصالح الذين هم أعلم الناس بشريعة الله فما فعل هذا أحد من الصحابة رضي الله عنهم فما بالنا نحن نفعله .

رابعًا : أن الله تعالى قد فتح لنا ما هو خير منه فكان النبي – عليه الصلاة والسلام – إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال : « اسْتَغْفِرُوا لأَخِيكُمْ وَاسْأَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ فَإِنَّهُ الآنَ يسْأَلُ » .

٢٥٣ وسئل : هل عذاب القبر من أمور الغيب ، أو من أمور الشهادة ؟

فأجاب قائلاً : عذاب القبر من أمور الغيب ، وكم من إنسان في هذه المقابر يعذب ونحن لا نشعر به ، وكم جار له مُنَعَّمٌ مفتوح له باب إلى الجنة ونحن لا نشعر به ، فما تحت القبور لا يعلمه إلا علام الغيوب ،

فشأن عذاب القبر من أمور الغيب ، ولولا الوحي الذي جاء به النبي عليه الصلاة والسلام ما علمنا عنه شيئًا ولهذا لما دخلت امرأة يهودية إلى عائشة وأخبرتها أن الميت يعذب في قبره فزعت حتى جاء النبي ﷺ وأخبرته وأقر ذلك عليه الصلاة والسلام ، ولكن قد يُطْلِعُ الله تعالى عليه من شاء من عباده ، مثل ما أطلع نبيه ﷺ على الرجلين اللذين يعذبان أحدهما يمشي بالنميمة ، والآخر لا يستنزه من البول .

والحكمة من جعله من أمور الغيب هو :

أولًا : أن الله سبحانه وتعالى أرحم الراحمين فلو كنا نطلع على عذاب القبور لتنكد عيشنا لأن الإنسان إذا اطلع على أن أباه أو أخاه أو ابنه أو زوجه أو قريبه يعذب في القبر ولا يستطيع فِكَاكَهُ فإنه يقلق ولا يستريح وهذه من نعمة الله سبحانه .

ثانيًا : أنه فضيحة للميت فلو كان هذا الميت قد ستر الله عليه ولم نعلم عن ذنوبه بينه وبين ربه عز وجل ثم مات وأطلعنا الله على عذابه صار في ذلك فضيحة عظيمة له ، ففى ستره رحمة من الله بالميت .

ثالثًا : أنه قد يصعب على الإنسان دفن الميت كما جاء عن النبي عليه الصلاة والسلام : « لَوْلاَ أَلَّا تَدَفَنُوا لَسَأَلْتُ الله أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ » ، ففيه أن الدفن ربما يصعب ويشق ولا ينقاد الناس لذلك وإن كان من يستحق عذاب القبر عُذِّبَ ولو على سطح الأرض لكن قد يتوهم الناس أن العذاب لا يكون إلا في حال الدفن فلا يدفن بعضهم بعضا .

رابعا : أنه لو كان ظاهرا لم يكن للإيمان فيه مزيةٌ لأنه يكون مشاهدًا لا يمكن إنكاره ثم إنه قد يحمل الناس على أن يؤمنوا كلهم لقوله تعالى : ﴿ **فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللهِ وَحْدَهُ** ﴾[1] فإذا رأى الناس هؤلاء المدفونين وسمعوهم يتصارخون لآمنوا وما كفر أحد لأنه أيقن بالعذاب ، ورآه رأى العين فكأنه نزل به ، وحِكَمُ الله سبحانه وتعالى عظيمة ، والإنسان المؤمن حقيقة هو الذي يجزم بخبر الله أكثر مما يجزم بما شاهده بعينه ؛ لأن خبر الله عز وجل لا يتطرق إليه احتمال الوهم ولا الكذب ، وما تراه بعينك يمكن أن تتوهم فيه ، فكم من إنسان شهد أنه رأى الهلال ، وإذا هي نجمة ، وكم من إنسان شهد أنه رأى الهلال وإذا هي شعرة بيضاء على حاجبه وهذا وهم ، وكم من إنسان يرى شبحًا ويقول هذا إنسان مقبل وإذا هو جذع نخلة ، وكم من إنسان يرى الساكن متحركًا والمتحرك ساكنًا ، لكن خبر الله لا يتطرق إليه الاحتمال أبدًا نسأل الله لنا ولكم الثبات ، فخبر الله بهذه الأمور أقوى من المشاهدة مع ما في الستر من المصالح العظيمة للخلق .

٢٥٤ ـــ وسئل : هل سؤال الميت في قبره حقيقي وأنه يجلس في قبره ويُنَاقَشُ أو أنه خيال ؟

فأجاب بقوله : سؤال الميت في قبره حقيقي بلاشك والإنسان في قبره يجلس ويُنَاقَشُ ويُسأل .

---

(١) غافر : ٨٤ .

فإن قال قائل : إن القبر ضيق فكيف يجلس ؟ ! فالجواب :

أولًا : أن الواجب على المؤمن في الأمور الغيبية أن يقبل ويصدق ، ولا يسأل كيف ؟ ولم ؟ لأنه لا يسأل عن كيف ولِمَ إلا من شك ، وأما من آمن وانشرح صدره لأخبار الله ورسوله فيسلم ويقول الله أعلم في كيفية ذلك .

ثانيًا : أن تعلق الروح بالبدن في الموت ليس كتعلقها به في حال اليقظة ، فللروح مع البدن شئون عظيمة لا يدركها الإنسان ، وتعلقها بالبدن بعد الموت لا يمكن أن يقاس بتعلقها به في حال الحياة ، وهاهو الإنسان في منامه يرى أنه ذهب ، وجاء ، وسافر ، وكلم أُناسًا ، والتقى بأناس أحياء وأموات ، ويرى أنه له بستانًا جميلًا ، أو دارًا موحشة مظلمة ، ويرى أنه راكب على سيارة مريحة ويرى مرة أنه راكب على سيارة مقلقة كل هذا يمكن مع أن الإنسان على فراشه ما تغير حتى الغطاء الذي عليه لم يتغير ومع ذلك فإننا نحس بهذا إحساسًا ظاهرًا فتعلق الروح بالبدن بعد الموت يخالف تعلقها به في اليقظة أو في المنام ولها شأن آخر لا ندركه نحن ، فالإنسان يمكن أن يجلس في قبره ويسأل ولو كان القبر محدودًا ضيقًا .

هكذا صح عن النبي ﷺ فمنه البلاغ ، وعلينا التصديق والإذعان قال الله تعالى : ﴿ **فَلا وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾[1]

---

(١) النساء : ٦٥ .

٢٥٥ عندنا عدد من المساجد بأسماء الأنبياء مثل جامع النبي يونس وغيرها من الجوامع ويوجد داخل المسجد مرقد ذلك النبي ويذهب الناس ويصلون في داخل هذه المساجد وفي الحديث ما معناه «لَعَنَ الله اليَهُودَ اتَّخذُواْ قُبُورَ أنْبِيائِهِم مَسَاجِدَ» ما حكم عملهم هذا ؟

تسمية المساجد بأسماء الأنبياء لا ينبغي لأن هذا إنما يتخذ على سبيل التّقرب إلى الله عزّ وجلّ أو التّبرك بأسماء الأنبياء ، والتقرب إلى الله بما لم يَشْرعه والتّبرك بما لم يجعله الله سببًا للبركة لا ينبغي ، بل هو نوع من البِدع وأما كون قُبور الأنبياء في هذه المساجد فإنه كذب لا أصل له فلا يعلم قبر أحد من الأنبياء سوى قبر النبي ﷺ .

وقبور الأنبياء كلها مجهولة فمن زعم أن مسجد النبي يونس كان مرقد يونس أو كان قبر يونس فإنه قد قال قولًا بلا علم ، وكذلك بقيّة المساجد أو الأماكن التي يقال عنها أن فيها شيئًا من قبور الأنبياء فإن هذا قول بلا علم وأما صِحّة الصلاة في المساجد التي بنيت على القبور فإن كان القبر سابقًا على المسجد بأن بني المسجد على القبر فإن الصلاة لا تصح ويجوز هدم المسجد لأن النبي ﷺ قال «قَاتَلَ الله اليَهُودَ

والنَّصارَى ، اتَّخَذُواْ قُبُورَ أَنْبِيائِهِم مَسَاجِدَ ، يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا» وأما إذا كان المسجد سابقًا على القبر بأن كان المسجد قائمًا مبنيًا ثم دفن فيه أحد فإنَّه يجب أن ينبش القبر وأن يدفن فيما يدفن فيه الناس .

والصلاة في هذا المسجد السابق على القبر صحيحة إلا إذا كان القبر تجاه المصلين فإن الصلاة إلى القبور لا تصح – كما في صحيح مسلم من حديث أبي مرثد الغنوي – أن النبي ﷺ قال : «لا تَجْلِسُواْ عَلَى القُبُورِ ولا تُصَلُّواْ إلَيْهَا» .

٢٥٦ ـــــــــــــ هل استطيع أن أزور قبر ابني حيث أنه مات وقد سمعت من بعض النَّاس أنَّهم يقولون إنَّ الوالدة إذا ذهبت إلى القبر قبل طلوع الشمس ولم تَبْك وقَرأت سورة الفاتحة يمكن لولدها أنْ يراها بحيث تكون المسافة بينهما مثل ثُقُوب المَنْخُل وإذا بَكَتْ عليه حُجبتْ عنه ما صِحَّة هذا وما حكم زيارة النِّساء للقُبور ؟

هذا الَّذي ذكرت من عمل المرأة إذا زارت قبر ابنها يوم الجمعة قبل طلوع الشَّمس وقرأت الفاتحة ولم تَبْكِ فإنه يُكْشَفُ لها عنه حتى تراه

كأنما تراه من خلال المَنْخُل . . نقول إن هذا القول ليس بصحيح وهو قول باطلٌ لا يُعَوَّل عليه .

وأما حكم زيارة النِّساء للقبور فقد اختلف العلماء فيه : فمنهم من كَرِّهها ، ومنهم من أبَاحَها إذا لم تشتمل على مَحْظُور ومنهم من حرَّمها والصحيح الرَّاجح عندي من أقوال أهل العلم أن زيارة النِّساء للقبور حَرَام لأن النَّبي ﷺ «لَعَنَ زَائِرَاتِ القُبُور والمُتَّخِذين عَلَيْهَا المسَاجِدَ والسُرج» ، واللعن لا يكون على فِعل مباحٍ ، ولا يكون على فِعْل مَكْروهٍ بل يكون اللّعن على فِعْلٍ محرم ، بل إنَّ القاعدة المعروفة عند أهل العلم تقتضي أنْ تكون زيارة النِّساء للقبور من كبائر الذُّنوب لأنَّه ترتب عليها اللَّعنة ، والذَّنب إذا رُتِّبت عليه اللَّعنة صار من كبائر الذُّنوب كما هو الأصل عند كثير من أهْل العلم أو أكثرهم ، وعلى هذا فإن نَصِيحَتي لهذه المرأة التي توفِّي ولدها أنْ تُكْثِر من الاستغفار والدُّعاء له في بيتها وإذا قَبِل الله تعالى ذلك منها فإنَّه ينتفع الولد وإن لم تَكُنْ عند قبره .

٢٥٧ ـــــــــــ ما حكم الدين في بناء المقابر بالطوب والأسمنت فوق ظهر الأرض ؟

أولًا أنا أكره أن يوجه للشَّخص مِثْل هذا السؤال بأن يُقال : ما حكم الدين ما حكم الإسلام وما أشبه ذلك لأن الواحد من الناس لا يُعَبِّر عن الإسلام إذ قد يُخْطِىء ويصيب ونحن إذا قلنا إنه يعبر عن الإسلام

معناه أنه لا يخطيء لأن الإسلام لا خطأ فيه ، فالأولى في مثل هذا التعبير أن يقال ما تَرى في حُكم من فعل كذا وكذا أو ما ترى فيمن فعل كذا وكذا ، أو ما ترى في الإسلام هل يكون كذا وكذا حكمه ، المهم أن يُضَاف السؤال إلى المَسْئول فقط .

أمَّا بالنسبة لما أراه في هذه المسألة أنَّه لا يجوز أنْ يُبنى على القُبور فقد ثبت عن النبي ﷺ «أنَّه نَهَى عن البناء على القبور ونَهى ان يُجصص القبْر وأنْ يُبْنى عَليْه» ، فالبناءُ على القبور محرَّم لأنَّه وسيلة إلى أن تُعْبد ويُشْرَك بها مع الله عزَّ وجلَّ .

٢٥٨ ـــــــ ما رأيكم فيما ظهر هذه الأيام من الوعظ عند القبور عند دفن الميت ؟

الذي أرى في الوعظ عند القبور أنه أمر لا يُشْرَع ، ولا ينبغي أن يُتَّخَذ هذا سنة دَائمة ، فإن وجد له سبب فقد يُشْرَع ، مثل أن يرى أناسًا في المقبرة عند الدفن يَضْحَكُون ويَلْعَبُون ويَتَمازَحون فهنا لا شك أن الموعظة حسنة وطيبة ، لأنه وجد لها سبب يقتضيها ، أما مجرد أن يقوم الإنسان خَطيبًا عند الناس وهم يدفنون الميت ، فهذا لا أصل له في هدي النبي ﷺ ، ولا يَنْبَغي أن يفعل .

صحيح أن النبي ﷺ انتهى إلى جنازة رجل من الأنصار ولما يلحد القبر ، فجلس عليه الصلاة والسلام وجلس أصحابه كأن على رءوسهم

الطَّير من الهيبة والعَظَمة ، وكان مع الرسول ﷺ قضيب ينكت به الأرض ، فجعل يحدثهم عليه الصَّلاة والسَّلام عن حال الرجل عند موته وبعد وفاته ، فهذا واضح أنه لم يكن خطيبًا يخطب النَّاس ويَعِظُهم ، لكنه جالس وحوله أصحابه ينتظرون متى يلحد هذا القبر فحدَّثَهم ، كما لو كنت أنت وأصحابك تنتظرون دفن الميت ، فجعلت تحدثهم بهذا الشيء ، وفرق بين الحديث الخاص الذي يكون بين الجلساء ، وبين ما يفعل على سبيل الخطبة ، كذلك كان الرسول ﷺ إذا دفن الميت وقف عليه وقال «اسْتَغْفِرُواْ لأخيكُم واسْأَلُواْ لَهُ التَّثبيتَ فانهُ الآنَ يُسْأَل» فهذه أيضاً مسألة خاصة وليست خطبة .

كذلك وقوفه عند قبر أحد أصحابه ، فجعل يُحَدِّثُ أصْحَابه ، وعيناه تَذْرِفَان ، ويقول : «مَا مِنْكُم مِن أحَد إلَّا وقد كُتِبَ مَقْعَده مِنَ الجَنَّة والنَّارِ» هذا الحديث أو معناه ، كل هذا لا يَدُلُّ على مَشْرُوعية الخُطْبة عند الدَّفن على سبيل الأمر الذي يكون عادة مُتَّبعة ، ومثل هذه المَسَائل يَنْبَغي لنا أنِ نتحرى فيها .

٢٥٩ ــــــــ هل المُسلم إذا ألْقَى السَّلام على قبرٍ يَرُدُّ الله عليه روحَهُ ويَرُدُّ عَلَيْه السَّلام ما صِحَّة هذا ؟

هذا الذي ذَكَره السَّائل جاء فيه حديث مَرْفوع صححه ابن عبد البر وهو أنَّه «مَا مِنْ مُسْلم يَمُرُّ بقبر رَجُلٍ مُسْلمٍ كَانَ يَعْرِفُهُ في الدُّنْيا فَيُسَلم عَلَيْه إلَّا رَدَّ الله عَلَيْه روحَه فَرَدَّ عَلَيْه السَّلام» .

٢٦٠ ما حكم زيارة المقابر ؟

زيارة القبور سُنَّة أمر بها النبي ﷺ بعد أن نهى عنها ، كما ثبت ذلك عنه ﷺ في قوله : « كُنتُ نَهَيْتُكم عَنْ زيارةِ القبورِ ألاَ فزورُوها فإنَّها تُذَكِّرُكم الآخرةَ » . رواه مسلم . فزيارة القبور للتذكر والاتعاظ سنّة ، فإن الإنسان إذا زار هؤلاء الموتى في قبورهم ، وكان هؤلاء بالأمس معه على ظهر الأرض يأكلون كما يأكل ويشربون كما يشرب ويتمتعون بدنياهم وأصبحوا الآن رَهْنا لأعمالهم إنْ خيرا فخير وإن شرا فشر ، فإنه لابد أن يتعظ ويلين قلبه ويتوجه إلى الله عز وجل وبالإقلاع عن معصيته إلى طاعته ، وينبغي لمن زار المقبرة أن يدعو بما كان النبي ﷺ يدعو به وعلّمه أمته : « السلامُ عليكم دار قَوْمٍ مؤمنين ، وإنّا إنْ شاء اللهُ بكم لاحقون ، يرحم اللهُ المستقدمين مِنّا ومنكم والمستأخرين ، نسألُ اللهَ لنا ولكم العافيةَ . اللهمَّ لا تَحْرِمْنا أَجْرَهم ، ولا تَفْتِنا بَعْدَهم ، واغْفِرْ لنا ولهم » . يقول هذا الدعاء ، ولم يرد عن النبي ﷺ أنه كان يقرأ الفاتحة عند زيارة القبور ، وعلى هذا فقراءة الفاتحة عند زيارة القبور خلاف المشروع عن النبي ﷺ .

وأما زيارة القبور للنساء فإن ذلك محرّم ، لأن النبي ﷺ لعن زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسُّرُج ، فلا يحل للمرأة أن تزور المقبرة هذا إذا خرجت من بيتها لقصد الزيارة ، أما إذا مرت بالمقبرة بدون قصد الزيارة فلا حرج عليها أن تقف وأن تسلّم على أهل المقبرة بما علّمه النبيُّ ﷺ أمّته ، فيفرق بالنسبة للنساء بين من خرجت من بيتها لقصد الزيارة ومن مرت بالمقبرة بدون قصد فوقفت وسلّمت .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفتن وأشراط الساعة

٢٦١ سئل الشيخ : عن أحاديث خروج المهدي هل هي صحيحة . أو لا ؟

فأجاب بقوله : أحاديث المهدي تنقسم إلى أربعة أقسام :

القسم الأول : أحاديث مكذوبة .

القسم الثاني : أحاديث ضعيفة .

القسم الثالث : أحاديث حسنة لكنها بمجموعها تصل إلى درجة الصحة ، على أنها صحيح لغيره .

وقال بعض العلماء إن فيها ما هو صحيح لذاته وهذا هو **القسم الرابع** .

ولكنه ليس المهدي المزعوم الذي يقال إنه في سرداب في العراق ، فإن هذا لا أصل له وهو خرافة لا حقيقة له ، ولكن المهدي الذي جاءت الأحاديث بإثباته رجل كغيره من بني آدم يخلق ويولد في وقته ويخرج إلى الناس في وقته ، فهذه هي قصة المهدي ، وإنكاره مطلقًا خطأ ، وإثباته مطلقًا خطأ . كيف ذلك ؟

إثباته على وجه يشمل المهدي المنتظر الذي يقال إنه في السرداب هذا خطأ ؛ لأن اعتقاد هذا المهدي المختفي خَبَلٌ في العقل ، وضلال في الشرع وليس له أصل ، وإثبات المهدي الذي أخبر به النبي ﷺ وتكاثرت فيه الأحاديث والذي سيولد في وقته ويخرج في وقته هذا حق .

٢٦٢ — وسئل الشيخ : عن الدَّجَّال ؟ ولماذا حذر الأنبياءُ أقوامهم منه مع أنه لا يخرج إلا في آخر الزمان ؟

فأجاب قائلًا : أعظم فتنة على وجه الأرض منذ خُلِقَ آدم إلى قيام الساعة هي فتنة الدجال كما قال ذلك النبي ﷺ ، ولهذا ما من نبي من نوح إلى محمد صلوات الله عليهم وسلامه إلا أنذر قومه به تنويها بشأنه وتعظيمًا له وتحذيرًا منه ، وإلا فإن الله يعلم أنه لن يخرج إلا في آخر الزمان ، ولكن أمر الرسل أن ينذروا قومهم إياه من أجل أن تتبين عظمته وفداحته ، وقد صح ذلك عن النبي عليه الصلاة والسلام وقال : « إن يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ – صلوات الله وسلامه عليه يعني أكفيكم إياه – وإلَّا فَامْرُؤٌ حَجِيج نَفْسِهِ وَالله خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِم » نَعْمَ الخليفة ربنا جل وعلا .

فهذا الدجال شأنه عظيم بل هو أعظم فتنة كما جاء في الحديث منذ خُلِقَ آدم إلى أن تقوم الساعةُ فكان حَرِيًّا بأن يُخصَّ من بين فتن المحيا

في التعوذ من فتنته في الصلاة : « أَعُوذُ بِالله مِنْ عَذَابِ جَهَنَّم وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ ومِن فِتْنَة الْمَحْيَا وَالمَمَاتِ وَمِن فِتْنَة الْمَسِيحِ الدَّجَالِ » .

وأما الدجال فهو مأخوذ من الدَّجَل وهو التمويه لأن هذا مموه بل أعظم مموه وأشد الناس دجلًا والبحث فيه في أمور :

أولًا : خروج هذا المسيح الدجال من علامات الساعة ولكنه غير محدد لأنه لا يعلم متى تكون الساعة إلا الله فكذلك أشراطها ما نعلم منها إلا ما ظهر ، فوقت خروجه غير معلوم لنا لكننا نعلم أنه من أشراط الساعة .

ثانيا : مكانه . فإنه يخرج من المشرق من جهة الفتن والشر كما قال النبي ﷺ : « الْفِتْنَة هَا هُنَا » وأشار إلى المشرق ، فالمشرق منبع الشر والفتن يخرج من المشرق من خراسان مارًا بأصفهان داخلًا الجزيرة من بين الشام والعراق ليس له همٌّ إلا المدينة ، لأن فيها البشير النذير عليه الصلاة والسلام فيحب إن يقضي على أهل المدينة ، ولكنها محرمة عليه كما ثبت عن النبي ﷺ « عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْهَا مَلائِكَةٌ يَحْفَظُونَهَا » هذا الرجل يخرج خلة بين الشام والعراق ، ويتبعه من يهود أصفهان سبعون ألفًا ؛ لأنهم جنوده اليهود من أخبث عباد الله وهو أضل عباد الله فيتبعونه ويؤونه وينصرونه ويكونون مسالح له أي جنودًا مجندين هم وغيرهم ممن يتبعهم قال النبي عليه الصلاة والسلام : « يَا عِبَادَ الله فَاثْبُتُوا يَا عِبَادَ الله فَاثْبُتُوا » يثبتنا عليه الصلاة والسلام لأن الأمر خطير وقال عليه الصلاة والسلام : « مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَالِ فَلْيَنْأَ عَنْهُ فَوَالله إنَّ الرَّجُلَ لَيَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسَبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَيَتَبَعُهُ مِمَّا يُبْعَثُ بِهِ مِنَ الشُّبُهَاتِ » يأتيه الإنسان

ويقول لن يضلني ولن أتأثر به ، ولكن لا يزال يلقى فيه من الشبهات حتى يتبعه والعياذ بالله .

ثالثًا : دعوته : فقد ذكر أنه أول ما يخرج يدعو إلى الإسلام ويقول إنه مسلم وينافح عن الإسلام ، ثم بعد ذلك يدعي النبوة وأنه نبي ، ثم بعد ذلك يدَّعي أنه إله فهذه دعوته نهايتها بداية فرعون وهي إدعاء الربوبية .

رابعًا : فتنته : من حكمة الله عز وجل أن الله سبحانه وتعالى يعطيه آيات فيها فتن عظيمة فإنه يأتي إلى القوم يدعوهم فيتبعونه فيصبحون وقد نبتت أراضيهم وشبعت مواشيهم فتعود إليهم أطول ما كانت ذرى وأسبغ ضروعًا وأمد خواصر يعني أنهم يعيشون برغد لأنهم اتبعوه .

ويأتي القوم فيدعوهم فلا يتبعونه فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم وهذه فتنة عظيمة لا سيما في الأعراب ، ويمر بالخربة فيقول أخرجي كنوزك فتخرج كنوزها تتبعه كيعاسيب النحل من ذهب وفضة وغيرها بدون آلات وبدون أي شيء ، فتنة من الله عز وجل فهذه حاله ومعاملته مع أهل الدنيا لمن يريد التمتع بالدنيا أو ييأس فيها .

ومن فتنته أن الله تعالى جعل معه جنة ونار بحسب رؤيا العين لكن جنته نار وناره جنة ، فمن أطاعه أدخله هذه الجنة فيما يرى الناس ولكنها نار محرقة والعياذ بالله ، ومن عصاه أدخله النار فيما يرى الناس ولكنها جنة وماء عذب طيب .

إذن يحتاج الأمر إلى تثبيت من الله عز وجل إن لم يثبت الله المرء هلك وضل فيحتاج إلى أن يثبت الله المرء على دينه ثباتًا قويًا . ومن فتنته أنه

يخرج إليه رجل من الناس ممتلىء شابًا فيقول له : أنت الدجال الذي ذكر لنا رسول الله ﷺ فيدعوه فيأبى أن يتبعه فيضربه ويشجه في المرة الأولى ثم يقتله ويقطعه قطعتين ويمشي بينهما تحقيقًا للمباينة بينهما ، ثم يدعوه فيقوم يتهلل وجهه ويقول أنت الدجال التي ذكر لنا رسول الله ﷺ ثم يأتي ليقتله فلا يسلط عليه يعجز عن قتله ولم يسلط على أحد بعده ، فهذا من أعظم الناس شهادة عند الله لأنه في هذا المقام العظيم الرهيب الذي لا نتصوره نحن في هذا المكان لا يتصور رهبته إلا من باشره ومع ذلك يصرح على الملأ إعذارًا وإنذارًا بأنك أنت الدجال الذي ذكر لنا رسول الله ﷺ هذه حاله وما يدعو إليه .

خامسًا : مقدار لبثه في الأرض : أربعون يومًا فقط ، لكن يومًا كسنة ، ويومًا كشهر ، ويوما كجمعة ، وسائر أيامه كأيامنا ، هكذا حدث النبي ﷺ قال الصحابة رضي الله عنهم يا رسول ، هذا اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة اليوم الواحد ؟ قال : « لاَ اقدرُوا لهُ قَدْرَه » انظروا إلى هذا المثال لنأخذ منه عبرة كيف كان تصديق أصحاب رسول الله ﷺ لرسول الله ما ذهبوا يحرفون ، أو يؤولون ، أو يقولون أن اليوم لا يمكن أن يطول لأن الشمس تجري في فلكها ولا تتغير ولكنه يطول لكثرة المشاق فيه وعظمها فهو يطول لأنه متعب - بكسر العين - ما قالوا هكذا كما يقوله بعض المتخذلقين ولكن صدقوا بأن هذا اليوم سيكون اثنا عشر شهرًا حقيقة ، بدون تحريف ، بدون تأويل ، وهكذا حقيقة المؤمن ينقاد لما أخبر الله به ورسوله من أمور الغيب وإن حار فيها عقله ، لكن يجب أن تعلم أن خبر الله ورسوله لا يكون في شيء محال عقلًا لكن يكون في شيء تحار فيه العقول لأنها لا تدركه ، فالرسول

ﷺ أخبر أن أول يوم من أيام الدجال كسنة ، لو أن هذا الحديث مر على المتأخرين الذين يدعون أنهم هم العقلاء لقالوا أن طوله مجاز عما فيه من التعب والمشقة لأن أيام السرور قصيرة ، وأيام الشرور طويلة ، ولكن الصحابة رضي الله عنهم من صفائهم وقبولهم سلموا في الحال وقالوا بلسان الحال أن الذي خلق الشمس وجعلها تجري في أربع وعشرين ساعة في اليوم والليلة قادر على أن يجعلها تجري في اليوم اثنى عشر شهرًا ، لأن الخالق واحد عز وجل فهو قادر ، ولذلك سلموا . وقالوا : كيف نصلي ؟ ما سألوا عن الأمر الكوني لأنهم يعلمون أن قدرة الله فوق مستواهم ، سألوا عن الأمر الشرعي الذين هم مكلفون به وهو الصلاة ، وهذا والله حقيقة الانقياد والقبول قالوا : يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة اليوم ؟ قال : « لاَ اقدروا لَهُ قَدْرَهُ » وسبحان الله العظيم إذا تأملت تَبَيَّنَ لك أن هذا الدين تام كامل لا يمكن أن تكون مسألة يحتاج الناس إليها إلى يوم القيامة إلا وجد لها أصل ، كيف أنطق الله الصحابة أن يسألوا هذا السؤال ؟ أنطقهم الله حتى يكون الدين كاملًا لا يحتاج إلى تكميل ، وقد احتاج الناس إلى هذا الآن في المناطق القطبية يبقى الليل فيها ستة أشهر والنهار ستة أشهر فنحتاج إلى هذا الحديث ، انظر كيف أفتى الرسول ﷺ هذه الفتوى قبل أن تقع هذه المشكلة لأن الله تعالى قال في كتابه : ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي** ﴾[1] والله لو نتأمل الكلمة ﴿ **أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** ﴾ لعلمنا أنه لا يوجد شيء ناقص في الدين أبدًا

---

(١) المائدة : ٣ .

فهو كامل من كل وجه ، لكن النقص فينا ، إما قصورًا في عقولنا ، أو في أفهامنا ، أو في إرادات تكون ما هي منضبطة يكون الإنسان يريد أن ينصر قوله فيعمى عن الحق - نسأل الله العافية - فلو أننا نظرنا في علم وفهم ، وحسن نية لوجدنا أن الدين ولله الحمد لا يحتاج إلى مُكَمِّل ، وانه لا يمكن أن تقع مسألة صغيرة ولا كبيرة ، إلا وجد حلها في الكتاب والسنة ، لكن لما كثر الهوى وغلب على الناس صار بعض الناس يعمى عليهم الحق ويخفى عليهم وتجدهم إذا نزلت فيهم الحادثة التي لم تكن معروفة من قبل بعينها وإن كان جنسها معروفًا تجدهم يختلفون فيها أكثر من أصابعهم إذا كانت تحتمل قولين وجدت فيها عشرة ، كل هذا لأن الهوى غلب على الناس الآن ، وإلا فلو كان القصد سليمًا والفهم صافيًا والعلم واسعًا لتبين الحق .

على كل حال ، أقول إن الرسول ﷺ أخبر أن الدجال يبقى أربعين يومًا وبعد الأربعين يومًا ينزل المسيح عيسى ابن مريم الذي رفعه إليه وقد جاء في الأحاديث الصحيحة « أَنَّهُ يَنزِلُ عِندَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِي دِمَشْق وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ إذا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَّانٌ كَاللُّؤْلُؤِ فَلاَ يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَهُ إِلَّا مَاتَ » وهذه من آيات الله فيلحق الدجال عند باب اللد في فلسطين فيقتله هناك ، وحينئذ يقضي عليه نهائيًا ، ولا يقبل عيسى عليه الصلاة والسلام إلا الإسلام ، لا يقبل الجزية ، ويكسر الصليب ، ويقتل الخنزير فلا يعبد إلا الله ، وعلى هذا فالجزية التي فرضها الإسلام جعل الإسلام لها أمدًا تنتهي إليه عند نزول عيسى ، ولا يقال إن هذا تشريع من عيسى عليه الصلاة والسلام لأن الرسول ﷺ أخبر بذلك مقرًا له ، فوضع الجزية

عند نزول عيسى عليه الصلاة والسلام من سنة الرسول عليه الصلاة والسلام ، لأن سنة الرسول ﷺ قوله ، وفعله ، وإقراره ، وكونه يتحدث عن عيسى ابن مريم مقرًا له فهذا من سنته ، وإلا فإن عيسى لا يأتي بشرع جديد ولا أحد يأتي بشرع جديد ، ليس إلا شرع محمد عليه الصلاة والسلام إلى يوم القيامة ، هذا ما يتعلق بالدجال نسأل الله أن يعيذنا وإياكم من فتنته .

—— ٢٦٣ وسئل الشيخ : هل الدجال من بني آدم ؟

فأجاب قائلًا : الدجال من بني آدم . وبعض العلماء يقول إنه شيطان . وبعضهم يقول إن أباه انسي وأُمُّه جِنيَّةٌ ، وهذه الأقوال ليست صحيحه ، فالذي يظهر أن الدجال من بني آدم ، وأنه يحتاج إلى الأكل والشرب وغير ذلك ، ولهذا يقتله عيسى قتلًا عاديًا كما يقتل البشر .

—— ٢٦٤ وسئل : هل الدجال موجود الآن ؟

فأجاب بقوله : الدجال غير موجود لأن الرسول ﷺ خطب الناس في آخر حياته وقال : « إِنَّهُ عَلَى رَأْسِ مِائَةِ سَنَةٍ لاَ يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ مِمَّنْ هُوَ عَلَيْهَا الْيَوْمَ أَحَدٌ » وهذا خبر ، وخبر النبي ﷺ لا يدخله الكذب وهو متلقى من الوحي لأن النبي ﷺ لا يعلم مثل هذا الغيب فهو غير موجود ولكن الله يبعثه متى شاء .

٢٦٥ وسئل : عن قول بعض أهل العلم أن الرسل الذين أنذروا أقوامهم الدجال لم ينذروهم بعينه وإنما أنذروهم بجنس فتنته ؟

فأجاب : هذا القول ضعيف ، بل هو نوع من التحريف لأن الرسول ﷺ أخبر بأنه ما من نبي إلا أنذر به قومه بعينه كما في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال : « مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ أَنذَرَ أُمَّتَهُ الأَعْوَرَ الْكَذَّابَ » وسبق لنا بيان الحكمة من إنذار الرسل به ، ولكن يجب علينا أن نعلم أن جنس هذه الفتنة موجود حتى في غير هذا الرجل ، يوجد من بني آدم الآن من يضل الناس بحاله ومقاله وبكل ما يستطيع ، وتجد أن الله سبحانه وتعالى بحكمته أعطاه بيانًا وفصاحة ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ ﴾[1] فعلى المرء إذا سمع مثل هذه الفتن التي تكون لأهل البدع من أناس يبتدعون في العقائد ، وأناس يبتدعون في السلوك وغير ذلك ، يجب عليه أن يعرض هذه البدع على الكتاب والسنة وأن يحذر ويحذّر منها وأن لا يغتر بما تُكْسَى به من زخارف القول ، فإن هذه الزخارف كما قيل فيها :

حُجَجٌ تَهَافَتْ كَالزُّجَاجِ تَخَالُهَا حَقًّا وَكُلُّ كَاسِرٍ مَكْسُورُ

(١) الأنفال : ٤٢ .

فالدجال المُعَيَّنُ لاشك أن فتنته أعظم من شيء يكون ، لكن هناك دجاجلة يدجلون على الناس ويُمَوِّهُونَ عليهم ، فيجب الحذر منهم ، ومعرفة إرادتهم ونواياهم ، ولهذا قال تعالى في المنافقين : ﴿ **هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ** ﴾[1] مع أنه قال : ﴿ **وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ** ﴾[2] يعني بيانه ، وفصاحته ، وعظمه يجرك جرًا إلى أن تسمع ، لكن كأنهم خشب مسندة حتى الخشب ما هي قائمة بنفسها مسندة تقوم على الجدار فهي لا خير فيها .

فهؤلاء الذين يزينون للناس بأساليب القول سواءً في العقيدة ، أو في السلوك ، أو في المنهج يجب الحذر منهم ، وأن تعرض أقوالهم ، وأفعالهم على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فما خالفهما فهو باطل مهما كان ، ولا تقولن إن هؤلاء القوم أُعْطُوا فَصَاحَةً وبيانا لينصروا الحق ، فإن الله تعالى قد يبتلي فيعطي الإنسان فصاحة وبيانًا وإن كان على باطل كما ابتلى الله الناس بالدجال وهو على باطل بلا شك .

---

(١) المنافقون . ٤ .

(٢) المنافقون : ٤ .

٢٦٦ نسمع كثيرا عن يَأْجُوج ومَأْجُوج فمن هم ؟

يَأْجُوجُ ومَأْجُوجُ أمتانِ من بني آدم موجودتان ، قال الله تعالى في قصة ذي القرنين : ﴿ حَتَّى إذا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ من دُونِهما قوماً لا يَكَادُون يَفْقَهُون قولا ، قالوا يا ذا القرنين إنَّ يَأْجُوج ومَأْجُوجَ مُفسِدُونَ في الأَرْضِ فهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خرْجاً على أن تَجْعَلَ بيننا وبينهم سَدًّا قال ما مَكَّنّي فيه رَبِي خَيْرٌ فأعَينوني بقوةٍ أَجْعَلْ بينكم وبينهم رَدْماً ﴾[1] .

ويقول النبي ﷺ : « يقول اللهُ يَوْمَ القيامةِ يا آدمُ قُمْ فابْعَثْ بَعْثَ النارِ مِنْ ذُرِّيتِكَ » إلى أن قال رسول الله ﷺ « أَبْشِرُوا فإنّ مِنكم واحداً ومِنْ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ ألفاً » وخروجهم الذي هو من أشراط الساعة وُجدت بوادره في عهد النبي ﷺ ، ففي حديث أم حَبيبة رضي الله عنها قالت خرج رسول الله ﷺ يوما فزعا محمرا وجهه يقول « لا إله إلاّ اللهُ وَيْلٌ للعَرَب مِنْ شَرٍّ قَدْ اقْتَرَبَ فُتِحَ اليومَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ مِثْلُ هذه ، وحَلَّق بأصبعِه الإبهامِ والتي تليها » .

(١) الكهف ٩٣ – ٩٥ .

٢٦٧ هل صحَّ حديث خـروج السُّفياني في علامات السَّاعة ؟ وكذا هل صَحَّتْ أيضًا أحاديث خروج الرَّايات السُّود ؟

حديث السفياني أخرجه الحاكم في مستدركة وقال حديث صحيح الإسناد ولكن الحاكم رحمه الله معروف بالتساهل بالتصحيح فالله أعلم وأما الرايات السود فلا أدرى .

٢٦٨ سئل فضيلة الشيخ : ما معنى قول النبي ﷺ : « إنَّ الشَّيْطَانَ يَئِسَ أَنْ يُعْبَدَ فِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ » ؟

فأجاب قائلًا : يأس الشيطان أن يعبد في جزيرة العرب لا يدل على عدم الوقوع لأنه لما حصلت الفتوحات وقوي الإسلام ودخل الناس في دين الله أفواجًا أيس أن يعبد سوى الله في هذه الجزيرة . فالحديث خبر عما وقع في نفس الشيطان ذلك الوقت ولكنه لا يدل على انتفائه في الواقع .

٢٦٩ سئل الشيخ : عن الجمع بين قول النبي ﷺ : « لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرِبَ أَلْيَاتُ نِسَاءِ دَوْس حَوْلَ ذِي الْخَلَصَةِ » . وكذلك ما وقع إبّانَ ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهّاب - يرحمه الله تعالى - وقوله ﷺ : « إنَّ الشَّيْطَانَ أَيِسَ أَنْ يُعْبَدَ في جَزِيرَةِ الْعَرَبِ » ؟

فأجاب فضيلته بقوله : الجمع بين النصوص المذكورة أن يأس الشيطان أن يعبد في جزيرة العرب لا يقتضي عدم الوقوع لأنه لا يعلم الغيب ، فالشيطان لما رأى تخليص الجزيرة من الشرك وتوطيد دعائم التوحيد ظنّ أن لا شرك في الجزيرة بعد هذا ، ولكن النبي ﷺ الذي ينطق بوحي من الله تعالى ، أخبر أنه سيكون ذلك . وأما وقوع ذلك في الجزيرة إبّان ظهور الشيخ محمد بن عبد الوَهّاب - يرحمه الله تعالى - فلا يخلو إما أن يكون لقلة العلماء أو لعجزهم عن الإصلاح لغلبة الجهل وكثرة الجهّال . والله أعلم بحقيقة الحال .



البعث والنار

٢٧٠ ـــــ سئل فضيلة الشيخ : هل يوم الحساب يوم واحد ؟

يوم الحساب يوم واحد ولكنه يوم مقداره خمسون ألف سنة كما قال الله تعالى : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بعذابٍ وَاقِعٍ . للكافرينَ لَيْسَ له دَافِعٌ . مِنَ اللهِ ذِي المَعَارِجِ . تَعْرُجُ الملائكةُ والرُّوحُ إليه في يَوْمٍ كان مِقْدَارُه خمسِينَ ألفَ سَنَةٍ ﴾[1] أي أن هذا العذاب يقع للكافرين في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة . وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « ما مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ ولا فِضَّةٍ لا يُؤَدِّي منها حَقَّها إلا إذا كان يَوْمُ القيامةِ صُفِّحَتْ له صَفَائِحَ مِن نار ، وأُحْمِيَ عليها في نارِ جَهَنَّمَ فيُكْوَى بها جَنْبُه وجَبِينُه وظَهْرُه كلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ في يَوْمٍ كان مِقْدَارُهُ خمسين أَلْفَ سَنَةٍ حتى يُقْضَى بَيْنَ العِبادِ » . وهذا اليوم الطويل هو يوم عَسِير على الكافرين كما قال تعالى : ﴿ وكان يَوْماً على الكافرين عَسِيرا ﴾[2] وقال تعالى :

---

(١) المعارج ١ – ٤

(٢) الفرقان ٢٦

﴿ **فذلك يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ . على الكافرين غَيْرُ يَسِيرٍ** ﴾[1] ومفهوم هاتين الآيتين أنه على المؤمن يسير وهو كذلك ، فهذا اليوم الطويل بما فيه من الأهوال والأشياء العظيمة ييسره الله تعالى على المؤمن ويكون عسيرا على الكافر . وأسأل الله تعالى أن يجعلني وإخواني المسلمين ممن يسّره الله عليهم يوم القيامة .

والتفكير والتعمق في مثل هذه الأمور الغيبية هو من التنطع الذي قال النبي ﷺ فيه : « هَلَكَ المُتَنَطِّعُون ، هلك المتنطعون ، هلك المتنطعون » . ووظيفة الإنسان في هذه الأمور الغيبية التسليم ، وأخذ الأمور على ظاهر معناها دون أن يتعمق أو يحاول القياس بينها وبين الأمور في الدنيا ، فإن أمور الآخرة ليست كأمور الدنيا وإن كانت تشبهها في أصل المعنى وتشاركها في ذلك لكن بينهما فرق عظيم ، وأضرب لك مثلا بما ذكره الله سبحانه وتعالى في الجنة من النخل والرمان والفاكهة ولحم الطير والعسل والماء واللبن والخمر وما أشبه ذلك مع قوله عز وجل : ﴿ **فلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لهم مِن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزاءً بما كانوا يَعْمَلُون** ﴾[2] وقوله في الحديث القدسي : « أَعْدَدتُّ لِعبادي الصالحين ما لا عَيْنٌ رَأَتْ ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ولا خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ » فهذه الأسماء التي لها مسميات بها في هذه الدنيا لا تعني أن المسمى كالمسمى وإن اشتركا في الاسم وفي أصل المعنى ، فكل الأمور الغيبية التي تشارك ما يشاهد في الدنيا في أصل المعنى لا تكون مماثلة له في الحقيقة . فينبغي

(١) المدثر ٩ –١٠ .

(٢) السجدة ١٧

للإنسان أن ينتبه لهذه القاعدة وأن يأخذ أمور الغيب بالتسليم على ما يقتضيه ظاهرها من المعنى وألا يحاول شيئا وراء ذلك .

ولهذا لما سئل الإمام مالك رحمه الله عن قول الله تعالى : ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾[1] كيف استوى ؟ أطرق رحمه الله برأسه حتى علاه الرُّحَضَاء – أي العَرَق – وصار يتصبب عرقا وذلك لِعظم السؤال في نفسه ، ثم رفع رأسه وقال قولته الشهيرة التي كانت ميزانا لجميع ما وصف الله به نفسه قال رحمه الله : « الاسْتِواءُ غيْرُ مَجْهُول ، والكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ ، والإيمانُ به وَاجِب والسُّؤالُ عنه بِدْعَة » . اهـ .

فالسؤال المتعمق في مثل هذه الأمور بدعة لأن الصحابة رضي الله عنهم وهم أشد منا حرصا على العلم وعلى الخير لم يسألوا النبي ﷺ مثل هده الأسئلة وكَفَى بهم قدوة ، وما قلته الآن بالنسبة لليوم الآخر يجرى بالنسبة لصفات الله عز وجل التي وصف بها نفسه من العلم والقدرة والسمع والبصر والكلام وغير ذلك ، فإن مسميات هذه الألفاظ بالنسبة إلى الله عز وجل لا يماثلها شيء مما يشاركها في هذا الاسم بالنسبة للإنسان فكل صفة فإنها تابعة لموصوفها فكما أن الله سبحانه وتعالى لا مثيل له في ذاته فلا مثيل له في صفاته .

وخلاصة الجواب : أن اليوم الآخر يوم واحد وأنه عسير على الكافرين ويسير على المؤمنين وأن ما ورد فيه من أنواع الثواب والعقاب أمر لا يُدْرَكُ كُنْهُه في هذه الحياة الدنيا وإن كان أصل المعنى فيه معلوما لنا في هذه الحياة الدنيا .

---

(١) طه ٥ .

٢٧١ ـــــــــــ **كيف نجمع بين القول القاضي بأن الذي يوزن يوم القيامة هو العمل ، وحديث النبي ﷺ عندما انكشفت ساق عبد الله بن مسعود رضي الله عنه « واللهِ إنَّها لأثْقَلُ في الميزانِ مِن جَبَلِ أُحُد » ؟**

الجواب على هذا أن يُقال إما أن يكون هذا خاصا بعبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، أو يقال إن بعض الناس يوزن عمله وبعض الناس يوزن بدنه ، أو يقال إن الإنسان إذا وزن فإنما يثقل ويرجح بحسب عمله والله أعلم .

٢٧٢ ـــــــــــ **الإنسان المؤمن مَحَلّ الحساب يوم القيامة ، إنْ خيرًا فخير وإن شرًا فشر . فكيف يكون الكافر مَحَلا للحساب كذلك وهو غير مطالب بالتكليفات المطالب بها المؤمن . ؟**

هذا السؤال مَبْنِيّ على فَهْم ليس بصحيح فإنَّ الكافر مُطَالب بما يُطَالب به المُؤمن لكنه غير مُلْزم به في الدُّنيا ويدلُّ على أنه مُطَالب لقوله تعالى : **﴿ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءلُون عَن الْمُجْرِمِينَ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ**

﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾[1] . فلولا أنهم تأثَّروا بترك الصلاة وترك الطعام وإطعام المساكين لولا أنهم تأثروا بذلك ما ذكروه وهذا دليل على أنهم يُعَاقبون على فروع الإسلام .

وكما أن هذا هو مُقْتَضى الأثر فهو أيضًا مُقْتضى النَّظر فإذا كان الله تعالى يُعَاقب عبده المُؤْمن على ما أخَل به من واجب في دينه فكيف لا يُعَاقب عبده الكافر ؟ بل إني أزيدُك أن الكافر يُعاقب على كل ما أنْعَم الله به عليه من طَعام وشَرَاب وغيره قال تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَواْ وَآمَنُوا وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَواْ وَآمَنُواْ ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُواْ وَاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ ﴾[2] .

فمنْطُوق الآية رَفْعُ الجُناح عن المؤمنين فيما طَعمُوه وَمفْهومها وقُوع الجُنَاح على الكافرين فيما طَعمُوه وكذلك قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ القِيَامَةِ ﴾[3] .فإن قَوْله : ﴿ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ دَليل على أنَّ غير المؤمن ليس له حق في أن يَسْتمتع بها ، أقول ليس له حق شرعي أمَّا الحق بالنَّظر إلى الأمر الكَوْني وهو أن الله سبْحانه وتعالى خَلَقها وانْتفع بها هذا الكافر فهذا أمر لا يمكن إنْكَارُه . فهذا دَليل على أن الكافر يُحاسب حتى على

(١) المدثر ٣٩ - ٤٦ .
(٢) المائدة ٩٣
(٣) الأعراف ٣٢

ما أكل من المُبَاحات وما لبس وكما أن هذا مُقْتضى الأثر فإنه مُقْتضى النَّظر إذ كيف يَتَمَتَّع هذا الكافر العاصي لله الذي لا يؤمن به كيف يَحِقُّ له عَقْلًا أن يستمتع بما خلقه الله عزَّ وجلَّ وما أنعم الله به على عباده ، إذا تَبين لك هذا فإن الكافر يُحَاسب يوم القيامة على عَمله . ولكن حساب الكافر على عمله يوم القيامة ليس كحساب المُؤْمن لأن المؤمن يُحَاسب حسابًا يسيرًا يَخْلُو به الرَّب عزَّ وجلَّ ويُقرره بِذنُوبه حتى يَعْترف ثم يقول له سبحانه وتعالى : قَدْ سَترتها عَلَيْكَ في الدُّنْيا وَأنَا أغْفِرُها لَكَ الْيوم . أمَّا الكافر والعياذُ بالله فإنَّ حسابه أن يقررَ بذُنُوبه وَيخْزَى بِهَا عَلَى رُؤوس الأشْهَاد . . : ﴿ **ويَقُولُ الأشْهَادُ هَؤُلاءِ الَّذِين كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ ألَا لَعْنَةُ الله عَلَى الظَّالِمينَ** ﴾[1] .

٢٧٣ ———— **سئل الشيخ : كيف تدنو الشمس يوم القيامة من الخلائق مقدار ميل ولا تحرقهم وهي لو دنت عما هي عليه الآن بمقدار شبر واحد لاحترقت الأرض ؟**

فأجاب بقوله : إن وظيفة المؤمن – وهذه قاعدة يجب أن تُبْنَى عليها عقيدتنا – فيما ورد من أخبار الغيب القبول والتسليم وأن لا يسأل عن كيف ؟ و لم ؟ لأن هذا أمر فوق ما تتصوره أنت ، فالواجب عليك ن

---

(١) هود ١٨ .

تقبل وتسلم وتقول آمنا وصَدَّقنا ، آمنا بأن الشمس تدنو من الخلائق يوم القيامة بمقدار ميل ، وما زاد على ذلك من الإيرادات فهو من البدع ، ولهذا لما سئل الإمام مالك رحمه الله عن استواء الله كيف استوى ؟ قال : « السؤال عنه البدعة » . هكذا أيضًا كل أمور الغيب السؤال عنها بدعة وموقف الإنسان منها القبول والتسليم .

جواب الشق الثاني : بالنسبة لدنو الشمس من الخلائق يوم القيامة فإننا نقول : —

أن الأجسام تبعث يوم القيامة لا على الصفة التي عليها في الدنيا من النقص وعدم التحمل بل هي تبعث بعثًا كاملًا تامًا ، ولهذا يقف الناس يوم القيامة يومًا مقداره خمسون ألف سنة لا يأكلون ولا يشربون ، وهذا أمر لا يتحمل في الدنيا فتدنو الشمس منه وأجسامهم قد أعطيت من القوة ما يتحمل دنوها ، ومن ذلك ما ذكرناه من الوقوف خمسين ألف سنة لا يحتاجون إلى طعام ولا شراب ، فالأجسام يوم القيامة لها شأن آخر غير شأنها في هذه الدنيا .

٢٧٤ ——— **سئل الشيخ : كيف نجمع بين قول الله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ ﴾[1] وقوله : ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴾[2] ؟**

(١) الحاقة : ٢٥ .
(٢) الانشقاق : ١٠ .

فأجاب قائلًا : الجمع بينهما أن يقال : يأخذه بشماله لكن تخلع الشمال إلى الخلف من وراء ظهره ، والجزاء من جنس العمل فكما أن هذا الرجل جعل كتاب الله وراء ظهره ، وأعطى كتابه يوم القيامة من وراء ظهره جزاءً وفاقًا

٢٧٥ ــــ سئل الشيخ : هل الميزان واحد أو متعدد ؟

فأجاب بقوله : اختلف العلماء في الميزان هل هو واحد أو متعدد على قولين ، وذلك لأن النصوص جاءت بالنسبة للميزان مرة بالإفراد ، ومرة بالجمع مثال الجمع قوله تعالى : ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ ﴾[١] وكذلك في قوله : ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴾[٢] ومثال على الإفراد قوله ﷺ : « كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ » .

فقال بعض العلماء إن الميزان واحد ، وأنه جمع باعتبار الموزون ، أو باعتبار الأمم فهذا الميزان توزن به أعمال أمة محمد ، وأعمال أمة موسى ، وأعمال أمة عيسى ، وهكذا فجمع الميزان باعتبار تعدد الأمم .

والذين قالوا إنه متعدد بذاته قالوا لأن هذا هو الأصل في التعدد ، ومن الجائز أن الله تعالى يجعل لكل أمة ميزانًا ، أو يجعل للفرائض ميزانًا ، وللنوافل ميزانًا .

---

(١) الأنبياء : ٤٧ .

(٢) القارعة : ٦ .

الذي يظهر والله أعلم أن الميزان الواحد ، ولكنه متعدد باعتبار الموزون .

ـــــــ ٢٧٦ سئل الشيخ كيف تُوزَنُ الأعمال وهي أوصاف للعاملين ؟

فأجاب بقوله : القاعدة في ذلك كما أسلفنا أن علينا أن نسلم ونقبل ولا حاجة لأن نقول كيف ؟ ولم ؟ ومع ذلك فإن العلماء رحمهم الله قالوا في جواب هذا السؤالِ : إن الأعمال تقلب أعيانًا فيكون لها جسم يوضع في الكفة فيرجح أو يخف ، وضربوا لذلك مثلًا بما صح به الحديث عن النبي ﷺ « أنَّ الْمَوتَ يُجْعلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى صُورَةِ كَبْشٍ فَيُنَادَى أَهْلُ الْجَنَّةِ ، يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ فَيَطَّلِعُونَ وَيَشْرَئِبُونَ . وَيُنَادَى يَا أَهْلَ النَّار فَيَطَّلِعُونَ وَيَشْرَئِبونَ مَا الَّذِي حَدَثَ ؟ فَيُؤْتَى بِالَموْتِ عَلَى صُورَةِ كَبْشٍ فَيقَالُ : هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ فَيقُولُونَ : نَعَم هَذَا الَموْتُ فَيُذْبَح الَموْتُ بَيْنَ الَجنَّةِ وَالنَّارِ فَيُقَالُ يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُود فَلاَ مَوْتَ ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ خُلُود فَلاَ مَوْتَ » ونحن نعلم جميعا أن الموت صفة ولكن الله تعالى يجعله عينًا قائمًا بنفسه وهكذا الأعمال تجعل أعيانًا فتوزون والله أعلم .

٢٧٧ ــــــــــ سئل الشيخ : كيف نجمع بين قول النبي ﷺ « مَن نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ » رواه البخاري من حديث عائشة ، ومناقشة المؤمن في قوله ﷺ « إنَّ اللهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَع عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرهُ فَيَقُولُ : أَتَعْرِفُ ذَنبَ كَذَا أَتَعْرِفُ ذَنبَ كَذَا ؟ فَيَقُولُ : نَعَم أَيْ رَبِّ حَتَّى إذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ قَالَ : سَتَرتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ » الحديث رواه البخاري ؟

فأجاب رعاه الله وحفظه بقوله : ليس في هذا إشكال لأن المناقشة معناها أن يحاسب فيطالب بهذه النعم التي أعطاها الله إياها ، لأن الحساب الذي فيه المناقشة معناه أنك كما تأخذ تُعْطِي ، ولكن حساب الله لعبده المؤمن يوم القيامة ليس على هذا الوجهة ، بل إنه مجرد فضل من الله تعالى إذا قرره بذنوبه وأقر واعترف قال : « سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْم » وكلمة « نُوقِشَ » تدل على هذا ، لأن المناقشة الأخذ أو الرد في الشيء والبحث على دقيقه وجليله ، وهذا لا يكون بالنسبة لله عز وجل مع عبده المؤمن بل إن الله تعالى يجعل الحساب للمؤمن مبنيًّا على الفضل والإحسان لا على المناقشة والأخذ بالعدل .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢٧٨ كيف يمكن الجمع بين قوله ﷺ : « مَن نُوقِشَ الحِسَاب عُذِّب » ، وبين قوله تعالى لعبده المؤمن : ﴿ عَصَيْتني في الدُّنيا وَأنا أستُرها عَليكَ الآن ﴾ ؟

ليس في هذا إشكال ، لأن المناقشة معناه أنك كما تأخذ تعطي ، ولكن حساب الله لعبده المؤمن يوم القيامة ليس على هذا الوجه ، بل إنه مجرد فضل من الله تعالى إذا قرره بذنوبه فأقَرّ واعترف ، قال : قَدْ سَتَرْتها عَلَيْكَ في الدُّنْيا وأنا أغْفِرها لَكَ اليَوْم ، وكلمة (نُوقشَ) تدل على هذا ، لأن المناقشة الأخذ والرد في الشيء والبحث عن دقيقه وجَليله ، وهذا لا يكون بالنِّسبة لله عزَّ وجلَّ بل إن الله تعالى يجعل الحساب للمؤمن مَبْنِيًا على الفَضْل والإحسان لا على المناقشة والأخذ بالعدل .

٢٧٩ أسمع أنَّ للقيامة أسماء متعددة في القرآن الكريم ، فما هي هذه الأسماء وما سر تعدُّدها ؟

الأسماء لا يُمْكنُني الآن حَصْرها لكن سبب تَعدُّدها أنها أسماء تدل على أوصاف فهي الساعة . وكلمة الساعة تقال فى اللغة العربية لما يَقع فيه الأمر العظيم الشَّديد الشَّاق . وتُسَمى الحاقة لِكونها حقًا ووصفها الله جل جلاله أنَّ زلزلتها شيءٌ عظيم فيها من الأهْوال ووصِفت بالقارعة إلى

غير ذلك من الأوصاف التي كل وصفٍ منها يدُل على معنًى لا يَدُل عليه الاسم الآخر يكون ذلك أو الوصف الآخر فهذه هي الحكمة من تعدد أوْصافها وذكرها حتى يكُون ذلك أبلغ في الإيمان بها وأقوم للاستعداد لها .

٢٨٠ ــــــــــــ ما صحة قول ابن حزم : من أن الناس منهم من يأخذ كتابه بشماله وهم الكفار ، ومنهم من يأخذه بيمينه وهم المؤمنون ، ومنهم من وراء ظهره وهم عصاة الموحدين ؟

هذا القول ليس بصحيح ؛ لأن الذي يأخذ كتابه من وراء ظَهْره يدعو ثُبُورًا ويصلى سعيرًا ويظن أنه لن يرجع ، والذي يظن أنه لن يرجع ليس عاصيًا ، بل هو كافر مُنْكر للبعث قال تعالى : **﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَآءَ ظَهْرِه فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا وَيَصْلَى سَعِيرًا إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِه مَسْرُورًا إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ﴾**[1] . – أى لن يرجع للآخرة – **﴿ بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴾**[2] .

(١) الإنشقاق : ١٠ – ١٤

(٢) الإنشقاق : ١٥

فالصَّواب أن الذي يأخذ كتابه من وراء ظهره هو الكافر ، لكن كما قال بعض أهل العلم تخلع شماله من وَرَائه ، ويأخذ كتابه بشماله من وراء ظهره .

٢٨١ ـــــــــــ هل هناك إشكال بين قولكم إن الأبدان تكون على حال غير التي هي عليها الآن يوم القيامة ، وبين قوله تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾[١] .

هذا لا يشكل على ما قلنا ؛ لأن المراد بقوله : ﴿ **كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ** ﴾[١] . من حيث الخلق فهو كقوله : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ** ﴾[٢] . فالمعنى أنه كما بدأ خلقكم وقدر عليه فإنكم تعودون كذلك بقدرة الله عَزَّ وجَلَّ .

---

(١) الأعراف : ٢٩

(٢) الروم : ٢٧



الجــنة والنــار

٢٨٢ إذا كانت الجَنَّة عَرْضُهـا كعرض السَّماوات والأرض فأَيْن تُوجد في هذا الكون الذي تملؤه السَّماوات والأرض

قبل الجواب على هذا يَجبُ أنْ نقدم مُقَدِّمة : وهي أنَّ ما جاء في كتاب الله وما صَحَّ عن رسول الله ﷺ فإنه حقٌ ولا يُمْكن أن يُخَالف الأمر الوَاقع ؛ فإن الأمر الواقع المَحْسُوس حَقّ لا يُمْكن إنْكاره ومَا دَلّ عليه الكِتاب والسُّنة فإنَّه حق لا يُمْكن إنْكَارُه ولا يُمْكن تَعَارض حَقَّيْن عَلى وَجْهٍ لا يُمكن الجَمْع بَيْنَهما .

وقد ثَبُت في القرآن الكريم أنَّ الجنة ﴿ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّماء والأرْض ﴾[1] . وفي الآيـة الأخـرى ﴿ عَرْضُهـا السَّمَـوات والأرْضُ ﴾[2] . وهذا حقّ بلا رَيْب وقد سَأل يَهودي النبي ﷺ عن

(١) الحديد : ٢١ (٢) آل عمران : ١٣٣

هَذِهِ الآية فقال : إذا كَانت الجَنَّة عَرْضُها السَّماوات والأرْض فأيْن تَكُونُ النار ؟ فقال النَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام إذا جاءَ اللَّيْل فأيْنَ يَكُونُ النَّهار ؟ ثم إن قول السائل إن هذا الكون والأرْض وفيه الكُرسي وفيه العَرْش وقد كان النبي عليه الصَّلاة والسَّلام يقول بعد رفعه من الرُّكوع : «مِلء السَّماوات وَمِلء الأرْض وَمَلء ما شئْتَ من شيء بَعد» فهناك عَالم غير السَّماوات والأرْض لا يَعْلمه إلا الله كذلك نَحْنُ نَعْلمُ مِنْه ما عَلَّمنا به سبحانه وتعالى مِثْل العرش والكُرْسي ، والعرش وهو أعْلى المخلوقات والله سبحانه وتعالى قد استوى عليه استواء يَليقُ بِجَلاله وعَظَمتِه .

٢٨٣ ــ سئل الشيخ أعْلَى اللهُ دَرَجَتَهُ : هل الجنة والنار موجودتان الآن ؟

فأجاب بقوله : نعم الجنة والنار موجودتان الآن ، ودليل ذلك من الكتاب والسنة :

أما الكتاب فقال الله تعالى في النار : ﴿ **وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** ﴾[1] والإعداد بمعنى التهيئة ، وفي الجنة قال الله تعالى : ﴿ **وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَة مِن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلمتَّقِينَ** ﴾[2] والإعداد أيضًا التهيئة .

(١) آل عمران : ١٣١ .
(٢) آل عمران : ١٣٣ .

وأما السنة فقد ثبت في الصحيحين وغيرهما في قصة كسوف الشمس ، أن النبي ﷺ قام يصلي ، فعُرِضَتْ عليه الجنةُ والنارُ ، وشَاهَدَ الجنةَ حتى هَمَّ أن يتناول منها عنقودًا ، ثم بدا له أن لا يفعل عليه الصلاة والسلام ، وشاهد النار ، ورأى فيها عمرو بن لحي الخزاعي يجر قُصْبَهُ في النار – والعياذ بالله – يعني أمعاءه قد اندلقت من بطنه فهو يجرها في النار ؛ لأن الرجل أول من أدخل الشرك على العرب ، فكان له كِفْل من العذاب الذي يصيب مَنْ بعده ، ورأى امرأة تعذب في النار في هرة حبستها حتى ماتت فلا أطعمتها ولا هي أرسلتها تأكل خشاش الأرض ، فدل ذلك على أن الجنة والنار موجودتان الآن .

٢٨٤ – إذا كانت الجنة عَرْضُها كعرض السموات والأرض ، فأين تكون النار في هذا الكَوْن الذي ليس فيه إلا السموات والأرض ؟

قبل الجواب على هذا يجب أن نقدم مقدمة وهي أن ما جاء في كتاب الله وما صح عن رسوله ﷺ فإنه حقٌّ ولا يمكن أن يخالف الأمر الواقع ، فإن الأمر الواقع المحسوس لا يمكن إنكاره ، وما دل عليه الكتاب والسنة فإنه حق لا يمكن إنكاره ، ولا يمكن تعارض حَقَّين على وجه لا يمكن الجمع بينهما ، وقد ثبت في القرآن الكريم أن الجنة عرضها

كعرض السماء والأرض قال الله تعالى ﴿ **سابقوا إلى مغفرةٍ من ربِّكم وجنَّةٍ عرْضُها كعَرْضِ السماءِ والأرْضِ** ﴾[1] . وفي الآية الأخرى : ﴿ **عرْضُها السموات والأرْضُ** ﴾[2] وهذا حق بلا ريْب . وفي مسند الإمام أحمد أن هِرَقْل كتب للنبي ﷺ فقال إذا كانت الجنة عرضها السموات والأرض فأين تكون النار ؟ فقال النبي ﷺ : « إذا جاء الليلُ فأين يكونُ النهارُ » . فإن صح هذا الحديث فوجهه أن السموات والأرض في مكانهما ، والجنة في مكانها في أعلى عليين كما أن النهار في مكان والليل في مكان . وإن لم يَصح الحديث فإن في كون الجنة عرضها السموات والأرض لا يعني أنها قد ملأتهما ولكن يعني أن الجنة عظيمة السَّعة ، عرضها كعرض السموات والأرض .

ثم إن قول السائل إن هذا الكون ليس فيه إلا السموات والأرض ليس بصحيح ، فهذا الكون فيه السموات والأرض وفيه الكرسي والعرش وقد كان النبي ﷺ يقول بعد رفعه من ركوعه : « ملْءَ السموات وملْءَ الأرْض وملْءَ ما شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ » . فهناك عالم غير السموات والأرض لا يعلمه إلا الله ، كذلك نحن نعلم منه ما علَّمنا اللهُ تعالى مثل العرش والكرسي ، والعرش هو أعلى المخلوقات والله سبحانه وتعالى قد استوى عليه استواء يليق بجلاله وعظمته .

---

(١) الحديد ٢١

(٢) آل عمران ١٣٣ .

٢٨٥ ـــــ ما الجنة التي أسكنها الله عز وجل آدم وزوجه ؟

الصواب أن الجنة التي أسكنها الله تعالى آدم وروجه هي الجنة التي وُعِدَ المتقون لأن الله تعالى يقول لآدم : ﴿ اسْكُنْ أنت وزَوْجُك الجَنَّةَ ﴾[١] والجنة عند الإطلاق هي جنة الخُلْد التي في السماء ، ولهذا ثبت في الحديث عن النبي ﷺ أن آدم وموسى تحآجَّا فقال موسى له : لِمَ أخرجتنا ونَفْسَك من الجنة ؟ والله أعلم .

٢٨٦ ـــــ إذا كانت المرأة من أهل الجنة ولم تتزوج في الدنيا أو تزوجت ولم يدخل زوجها الجنة فمن يكون لها ؟

الجواب يؤخذ من عموم قوله تعالى : ﴿ ولَكُم فيها ما تَشتَهِي أنفُسُكم ولَكُم فِيها ما تَدَّعُون . نُزُلاً مِّنْ غَفُور رَّحِيم ﴾[٢] ومن قوله تعالى : ﴿ وفيها ما تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وتَلَذُّ الأَعْيُنُ وأَنتُم فيها خَالِدون ﴾[٣] فالمرأة إذا كانت من أهل الجنة ولم تتزوج أو كان زوجها ليس من أهل الجنة ، فإنها إذا دخلت الجنة فهناك من أهل الجنة من لم يتزوجوا من الرجال وهم – أعني من لم يتزوجوا من الرجال – لهم

---

(١) البقرة ٣٥
(٢) فصلت ٣١ - ٣٣
(٣) الزخرف ٧١ .

زوجات من الحور وهم زوجات من أهل الدنيا إذا شاءوا واشتهت ذلك أنفسهم ، وكذلك نقول بالنسبة للمرأة إذا لم تكن ذات زوج أو كانت ذات زوج في الدنيا ولكنه لم يدخل معها الجنة أنها إذا اشتهت أن تتزوج فلابد أن يكون لها ما تشتهيه لعموم هذه الآيات .

ولا يحضرني الآن نص خاص في هذه المسألة والعلم عند الله تعالى .

٢٨٧ ـــــ فضيلة الشيخ : ذُكِرَ للرِّجال الحُورُ العِينُ في الجنّة فما للنِّساء ؟

يقول الله تبارك وتعالى في نعيم أهل الجنة : ﴿ ولَكُم فيها ما تَشْتَهِي أنفسُكم ولكم فيها ما تَدَّعُون . نُزُلاً مِّنْ غفورٍ رحيم ﴾[١] ويقول تعالى : ﴿ وفيها ما تَشْتَهِيه الأنفُسُ وتَلَذُّ الأَعْيُنُ وأَنتُم فيها خالِدُون ﴾[٢] .

ومن المعلوم أن الزواج من أبلغ ما تشتهيه النفوس فهو حاصل في الجنة لأهل الجنة ذكورا كانوا أم إناثا ، فالمرأة يزوجها الله تبارك وتعالى في الجنة بزوجها الذي كان زوجا لها في الدنيا كما قال الله تبارك وتعالى : ﴿ رَبَّنا وأَدْخِلْهم جَنَّاتِ عَدْنٍ التي وَعَدتَّهم ومَنْ صَلَحَ مِنْ آبائهم وأزواجِهم وذُرِّيَّاتِهم إنك أنت العزيزُ الحكيم ﴾[٣] .

---

(١) فصلت ٣١ – ٣٢ (٢) الزخرف ٧١
(٣) غافر ٨ .

٢٨٨ إذا كانت المرأة لها زوجان في الدنيا فمع من تكون منهما ؟ ولماذا ذكر الله الزوجات للرجال ولم يذكر الأزواج للنساء ؟

إذا كانت المرأة لها زوجان في الدنيا فإنها تخيّر بينهما يوم القيامة في الجنة ، وإذا لم تتزوج في الدنيا فإن الله تعالى يزوجها ما تقر به عينها في الجنة ، فالنعيم في الجنة ليس مقصورا على الذكور وإنما هو للذكور والإناث ومن جملة النعيم الزواج . وقول السائل إن الله تعالى ذكر الحور العين وهن زوجات و لم يذكر للنساء أزواجا . فنقول إنما ذكر الزوجات للأزواج لأن الزوج هو الطالب وهو الراغب في المرأة فلذلك ذُكرت الزوجات للرجال في الجنة ، وسكت عن الأزواج للنساء ولكن ليس مقتضى ذلك أنه ليس لهن أزواج بل لهن أزواج من بني آدم .

٢٨٩ وسئل : هل النار مؤبدة أو تفنى ؟

فأجاب بقوله : المُتَعَيِّنُ قطعًا أنها مؤبدة ولا يكاد يعرف عند السلف سوى هذا القول ، ولهذا جعله العلماء من عقائدهم ، بأن نؤمن ونعتقد بأن النار مؤبدة أبدَ الآبدين ، وهذا الأمر لا شك فيه ؛ لأن الله تعالى ذكر التأبيد في ثلاثة مواضع من القرآن :

الأول : في سورة النساء في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ

فِيهَا أَبَدًا ﴾[1] .

والثاني : في سورة الأحزاب : **﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾**[2]

والثالث :وفى سورة الجن : **﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾**[3] .

ولو ذكر الله عز وجل التأبيد في موضع واحد لكفى ، فكيف وهو قد ذكره فى ثلاثة مواضع ؟ ! ومن العجب أن فئة قليلة من العلماء ذهبوا إلى أنها تفنى بناء على عِلَل عليلة لمخالفتها لمقتضى الكتاب والسنة وحَرَّفُوا من أجلها الكتاب والسنة فقالوا : إن « خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا » ما دامت موجودة فكيف هذا ؟ ! !

إذا كانوا خالدين فيها أبدًا ، لزم أن تكون هي مؤبدة « فيها »هم كائنون فيها وإذا كان الإنسان خالدًا مؤبدًا تخليده ، لزم أن يكون مكان الخلود مؤبدًا ؛ لأنه لو فني مكان الخلود ما صح تأبيد الخلود ، والآية واضحة جدًا والتعليلات الباردة المخالفة للنص مردودة على صاحبها ، وهذا الخلاف الذي ذكر عن فئة قليلة من أهل العلم خلاف مُطرح لأنه مخالف للنص الصريح الذي يجب على كل مؤمن أن يعتقده ، ومن خالفه لشبهة قامت عنده فيعذر عند الله ، لكن من تأمل نصوص الكتاب والسنة عرف أن القول بتأبيدها هو الحق الذي لا يحق العدول عنه .

---

(١) النساء : ١٦٨

(٢) الأحزاب : ٦٤ .

(٣) الجن : ٢٣ .

والحكمة تقتضي ذلك لأن هذا الكافر أفنى عمره كل عمره في محاربة الله عز وجل ومعصية الله والكفر به وتكذيب رسله مع أنه جاءه النذير وأُعْذرَ وبُيِّنَ له الحقُّ ودُعِي إليه وقُوتِلَ عليه وأصر على الكفر والباطل فكيف نقول أن هذا لا يؤبد عذابه ؟ ! والآيات في هذا صريحة كما تقدم .

۲۹۰ ـــــــــ سئل : هل النار لها اسم واحد أو أسماء متعددة ؟

فأجاب قائلًا : نار جهنم لها أسماء متعددة وهذا التعدد في الأسماء لاختلاف صفاتها ، فتسمى الجحيم ، وتسمى جهنم ، ولظى ، والسعير ، وسقر ، والحُطَمَة ، والهاوية ، بحسب اختلاف الصفات والمسمى واحد فكل ما صح في كتاب الله أو سنة الرسول ﷺ من أسمائها فإنه يجب على المؤمن أن يصدق به ويثبته .

۲۹۱ ـــــــــ وسئل الشيخ : إذا استعاذ الإنسان من عذاب جهنم فهل المراد أن يعوذ بالله من المعاصي المؤدية إلى جهنم أو يتعوذ بالله من جهنم ؟

فأجاب بقوله : يشمل الأمرين فهو يستعذ بالله من عذاب جهنم أي من فعل الأسباب المؤدية إلى عذاب جهنم .

ومن عذاب جهنم أي من عقوبة جهنم إذا فعل الأسباب التي توجب ذلك ، لأن الإنسان بين أمرين إما عصمة من الذنوب فهذه إعاذة من فعل السبب ، وإما عفو عن الذنوب وهذه إعاذة من العذاب ، وقولنا العصمة من الذنوب ليس معناه العصمة المطلقة ، لأن النبي ﷺ قال : « كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاء وَخَيْر الْخطَّائِينَ التَّوَّابُونَ » وقال : « لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُون فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ » .

٢٩٢ ـــــ وسئل : هل عذاب النار حقيقي أو أن أهلها يكونون فيها كأنهم حجارة لا يتألمون ؟

فأجاب بقوله : عذاب أهل النار حقيقي بلا ريب ، ومن قال خلاف ذلك فقد أخطأ وأَبْعَدَ النُّجْعَةَ فأهلها يعذبون فيها ويألمون ألمًا عظيمًا شديدًا ، كما قال تعالى في عدة آيات : ﴿ **لَهُمْ عَذَاب أَلِيم** ﴾ حتى إنهم يتمنون الموت ، والذي يتمنى الموت هل يقال إنه يتألم أو أنه تأقلم ؟ ! لو تأقلم ما تألم ولا دعا الله أن يقضي عليه : ﴿ **وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ** ﴾[1] إذن هم يتألمون بلا شك ، والحرارة النارية تؤثر على أبدانهم ظاهرها وباطنها ، وقال الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا** ﴾[2] وهذا واضح

(١) الزخرف : ٧٧
(٢) النساء : ٥٦ .

أن ظاهر أبدانهم يتألم وينضج ، وقال تعالى : ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ﴾[1] وشيُّ الوجوه واللحم معروف فهم إذا استغاثوا ﴿ يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ ﴾ بعد مدة طويلة وهذا الماء إذا أقبل على وجوههم شواها وتساقطت والعياذ بالله فإذا شربوه قطع أمعاءهم ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾[2] وهذا عذاب الباطن ، وقال النبي ﷺ في أهون أهل النار عذابًا « إِنَّهُ فِي ضَحْضَاحٍ من نَّارٍ وَعَلَيْهِ نَعْلاَنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ » أعوذ بالله الدماغ يغلي فما بالك بما دونه مما هو أقرب إلى النعلين وهذا دليل واضح على أنهم يتألمون ، وأن هذه النار تؤثر فيهم وكذلك قال تعالى : ﴿ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾[3] المحرق والآيات والأحاديث في هذا كثيرة واضحة تدل على بطلان قول من قال إنهم يكونون كالحجارة لا يتألمون .

۲۹۳ ـــــــ وسئل الشيخ : هل هناك ناران نار لأهل الكفر ، ونار لأهل المعاصي الذين يعذبون فيها ثم يخرجون ؟

فأجاب بقوله : زعم بعض العلماء ذلك وقال : إن النار ناران نار لأهل الكفر ، ونار لأهل المعاصي من المؤمنين وبينهما فرق ، ولكن هذا لا أعلم له دليلًا لكن عذابهما يختلف ، لا شك أنها على عصاة المؤمنين ليست كما هي على الكافرين وكوننا نقول بالتقسيم بناء على استبعاد عقولنا

ـــــــ

(۱) الكهف : ۲۹ .

(۲) محمد : ۱٥ .

(۳) الأنفال : ٥٠ .

أن تكون نار واحدة تؤثر تأثيرين مختلفين لا ينبغي ؛ لأن هذا الاستبعاد لا وجه له لأمرين :

الأول : أن الله على كل شيء قدير ، وأن الله قادر على أن يجعل النار الواحدة لشخص سلامًا ، ولآخر عذابًا .

الأمر الثاني : أن أحوال الآخرة لا تقاس بأحوال الدنيا أبدًا لظهور الفرق العظيم بينهما ، فلا يجوز أن تقيس أحوال الآخرة بأحوال الدنيا لتنفي ما لا يتسع عقلك ، بل عليك بالنسبة لأحوال الاخرة أن تسلم وتقبل وتصدق ، أليست هذه الشمس تدنو من الخلائق قدر ميل يوم القيامة ؟ ولو كانت أحوال الناس يوم القيامة كأحوالهم في الدنيا لأحرقتهم ؛ لأن هذه الشمس في أوجها لو أنها نزلت ولو يسيرًا أحرقت الأرض ومحتها عن آخرها ونحن نحس بحرارتها الآن وبيننا وبينها مسافات عظيمة لا سيما في أيام الصيف حين تكون عمودية ، ومع ذلك تدنو من الخلائق يوم القيامة على قدر ميل ولا يحترقون بها ، كذلك أيضًا في يوم القيامة الناس في مقام واحد المؤمنون لهم نور يسعى بين أيديهم وبأيمانهم ، والكفار في ظلمة ، ولكن في الدنيا لوكان بجانبك واحد على يمينه نور وبين يديه نور فإنك تنتفع به ، أما في الآخرة فلا ، وفي الآخرة أيضًا يعرق الناس فيختلف العرق اختلافًا عظيمًا بينهم ، وهم في مكان واحد ، فمن الناس من يصل العرق إلى كعبيه ، ومنهم من يصل إلى ركبتيه ، ومنهم من يصل إلى حقويه ، ومنهم من يلجمه العرق ، وهم في مكان واحد .

فالمهم أنه لا يجوز أن نقيس أحوال الآخرة بأحوال الدنيا ثم نذهب ونحدث أشياء لم تأت في الكتاب والسنة كتقسيم النار إلى نارين : نار للعصاة ، ونار للكافرين فالذي بلغنا ووصل إليه علمنا أنها نار واحدة لكنها تختلف .

۲۹٤ ــــ وسئل : هل النار في السماء أو في الأرض ؟

فأجاب قائلًا : هي في الأرض ، ولكن قال بعض أهل العلم إنها هي البحار ، وقال آخرون بل هي في باطن الأرض ، والذى يظهر أنها فى باطن الأرض ولكن ما ندري أين هي من الأرض ، نؤمن بأنها في الأرض وليست في السماء ولكن لا نعلم في أي مكان هي على وجه التعيين . والدليل على أن النار في الأرض ما يلي : قال الله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴾[1] وسجين هي الأرض السفلى ، وكذلك جاء في الحديث فيمن احتضر وقبض من الكافرين فإنها لا تفتح لهم أبواب السماء ، ويقول الله تعالى : « اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي سَجِينٍ وَأَعِيدُوهُ إِلَى الأَرْضِ » ولو كانت النار في السماء لكانت تفتح لهم أبواب السماء ليدخلوها ؛ لأن النبي ﷺ رأى أصحابها يعذبون فيها ، وإذا كانت في السماء لزم من دخولهم في النار التي في السماء أن تفتح لهم أبواب السماء .

(١) المطففين : ٧ .

لكن بعض الناس استشكل وقال : كيف يراها الرسول ﷺ ليلة عرج به وهي في الأرض ؟ !

وأنا أعجب لهذا الاستشكال ، إذاكنا نحن في الطائرة نرى الأرض تحتنا بعيدة وندركها فكيف لا يرى النبي ﷺ النار وهو في السماء ؟ ! !

فالحاصل أنها في الأرض وقد روي في هذا أحاديث لكنها ضعيفة ، وروي آثار عن السلف كابن عباس ، وابن مسعود ، وهو ظاهر القرآن ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ** ﴾[1] والذين كذبوا بالآيات واستكبروا عنها لا شك أنهم في النار .

٢٩٥ ـــــ سئل الشيخ حفظه الله : هل ما يذكر من أن أكثر أهل النار النساء صحيح ؟ ولماذا ؟

الجواب : هذا صحيح ، فإن النبي ﷺ قال لهن وهو يخطب فيهن : « يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ » وقد أُورِدَ على النبي ﷺ هذا الإشكالُ الذي أورده السائل قُلْنَ : وَبِمَ يَا رَسُولَ الله ؟ قال : « تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ ، وَتَكْفُرْنَ العَشِيرَ » فَبَيَّنَ النبي ﷺ أسباب كثرتهن في النار ، لأنهن يكثرن السب ، واللعن ، والشتم ، ويكفرن العشير الذي هو الزوج فصرن بذلك أكثر أهل النار .

(١) الأعراف : ٤٠ .

الشفاعـــــة

٢٩٦ سئل الشيخ : عن الشفاعة ؟ وأقسامها ؟

فأجاب : الشفاعة : مأخوذة من الشَّفْعِ ، وهو ضد الوتر ، وهو جعل الوتر شفعًا مثل أن تجعل الواحد اثنين ، والثلاثة أربعة ، وهكذا هذا من حيث اللغة .

أما في الاصطلاح : فهي : « **التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة** » يعني أن يكون الشافع بين المشفوع إليه ، والمشفوع له واسطة لجلب منفعة إلى المشفوع له ، أو يدفع عنه مضرة .

والشفاعة نوعان :

النوع الأول : شفاعة ثابتة صحيحة ، وهي التي أثبتها الله تعالى في كتابه ، أو أثبتها رسوله ﷺ ولا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص ؛ لأن أبا هريرة رضي الله عنه قال : يَا رسُولَ الله مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ ؟ قال : « مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا الله خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ » .

وهذه الشفاعة لها شروط ثلاثة : -

الشرط الأول : رِضَى الله عن الشافع .

الشرط الثاني : رِضَى الله عن المشفوع له .

الشرط الثالث : إذن الله تعالى للشافع أن يشفع .

وهذه الشروط مجملة في قوله تعالى : ﴿ **وَكَم مِن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى** ﴾[1] ومفصله في قوله : ﴿ **مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ** ﴾[2] وقوله : ﴿ **يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا** ﴾[3] وقوله : ﴿ **وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى** ﴾[4] فلابد من هذه الشروط الثلاثة حتى تتحقق الشفاعة .

ثم إن الشفاعة الثابتة ذكر العلماء رحمهم الله تعالى أنها تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول : الشفاعة العامة ، ومعنى العموم أن الله سبحانه وتعالى يأذن لمن شاء من عباده الصالحين أن يشفعوا لمن أذن الله لهم بالشفاعة فيهم ، وهذه الشفاعة ثابتة للنبي ﷺ ، ولغيره من النبيين ، والصديقين ، والشهداء ، والصالحين ، وهي أن يشفع في أهل النار من عصاه المؤمنين أن يخرجوا من النار .

القسم الثاني : الشفاعة الخاصة : التي تختص بالنبي ﷺ وأعظمها الشفاعة العظمى التي تكون يوم القيامة ، حين يلحق الناس من الغم

(١) النجم : ٢٦ .

(٢) البقرة : ٢٥٥ .

(٣) طه : ١٠٩ .

(٤) الأنبياء : ٢٨ .

والكرب مالا يطيقون ، فيطلبون من يشفع لهم إلى الله عز وجل أن يريحهم من هذا الموقف العظيم ، فيذهبون إلى آدم ، ثم نوح ، ثم إبراهيم ، ثم موسى ، ثم عيسى وكلهم لا يشفع حتى تنتهي إلى النبي ﷺ .

فيقوم ويشفع عند الله عز وجل أن يخلص عباده من هذا الموقف العظيم ، فيجيب الله تعالى دعاءه ، ويقبل شفاعته ، وهذا من المقام المحمود الذي وعده الله تعالى به في قوله : ﴿ **ومِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لك عَسَى أن يَبْعَثَكَ رَابُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودا** ﴾[1] .

ومن الشفاعة الخاصة بالرسول ﷺ شفاعته في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة ، فإن أهل الجنة إذا عبروا الصراط أُوقِفُوا على قنطرة بين الجنة والنار فَتُمَحَصُ قُلُوبُ بَعْضِهِم من بعض حتى يُهَذَّبُوا ويُنَقُّوا ثم يؤذن لهم في دخول الجنة فتفتح أبواب الجنة بشفاعة النبي ﷺ .

النوع الثاني : الشفاعة الباطلة التي لا تنفع أصحابها ، وهي ما يَدَّعِيهِ المشركون من شفاعة آلهتهم لهم عند الله عز وجل ، فإن هذه الشفاعة لا تنفعهم كما قال الله تعالى : ﴿ **فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ** ﴾[2] وذلك لأن الله تعالى لا يرضى لهؤلاء المشركين شركهم ، ولا يمكن أن يأذن بالشفاعة لهم ؛ لأنه لا شفاعة إلا لمن ارتضاه الله عز وجل ، والله لا يرضى لعباده الكفر ولا يحب الفساد ، فتعلق المشركين بآلهتهم يعبدونها ويقولون : ﴿ **هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللهِ** ﴾[3] تعلق باطل غير نافع ، بل

---

(١) الإسراء : ١٩ .

(٢) المدثر : ٤٨ .

(٣) يونس : ١٨ .

هذا لا يزيدهم من الله تعالى إلا بعدًا على أن المشركين يرجون شفاعة أصنامهم بوسيلة باطلة وهي عبادة هذه الأصنام ، وهذا من سفههم أن يحاولوا التقرب إلى الله تعالى بما لا يزيدهم منه إلا بعدا .

٢٩٧ ــــــــــ يقول النبي ﷺ : « يقولُ اللهُ تعالى : شَفَعَتْ الملائكةُ وشَفَعَ النَّبِيُّونَ ، وشَفَعَ المؤمنون ولم يَبْقَ إلاَّ أَرْحَمُ الراحمين فيَقْبِضُ قَبْضَةً من النارِ فيُخْرِجُ منها قوماً لم يعملوا خيرًا قَطُّ » . رواه مسلم ، ما معنى قوله « لم يَعْمَلُوا خَيْراً قَطّ » ؟

معنى قوله « لم يعملوا خيراً قط » أنهم ما عملوا أعمالا صالحة لكن الإيمان قد وقر في قلوبهم ، فإما أن يكون هؤلاء قد ماتوا قبل التمكّن من العمل آمنوا ثم ماتوا قبل أن يتمكنوا من العمل وحينئذ يصدق عليهم أنهم لم يعملوا خيرا قط .

وإما أن يكون هذا الحديث مقيّدا بمثل الأحاديث الدالة على أن بعض الأعمال الصالحة تَرْكُها كُفْر كالصلاة مثلا فإن من لم يُصَلِّ فهو كافر ، ولو زعم أنه مؤمن بالله ورسوله . والكافر لا تنفعه شفاعة الشافعين يوم القيامة وهو خالد مخلد في النار أبد الآبدين والعياذ بالله .

فالمهم أن هذا الحديث إما أن يكون في قوم آمنوا و لم يتمكنوا من العمل فماتوا فور إيمانهم فما عملوا خيراً قط .

وإما أن يكون هذا عاما ولكنه يستثنى منه ما دلت النصوص الشرعية على أنه لابد أن يعمل كالصلاة فمن لم يصل فهو كافر لا تنفعه الشفاعة ولا يخرج من النار .



القضـــاء والقــــدر

٢٩٨ ـــ ما مصير الأطفال الذين ماتوا صغارا : أطفال المؤمنين وأطفال المشركين ؟

مصير أطفال المؤمنين الجنة لأنهم تَبَعٌ لآبائهم . قال تعالى : ﴿ **والذين آمنوا واتَّبعتْهُم ذُرِّيَّتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتَهم وما أَلَتْناهُم من عملِهم مِن شيءٍ كلُّ امْرِىءٍ بما كَسَبَ رَهِينٌ** ﴾[1] .

وأما أطفال غير المؤمنين يعني الطفل الذي نشأ من أبوين غير مسلمين فأصح الأقوال فيهم أن نقول : الله أعلم بما كانوا عاملين ، فهم في أحكام الدنيا بمنزلة آبائهم ، أما في أحكام الآخرة فإن الله تعالى أعلم بما كانوا عاملين ، كما قال النبي ﷺ ، والله أعلم بمصيرهم هذا ما نقوله وهو في الحقيقة أمر لا يعنينا كثيراً إنما الذي يعنينا هو حكمهم في الدنيا وأحكامهم في الدنيا – أعني أولاد المشركين – أحكامهم في الدنيا أنهم كالمشركين لا يغسلون ولا يكفنون ولا يصلّى عليهم ولا يُدفنون في مقابر المسلمين . والله أعلم .

---

(١) الطور ٢١ .

٢٩٩ ما معنى قول الرسول ﷺ : « إنّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى ما يكونُ بينه وبينها إلا ذِرَاعٌ فيَسْبِق عليه الكتابُ فيَعْمَلُ بعَمَلِ أَهْلِ النارِ فيدخلُها ، وإنَّ الرجلَ ليَعْمَلُ بعَمْلِ أَهْلِ النارِ حتّى ما يكونُ بينه وبينها إلا ذِرَاعٌ فيَسْبِقُ عليه الكتابُ فيَعْمَلُ بعَمَلِ أَهْلِ الجّنةِ فيدخلُها » أو كما قال ﷺ ؟ وهل يعارض الحديثُ قولَه تعالى : ﴿ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسن عَمَلاً ﴾ ؟

هذا الحديث حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يخبر فيه النبي ﷺ أن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع لقرب أجله وموته ثم يسبق عليه الكتاب الأول الذي كتب أنه من أهل النار فيعمل بعمل أهل النار – والعياذ بالله – فيدخلها ، وهذا فيما يبدو للناس ويظهر كما جاء في الحديث الصحيح : « إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار » –نسأل الله العافية– وكذلك الأمر بالنسبة للثاني يعمل الإنسان بعمل أهل النار فيمُنُّ الله تعالى عليه بالتوبة والرجوع إلى الله عند قرب أجله فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها .

والآية التي ذكرها السائل لا تعارض الحديث ، لأن الله تعالى قال : ﴿ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾[1] ومن أحسن العمل في قلبه وظاهره فإن الله تعالى لا يضيع أجره ، لكن الأول الذي عمل بعمل أهل الجنة فسبق عليه الكتاب كان يعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس فيسبق عليه الكتابُ ، وعلى هذا يكون عمله ليس حسنا وحينئذ لا يعارض الآية الكريمة . والله الموفق .

٣٠٠ ــ فضيلة الشيخ : نرجو توضيح قول الله تعالى ﴿ والله خَلَقَكُم وما تَعْمَلُون ﴾ ؟

هذا مما قاله إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه : ﴿ **قال أَتَعْبُدُونَ ما تَنْحِتُون . واللهُ خَلَقَكُم وما تَعْمَلُون** ﴾[2] أي ما تعملون من هذه الأصنام ليقيم عليهم الحجة بأنها لا تصلح آلهة لأنها إذا كانت مخلوقة لله تعالى فمن الذي يستحق العبادة المخلوق أم الخالق ؟ الجواب : الخالق . وهل يستحق المخلوق أن يكون شريكا في هذه العبادة ؟ لا . فإبراهيم عليه الصلاة والسلام أراد أن يقيم الحجة على قومه بأن ما عملوه من هذه الأصنام التي نحتوها مخلوق لله عز وجل فكيف يليق بهم أن يشركوا مع الله تعالى هذا المخلوق . وعلى هذا فقوله ﴿ **وما تعملون** ﴾ « ما » اسم موصول عائد على قوله « ما تنحتون » هذا وجه هذه الآية . وليس

(١) الكهف ٣٠ .
(١) الصافات ٩٥ - ٩٦ .

فيها أنه يبرر شركهم بالله ويقول : إن عملكم مخلوق لله فأنتم بريئون من اللوم عليه ، كلا لأننا لو قلنا ذلك لكان يحتجّ لهم ولا يحتج عليهم ، ولكن هو يحتج عليهم وليس يحتج لهم .

٣٠١ ــ ما الجمع بين قول الله تعالى : ﴿ فمَن يُرِدِ اللهُ أن يَهْدِيَه يَشْرَحْ صَدْرَه للإسلامِ ومَن يُرِدْ أن يُضِلَّه يَجْعَلْ صَدْره ضَيِّقاً حَرَجاً ﴾[١] وبين قوله ﴿ فمَن شَاءَ فَلْيُؤْمن وَّمَن شاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[٢] ؟

الجمع بينهما أن الله تعالى يخبر في بعض الآيات بأن الأمر بيده ، ويخبر في بعض الآيات أن الأمر راجع إلى المكلَّف ، والجمع بين هذه النصوص أن يقال : إن للمكلف إرادة واختيارا وقدرة وأن خالق هذه الإرادة والاختيار والقدرة هو الله عز وجل ، فلا يكون للمخلوق إرادة إلا بمشيئة الله عز وجل وقد قال الله تعالى مبينا الجمع بين هذه النصوص : **﴿ لِمَن شاءَ مِنكُم أن يَسْتَقِيم . وما تَشاءون إلاَّ أن يَشَاءَ اللهُ رَبُّ العالمين ﴾**[٣] ولكن متى يشاء الله تعالى أن يهدي الإنسان أو أن يضله هذا هو ما جاء في قوله تعالى : **﴿ فأمَّا مَنْ أعْطَى واتَّقَى . وصَدَّقَ بالحُسْنَى . فَسَنُيَسِّرُه لليُسْرَى . وأمَّا مَن بَخِلَ واسْتَغْنَى . وكَذَّب**

(١) الأنعام ١٢٥
(٢) الكهف ٢٩
(٣) التكوير ٢٨ - ٢٩

بالحسنَى . فَسَنُيَسِّرُهُ للعُسْرَى ﴾[1] واقرأ قوله تعالى : ﴿ فلمَّا زَاغُوا أزاغَ اللهُ قلوبَهم واللهُ لا يَهْدِي القومَ الفاسقين ﴾[2] تجد أن سبب ضلال العبد من نفسه فهو السبب ، والله تعالى يخلق عند ذلك فيه إرادة للسوء لأنه هو يريد السوء وأما من أراد الخير وسعى في الخير وحرص عليه فإن الله تعالى ييسره لليسرى ، ولما حَدَّث النبيُّ ﷺ أصحابَه بأنه : « ما مِنْ أَحَدٍ إلا وقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُه من الجنَّةِ ومَقْعَدُه من النارِ . قالوا يا رسول الله أفلا نَتَّكِلُ على الكتابِ ونَدَعُ العملَ ؟ قال : لا اعملوا فكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ له ثم قرأ هذه الآية ﴿ فأَمَّا مَنْ أَعْطَى واتَّقَى ... ﴾[3] إلخ .

واعلم يا أخي أنه لا يمكن أن يوجد في كلام الله أو فيما صح عن رسول الله ﷺ تناقض أبدا ، فإذا قرأت نصين ظاهرهما التناقض فأعد النظر مرة أخرى فسيتبين لك الأمر ، فإن لم تعلم فالواجب عليك التوقف وأن تكل الأمر إلى عالمه . والله بكل شيء عليم .

٣٠٢ ـ ما حكم استعمال « لو » ؟ أفتونا مغفورا لكم .

استعمال « لو » فيه تفصيل على الوجوه التالية :

الوجه الأول : أن يكون المراد بها مجرد الخبر فهذه لا بأس بها مثل

---

(١) الليل ٥ – ١٠

(٢) الصف ٥

(٣) الليل ٥ – ١٠ .

أن يقول الإنسان لشخص لو زرتني لأكرمتُك ، أو لو علمتُ بك لجئتُ إليك .

والوجه الثاني : أن يقصد بها التمني فهذه على حسب ما تمناه إن تمنى بها خيرا فهو مأجور بنيته ، وإن تمنى بها سوى ذلك فهو بحسبه ، ولهذا قال النبي ﷺ في الرجل الذي له مال ينفقه في سبيل الله وفي وجوه الخير ورجل آخر ليس عنده مال قال : لو أنّ لي مِثْلَ مالِ فُلاَنٍ لعَمِلْتُ فيه مِثْلَ عَمَلِ فلانٍ . فقال رسول الله ﷺ : « هما في الأَجْرِ سَوَاءٌ » . والثاني رجل ذو مال لكنه ينفقه في غير وجوه الخير فقال رجل آخر لو أن لي مثل مال فلان لعملت فيه مثل عمل فلان . فقال رسول الله ﷺ : « هما في الوِزْرِ سَوَاء » . فهي إذا جاءت للتمني تكون بحسب ما تمناه العبد إن تمنى خيرا فهي خير ، وإن تمنى سوى ذلك فله ما تمنى .

الوجه الثالث : أن يراد بها التحسر على ما مضي فهذه منهي عنها لأنها لا تفيد شيئا وإنما تفتح الأحزان والندم ، وفي هذه يقول الرسول ﷺ : « المؤمنُ القويُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إلى اللهِ مِن المؤمنِ الضَّعِيفِ ، وفي كُلٍ خَيْرٌ ، احْرِصْ على ما يَنْفَعُك ، واسْتَعِنْ باللهِ ولا تَعْجِزْ ، وإنْ أصابك شَيْءٌ فلا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ لكان كَذا ؛ فإنَّ « لَوْ » تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَان » . وحقيقةً أنه لا فائدة منها في هذا المقام لأن الإنسان عمل ماهو مأمور به من السعي لما ينفعه ؛ ولكن القضاء والقَدَر كان بخلاف ما يري ، فكلمة « لو » في هذا المقام إنما تفتح باب الندم والحزن ؛ ولهذا نهى عنها رسول الله ﷺ لأن الإسلام لا يريد من الإنسان أن يكون محزونا ومهموما بل يريد منه أن يكون منشرح الصدر ، وأن يكون

مسرورا طَلِيقَ الوجه ، ونبه الله المؤمنين لهذه النقطة بقوله : ﴿ **إنَّما النَّجْوَى مِن الشَّيْطانِ لِيَحْزُنَ الذين آمنوا وليس بضَآرِّهم شيئاً إلاّ بإذْنِ اللهِ** ﴾[1] . وكذلك في الأحلام المكروهة التي يراها النائم في منامه فإنّ الرسول عليه الصلاة والسلام أرشد المرء إلى أن يَتْفُلَ عن يساره ثلاث مراتٍ ، وأن يستعيذ بالله من شَرِّها ومن شر الشيطان ، وأن ينقلب إلى الجنب الآخر ، وألاّ يُحَدِّث بها أحدا لأجل أن ينساها ولا تطرأ على باله قال « فإنّ ذلك لا يَضُرُّه » ، والمهم أن الشرع يحب من المرء أن يكون دائما في سرور ودائما في فرح ليكون متقبلا لما يأتيه من أوامر الشرع ، لأن الرجل إذا كان في ندم وهَمّ وفي غمّ وحَزَن لا شك أنه يضيق ذَرْعا بما يلقي عليه من أمور الشرع وغيرها . لهذا يقول الله تعالى لرسوله دائما : ﴿ **ولا تَحْزَنْ عليهم ولا تَكُ في ضَيْقٍ مما يَمْكُرون** ﴾[2] ﴿ **لَعَلَّك بَاخِعٌ نَفْسَكَ ألاَّ يَكُونُوا مُؤْمنين** ﴾[3] ولهذه النقطة بالذات تجد بعض الغيورين على دينهم إذا رَأَوْا من الناس ما يكرهون تجدهم يؤثّر ذلك عليهم ، حتى على عبادتهم الخاصة ، ولكن الذي ينبغي .. أن يتلقوا ذلك بحزم وقوة ونشاط ، فيقوموا بما أوجب الله عليهم من الدعوة إلى الله على بصيرة ، ثم إنه لا يضرّهم مَنْ خالفهم .

---

(١) المجادلة ١٠ .
(٢) النحل ١٢٧
(٣) الشعراء ٣ .

٣٠٣ ــــــــــ ما رأي فضيلتكم في استعمال كلمة « صُدْفة » ؟ دام فضلكم ونفع الله بعلومكم .

رَأْيُنا في هذا القول أنه لا بأس به وهذا أمر متعارف ، وأظن أن فيه أحاديث بهذا التعبير « صادفَنا رسولُ الله » ، « صادفنا رسولَ الله » لكن لا يحضرني الآن حديث معيّن في هذا الخصوص .

والمصادفة والصدفة بالنسبة لفعل الإنسان أمر واقع ، لأن الإنسان لا يعلم الغيب ؛ فقد يصادفه الشيء من غير شعور به ومن غير مقدمات له ولا توقع له ، لكن بالنسبة لفعل الله لا يقع هذا ، فإن كل شيء عند الله معلوم ، وكل شيء عنده بمقدار ، وهو سبحانه وتعالى لا تقع الأشياء بالنسبة إليه صدفة أبدا ، لكن بالنسبة لي أنا وأنت نتقابل بدون ميعاد وبدون شعور وبدون مقدمات ، فهذا يقال له صدفة ولا حرج فيه ، وأما بالنسبة لفعل الله فهذا أمر ممتنع ولا يجوز .

٣٠٤ ــــــــــ ما حُكْم قول « وشاءت قُدْرة الله » ؟ و « شاء القَدر » ؟

لا يصح أن نقول « شاءت قدرة الله »لأن المشيئة إرادة ، والقدرة معنى ، والمعنى لا إرادة له ، وإنما الإرادة للمريد والمشيئة لشيء ، ولكننا نقول : اقتضت حكمة الله كذا وكذا ، أو نقول عن الشيء إذا وقع : هذه قدرة الله . أي مقدوره ؛ كما تقول : هذا خَلْق الله . أي مخلوقه .

وأما أن نضيف أمرا يقتضي الفعل الاختياري إلى القدرة فإن هذا لا يجوز . ومثل ذلك قولهم : شاء القدر كذا وكذا . وهذا لا يجوز لأن القدر والقدرة أمران معنويان ولا مشيئة لهما وإنما المشيئة لمن هو قادر ولمن هو مُقَدِّر . والله أعلم .

٣٠٥ ما حكم قولهم : تَدَخَّلَ القَدَر ؟ وتدخلت عِناية الله ؟

قولهم تدخل القدر لا تصلح ، لأنها تعني أن القدر اعتدى بالتدخل وأنه كالمتطفِّل على الأمر ، مع أنه - أي القَدَر - هو الأصل فكيف يقال تدخل ؟ والأصح أن يُقال : ولكن نزل القضاء والقدر ، أو غلب القدر ، ونحو ذلك . ومثل ذلك : تدخلت عناية الله ، الأَوْلَى إبدالها بكلمة حَصَلَتْ عنايةُ الله ، أو اقتضت عناية الله .

٣٠٦ بعض الناس لا يحب دراسة العقيدة خصوصا مسألة القدر خوفا من الزلل فما رأي فضيلتكم في ذلك ؟

هذه المسألة كغيرها من المسائل المهمة التي لابد للإنسان منها في دينه ودنياه لابد أن يخوض غمارها ، وأن يستعين بالله تبارك وتعالى على تحقيقها ومعرفتها حتى يتبين له الأمر ، لأنه لا ينبغي أن يكون على شك في هذه الأمور المهمة ، أما المسائل التي لا تَخِلّ بدينه لو أجّلها ويخشى

أن تكون سببا لانحرافه فإنه لا بأس أن يؤجلها مادام غيرها أهم منها . ومسائل القدر من الأمور المهمة التي يجب على العبد أن يحققها تماما حتى يصل فيها إلى اليقين وهي في الحقيقة ليس فيها إشكال ولله الحمد والذي يثقل دروس العقيدة على بعض الناس هو أنهم مع الأسف الشديد يرجحون جانب « كيف » على جانب « لِمَ » والإنسان مسئول عن عمله بأداتين من أدوات الاستفهام « لم » و« كيف » فلم عملت كذا ؟ هذا الإخلاص . كيف عملت كذا ؟ هذا المتابعة للرسول ﷺ . وأكثر الناس الآن مشغولون بتحقيق جواب « كيف » غافلون عن تحقيق جواب « لم » ولذلك تجدهم في جانب الإخلاص لا يتحرون كثيرا ، وفي جانب المتابعة يحرصون على أدق الأمور . فالناس الآن مهتمون كثيرا بهذا الجانب غافلون عن الجانب الأهم وهو جانب العقيدة وجانب الإخلاص وجانب التوحيد . لهذا تجد بعض الناس في مسائل الدنيا يسأل عن مسألة بسيطة جدا جدا وقلبه مُنْكَبٌّ على الدنيا غافل عن الله مطلقا في بيعه وشرائه ومركوبه ومسكنه وملبسه . فقد يكون بعض الناس الآن عابدا للدنيا وهو لا يشعر ، وقد يكون مشركا بالله في الدنيا وهو لا يشعر ، لأنه مع الأسف أن جانب التوحيد وجانب العقيدة لا يهتم بهما ليس من العامة فقط ولكن حتى من بعض طلاب العلم وهذا أمر له خطورته ، كما أن التركيز على العقيدة فقط بدون العمل الذي جعله الشارع كالحامي والسور لها ، خطأ أيضا لأننا نسمع في الإذاعات ونقرأ في الصحف التركيز على أن الدين هو العقيدة السمحاء وما أشبه ذلك من هذه العبارات . وفي الحقيقة أن هذا يخشى أن يكون بابا يَلِجُ منه

مَنْ يلج في استحلال بعض المحرمات بحجة أن العقيدة سليمة ولكن لابد من ملاحظة الأمرين جميعا ليستقيم الجواب على « لم » وعلى « كيف » .

وخلاصة الجواب : أنه يجب على المرء دراسة علم التوحيد والعقيدة ليكون على بصيرة في إلهه ومعبوده جل وعلا ، وعلى بصيرة في أسماء الله وصفاته وأفعاله ، على بصيرة في أحكامه الكونية والشرعية على بصيرة في حكمته وأسرار شرعه وخلقه ، حتى لا يضل بنفسه أو يضل غيره . وعلم التوحيد هو أشرف العلوم لشرف متعلقه ولهذا سماه أهل العلم (الفقه الأكبر) وقال النبي ﷺ : « مَنْ يُرِدْ اللهُ به خَيْراً يُفَقِّهْهُ في الدِّين » . وأول ما يدخل في ذلك وأولاه علم التوحيد والعقيدة . ولكن يجب على المرء أيضا أن يتحرى كيف يأخذ هذا العلم ومن أي مصدر يتلقاه . فليأخذ من هذا العلم أولا ما صفا منه وسلم من الشبهات ، ثم ينتقل ثانيا إلى النظر فيما أورد عليه من البدع والشبهات ليقوم بردها وبيانها مما أخذه من قبل من العقيدة الصافية . وليكن المصدر الذي يتلقاه منه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ثم كلام الصحابة رضي الله عنهم ، ثم ما قاله الأئمة بعدهم من التابعين وأتباعهم ، ثم ما قاله العلماء الموثوق بعلمهم وأمانتهم خصوصا شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم عليهما وعلى سائر المسلمين وأئمتهم سابغ الرحمة والرضوان .

٣٠٧ ـــــ فضيلة الشيخ : ما الفرق بين القضاء والقَدَر ؟

اختلف العلماء في الفرق بينهما فمنهم من قال : إنَّ القدر تقدير الله في الأزل ، والقضاء حكم الله بالشيء عند وقوعه ، فإذا قدّر الله تعالى

أن يكون الشيء المعين في وقته فهذا قَدَرَ فإذا جاء الوقت الذي يكون فيه هذا الشيء فإنه يكون قضاء . وهذا كثير في القرآن الكريم مثل قوله تعالى : ﴿ قُضِيَ الأَمْرُ ﴾[1] وقوله ﴿ واللهُ يَقْضِي بالحَقِّ ﴾[2] وما أشبه ذلك .

٣٠٨ ــــــ هل بين القضاء والقدر عموم وخصوص ؟

القضاء إذا أطلق شمل القدر ، والقدر إذا أطلق شمل القضاء ولكن إذا قيل القضاء والقدر صار بينهما فرق وهذا كثير في اللغة العربية تكون الكلمة لها معنى شامل عند الانفراد ومعنى خاص عند الاجتماع ، ويقال في مثل ذلك : إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا . فالقضاء والقدر الصحيح أنهما من هذا النوع يعنى أن القضاء إذا أفرد شمل القدر . والقدر إذا أفرد شمل القضاء لكن إذا اجتمعا فالقضاء ما يقضيه الله في خلقه من إيجاد أو إعدام أو تغيير . والقدر ما قدره الله تعالى في الأزل . هذا هو الفرق بينهما فيكون القدر سابقا والقضاء لاحقا .

٣٠٩ ــــــ ما حُكم الرِّضا بالقَدَر ؟ نفع الله بكم وبعلومكم .

الرِّضا بالقدر واجب لأنه من تمام الرضا بربوبية الله فيجب على كل مؤمن أن يرضى بقضاء الله . ولكن المقضي هو الذي فيه التفصيل

فالمقضي غير القضاء لأن القضاء فِعْلُ الله والمقضي مفعول اللهَ فالقضاء الذي هو فعل الله يجب أن نرضى به ولا يجوز أبدا أن نسخطه بأي حال من الأحوال . وأما المقضي فعلي أقسام :

القسم الأول : ما يجب الرضا به .

القسم الثاني : ما يحرم الرضا به .

القسم الثالث : ما يستحب الرضا به .

فمثلا المعاصي من مقضيات الله ويحرم الرضا بالمعاصي وإن كانت واقعة بقضاء الله . فمَنْ نظر إلى المعاصي من حيث القضاء الذي هو فعل الله يجب أن يرضى وأن يقول : إن الله تعالى حكيم ، ولولا أن حكمته اقتضت هذا ما وقع . وأما من حيث المقضى وهو معصية الله فيجب ألا ترضى به ، والواجب أن تسعى لإزالة هذه المعصية منك أو من غيرك . وقِسْم من المقضي يجب الرضا به مثل الواجب شرعا ، لأن الله حكم به كونا وحكم به شرعا فيحب الرضا به من حيث القضاء ومن حيث المقضي .

وقسم ثالث يستحب الرضا به ويجب الصبر عليه وهو ما يقع من المصائب فما يقع من المصائب يستحب الرضا به عند أكثر أهل العلم ولا يجب ، لكن يجب الصبر عليه . والفرق بين الصبر والرضا أن الصبر يكون الإنسان فيه كارها للواقع لكنه لا يأتي بما يخالف الشرع وينافي الصبر ، والراضي لا يكون كارها للواقع فيكون ما وقع وما لم يقع عنده سواء . فهذا هو الفرق بين الرضا والصبر ولهذا قال الجمهور : إن الصبر واجب والرضا مستحب .

٣١٠ ـــــ هل الدعاء يَرُدُّ القضاءَ ؟ أفتونا مأجورين .

الدعاء من الأسباب التي يحصل بها المدعو وهو في الواقع يرد القضاء ولا يرد القضاء ، يعني له جهتان ، فمثلا هذا المريض قد يدعو الله تعالى بالشفاء فيشفى فهنا لولا هذا الدعاء لبقى مريضا . لكن بالدعاء شفي ، إلا أننا نقول : إن الله سبحانه وتعالى قد قضى بأن هذا المرض يشفى منه المريض بواسطة الدعاء فهذا هو المكتوب فصار الدعاء يرد القدر ظاهريا حيث إن الإنسان يظن أنه لولا الدعاء لبقى المرض ، ولكنه في الحقيقة لا يرد القضاء ، لأن الأصل أن الدعاء مكتوب وأن الشفاء سيكون بهذا الدعاء هذا هو القدر الأصلي الذي كتب في الأزل ، وهكذا كل شيء مقرون بسبب فإن هذا السبب جعله الله تعالى سببا يحصل به الشيء وقد كتب ذلك في الأزل من قبل أن يحدث .

٣١١ ـــــ فضيلة الشيخ : هناك مشكلة ترد على بعض الناس وهي « كيف يعاقب اللهُ على المعاصي وقد قَدَّرَها على الإنسان » ؟

هذه في الحقيقة ليست مشكلة وهي إقدام الإنسان على العمل السيء ثم يعاقب عليه ، هذه ليست مشكلة لأن إقدام الإنسان على العمل السيء إقدام باختياره فلم يكن أحد شهر سيفه أمام وجهه وقال اعمل هذا المنكر

بل هو عمله باختياره والله تعالى يقول : ﴿ **إنَّا هَدَيْنَاه السَّبِيل إمَّا شَاكِراً وإمَّا كَفُوراً** ﴾[1] فالشاكر والكفور كلهم قد هداه الله السبيل وبينه له ووضحه له ، ولكن من الناس من يختار هذا الطريق ومن الناس من لايختاره ، وتوضيح ذلك أولا بالإلزام وثانيا بالبيان .

أما الإلزام فإننا نقول للشخص أعمالك الدنيوية وأعمالك الأخروية كلاهما سواء ويلزمك أن تجعلهما سواء ، ومن المعلوم أنه لو عُرض عليك من أعمال الدنيا مشروعان أحدهما ترى لنفسك الخير فيه والثاني ترى لنفسك الشر فيه من المعلوم أنك تختار المشروع الأول الذي هو مشروع الخير ، ولا يمكن أبدا بأي حال من الأحوال أن تختار المشروع الثاني وهو مشروع الشر ، ثم تقول إن القدر ألزمني به ؛ إذن يلزمك في طريق الآخرة ما التزمته في طريق الدنيا . ونقول جعل الله أمامك من أعمال الآخرة مشروعين مشروع للشر وهي الأعمال المخالفة للشرع ومشروع للخير وهي الأعمال المطابقة للشرع ، فإذا كنت في أعمال الدنيا تختار المشروع الخيري فلماذا لا تختار المشروع الخيري في أعمال الآخرة ، إنه يلزمك في عمل الآخرة أن تختار المشروع الخيري كما أنت التزمت في عمل الدنيا أن تسلك المشروع الخيري .. هذا طريق الإلزام .

أما طريق البيان فإننا نقول كلنا يجهل ماذا قدّر الله له قال الله تعالى : ﴿ **وما تَدْرِي نَفْسٌ ماذا تَكْسِبُ غَدًا** ﴾[2] فالإنسان حينما يقدم على العمل يقدم عليه باختيار منه ليس عن علم بأن الله قدّره عليه وأرغمه

---

(١) الإنسان ٣ .
(٢) لقمان ٣٤

عليه ، ولهذا قال بعض العلماء : « إنّ القَدَرَ سِرٌّ مَكْتُومٌ » ونحن جميعا لا نعلم أن الله قَدّر كذا حتى يقع ذلك العمل ، فنحن إذن حينما نقدم على العمل لا نقدم عليه على أساس أنه كتب لنا أو علينا وإنما نقدم عليه باختيار وحينما يقع نعلم أن الله قدّره علينا ، ولذلك لا يقع احتجاج الإنسانْ بالقدر إلا بعد وقوع العمل ولكنه لا حجة له بذلك – ويذكر عن أمير المؤمنين عمر قصة – قد تصح عنه وقد لا تصح – رُفع إليه سارق تمت شروط القطع في سرقته ، فلما أمر أمير المؤمنين بقطع يده قال : مهلا يا أمير المؤمنين والله ما سرقت ذلك إلا بقدر الله . قال له : ونحن لا نقطع يدك إلا بقدر الله . فاحتج عليه أمير المؤمنين بما احتج به هو على سرقته من أموال المسلمين مع أن عمر يمكنه أن يحتج عليه بالقدر والشرع ، لأنه مأمور بقطع يده أما ذاك فلا يمكن إن يحتج إلا بالقدر إن صح أن يحتج به .

وعلى هذا فإنه لا يمكن لأي أحد أن يحتج بالقدر على معصية الله ، وأنه في الواقع لا حجة فيه يقول الله عز وجل : ﴿ **رُسُلاً مُبَشِّرِينَ ومُنْذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ على اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ** ﴾[1] مع أن ما يعمله الناس بعد الرسل هو بقدر الله ولو كان القدر حجة مازالت بإرسال الرسل أبدا . بهذا يتبين لنا أثرا ونظرا أنه لا حجة للعاصي بقضاء الله وقدره لأنه لم يُجبر على ذلك . والله الموفق .

---

(١) النساء ١٦٥ .

٣١٢ هل الرزق والزواج مكتوب في اللوح المحفوظ ؟

كل شيء منذ خلق الله القلم إلى يوم القيامة فإنه مكتوب في اللوح المحفوظ ، لأن الله سبحانه وتعالى أول ما خلق القلم قال له : « اكْتُبْ قال : ربي وماذا أَكتبُ . قال اكتبْ ما هو كائنٌ . فجَرَى في تلك الساعةِ بما هو كائنٌ إلى يَوْمِ القِيامَةِ » . وثبت عن النبي ﷺ : أن الجنين في بَطْنِ أمه إذا مضى عليه أربعة أشهر بعث إليه مَلَكاً يَنْفُخُ فيه الرُّوحَ ويكتبُ رِزْقَه وأجلَه وعملَه وشقّيٌ أم سعيدٌ . والرزق أيضا مكتوب لا يزيد ولا ينقص ، فمن الأسباب أن يعمل الإنسان لطلب الرزق كما قال تعالى : ﴿ **هو الذي جَعَلَ لكم الأرضَ ذَلُولاً فامشوا في مناكِبِها وكُلُوا مِن رزقِه وإليه النُّشُور** ﴾[1] . ومن الأسباب أيضا صلة الرحم من بر الوالدين وصلة القرابات فإن النبي ﷺ قال : «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ له في رِزْقِه ، ويُنْسَأَ له في أَثَرِه فَلْيَصِلْ رَحِمَه » ومن الأسباب تَقْوى الله عز وجل كما قال تعالى : ﴿ **ومَن يَتّقِ اللهَ يَجْعَل لَهُ مَخْرَجاً ، ويَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ** ﴾[2] . ولا تقل إن الرزق مكتوب ومحدد ولن أفعل الأسباب التي توصل إليه فإن هذا من العجز . والكياسة والحزم أن تسعى لرزقك ولما ينفعك في دينك ودنياك قال النبي ﷺ : « الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَه وعَمِلَ لما بَعْدَ المَوْتِ ، والعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَه هَوَاها وتَمَنَّى على اللهِ الأماني » وكما أن الرزق مكتوب مقدر بأسبابه فكذلك

---

(١) الملك ١٥

(٢) الطلاق ٢ - ٣

الزواج مكتوب مقدر . وقد كُتب لكل من الزوجين أن يكون زوج الآخر بعينه . والله تعالى لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء .

٣١٣ ـــــــ هل الكفار مكتوب عملهم في الأزل ؟ وإذا كان كذلك فكيف يعذبهم الله تعالى ؟

نعم الكفار مكتوب عملهم في الأزل ، ويكتب عمل الإنسان أيضا عند تكوينه في بطن أمه كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسولُ الله ﷺ وهو الصادق المصدوق : « إنّ أَحَدَكم يُجْمَعُ خَلْقُه في بَطْنِ أُمِّه أَرْبَعِينَ يَوْماً ، ثمّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذلك ، ثمّ يكونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذلك ، ثم يُرْسَلُ إليه المَلَكُ فيُؤْمَرُ بأَرْبَعِ كلماتٍ : بكَتْبِ رِزْقِه وأَجَلِه وعَمَلِه ، وشَقِّيٌّ أم سَعِيدٌ » فأعمال الكفار مكتوبة عند الله عز وجل معلومة عنده ، والشقي شقي عند الله عز وجل في الأزل ، والسعيد سعيد عند الله في الأزل . ولكن قد يقول قائل كما قال السائل كيف يُعَذَّبُون وقد كتب الله عليهم ذلك في الأزل ؟ فنقول إنهم يعذبون لأنهم قد قامت عليهم الحجّة وبيّن لهم الطريق ، فأُرسلت إليهم الرسل وأنزلت الكتب وبين الهدى من الضلال ورُغِّبُوا في سلوك طريق الهدى وحُذِّرُوا من سلوك طريق الضلال ، ولهم عقول ولهم إرادات ولهم اختيارات ، ولهذا نجد هؤلاء الكفار وغيرهم أيضا يسعون إلى مصالح الدنيا بإرادة واختيار ولا نجد أحدا منهم يسعى إلى شيء يضره في دنياه أو يتهاون ويتكاسل في أمر نافع له ثم يقول : إن هذا مكتوب عليّ . أبدا فكلٌّ يسعى إلى ما فيه المنفعة فكان عليهم أن

يسعوا إلى ما فيه منفعة أمور دينهم كما يسعون إلى ما فيه المنفعة في أمور دنياهم ولا فرق بينهما ، بل إن بيان الخير والشر في أمور الدين في الكتب المنزلة على الرسل عليهم الصلاة والسلام أكثر وأعظم من بيان الأمور الدنيوية ، فكان عليهم أن يسلكوا الطرق التي فيها نجاتهم والتي فيها سعادتهم ، دون أن يسلكوا الطرق التي فيها هلاكهم وشقاؤهم .

ثم نقول هذا الكافر حين أقدمَ على الكفر لا يشعر أبدا أن أحدا أكرهه بل هو يشعر أنه فعل ذلك بإرادته واختياره فهل كان حين إقدامه على الكفر عالما بما كتب الله له ؟ والجواب : لا . لأننا نحن لا نعلم أن الشيء مقدر علينا إلا بعد أن وقع ، أما قبل أن يقع فإننا لا نعلم ماذا كتب لأنه من علم الغيب .

ثم نقول له الآن أنت قبل أن تقع في الكفر أمامك شيئان : هداية وضلال ، فلماذا لا تسلك طريق الهداية مُقدرا أن الله كتبه لك ؟ لماذا تسلك طريق الضلال ثم بعد أن تسلكه تحتج بأن الله كتبه ؟ لأننا نقول لك : قبل أن تدخل هذا الطريق هل عندك علم أنه مكتوب عليك ؟ فسيقول لا ، ولا يمكن أن يقول نعم . فإذا قال : لا . قلنا : إذاً لماذا لم تسلك طريق الهداية وتقدر أن الله تعالى كتب لك ذلك ؟ ولهذا يقول الله عز وجل : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلوبَهم ﴾[1] ويقول عز وجل : ﴿ فأَمَّا مَنْ أَعْطَى واتَّقَى . وصَدَّقَ بالحُسْنى . فَسَنُيَسِّرُه للِيُسْرَى وَأَمَّا مَن بَخِلَ واسْتَغْنى ، وَكَذَّبَ بِالحُسْنى فَسَنُيَسرهُ

---

(١) الصف ٥

لِلْعُسْرَى ﴾[1] ولما أخبر النبي عليه الصلاة والسلام أصحابه : بأنه ما من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار ، قالوا : يا رسول الله ألا نَدَعُ العملَ ونَتِكَّل على الكتاب ؟ قال : « لا اعملوا فكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَه ثم قرأ قوله تعالى ﴿ **فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى** ﴾[2] .

فهذا جوابنا على هذا السؤال الذي أورده هذا السائل وما أكثَرَ مَنْ يحتج به من أهل الضلال ، وهو عجب منهم ، لأنهم لا يحتجون بمثل هذه الحُجَّة على مسائل الدنيا أبداً بل تجدهم يسلكون في مسائل الدنيا ما هو أنفع لهم ولا يمكن لأحد أن يقال له : هذا الطريق الذي أمامك طريق وَعْر صعب فيه لصوص وفيه سباع ، وهذا الطريق الثاني طريق سهل مُيَسَّر آمِن . لا يمكن لأحد أن يسلك الطريق الأول ويدع الطريق الثاني ، ومع أن هذا نظير الطريقين طريق النار وطريق الجنة ، فالرسل بَيَّنت طريق الجنة وقالت : هو هذا ، وبينت طريق النار وقالت : هو هذا . وحذّرت من الثاني ورغّبت في الأول ، ومع ذلك فإن هؤلاء العصاة يحتجون بقضاء الله وقدره - وهم لا يعلمونه - على معاصيهم ومعايبهم التي فعلوها باختيارهم وليس لهم في ذلك حجة عند الله تعالى .

---

(١) الليل ٥ - ١٠

(٢) الليل ٥ - ١٠ .

٣١٤ ما الحكمة من وجود المعاصي والكفر ؟

لوقوع المعاصي والكفر حِكَم كثيرة منها :

١) إتمام كلمة الله تعالى حيث وعد النارَ أن يملأها قال الله تعالى : ﴿ ولا يَزالون مُختلفين ، إلا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ولذلك خَلَقَهم وتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾[١] .

٢) ومنها ظهور حكمة الله تعالى وقدرته حيث قسّم العباد إلى قسمين طائع وعاصي ، فإن هذا التقسيم يتبين به حكمة الله عز وجل فإن الطاعة لها أهل هم أهلها ، والمعصية لها أهل هم أهلها قال الله تعالى : ﴿ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾[٢] . وقال ﴿ والذين اهْتَدَوْا زَادَهُم هُدًى وآتاهم تَقْوَاهم ﴾[٣] . فهؤلاء أهل الطاعة وقال تعالى : ﴿ وأَمَّا الذين في قُلوبِهم مَرَضٌ فَزادتْهم رِجْساً إلى رِجْسِهم وماتوا وهم كافرون ﴾[٤] . وقال : ﴿ فلمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قلوبَهم ﴾[٥] . وهؤلاء أهل المعصية . ويتبين بذلك قدرته بهذا التقسيم الذي لا يقدر عليه إلا الله كما قال تعالى : ﴿ ليس عليك هُدَاهُم ولكنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾[٦] . وقال : ﴿ إنَّك لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ولكنَّ اللهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وهُوَ أَعْلَمُ بالمُهتدين ﴾[٧] .

---

(١) هود ١١٨ – ١١٩ .
(٢) الأنعام ١٢٤
(٣) محمد ١٧
(٤) التوبة ١٢٥
(٥) الصف : ٥ .
(٦) البقرة ٢٧٢
(٧) القصص ٥٦

٣) ومنها أن يتبين للمطيع قَدْر نعمة الله عليه بالطاعة إذا رأى حال أهل المعصية قال الله تعالى : ﴿ **لقَدَ مَنَّ اللهُ على المؤمنين إذْ بَعَثَ فيهم رسولاً مِنْ أنفُسِهِم يَتْلو عليهم آياتِه ويُزَكّيهم ويُعَلِّمُهم الكتابَ والحِكْمَةَ وإن كانوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِين** ﴾[1] .

٤) ومنها لجوء العبد إلى ربه بالدعاء أن يباعد بينه وبين المعصية ، والدعاء عبادةٌ لله تعالى .

٥)ومنها أن العبد إذا وقع في المعصية ومَنَّ الله عليه بالتوبة ازداد إنابة إلى الله وانكسر قلبه وربما يكون بعد التوبة أكمل حالا منه قبل المعصية ؛ حيث يزول عنه الغرور والعُجْب ، ويعرف شدة افتقاره إلى ربه .

٦) ومنها إقامة الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فإنه لولا المعاصي والكفر لم يكن جهاد ولا أمر بمعروف ولا نهي عن منكر . إلى غير ذلك من الحكم والمصالح الكثيرة . ولله في خلقه شُؤون .

٣١٥ ــــــ سئل الشيخ غفر الله له ولوالديه : عن الإيمان بالقضاء والقدر ؟

فأجاب قائلًا : الإيمان بالقدر هو أحد أركان الإيمان الستة التي بيَّنَها رسول الله ﷺ لجبريل حين سأله عن الإيمان . والإيمان بالقدر أمر هام جدًا وقد تنازع الناس في القدر من زمن بعيد حتى في عهد النبي ﷺ كان الناس يتنازعون فيه ، ولكن الحق فيه ولله الحمد واضح بَيِّنٌ لا يحتاج

(١) آل عمران ١٦٤ .

إلى نزاع ومِرَاء فالإيمان بالقدر أن تؤمن بأن الله سبحانه وتعالى قد قَدَّرَ كُلَّ شيء كما قال تعالى : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾[1] وهذا التقدير الذي قدره الله عز وجل تابع لحكمته وما تقتضيه تلك الحكمة من غايات حميدة ، وعواقب نافعة للعباد في معاشهم ومعادهم .

ويدور الإيمان بالقدر على الإيمان بأمور أربعة :

الأول : العلم ، وذلك أن تؤمن إيمانًا كاملًا بأن الله سبحانه وتعالى قد أحاط بكل شيء علمًا ، أحاط بكل شيء مما مضى ، ومما هو حاضر ، ومما هو مستقبل سواءً كان ذلك مما يتعلق بأفعاله عز وجل ، أو بأفعال عباده فهو محيط بها جملة وتفصيلًا بعلمه الذي هو موصوف به أزلًا وأبدًا ، وأدلة هذه المرتبة كثيرة في القرآن والسنة قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾[3] وقال عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ﴾[4] وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَالله بِمَا تَعمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾[5] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على علم الله سبحانه وتعالى بكل شيء جملة وتفصيلًا ، وهذه المرتبة من الإيمان بالقدر من أنكرها فهو كافر لأنه مكذب لله ولرسوله ﷺ

(١) الفرقان : ٢ .

(٢) آل عمران : ٥ .

(٣) الانعام : ٥٩ .

(٤) ق : ١٦ .

(٥) البقرة : ٢٨٣ .

وإجماع المسلمين وطاعن في كمال الله عز وجل ، لأن ضد العلم إما الجهل ، وإما النسيان ، وكلاهما عيب وقد قال الله تعالى عن موسى عليه السلام حينما سأله فرعون ﴿ **مَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَى قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لاَ يَضِلُّ رَبِّي وَلاَ يَنْسَى** ﴾[1] فهو « لاَ يَضِلُّ » أي لا يجهل شيئًا مستقبلًا ، « ولاَ يَنْسَى » شيئًا ماضيًا سبحانه وتعالى .

المرتبة الثانية : الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى كتب مقادير كل شيء إلى أن تقوم الساعة ، فإنه عز وجل حينما خلق القلم قال له « اكْتُبْ : قَالَ : رَبِّي وَمَاذَا أَكْتُبُ ؟ قَالَ : اكْتُبْ مَا هُوَ كَائِنٌ فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ » . فكتب الله عز وجل في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء ، وقد دل على هذه المرتبة قوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ** ﴾[2] . قال : ﴿ **إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ** ﴾ أي مكتوب في كتاب ، وهو اللوح المحفوظ ﴿ **إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ** ﴾ ثم هذه الكتابة تكون مفصلة أحيانًا فإن الجنين في بطن أمه إذا مضى عليه أربعة أشهر يبعث إليه ملك فيأمره بأربع كلمات بكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي أم سعيد ، كما ثبت ذلك في الصحيح من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ . ويكتب أيضًا في ليلة القَدْرِ ما يكون في تلك السنة كما قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ** ﴾[3] .

---

(١) طه : ٥١ -٥٢ .

(٢) الحج : ٧٠ .

(٣) الدخان : ٣ -٥ .

المرتبة الثالثة : الإيمان بأن كل ما في الكون فإنه بمشيئة الله ، فكل ما في الكون فهو حادث بمشيئة الله عز وجل سواءً كان ذلك مما يفعله هو عز وجل ، أو فيما يفعله المخلوق قال الله تعالى : ﴿ **وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ** ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ **وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ** ﴾[2] وقال : ﴿ **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً** ﴾[3] وقال عز وجل : ﴿ **إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ** ﴾[4] إلى غير ذلك من النصوص الكثيرة الدالة على أن فعله واقع بمشيئته ، وكذلك أفعال الخلق واقعة بمشيئته كما قال تعالى : ﴿ **وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ** ﴾[5] وهذا نص صريح لأن أفعال العبيد قد شاءها الله عز وحل ولو شاء الله أن لا يفعلوا لم يفعلوا .

المرتبة الرابعة :الإيمان بأن الله تعالى خالق كل شيء فالله عز وجل هو الخالق ، وما سواه مخلوق ، فكل شيء فالله خالقه ، فالمخلوقات مخلوقة لله عز وجل وما يصدر منها من أفعال وأقوال مخلوقة لله عز وجل أيضًا ، لأن أفعال الإنسان وأقواله من صفاته فإذا كان الإنسان مخلوقًا كانت صفاته أيضًا مخلوقة لله عز وجل ، ويدل لذلك قوله تعالى :

---

(١) إبراهيم : ٧ .

(٢) الأنعام : ١٤٩ .

(٣) هود : ١١٨ .

(٤) فاطر : ١٦ .

(٥) البقرة : ٥٣ .

﴿ وَالله خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[1] فنص الله تعالى على خلق الإنسان وعلى خلق عمله قال ﴿ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ وقد اختلف الناس في « مَا » هنا هل هي مصدرية أو موصولة ؟ وعلى كل تقدير فإنها تدل على أن عمل الإنسان مخلوق لله عز وجل . هذه أربع مراتب لا يتم الإيمان بالقدر إلا الإيمان بها .

ثم اعلم أن الإيمان بالقدر لا ينافي فعل الأسباب ، بل إن فعل الأسباب مما أمر به الشرع ، وهو حاصل بالقدر ؛ لأن الأسباب تنتج عنها مسبباتها ، ولهذا لما توجه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى الشام علم في أثناء الطريق أنه قد وقع فيها الطاعون فاستشار الصحابة رضي الله عنهم هل يستمر ويمضي في سيره أو يرجع إلى المدينة ؟ فاختلف الناس عليه ، ثم استقر رأيهم على أن يرجع إلى المدينة ، ولما عزم على ذلك جاءه أبو عبيدة عامر بن الجراح وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يُجلُّهُ ويُقَدِّرُهُ فقال يا أمير المؤمنين : « كَيْفَ تَرجِعُ إلَى المَدِينَةِ أفِرَارًا مِن قَدَرِ الله » ؟ فقال عمر رضي الله عنه : – « نَفِرُّ مِن قَدَرِ الله إلَى قَدَرِ الله » وبعد ذلك جاء عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وكان غائبًا في حاجة له فحدثهم أن النبي ﷺ قال عن الطاعون « إذَا سَمِعْتُمْ بِهِ فِي أرْضٍ فَلاَ تَقْدُمُوا عَلَيْهَا » والحاصل أن في قول عمر رضي الله عنه « نَفِرُّ مِن قَدَرِ الله إلَى قَدَرِ الله » دليلا على أن اتخاذ الأسباب من قدر الله عز وجل ، ونحن نعلم أن الرجل لو قال أنا مؤمن بقدر الله وسيرزقني الله ولدًا بدون زوجة لو قال هذا لَعُدَّ من المجانين ، كما أنه لو قال أنا أؤمن بقدر الله ولن أسعى في طلب الرزق و لم يتخذ

(١) الصافات : ٩٦ .

أي سبب للرزق ، لَعُدَ ذلك من السَّفَهِ ، فالإيمان بالقدر إذن لا ينافي الأسباب الشرعية أو الحسية الصحيحة ، أما الأسباب الوهمية التي يَدَّعِي أصحابها أنها أسباب وليست كذلك فهذه لا عبرة بها ولا يُلْتَفَتُ إليها .

ثم اعلم أنه يرد على الإيمان بالقدر إشكال - وليس بإشكال في الواقع - وهو أن يقول قائل إذا كان فعلي من قدر الله عز وجل فكيف أعاقب على المعصية وهي من تقدير الله عز وجل ؟ والجواب على ذلك : أن يقال لا حجة لك على المعصية بقدر الله ؛ لأن الله عز وجل لم يجبرك على المعصية ، وأنت حين أقدمت عليها لم يكن لديك العلم بأنها مُقَدَّرَةٌ عليك لأن الإنسان لا يعلم بالمُقَدَّرِ إلا بعد وقوع الشيء فلماذا لم تقدر قبل أن تفعل المعصية أن الله قَدَّرَ لك الطاعة فتقوم بطاعته ؟ ! وكما أنك في أمورك الدنيوية تسعى لما ترى أن فيه خيرًا وتهرب مما ترى فيه شرًا فلماذا لا تعامل نفسك هذه المعاملة في عمل الآخرة . أنا لا أعتقد أن أحدًا يسلك الطريق الصعب ، ويقول إن هذا قد قدر لي ، بل سوف يسلك الطريق المأمون الميسر ولا فرق بين هذا وبين أن يقال لك للجنة طريق وللنار طريق فإنك إذا سلكت طريق النار فأنت كالذي سلك الطريق المخوف الوعر ، فلماذا ترضى لنفسك أن تسلك طريق الجحيم وتَدَعَ طريق النعيم ؟ ولو كان للإنسان حُجَّة بالقدر على فعل المعصية لم تَنتَفِ هذه الحجة بإرسال الرسل وقد قال الله تعالى : ﴿ **رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ** ﴾[1]

واعلم أن للإيمان بالقدر ثمرات جليلة على سير الإنسان وعلى قلبه لأنك إذا آمنت بأن كل شيء بقضاء الله وقدره فإنك عند السراء

---

(١) النساء : ١٦٥ .

تشكر الله عز وجل ولا تعجب بنفسك ولا ترى أن هذا الأمر حصل منك بحولك وقوتك ولكنك تؤمن بأن هذا سبب إذا كنت قد فعلت السبب الذي نلت به ما يسرك وأن الفضل بيد الله عز وجل فتزداد بذلك شكرًا لنعم الله سبحانه وتعالى ويحملك هذا على أن تقوم بطاعة الله على حسب ما أمرك الله به ، وأن لا ترى لنفسك فضلًا على ربك ، بل ترى المِنَّة لله سبحانه وتعالى عليك قال الله تعالى : ﴿ **يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاتَمُنّوا عَلَيَّ إِسْلاَمَكُم بَلِ الله يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾[1] كما أنك إذا أصابتك الضراءُ فإنك تؤمن بالله عز وجل وتستسلم ولا تندم على ذلك ولا تلحقك الحسرة ألم تَرَ إلى قول النبي ﷺ : « الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَب إِلَى الله مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ احْرِصْ عَلَى مَا يَنفَعُكَ وَاستَعِنْ بِالله وَلاَ تَعْجَزَنْ وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلاَ تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَذَا لَكَانَ كَذَا فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ » فالإيمان بالقدر فيه راحة النفس والقلب وعدم الحزن على ما فات وعدم الغم والهم لما يستقبل قال الله تعالى : ﴿ **مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِن قَبْلِ أن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى الله يَسِيرٌ لِكَيْ لاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ** ﴾[2] والذي لا يؤمن بالقدر لا شك أنه سوف يتضجر عند المصائب ويندم ويفتح الشيطان له كل باب ، وأنه سوف يفرح ويبطر ويغتر إذا أصابته السراء لكن الإيمان بالقدر يمنع هذا كله .

---

(١) الحجرات : ١٧ .

(٢) الحديد : ٢٢ -٢٣ .

٣١٦ — سئل الشيخ : هل محاجّة آدم وموسى فيها إقرار للاحتجاج بالقَدَر ؟ وذلك أن آدم احتَجَّ هو وموسى فقال له موسى : « أنتَ أَبونا خَيَّبْتَنا أخرَجْتنا وَنفْسَكَ مِنَ الْجَنَّةِ » . فقال له آدم « أَتَلُومُنِي عَلَى شَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي ؟ » فقال النبي ﷺ « فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى » أي غَلَبَهُ بالحُجَّة وآدَمُ احْتَجَّ بقضاء الله وقدره ؟

فأجاب بقوله : هذا ليس احتجاجًا بالقضاء والقدر على فعل العبد ومعصية العبد ، لكنه احتجاج بالقدر على المصيبة الناتجة من فعله ، فهو من باب الاحتجاج بالقدر على المعَائِبِ لا على المصائب ، ولهذا قال : « خَيَّبْتَنا وَأَخْرَجْتَنا ، وَنَفْسَكَ مِنَ الجَنَّة » ولم يقل : عَصَيتَ رَبَّكَ فَأُخْرِجْتَ مِنَ الْجَنَّة . فاحتج آدم بالقدر على الخروج من الجنة الذي يعتبره مصيبة ، والاحتجاج بالقدر على المصائب لا بأس به ، أرأيت لو أنك سافرت سفرًا وحصل لك حادث ، وقال لك إنسان : لماذا تسافر لو أنك بقيت في بيتك ما حصل لك شيء . فستجيبه : بأن هذا قضاء الله وقدره أنا ما خرجت إلا لأجل أن أصاب بالحادث ، وإنما

خرجت لمصلحة ، فأُصِيبَتْ بالحادث ، كذلك آدم عليه الصلاة والسلام هل عصى الله لأجل أن يخرجه من الجنة ؟ لا فالمصيبة إذن التي حصلت له مجرد قضاء وقدر ، وحينئذٍ يكون احتجاجه بالقدر على المصيبة الحاصلة احتجاجًا صحيحًا ، ولهذا قال النبي ﷺ « حَجَّ آدَمُ مُوسَى ، حَجَّ آدَمُ مُوسَى » وفي رواية للإمام أحمد « فَحَجَّهُ آدَمُ » يعني غَلَبَهُ في الحجة .

مثال آخر : ما تقولون في رجل أصاب ذنبًا وندم على هذا الذنب وتاب منه وجاء رجل من إخوانه يقول له يا فلان كيف يقع منك هذا الشيء فقال : والله هذا قضاء الله وقدره فهل يصح احتجاجه هذا أولا ؟ نعم يصح لأنه تاب فهو لم يَحْتَجَّ بالقدر ليمضي في معصيته ، لكنه نادم ومتأسف ، ونظير ذلك أن النبي ﷺ دخل ليلة على عليّ بن أبي طالب وفاطمة رضي الله عنهما فقال : ألاَ تُصَلِّيَان ؟ فقال عليٌّ رضي الله عنه : يَا رَسُولَ الله إنَّ أَنْفُسنَا بِيَدِ الله فَإن شَاءَ الله أَنْ يَبْعَثَنَا بَعَثَنَا فَانصَرَفَ النبيُّ ﷺ يَضْرِبُ عَلَى فَخِذِهِ وَهُوَ يَقُولُ﴿ وَكَانَ الإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾[1] فالرسول ﷺ لم يقبل حُجَّتَهُ ، وبَيَّنَ أن هذا من الجَدَلِ ؛ لأن الرسول ﷺ يعلم أن الأنفس بيد الله لكن يريد أن يكون الإنسان حازمًا فيحرص على أن يقوم ويصلي .

على كل حال تَبَيَّنَ لنا أن الاحتجاج بالقدر على المصائب جائز ، وكذلك الاحتجاج بالقدر على المعصية بعد التوبة منها جائز ، وأما الاحتجاج بالقدر على المعصية تبريرًا لموقف الإنسان واستمرارًا فيها فغير جائز .

---

(١) الكهف : ٥٤ .

٣١٧ ـــــــ سئل الشيخ : هل في قَدَرِ الله تعالى شرٌّ ؟

فأجاب قائلًا : ليس في القدر شر ، وإنما الشر في المقدور ، فمن المعروف أن الناس تصيبهم المصائب وتنالهم الخيرات ، فالخيرات خير ، والمصائب شر ، لكن الشر ليس في فعل الله تعالى ، يعني ليس فعل الله وتقديره شرًا ، الشر في مفعولات الله لا في فعله ، والله تعالى لم يقدر هذا الشر إلا لخير كما قال تعالى : ﴿ ظَهَرَ الفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾[1] هذا بيان سبب الفساد وأما الحكمة فقال : ﴿ لِيُذِيقَهم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُم يَرْجِعُونَ ﴾[2] إذن هذه مصائب مآلها الخير ، فصار الشر لا يضاف إلى الرب ، ولكن يضاف إلى المفعولات والمخلوقات شر من وجه ، وخير من وجه آخر ، فتكون شرًا بالنظر إلى ما يحصل منها من الأذية ، ولكنها خير بما يحصل فيها من العاقبة الحميدة ﴿ لِيُذِيقَهم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُون ﴾[2].

٣١٨ ـــــــ سئل الشيخ : كيف يقضي اللهُ كَوْنًا مَالاً يُحِبُّ ؟

فأجاب بقوله : المحبوب قسمان .

---

(١) الروم : ٤٤١ .

(٢) الروم : ٤١ .

الأول : محبوب لذاته .

الثاني : محبوب لغيره .

فالمحبوب لغيره قد يكون مكروهًا لذاته ، ولكن يُحبُّ لما فيه من الحكمة والمصلحة ، فيكون حينئذ محبوبًا من وجه ، ومكروهًا من وجه آخر مثال ذلك لقوله تعالى : ﴿ **وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا** ﴾[1] فالفساد في الأرض في حد ذاته مكروه إلى الله تعالى ؛ لأن الله تعالى لا يحب الفساد ولا المفسدين ، ولكن للحِكَمِ التي يتضمنها يكون محبوبًا إلى الله عز وجل من وجه آخر وكذلك العُلُوّ في الأرض ، ومن ذلك القَحْطُ ، والجَدْبُ ، والمَرضُ ، والفقر يقدره الله تعالى على عباده مع أنه ليس محبوبًا إليه في حد ذاته ، لأن الله لا يحب أن يؤذي عباده بشيء من ذلك ، بل يريد بعباده اليسر ، لكن يقدره للحِكَمِ المترتبة عليه ، فيكون محبوبًا إلى الله من وجه ، مكروهًا من وجه آخر قال الله تعالى ﴿ **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾[2] .

فإن قيل كيف يُتَصَوَّرُ أن يكون الشيء محبوبًا من وجه ومكروها من وجه آخر ؟ !

أجيب : بأن هذا أمر واقع لا ينكره العقل ، ولا يرفضه الحس فها هو الإنسان المريض يُعْطَى جرعة من الدواء مُرَّةً كريهة الرائحة ،

---

(١) الإسراء : ٤ .

(٢) الروم : ٤١ .

واللون ، فيشربها وهو يكرهها لما فيها من المرارة ، وكراهة اللون والرائحة ،ويحبها لما يحصل فيها من الشفاء ، وكذا الطبيب يَكْوِي المريض بالحديدة المُحْمَاةِ على النار ، ويتألم منها فهذا الألم مكروه له من وجه ، ومحبوب له من وجه آخر .

٣١٩ سئل الشيخ : عمن يَتَسَخَّطُ إذا نَزَلَتْ به مصيبة ؟

فأجاب بقوله : الناس حال المصيبة على مراتب أربعة :

المرتبة الأولى : التسخط وهو على أنواع :

النوع الأول : أن يكون بالقلب كأن يسخط على ربه يغتاظ مما قدره الله عليه فهذا حرام ، وقد يؤدي إلى الكفر قال تعالى : **﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ﴾**[1] .

النوع الثاني : أن يكون باللسان كالدعاء بالويل والثُّبورِ وما أشبه ذلك .

النوع الثالث : أن يكون بالجوارح كَلَطْم الخُدُودِ ، وشَقِّ الجُيُوبِ ، ونَتْفِ الشُّعُورِ وما أشبه ذلك ، وكل هذا حرام مُنَافٍ للصبر الواجب .

المرتبة الثانية : الصبر وهو كما قال الشاعر :

وَالصَّبْرُ مِثْلُ اسْمِهِ مُرٌّ مَذَاقَتُهُ لَكَنَّ عَوَاقِبَهُ أَحْلَى منَ الْعَسَلِ .

---

(١) الحج : ١١ .

فيرى أن هذا الشيء ثقيل عليه لكنه يتحمله ، وهو يكره وقوعه ولكن يحميه إيمانه من السَّخَطِ ، فليس وقوعه وعدمه سواء عنده وهذا واجب لأن الله تعالى أمر بالصبر فقال : ﴿ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾[1] .

المرتبة الثالثة : الرضا بأن يرضى الإنسان بالمصيبة بحيث يكون وجودها وعدمه سواء فلا يشق عليه وجودها ، ولا يتحمل لها حملًا ثقيلاً ، وهذه مستحبة وليست بواجبة على القول الراجح والفرق بينها وبين المرتبة التي قبلها ظاهر لأن المصيبة وعدمها سواء في الرضا عند هذا ، وأما التي قبلها فالمصيبة صعبة عليه لكن صبر عليه .

المرتبة الرابعة : الشكر وهو أعلى المراتب ، وذلك بأن يشكر الله على ما أصابه من مصيبة حيث عرف أن هذه المصيبة سبب لتكفير سيئاته وربما لزيادة حسناته قال ﷺ « مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا عَنْهُ حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا » .

---

(١) الأنفال : ٤٦ .

٣٢٠ سئل حفظه الله تعالى : ما معنى قوله ﷺ « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَينْسأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ » متفق عليه من حديث أنس . وهل معنى ذلك أن الإنسان يكون له عُمُرٌ إذا وصل رحمه وعمر إذا لم يصل ؟

فأجاب بقوله : ليس معنى ذلك أن الإنسان يكون له عمران : عمر إذا وصل رحمه ، وعمر إذا لم يصل ، بل العمر واحد ، والمقدر واحد ، والإنسان الذي قدر الله له أن يصل رحمه سوف يصل رحمه ، والذي قدر الله أن يقطع رحمه سوف يقطع رحمه ولا بد ، ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام أراد أن يحث الأمة على فعل ما فيه الخير ، كما نقول من أحب أن يأتيه ولد فليتزوج ، فالزواج مكتوب ، والولد مكتوب ، فإذا كان الله قد أراد أن يحصل لك ولد أراد أن تتزوج ومع هذا فإن الزواج والولد كلاهما مكتوب ، كذلك هذا الرزق مكتوب من الأصل ، ومكتوب أنك ستصل رحمك ، لكنك أنت لا تعلم عن هذا فحثك النبي ﷺ عليه وبَيَّنَ لك أنك إذا وصلت الرحم فإن الله يبسط لك في الرزق ، وينسأ لك في الأثر ، وإلا فكل شيء مكتوب لكن لما كانت صلة الرحم أمرًا ينبغي للإنسان أن يقوم به حث النبي عليه الصلاة والسلام على ذلك بأن الإنسان إذا أحب أن يبسط له في رزقه ، وينسأ له في أثره فليصل رحمه ، وإلا فإن الواصل قد كتبت صلته وكتب أن

يكون عمره إلى حيث أراد الله عز وجل ، ثم اعلم أن امتداد الأجل ، وبسط الرزق أمر نسبي ، ولهذا نجد بعض الناس يصل رحمه ، ويبسط له في رزقه بعض الشيء ، ولكن عمره يكون قصيرًا وهذا مشاهد ، فنقول هذا الذي كان عمره قصيرًا مع كونه واصلًا للرحم لو لم يصل رحمه لكان عمره أقصر ، ولكن الله قد كتب في الأزل أن هذا الرجل سيصل رحمه وسيكون منتهى عمره في الوقت الفلاني .

٣٢١ — سئل الشيخ : عن قول النبي ﷺ « لاَ عَدوَى ، وَلاَ طِيَرَةَ ، وَلاَ هَامَةَ ، وَلاَ صَفَر » متفق عليه – وما نوع النفي في الحديث ؟ وكيف نجمع بينه وبين حديث : « فِرَّ مِنْ المَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنَ الأَسَدِ » ؟

فأجاب قائلًا : « العدوى » انتقال المرض من المريض إلى الصحيح وكما يكون في الأمراض الحسية يكون في الأمراض المعنوية الخلقية ، ولهذا أخبر النبي عليه الصلاة والسلام أن جليس السوء كنافخ الكير إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه رائحة كريهة فقوله ﷺ « عدوى » يشمل العدوى الحسية والمعنوية .

و «الطيرة» هي التشاؤم بمرئي أو مسموع أو معلوم .

و «الهامة» فسرت بتفسيرين :

الأول : داء يصيب المريض وينتقل إلى غيره ، وعلى هذا التفسير يكون عطفها على العدوى من باب عطف الخاص على العام .

الثاني : طير معروف تزعم العرب أنه إذا قتل القتيل فإن هذه الهامة تأتي إلى أهله وتنعق على رؤوسهم حتى يأخذوا بثأره ، وربما اعتقد بعضهم أنها روحه تكون بصورة الهامة وهي نوع من الطيور تشبه البومة أو هي البومة ، تؤذي أهل القتيل بالصراخ حتى يأخذوا بثأره ، وهم يتشاءمون بها فإذا وقعت على بيت أحدهم ونعقت قالوا إنها تنعق به ليموت ويعتقدون قرب أجله وهذا باطل .

و« صفر » فسر بتفاسير :

الأول : أنه شهر صفر المعروف ، والعرب يتشاءمون به .

الثاني أنه داء في البطن يصيب البعير وينتقل من بعير إلى آخر ، فيكون عطفه على العدوى من باب عطف الخاص على العام .

الثالث : صفر شهر صفر ، والمراد به النسيء الذي يضل به الذين كفروا ، فيؤخرون تحريم شهر المحرم إلى صفر يحلونه عامًا ، ويحرمونه عامًا .

وأرجحها أن المراد شهر صفر حيث كانوا يتشاءمون به في الجاهلية ، والأزمنة لا دخل لها في التأثير ، وفي تقدير الله عز وجل فهو كغيره من الأزمنة يقدر فيه الخير والشر .

وبعض الناس إذا انتهى من عمل معين في اليوم الخامس والعشرين مثلًا من شهر صفر أرّخ ذلك وقال : انتهى في الخامس والعشرين من شهر صفر الخير . فهذا من باب مداواة البدعة بالبدعة ، والجهل

بالجهل . فهو ليس شهر خير ، ولا شر . ولهذا أنكر بعض السلف على من إذاسمع البومة تنعق قال : خيرًا إن شاء الله فلا يقال خير ولا شر بل هي تنعق كبقية الطيور .

فهذه الأربعة التي نفاها الرسول ﷺ تدل على ووجوب التوكل على الله ، وصدق العزيمة ولا يضعف المسلم أمام هذه الأمور .

وإذا ألقى المسلم باله لهذا الأمور فلا يخلو من حالين : -

الأولى : إما أن يستجيب لها بأن يقدم أو يحجم ، فيكون حينئذ قد علق أفعله بما لا حقيقة له .

الثانية : أن لا يستجيب بأن يقدم ولا يبالي ، لكن يبقى في نفسه نوع من الهم أو الغم ، وهذا وإن كان أهون من الأول لكن يجب أن لا يستجيب لداعي هذه الأمور مطلقًا ، وأن يكون معتمدًا على الله عز وجل .

وبعض الناس قد يفتح المصحف لطلب التفاؤل فإذا نظر ذكر النار قال هذا فأل غير جميل ، وإذا نظر ذكر الجنة قال هذا فأل طيب ، وهذا في الحقيقة مثل عمل الجاهلية الذين يستقسمون بالأزلام .

والنفي في هذه الأمور الأربعة ليس نفيًا للوجود ، لأنها موجودة ولكنه نفي للتأثير ، فالمؤثر هو الله ، فما كان منها سببًا معلومًا فهو سبب صحيح ، وما كان منها سببًا موهومًا فهو سبب باطل ، ويكون نفيًا لتأثيره بنفسه ولسببيته ، فالعدوى موجودة ، ويدل لوجودها قوله ﷺ « لاَ يُورِدُ مُمرِضٌ عَلَى مُصِحٌ » أي لا يورد صاحب الإبل المريضة على صاحب الإبل الصحيحة ، لئلا تنتقل العدوى وقوله ﷺ « فِرَّ مِنَ

الْمَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنَ الأَسَدِ » الْجُذَامُ : مرض خبيث معدٍ بسرعة ويتلف صاحبه ، حتى قيل إنه الطاعون ، فالأمر بالفرار لكي لا تقع العدوى ، وفيه إثبات العدوى لتأثيرها ، لكن تأثيرها ليس أمر حتمي بحيث تكون علة فاعلة ، ولكن أمر النبي ﷺ بالفرار من المجذوم ، وأن لا يورد ممرض على مصح ، من باب تجنب الأسباب ، لا من باب تأثير الأسباب بنفسها قال الله تعالى ﴿ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾[1] ولا يقال إن الرسول ﷺ ينكر تأثير العدوى ؛ لأن هذا أمر يبطله الواقع والأحاديث الأخرى .

فإن قيل : إن الرسول ﷺ لما قال « لاَ عَدْوَى » . قال رَجُلٌ : يَا رَسُولَ الله أَرَأَيْتَ الإِبِلَ تَكُونُ فِي الرِّمَالِ مِثْلَ الضِّبَا فَيَدْخُلُهَا الْجَمَلُ الأَجْرَبُ فَتَجْرَبُ ؟! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ « فَمَنْ أَعْدَى الأَوَّلَ » ؟!

فالجواب : أن النبي ﷺ أشار بقوله « فَمَنْ أَعْدَى الأَوَّلَ » إلى أن المرض انتقل من المريضة إلى هذه الصحيحات بتدبير الله عز وجل ، فالمرض نزل على الأول بدون عدوى بل نزل من عند الله عز وجل ، والشيء قد يكون له سبب معلوم ، وقد لا يكون له سبب معلوم ، وجَرَبُ الأول ليس معلومًا إلا أنه بتقدير الله تعالى وجرب الذي بعده له سبب معلوم ولو شاء الله تعالى ما جرب ، ولهذا أحيانًا تصاب الإبل بالجرب ثم يرتفع ولا تموت ، وكذلك الطاعون والكوليرا أمراض معدية قد تدخل البيت فتصيب البعض فيموتون ، ويسلم آخرون ولا يصابون ، فالإنسان يعتمد على الله ويتوكل عليه وقد جاء أن النبي ﷺ قدم عليه رجل مجذوم فأخذ بيده وقال له « كُلْ » أي من الطعام الذي كان يأكل

---

(١) البقرة : ١٩٥ .

منه الرسول ﷺ لقوة توكله ﷺ . فهذا التوكل مقام لهذا السبب المعدي .

وهذا الجمع الذي ذكرنا أحسن ما قيل في الجمع بين الأحاديث ، وادّعى بعضهم النسخ وهذه الدعوى غير صحيحة لأن من شرط النسخ تعذر الجمع ، وإذا أمكن الجمع وجب لأن فيه إعمال الدليلين ، وفي النسخ إبطال أحدهما ، وإعمالهما أولى من إبطال أحدهما لأننا اعتبرناهما وجعلناهما حجة .

٣٢٢ ـــــــــــ سئل الشيخ : عن مسألة القَدَر ؟ وهل أصل الفِعْل مُقَدَّرُ والكيفية يخيَّرُ فيها الإنسان ؟ مثال ذلك إذا قَدَّرَ الله تعالى للعبد أنْ يبني مسجدًا فإنه سيبني لا محالة لكنه تُرِكَ لعقله الخيار في كيفية البناء ، وكذلك المعصية إذا قَدرَها الله فإن الإنسان سيفعلها لا محالة ، لكن ترك لعقله كيفية تنفيذها ، وخلاصة هذا الرأي أن الإنسان مخيّر في الكيفية التي ينفذ بها ما قُدِّرَ عليه ، فهل هذا صحيح ؟

فأجاب بقوله : هذه المسألة – أي مسألة القَدَر – محل جدل بين البشر من قديم الزمان . ولذلك انقسم الناس فيها إلى ثلاثة أقسام ، طرفينِ ووَسَطا . أما الطرفان :

فأحدهما : نظر إلى عموم قَدَر الله فعَمِيَ عن اختيار العبد . وقال : إنه مُجْبر على أفعاله ، وليس له فيها أي اختيار ، فسقوط الإنسان من السقف بالرِّيح ونحوها كنزوله منه مختارًا من الدَّرَج .

وأما الطّرف الثاني فنظر إلى أنّ العبد فاعل تارك باختياره ، فعَمِيَ عن قَدَر الله . وقال : إنّ العبد مستقل بأفعاله ، ولا تعلّق لقَدَر الله تعالى فيها .

وأما الوسط فأبصروا السببين ، فنظروا إلى عموم قدر الله تعالى ، وإلى اختيار العبد ، فقالوا : إن فعل العبد كائن بقدر الله تعالى وباختيار العبد ، وأنه يعلم بالضرورة الفرق بين سقوط الإنسان من السقف بالريح ونحوها ، ونزوله منه مختارًا من الدرج ، فالأول من فعله بغير اختياره ، والثاني باختياره ، والكل منهما واقع بقضاء الله وقدره لا يقع في مُلْكه مالا يريد ، لكن ما وقع باختيار العبد فهو مناط التكليف ، ولا حجة له بالقدر في مخالفة ما كُلِّف به من أوامر أو نواهٍ ، وذلك لأنه يقدم على المخالفة حين يقدم عليها وهو لا يعلم ما قدّر الله عليه ، فيكون إقدامه الاختياري على المخالفة هو سبب العقوبة سواء كانت في الدنيا أم في الآخرة ، ولذلك لو أجبره مجبر على المخالفة ، لم يثبت عليه حكم المخالفة ولا يعاقب عليها لثبوت عذره حينئذ . وإذا كان الإنسان يدرك أن هروبه

من النار إلى موضع يأمن فيه منها يكون باختياره ، وأن تقدمه إلى بيت جميل واسع طيب المسكن ليسكنه يكون باختياره أيضًا ، مع إيمانه أن هروبه وتقدمه المذكورين واقعان بقضاء الله وقدره وأن بقاءه لتدركه النار ، وتأخره عن سكنى البيت يُعدّ تفريطًا منه وإضاعة للفرصة يستحق اللوم عليه ؛ فلماذا لا يُدرك هذا بالنسبة لتفريطه بترك الأسباب المنجية له من نار الآخرة الموجبة لدخوله الجنة ؟ !

وأما التمثيل بأن الله إذا قَدَّر للعبد أن يبني مسجدًا فإنه سيبني هذا المسجد لا محالة ، لكنه ترك لعقله الخيار في كيفية البناء ، فهذا تمثيل غير صحيح ، لأنه يوحي بأن كيفية البناء يستقل بها العقل ولا تدخل فى قدر الله تعالى ، وأن أصل فكرة البناء يستقل بها القدر ولا مدخل للاختيار فيها . والحقيقة أن أصل فكرة البناء تدخل في اختيار العبد لأنه لم يجبر عليها كما لا يجبر على فكرة إعادة بناء بيته الخاص أو ترميمه مثلًا ، ولكن هذه الفكرة قد قدرها الله تعالى للعبد من حيث لا يشعر ، لأنه لا يعلم بأن الله قدر شيئًا ما حتى يقع ذلك الشيء ، إذ القدر سرّ مكتوم لا يعلم إلا بإطّلاع الله تعالى عليه بالوحى أو بالوقوع الحِسِّي . وكذلك كيفية البناء هى بقدر الله تعالى ، فإن الله تعالى قد قدّر الأشياء كلها جملة وتفصيلًا ، ولا يمكن أن يختار العبد ما لم يُرِدْه أو يُقَدِّرْه ، بل إذا اختار العبد شيئًا وفعله علم يقينًا أن الله تعالى قد قضاه وقدّره . فالعبد مختار بحسب الأسباب الحسية الظاهرة التى قدّرها الله تعالى ، أسبابًا لوقوع فعله ، ولا يشعر العبد حين يفعل الفعل بأن أحدًا

أجبره عليه ، لكنه إذا فعل ذلك بحسب الأسباب التي جعلها الله تعالى أسبابا علمنا يقينًا بأن الله تعالى ، قد قَدّرها جملةً وتفصيلًا .

وهكذا نقول في التمثيل بفعل الإنسان المعصية حيث قلتم : إن الله قدّر عليه فعل المعصية فهو سيفعلها لا محالة ، ولكن ترك لعقله كيفية تنفيذها والسعي إليها .

فنقول فيه ما قلناه في بناء المسجد : إن تقدير الله تعالى عليه فعل المعصية لا ينافي اختياره لها ، لأنه حين اختياره لها لا يعلم بما قدر الله تعالى عليه ، فهو يقدم عليها مختارًا لا يشعر بأن أحدًا يجبره ، لكنه إذا أقدم وفعل علمنا أن الله قد قدر فعله لها ، وكذلك كيفية تنفيذ المعصية والسعي إليها الواقعة باختيار العبد ، لا تنافي قدر الله تعالى ، فالله تعالى قد قدر الأشياء كلها جملة وتفصيلا ، وقدر أسبابها الموصلة إليها ، ولا يشذ عن ذلك شيء من أفعاله ولا من أفعال العباد الاختيارية منها والاضطرارية ، كما قال الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ ﴾[1] . وقال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾[2] . وقال : ﴿ وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا

---

(١) الحج : ٧٠ .

(٢) الأنعام : ١٢ .

فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ ومَا يَفْتَرُونَ ﴾[1] . وقال : **﴿ ولَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ ولَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَنْ ءَامَنَ ومِنْهُم مَن كَفَرَ ولَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا ﴾**[2] .

وبَعْدُ . فإنّ الجدير بالمرء ألا يبحث في نفسه ولا مع غيره في مثل هذه الأمور التى توجب له التشوّش ، وتُوهِمُ معارضة الشرع بالقَدَر ، فإن ذلك ليس من دَأْب الصحابة – رضي الله عنهم – وهم أحرص الناس على معرفة الحقائق وأقربهم من معين إرواء الغُلَّة ، وكشف الغُمَّة ، وفي صحيح البخاري عن عليّ بن أبي طالب – رضي الله عنه – أن النبيَّ ﷺ قال : « مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلاّ وقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ ومَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ » . فقُلْنَا : يا رَسُولَ الله أفَلَا نَتَّكِلُ ؟ (وفي روايةٍ : أَفَلا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا ونَدَعِ الْعَمَلَ ؟) قال : « لَا اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّر » (وفي رواية : اعْمَلُوا فَكُل مُيَسَّر لِمَا خُلِقَ لَهُ ، أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ ، وأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَة فَيُيَسَّرُ لِعَمَل أَهْلِ الشَّقَاوَةِ ، ثُمّ قَرَأ : **﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى واتَّقَى . وصَدَّقَ بالْحُسْنَى . فَسَنُيَسِّرُه لِلْيُسْرَى . وأَمَّا مَن بَخِلَ واسْتَغْنَى ، وكَذَّبَ بالْحُسْنَى . فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾** . فنهى النبي ﷺ عن الاتكال على الكتاب وتَرْك العمل ، لأنه لا سبيل إلى العلم به ، وأمر بما يستطيعه العبد ويمكنه ، وهو العمل واستدل بالآية التي تدل على أن من عمل صالحًا وآمن فسيُيَسر لليسرى ، وهذا هو الدواء الناجع المثمر ، الذي يجد فيه العبد بلوغ عافيته

---

(١) الأنعام : ١٣٧

(٢) البقرة : ٢٥٣

وسعادته ، حيث يشمِّر للعمل الصالح المبني على الإيمان ، ويبتبشر بذلك حين يقارنه التوفيق لليسرى في الدنيا والآخرة . أسأل الله تعالى أن يوفّقنا جميعًا للعمل الصالح . وأن ييسرنا لليسرى ، ويجنبنا العسرى ، ويغفر لنا في الآخرة والأولى ، إنه جواد كريم .

٣٢٣ ـــ كيف يمكن أن يكون القضاء والقدر معينًا على زيادة إيمان المسلم ؟

يكون الإيمان بالقَضَاء والقَدر عَوْنًا للمسلم على أُمور دينه ودنياه ؛ لأنه يؤمن بأن قدرة الله عز وجل فوق كل قدرة وأن الله عزَّ وجلَّ إذا أراد شيئًا فلن يحول دونه شيء ، فإذا آمن بهذا فعل الأسباب التي يتوصل بها إلى مقصوده ، ونحن فيما سبق من التاريخ أن هناك انْتصارات عظيمة انتصر فيها المسلمون مع قلة عَدَدهم وعُددهم ، كل ذلك لإيمانهم بوعد الله عزَّ وجلَّ وبقضائه وقدره وأن الأمور كلها بيده سبحانه .

٣٢٤ ـــ ماذا نقول لمن ندعوه إلى التوبة والرجوع إلى الله فيقول : إن الله لم يكتب لي الهداية ، والثاني يقول : إن الله يهدي من يشاء ؟

أما الأول فإنه يقول : إن الله لم يكتب لي الهداية ، وبكل بساطة نقول : أطَّلَعْت الغيب أم اتخذت عند الله عَهْدًا ؟ ! فإن قال : نعم ،

فنقول : إذن كَفَرْتَ ، لأنَّك ادَّعَيْتَ علم الغيب ، وإن قال : لا ، فنقول : غلبت ، إذا كنت لم تَطَّلع أن الله لم يكتب الهدَاية فاهتد فالله ما منعك من الهدَاية ، بل دعاك إليها وَرَغَّبك فيها ، وحذَّرك من الضَّلالة ونَهَاك عنها ، ولم يشأ الله عزَّ وجلَّ أن يدع عباده على ضلالة أبدًا قال تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾[1] . فَتُبْ إلى الله ، والله عزَّ وجلَّ أشدُّ فرحًا بتَوْبَتك من رجل أضل راحلته وعليها طعامه وشرابه وأيس منها ونام تحت شجرة ينتظر الموت فاستيقظ فإذا بخُطام ناقته متعلقًا بالشجرة ، فأخذ بخطام الناقة وقال : «اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدي وأنَا رَبُّكَ» أخطأ من شِدَّة الفرح ، فكان يريد أن يقول : «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي وَأنَا عَبْدُك» .

وأما الثاني الذى يقول : «إنَّ الله يهدي مَن يَشاءُ» ، فإذا كان الله يهدي من يشاء ، فهذه حجَّة عليك ، فاهتَدِ حتى تكون ممن شاء الله هِدايته ، والحقيقة أن هذا الجواب من العاصي هو لدفع الحجةِ بالنسبة لنا ، ولن ينفعه ذلك عند الله عز وجل يقول : ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أشركُواْ لَوْ شَاءَ اللهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آباؤُنا ولَا حَرَّمْنا مِن شيءٍ كذلك كَذَّب الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهِ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وإنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُون ﴾[2] .

---

(١) النساء : ٢٦ .

(٢) الأنعام : ١٤٨ .

٣٢٥ ـــــ هناك شخص عاصي ، وعندما دُعِيَ للحق قال : إن الله لم يكتب لي الهداية : فكيف نتعامل معه ؟ أرشدونا ، أسكنكم الله الفردوس الأعلى من جنته . آمين .

نقول بكل بساطة : أطَّلَعْتَ الغيبَ أم اتخذت عند الله عهدا ؟ هل أنت اطلعت الغيب على أن الله لم يكتب لك الهداية ؟ إن قال : نعم ، كفر لأنه ادعى علم الغيب . وإن قال : لا ، خُصِم وغُلب . إذا كنت لم تطلع أن الله لم يكتب لك الهداية فاهْتَدِ ، فالله ما منعك الهداية بل دعاك إلى الهداية ورغّبك فيها ، وحَذَّرَك من الضلالة ونهاك عنها ، ولم يشأ الله عز وجل أن يَدَعَ عباده على ضلالة أبدا قال تعالى : ﴿ **يُبَيِّنُ اللهُ لكم أن تَضِلُّوا** ﴾[1] . ﴿ **يُرِيدُ اللهُ لِيبينَ لكم ويهديَكم سُنَنَ الذين مِن قَبْلِكم ويَتُوبَ عليكم** ﴾[2] فتُبَ إلى الله ، والله عز وجل أشد فرحا بتوبتك من رجل أضل راحلته وعليها طعامه وشرابه وأَيِسَ منها ونام تحت شجرة ينتظر الموت فاستيقظ فإذا بخِطام ناقته متعلّق بالشجرة فأخذ بخطام الناقة فرحا وقال : اللهم أنت عبدي وأنا ربك . أخطأ من شدة الفرح . فنقول تُبْ إلى الله ، والله أمرك بالاهتداء وبَيَّن لك طريق الحق . والله ولي التوفيق .

---

(١) النساء ١٧٦

(٢) النساء ٢٦

٣٢٦ لماذا يُثقِّل الله عَلى المؤْمنين الَّذِين يُكْثِرُون العِبَادة بِالأمْراضِ والبَلايَا في حِين أن العُصَاة يتمتَّعُون بكُلِّ مَطايب الحياة ؟

هَذا السُّؤال يردُ على وجهين أحدهما اعتراض ، والثاني : استِرْشاد فَأمَّا وُقُوعه عَلَى سَبيل الاعتِراض فإنَّه دليل على جهل السائل فَإنَّ حِكمةَ الله سُبْحانه وتَعَالى أعْظَمَ من أنْ تبلُغَها عُقُولنَا والله عزَّ وجلَّ يقول : ﴿ وَيسْألُونَكَ عَن الرُّوح قُلِ الرُّوحُ مِنْ أمْرِ رَبِّي وَمَا أوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إلَّا قَلِيلًا ﴾[1] .

فهذه الرُّوح التي هي بين جَنْبَيْنا والتي هي مادة حياتنا نحن لا نَعْرفها وقد عَجَز النُّظار والفلاسفة والمُتَكلمون عن تَحْديدها وكَيْفيتها فإذا كانت هذه الرُّوح التي هي أقْربُ مَخْلوق إلينا لا نَعْلَمُ منها مَا وُصف في الكتاب والسنة فما بالك بما وراء هذا فالله عزَّ وجلَّ أحْكَمُ وأعْظَمُ وَأجلُّ وَأقْدر فعلينا أنْ نُسَلِّم بقضائه تَسْليمًا تَامًّا : قَضَائُه الكَوْني وَقَضائُه القَدَري لأنَّنا عَاجزون عن إدْراك غَايات حِكْمتِهِ سُبْحانه وتعالى ، وعليه فالجواب عن هذا الوجه من السُّؤال أن نقول الله أعلم وأحكم وأقدر وأعظم .

---

(١) الإسراء : ٨٥

وأمَّا الثاني : سُؤَال استْرشاد فإنَّنا نقول لهذا السَّائل ، المؤْمن يُبْتلى وابتلاء الله له بما يُؤْذيه له فائدتان عظيمتان : الفائدة الأولى : اخْتبار هذا الرَّجل في إيمَانه هل إيمانه صَادِق أوْ مُتَزَعْزِع ؟ صَادِق أوْ مُتَزَعزع ؟ فالمؤمن الصَّادق في إيمانه يصبر لقضاء الله وقدره ويحتسب الأجر منه وحينئذ يَهُون عليه الأمر ويذكر عن بعض العابدات أنه أُصيب أصْبعُها بَقطْع أو جُرح ولكنها لم تتألم ولم تُظْهر التَّضَجُّر فقِيلَ لها في ذلك فقالت إن حلاوة أجرها أنْستْنِي مَرَارة صَبْرها ، والمؤْمن يَحْتسب الأجر من الله تعالى ويسلم تسليمًا هذه فائدة أمَّا الفائدة الثَّانية : فإن الله سبحانه وتعالى أثْنى على الصَّابرين ثَنَاءً كثيرًا وأخبر أنَّهُ معهم ويُوَفيهم أجْرهم بغير حساب ، والصَّبر درجة عالية لا يَنَالها إلَّا من ابتُلي بالأمور التي يصبر عليها فإذا صَبَر نال هذه الدَّرجة العالية التي فيها هذا الأجر الكَثِير فيكون ابتلاء الله للمُؤْمنين بما يُؤْذيهم من أجْل أن ينالوا درجة الصَّابرين ولهذا كان الرَّسول عليه الصلاة والسلام وهو أعظم الناس إيمانًا وأتقاهم وأخشاهم لله كان يُوعك كما يُوعك الرَّجلان وشُدِّدَ عليه ﷺ عِنْد النَّزع ، كل ذلك لأجل أنْ تتم له منزلة الصَّبر فإنَّه عليه الصَّلاة والسَّلام أصْبر الصَّابرين . ومن هذا يتبيَّن لك الحكمة من كون الله سبحانه وتعالى يَبْتلي المؤمن بمثل هذه المَصَائب ، أمَّا كونه يُعْطي العُصَاة والفُسَّاق والفُجَّار والكُفَّار العَافِية والرِّزق يُدره عليهم فهذا استْدراج منه سُبْحانه وتعالى لهم وقد ثبت عن النبي عليه الصلاة والسلام قوله : «إنّ الدُّنيا سِجْنُ المُؤْمِن وجَنَّة الكافر» فهم يُعْطَوْنَ هذه الطَّيبات لِتعجل لهم طيباتهم في حياتهم الدُّنيا ويوم القيامة يَنَالون ما يَسْتَحِقُّونه من جَزَاءٍ

قال الله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُم طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا واسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الهُون بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُون فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُم تَفْسُقُونَ ﴾[1] .

فالحاصل أنَّ هذه الدُّنيا هي للكُفَّار يُسْتَدْرجون بها ، وهم إذا انتقلوا إلى الآخرة من هذه الحياة الدنيا التي نَعِمُوا بها وَجدوا العذاب – والعياذ بالله – فإنَّه يكون العذاب أشدَّ عليهم لأنَّهم يجدون في العذاب النَّكال والعقوبة ، ولأنَّه مع فوات محبوبهم من الدُّنيا ونعيمهم وترفهم وهذه فائدة ثالثة يمكن أن نُضِيفهَا إلى الفائدتين السابقتين فيما سينال المؤمن من الأذى والأمراض ، فالمؤمن ينتقل إلى دار خير من هذه الدُّنيا فيكون قد انتقل من أمرٍ يؤذيه ويؤلمه إلى أمر يَسُرّه ويفرحه فيكون فرحه بما قَدِمَ عليه من النعيم مضاعفًا ؛ لأنه حصل به النَّعيم وفاتَ عنه ما يجري من الآلام والمصائب .

٣٢٧ ـــــــ ما معنى قوله تعالى : ﴿ يَمْحُواْ اللهُ مَا يَشَاءُ ويُثْبِتُ وعِندَهُ أُمُّ الكتاب ﴾ . وكذلك قوله ﷺ : «من أراد أن يُنسأ له في أجله ويبسط له في رزقه فليصل رحمه» ؟

قال تعالى : ﴿ يَمْحُواْ اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ

(١) الأحقاف : ٢٠

الكِتَابِ ﴾[1] . وأم الكتاب هو اللوح المحفوظ ؛ لأن جميع ما يكتب مرجعه إلى اللوح المحفوظ ؛ لأن ما في اللّوح المحفوظ لا يُغيَّر ولا يُبدَّل وهو الذي تستقر عليه الأمور ، وأما ما دون ذلك مما يكتب فهذا قابل للمحو والإثبات ، وقد مر علينا أن مع كل إنسان ملكين يكتبان ما يفعله : ﴿ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[2] . هذا الذي يكتب إذا كتب فهو إثبات ، فإذا تاب الإنسان من ذلك مُحي ، فهذا محو وإثبات فيكون المحو والإثبات واقعين في الصحف التي بأيدي الملائكة ، أما ما في اللوح المحفوظ فإنه محفوظ وهو المرجع والأم .

وأما الحديث وهو قوله ﷺ : «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَره وَيُبْسَطَ لَه فِي رِزْقِه فَلْيَصِل رَحِمه» ، فَلَيْسَ معنى هذا أن يكون الإنسان له عُمْران عُمر إذا وصل رحمه ، وعُمر إذا لم يصل ، بل العُمر واحد ، والمقدار واحد ، والإنسان الذي قدر الله تعالى أن يصل رَحِمه سوف يَصِل رحمه ، والذي قدر الله تعالى أن يقطع رحمه سوف يقطع رحمه ، ولابد ، ولكن الرسول ﷺ أراد أن يحث الأمة على فعل ما فيه الخير ، كما نقول من أحب أن يأتيه ولد فليتزوج ، فالزّواج مكتوب ، والولد مكتوب ، فإذا كان الله قد أراد ان يحصل لك ولد ، أراد أن تتزوج ، ومع هذا فإن الزّواج والولد كلاهما مكتوب ، كذلك هذا الرّزق هو مكتوب من الأصل ، ومكتوب أن تصل رحمك ، لكنك أنت لا تعلم

---

(١) الرعد : ٣٩

(٢) الإنفطار : ٩ - ١٢

عن هذا ، فحثك النبي ﷺ عليه ، وبين لك أنك إذا وصلت الرحم فإن الله يَبْسُط لك في الرزق ، وينسأ لك في الأثر ، وإلا فكل شيء مكتوب بلا شك ، حتى الزواج ، وحتى شِراء البيت ، وغير ذلك ، لكن لما كانت صِلَةُ الرَّحم أمرًا ينبغي للإنسان أن يقوم به حثَّ النبي ﷺ أمته على ذلك بهذا .

ثم اعلم – بارك الله فيك – أن تأْخِير الأجل وبسط الرزق أمر نسبي ليس أمرًا مُطْلَقًا ، ولهذا نجد بعض الناس يصل رحمه وبسط له في رزقه بعض الشيء ، ولكن عمره يكون قصيرًا وهذا مشاهد فنقول هذا الذى كان عمره قصيرًا مع كونه وَاصِلًا لِرَحمه لو لم يصل رحمه لكان عمره أقصر ، ولكن الله تعالى قد كتب في الأزل أن هذا الرجل سَيَصلُ رحمه وسيكون منتهى عمره في وقت كذا .

عمـــوم الرســالة

٣٢٨ ـــــ هل يجب على الكافر أن يعتنق الإسلام ؟

يجب على كل كافر أن يعتنق دين الإسلام ولو كان نصرانيًّا أو يهوديًّا لأن الله تعالى يقول في الكتاب العزيز : ﴿ قُلْ يا أيُّها الناسُ إنّي رَسُولُ اللهِ إليكم جميعاً الّذي له مُلْكُ السّموات والأرض لا إلهَ إلا هو يُحْيي ويُميت فآمِنُوا باللهِ ورسولِهِ النبيِّ الأُمِّي الذي يُؤْمِنُ باللهِ وكلماتِه واتَّبِعُوه لَعَلَّكم تَهْتَدُون ﴾[1] فواجب على جميع الناس أن يؤمنوا برسول الله ﷺ .

إلا أن هذا الدين الإسلامي من رحمة الله عزّ وجلّ وحِكْمته أنه أباح لغير المسلمين أنْ يَبقوا على ديانتهم بشرط أن يخضعوا لأحكام المسلمين فقال تعالى : ﴿ قَاتِلُوا الذينَ لا يُؤْمِنُونَ باللهِ ولا باليوم الآخرِ ولا يُحَرِّمُونَ ما حَرَّمَ اللهُ ورَسُولُه ولا يَدينُونَ دِينَ الحَقِّ مِنَ الذين أوتوا

---

(١) لأعراف ١٥٨

الكتابَ حتى يُعْطُوا الجزْيَة عن يَدٍ وهُمْ صَاغِرونَ ﴾[1] . وفي صحيح مسلم من حديث بُرَيْدَةَ : أنّ النبيَّ ﷺ كان إذا أَمَّرَ أَمِيراً على جيش أو سَرِيَّةٍ أَمَرَهُ بتقوَى اللهِ وبمَنْ مَعَه مِنَ المسلمينَ خَيْراً وقال : « ادْعُهُمْ إلى ثلاثِ خِصالٍ أو خِلال فأيَّتهُنَّ أَجَابُوك فَاقْبَلْ مِنْهُم وكُفَّ عَنْهُمْ » . ومن هذه الخصال أن يبذلوا الجزية .

ولهذا كان القول الراجح من أقوال أهل العلم أن الجزية تُقبل من غير اليهودِ والنصارَى .

فالحاصل أن غير المسلمين يجب عليهم : إما الدخول في الإسلام ، وإما الخضوعُ لأحكامِ الإسلامِ . والله الموفق .

٣٢٩ ـــــــ يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَوَيْل للمُشْرِكينَ الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾[2] فما المقصود بالمشركين وكيف يؤمرون بالزكاة ؟

قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ لا يُؤْتُونَ الزَّكاةَ ﴾ يَحْتَمِلُ معنيين ، أحدهما : أنْ يُرَادَ بالزَّكاة زكاة النفسِ وهي تطهيرها من الشرك لقوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلح مَنْ زَكَّاها وَقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾[3] . فيكون قوله : ﴿ الَّذِينَ

(١) التوبة ٢٩ .

(٢) فصلت : ٦ ،٧

(٣) الشمس : ٩ ، ١٠

لا يُؤتُونَ الزَّكَاة ﴾ تفسيرًا لقوله : ﴿ **لِلمُشْرِكِينَ** ﴾ أي الذين لا يُؤْتُون أنْفُسهم زَكَاتها بالتَّخلي عن الشِّرك ووسائله .

والاحتمال الثاني : أن يكون المُراد بالزَّكاة زكاة المال ويكون تَرْكهم الزكاة – أي تركهم البَذْل – من أوصافهم وإن كان هذا لَيْس بالزَّكاة ، لأنه بالنِّسبة لهم لا يقبل منهم زَكاة ولا غيرها ما دَامُوا على شِرْكِهم .



الأنبيـــاء والرســـل

٣٣٠ ـ هل هناك فَرْق بين الرَّسول والنَّبي ؟

نعم فأهل العلم يقولون : إنَّ النَّبي هو من أَوْحَى الله إليه بشرع ولَمْ يَأمره بتْبليغِهِ بل يَعْمل بِهِ في نَفسِه دون إلزام بالتبليغ .

والرسول : هو من أَوْحى الله إليه بشرع وأمرهُ بتبليغه والعمل به فكل رَسُولٍ نبي وليس كل نبّي رَسولًا والأنبياء أكثر من الرُّسل وقد قصَّ الله بعض الرسل في القرآن ولم يقصص البعض الآخر .

قال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ أرْسلْنا رُسُلًا مِنْ قَبْلِك مِنْهُم مَنْ قَصَصْنا عَلَيْك ومنهم مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلْيك وما كَان لِرَسُولٍ أنْ يَأتي بآيةٍ إلَّا بإِذْن الله . . .** ﴾[1] .

وبناء على هذه الآية يتبين أن كل من ذُكِر في القرآن من الأنبياء فهو رسول .

(١) غافر : ٧٨

٣٣١ كيف نجمع بين قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهم عَلَى بَعْضٍ ﴾[1] . وقوله : لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أحَدٍ مِنهم ﴾[2]

قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُم عَلَى بَعْضٍ ﴾[1] كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَد فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيينَ عَلَى بَعْضٍ ﴾[2] .

فالأنبياء والرسل لا شكَّ أن بعضهم أفضل من بعض فالرسل أفضل من الأنبياء وأولوا العزم من الرُّسل أفضل ممَّن سواهم وأُولو العزم من الرُّسل هم الخمسة الذين ذكرهم الله تعالى في آيتين من القرآن إحداهما في سورة الأحزاب : ﴿ وإذْ أخذْنَا مِنَ النَّبيين ميثَاقَهُمْ وَمِنْكَ ومِنْ نُوحٍ وإبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وعِيسَى ابْنِ مَرْيَم ﴾[3] . محمد عليه الصَّلاة والسَّلام ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم .

والآية الثانية في سورة الشُّورى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّن الدِّين مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا والَّذي أوْحَيْنَا إلَيْكَ وَمَا وصَّيْنَا بِهِ إبْرَاهيمَ وَمُوسَى وعِيسَى ﴾[4] .

---

(١) البقرة : ٢٥٣ .
(٢) البقرة : ١٣٦ .
(٣) الأحزاب : ٧ .
(٤) الشورى : ١٣ .

فهؤلاء خمسة وهم افضل ممن سواهم وأما قوله تعالى عن المؤمنين : ﴿ **كُلٌّ آمَنَ باللهِ وَمَلائِكَتِه وَكتُبِه وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ** ﴾[1] . فالمعنى لا نفرق بينهم في الإيمان بل نؤمن أن كلهم رسُل من عند الله حقًّا وأنهم ما كَذَبوا فهم صادقون مصَدّقونَ وهذا معنى قوله : ﴿ **لا نُفَرِّق بَيْنَ أحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ** ﴾[2] . أي في الإيمان بل نؤمن أن كلَّهم عليهم الصَّلاة والسَّلام رسل من عند الله حقًّا .

لكن في الإيمان المتضمن للإتباع هذا يكون لمن بعد الرَّسول ﷺ خاص بالرَّسول عليه الصَّلاة والسَّلام ، لأنه ﷺ هو المتبع لأن شريعته نَسَخَت ما سِوَاها من الشَّرائع وبهذا نعلم أن الإيمان يكون للجميع كلّهم نؤمن بهم وأنهم رُسُل الله حقًّا وأن شَرِيعَتَه التي جاء بها حق وأمَّا بعد أن بعث الرَّسول عليه الصَّلاة والسَّلام فإن جميع الأديان السَّابقة نُسِخَتْ بشريعته ﷺ وصار الواجب على جميع النَّاس أن يَنْصُروا مُحَمَّدًا ﷺ وَحْدَه ولقد نَسخ الله تعالى بحكمته جميع الأديان سوى دين الرَّسول ﷺ ولهذا قال الله تعالى : ﴿ **قُلْ يَا أَيُّها النَّاسُ إنِّى رَسُولُ الله إلَيْكُم جَميعًا الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّموَات والأرضِ لا إلهَ إلَّا هُو يُحْيِي وَيُميتُ فآمنُوا باللهِ وَرَسُوله النَّبى الأُمِّى الَّذِي يُؤْمنُ باللهِ وكَلِمَاتِهِ واتَّبِعُوه لَعَلَّكُم تَهْتَدُونَ** ﴾ .[3] . فكانت الأديان سوى دين الرسول عليه الصلاة والسلام كلها منسوخة لكن الإيمان بالرسل وأنهم حق هذا أمْر لابُدَّ منْهُ .

---

(١) البقرة : ٢٨٥

(٢) البقرة : ٢٨٥

(٣) الأعراف : ١٥٨

٣٣٢ سئل الشيخ : مـن أَوَّلُ الرُّسُلِ ؟

فأجاب بقوله : أول الرُّسُلِ عليهم الصلاة والسلام نوح عليه الصلاة والسلام ، وأخرهم محمد ﷺ ، وأما قبل نوح فلم يُبْعَثْ رسول ، وبهذا نعلم خطأ المؤرخين الذين قالوا إن إدريس عليه الصلاة والسلام كان قبل نوح ؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه : ﴿ **إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ** ﴾[1] وفي الحديث الصحيح في قصة الشفاعة « إِنَّ النَّاسَ يَأْتُونَ إِلَى نُوحٍ فَيَقُولُونَ لَهُ أَنْتَ أَوَّلُ رَسُولٍ أَرْسَلَهُ اللهُ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ » فلا رسول قبل نوح ، ولا رسول بعد محمد ﷺ لقوله تعالى : ﴿ **مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ** ﴾[2] وأما نزول عيسى ابن مريم عليه السلام في آخر الزمان فإنه لا ينزل على أنه رسول مجدد ، بل ينزل على أنه حاكم بشريعة النبي محمد ﷺ ؛ لأنه الواجب على عيسى وعلى غيره من الأنبياء الإيمان بمحمد ﷺ كما قال الله تعالى : ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُم إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِنَ الشَّاهِدِينَ** ﴾[3] وهذا الرسول المصدق لما معهم هو محمد ﷺ كما صح ذلك عن ابن عباس وغيره .

---

(١) النساء : ١٦٣ .

(٢) الاحزاب : ٤٠ .

(٣) آل عمران : ٨١ .

٣٣٣ ــ سئل هل آدمُ عليه الصلاة والسلام رسول أو نبي ؟

فأجاب بقوله : آدم ليس برسول ولكنه نبي ، كما جاء في الحديث الذي أخرجه ابن حبان في صحيحه أن النبي ﷺ سُئِل عَنْ آدَمَ أَنَبِيّ هُوَ ؟ قَالَ : « نَعَم نَبِيّ مُكَلَّم » ولكنه ليس برسول والدليل قوله تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّين مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِين ﴾[1] وقوله ﷺ في حديث الشفاعة إِنَّ النَّاسَ يَذْهَبُون إِلَى نُوحٍ فيقُولُون « أَنتَ أَوَّل رَسُولٍ بَعَثَهُ اللهُ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ » وهذا نص صريح بأن نوحًا أول الرسل .

٣٣٤ ــ وسئل فضيلته : عن عقيدة المسلمين في عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام ؟

فأجاب : عقيدة المسلمين في عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام أنه أحد الرسل الكرام ، بل أحد الخمسة الذين هم أُولُوا العَزْم وهم محمد ﷺ ، وإبراهيم ، ونوح ، وموسى ، وعيسى ، عليهم الصلاة والسلام . ذكرهم اللّه في موضعينِ من كتابه في سورة الأحزاب ﴿ وإِذْ أَخذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهم ومِنكَ ومِن نُوحٍ وإبراهيمَ ومُوسى وعِيسَى

---

(١) البقرة : ٢١٣ .

ابْنِ مَرْيَمَ وأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾[1] وفي سورة الشُّورَى ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ ما وَصَّى به نُوحًا والَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ومَا وَصَّيْنَا به إبراهيمَ وموسى وعيسى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ ولا تَتَفَرَّقُوا فِيه ﴾[2] وأن عيسى عليه الصلاة والسلام بشر من بني آدم ، مخلوق من أم بلا أب ، وأنه عَبْدُ اللَّه ورسوله فهو عَبْدٌ لا يُعْبَدُ ، ورسولٌ لا يَكْذِبُ ، وأنه ليس له من خصائص الربوبية شيء ، بل هو كما قال اللَّه تعالى ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْه وجَعَلْنَاه مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾[3] وأنه عليه الصلاة والسلام لم يأمر قومه بأن يتخذوه وأمه إلهين مِن دُون اللَّه ، وإنما قال لهم ما أمره اللَّه به ﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُم ﴾[4] وأنه عليه السلام خُلِقَ بكلمة اللَّه عز وجل كما قال اللَّه تعالى ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قال له كُن فَيَكُونُ ﴾[5] وأنه ليس بينه وبين محمد ﷺ رسول كما قال اللَّه تعالى : ﴿ وإِذْ قال عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لما بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ ومُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بالبَيِّنَاتِ قَالُوا هذا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[6] ولا يتم إيمان أحد حتى يؤمن بأن عيسى عَبْدُ الله ورُسوله ، وأنه مُبَرَّأٌ ، ومُنَزَّهٌ عما وصفه به اليهود الذين قالوا : « إنه ابن بَغِيّ ، وإنه نشأ من الزنا » – والعياذ بالله – وقد بَرَّأه اللَّه تعالى من ذلك ، كما أنهم – أي المسلمين – يتبرؤن من طريق النصارى الذين ضلوا في فهم الحقيقة بالنسبة لعيسى ابن مريم حيث

---

(١) الأحزاب . ٧ .
(٢) الشورى . ١٣ .
(٣) الزخرف . ٥٩ .
(٤) المائدة : ١١٧ .
(٥) آل عمران : ٥٩ .
(٦) الصف : ٦ .

اتخذوه وأمه إلهين من دون اللّه ، وقال بعضهم : إنه ابن اللّه ، وقال بعضهم : إنه ثالث ثلاثة .

أما فيما يتعلق بقتْله وصَلْبه ، فالله سبحانه وتعالى قد نَفَى أن يكون قد قُتل أو صُلب نفيًا صريحًا قاطعًا فقال عز وجل ﴿ **وَمَا قَتَلُوه وما صَلَبُوه ولكن شُبِّهَ لهم وإنَّ الذين اخْتَلَفُوا فِيه لَفِي شَكٍ مِّنْه مالَهُم به مِنْ عِلْمٍ إلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وما قَتَلُوه يَقِينًا بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إلَيْه وكان اللَّه عَزِيزًا حَكِيما . وإن مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ إلَّا لَيُؤْمِنَنَّ به قَبْلَ مَوْتِه ويَوْمَ القِيامَةِ يَكُونُ عَلَيْهم شَهِيدًا** ﴾[1] فمن اعتقد أن عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام قُتل وصُلب فقد كذّب القرآنَ ، ومن كذّب القرآن فقد كفر فنحن نؤمن بأن عيسى عليه الصلاة والسلام لم يُقتل ولم يُصلب ولكننا نقول : إن اليهود بآءو بإِثْم القَتْل والصلب ، حيث زعموا أنهم قتلوا المسيح عيسى ابن مريم رسول اللّه ، وهم لم يقتلوه حقيقة ، بل قتلوا مَنْ شُبِّه لهم حيث أُلقى اللّه شبهه على واحد منهم فقتلوه وصلبوه ، وقالوا : إننا قتلنا السميح عيسى ابن مريم رسول اللّه ، فاليهود بآءو بإثم القتل والصلب بإقرارهم على أنفسهم ، والسميح عيسى ابن مريم بَرّأه اللّه من ذلك وحفظه ورفعه سبحانه وتعالى عنده إلى السماء ، وسوف ينزل في آخر الزمان إلى الأرض فيحكم بشريعة النبي ﷺ ثم يموت في الأرض ويُدفن فيها ويخرج منها كما يخرج سائر بني آدم لقول اللّه تعالى ﴿ **مِنْهَا خَلَقْنَاكُم وفِيها نُعِيدُكُمْ ومِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى** ﴾[2] وقوله : ﴿ **فِيها تَحْيَونَ وفِيها تَمُوتُونَ ومِنْها تُخْرَجُون** ﴾[3] .

---

(١) النساء : ١٥٧ -١٥٩ .

(٢) طه : ٥٥ .

(٣) الأعراف : ٢٥ .



القرآن الكـريم ، والكتب السـابقة

٣٣٥ ـــــــ سُئل الشيخ : عن عقيدة السَّلَف في القرآن الكريم ؟

فأجاب قائلًا : عقيدة السَّلَف في القرآن الكريم كعقيدتهم في سائر أسماء اللَّه وصفاته ، وهي عقيدة مبنية على مادل عليه كتاب اللَّه وسنة رسولهﷺ ، وكلنا يعلم أن اللَّه سبحانه وتعالى وصف القرآن الكريم بأنه كلامه ، وأنه منزل من عنده قال تعالى ﴿ وإنْ أَحَدٌ مِّنَ المشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾[1] والمراد بلا ريب بكلام اللَّه هنا القرآن الكريم وقال تعالى : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ القُدُسِ مِن رَّبِكَ ﴾[2] وقال عز وجل : ﴿ إنَّ هذا القُرْآنَ يَقُصُّ على بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الذي هُمْ فِيه يَخْتَلِفُون ﴾[3] فالقرآن كلام اللَّه تعالى لفظًا ومعنى ، تَكلّم اللَّه به حقيقة والقاه إلى جبريل الأمين ، ثم نزل به جبريل على قلب النبيﷺ ليكون من المُنذِرين بلسان عربي مبين .

---

(١) التوبة : ٦ .

(٢) النحل : ١٠٢ .

(٣) النمل : ٧٦ .

ويعتقد السلف أن القرآن منزل نزله اللّٰه عز وجل على محمد ﷺ مُنَجَّمًا – أي مُفَرَّقًا – في ثلاث وعشرين سنة حسب ما تقتضيه حكمة اللّٰه عز وجل ، ثم إن النزول يكون ابتدائيًا ويكون سببيًا بمعنى أن بعضه ينزل لسبب معين اقتضى نزوله ، وبعضه ينزل بغير سبب وبعضه ينزل في حكاية حال مضت للنبي ﷺ وأصحابه ، وبعضه ينزل في أحكام شرعية ابتدائية على حسب ما ذكره أهل العلم في هذا الباب .

ثم إن السلف يقولون إن القرآن من عند اللّٰه ابتداءً وإليه يعود في آخر الزمان هذا قول السلف في القرآن الكريم .

ولا يخفى علينا أن اللّٰه تعالى وصف القرآن الكريم بأوصاف عظيمة وصفه بأنه حكيم ، وبأنه كريم ، وبأنه عظيم ، وبأنه مَجِيد ، وهذه الأوصاف التي وصف اللّٰه بها كلامه تكون لمن تمسّك بهذا الكتاب وعمل به ظاهرًا وباطنًا فإن اللّٰه تعالى يجعل له من المَجْد ، والعَظَمة ، والحِكْمة ، والعِزَّة ، والسلطان ، مالا يكون لمن لم يتمسك بكتاب اللّٰه عز وجل ولهذا أدعو من هذا المنبر جميع المسلمين حكامًا ومحكومين ، علماء وعامة ، إلى التمسك بكتاب اللّٰه عز وجل ظاهرًا وباطنًا حتى تكون لهم العزة ، والسعادة ، والمجد ، والظهور في مشارق الأرض ومغاربها ، وأسأل اللّٰه تعالى أن يعيننا على تحقيق ذلك .

٣٣٦ أقرأ القرآن قراءة ضعيفة غير صحيحة في أحكام التلاوة فهل هذا حرام أم أوجر عليه ؟

إقرأ القرآن وأقم كلماته ما استطعت .

٣٣٧ يقول السَّائل ما حكم قِراءة القرآن الكريم وهو بيده من غير طهارة ؟

قراءة القرآن حِفظًا عن ظَهْر قَلْبٍ ولو كان عليه حَدَث أصغر لا بَأْسَ به لأنَّه ليس من شرْط جواز القِراءة أنْ يكون الإنسان على طَهَارة وأمَّا إذا كان عليه جنابة فإنَّه لا يقرأ القرآن ولو عن ظَهْر قَلْب حتى يَغْتَسل ولكن لا بَأس أنْ يقرأ ذِكْرًا من القرآن مثل أنْ يقول ﴿ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ أَوْ يُصَاب بِمُصيبة فيقول ﴿ إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ أو نحو ذلك من الأذكار المأخوذة من القُرآن .

٣٣٨ هل هناك دليل من السنة على أن يكبر الإنسان بين السورتين ؟

ليس هناك دليل من السنة على مَشْروعية التَّكبير بين السورتين ، إلا أن بعض القراء استحب أن يكبر بين السورتين من سورة الضحى إلى آخر القرآن ، فقال : إذا قلت : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾[1] فقل : (الله أكبر) ، وإذا قلت : ﴿ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾[2] . فقل : (الله أكبر) وهكذا إلى آخر القرآن .

---

(١) الضحى : ١١

(٢) الشرح : ٨

والصحيح أن هذا ليس بِسُنَّة لا بعد الضُّحى إلى آخر القرآن ، ولا ما قبل ذلك .

٣٣٩ ــــــ سئل أعلى درجته في الصديقين : هل تجوز كتابة بعض آيات القرآن الكريم « مثل آية الكرسي » على أواني الطعام والشراب لغرض التداوي بها ؟

الجواب : **أولًا** يجب أن نعلم أن كتاب الله عز وجل أعز وأجل من أن يمتهن إلى هذا الحد ويبتذل إلى هذا الحد ، كيف تطيب نفس مؤمن أن يجعل كتاب الله عز وجل وأعظم آية في كتاب الله وهي آية الكرسي أن يجعلها في إناء يشرب فيه ويمتهن ويرمى في البيت ويلعب به الصبيان ؟ ! **هذا العمل لا شك أنه حرام** وأنه يجب على من عنده شيء من هذه الأواني أن يطمس هذه الآيات التي فيها بأن يذهب بها إلى الصانع فيطمسها ، فإن لم يتمكن من ذلك فالواجب عليه أن يحفر لها في مكان طاهر ويدفنها ، وأما أن يبقيها مبتذلة ممتهنة يشرب بها الصبيان ويلعبون بها فإن هذا لا يجوز ، حتى وإن قصد بذلك الاستشفاء فإن الاستشفاء بالقرآن على هذا الوجه لم يرد عن السلف الصالح رضي الله عنهم .

٣٤٠ سئل الشيخ : هل يجوز للمسلم أن يقتني الإنجيل ليعرف كلام الله لعبده ورسوله عيسى عليه الصلاة والسلام ؟

الجواب : لا يجوز اقتناء شيء من الكتب السابقة على القرآن من إنجيل أو توراة أو غيرهما لسببين :

السبب الأول : أن كل ما كان نافعًا فيها فقد بَيَّنَهُ الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم .

السبب الثاني : أن في القرآن ما يغني عن كل هذه الكتب لقوله تعالى : ﴿ **نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ** ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ **وَأَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ** ﴾[2] فإن ما في الكتب السابقة من خير موجود في القرآن .

أما قول السائل أنه يريد أن يعرف كلام الله لعبده ورسوله عيسى ، فإن النافع منه لنا قد قصه الله في القرآن فلا حاجة للبحث في غيره ، وأيضًا فالإنجيل الموجود الآن مُحَرَّف ، والدليل على ذلك أنها أربعة أناجيل يخالف بعضها بعضًا وليست إنجيلًا واحدًا ، وإذن فلا يعتمد عليه .

---

(١) آل عمران : ٣ .

(٢) المائدة : ٤٨ .

أما طالب العلم الذي لديه علم يتمكن به من معرفة الحق من الباطل فلا مانع من معرفته لها لرد ما فيها من الباطل وإقامة الحجة على معتنقيها .

٣٤١ ـــــــ سمعت أن جبريل عليه السَّلام كان يُسمع القرآن الكريم للنَّبي عليه الصَّلاة والسَّلام ليَتأكَّد من حفظِه له فهل كان ذاك صحيحًا ؟

نعم كان جبريل عليه السلام إذا نزل بالوحي تلاه على النبي ﷺ ثم إذا انتهى منه تلاه عليه النبي عليه الصَّلاة والسَّلام حتى يَتَيقَّن من صحَّته وعلى هذا يدل قوله تعالى : ﴿ **لا تُحَرِّك بِهِ لسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنه فإذا قرأناهُ فاتبع قُرْآنَهُ ثُمَّ إنَّ عَلَيْنا بَيَانَهُ** ﴾[١] . وكان جبريل عليه السلام يُدَارس النَّبي عليه السَّلام القُرآنَ في كل مرة في رمضان . إلا في العام الذي تُوفي فيه فإنّه كان يُدارسه مرتين . كل ذلك من أجل التيقن والتَّثبت من حفظ القُرآن العظيم ، والله سبحانه وتعالى حين أنْزله على محمد ﷺ قد تكفَّل بحفظه ، كما قال تعالى : ﴿ **إنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإنَّا له لَحَافِظُون** ﴾[٢] .

---

(١) القيامة : ١٦ - ١٩

(٢) الحجر : ٩

ما يتعلق بالنبي ﷺ

٣٤٢ ـ ما رأيكم في وصف النبي ﷺ بحبيب الله ؟

النبي ﷺ حبيب الله لا شك ، فهو حابٌّ لله ومحبوب لله ولكن هناك وصف أعلى من ذلك وهو خليل لله فالرسول عليه الصلاة والسلام خليل الله كما قال ﷺ : « إنّ اللهَ اتخذني خليلاً كما اتَّخذَ إبراهيمَ خليلا » ولهذا مَنْ وصفه بالمحبة فقط فإنه نزّله عن مرتبته ، فالخُلَّةُ أعظم من المحبة وأعلى ، فكل المؤمنين أحباء لله ، ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام في مقام أعلى من ذلك ، وهي الخلة ، فقد اتخذه الله خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا ، لذلك نقول : إنَّ محمدا رسول الله ﷺ خليل الله ، وهذا أعلى من قولنا : حبيب الله ، لأنه متضمن للمحبة وزيادة ، لأنه غاية المحبة .

٣٤٣ ـ ما حكم السفر لزيارة قبر النبي ﷺ ؟

شَدُّ الرِّحال إلى زيارة القبور أيًا كانت هذه القبور لا يجوز ، لأن النبي ﷺ يقول : « لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلاّ إلى ثلاثةِ مساجد : المسجدُ

الحرامُ ، ومَسْجدي هذا ، والمسجد الأقصى » . والمقصود بهذا أنه لا تشد الرحال إلى أي مكان في الأرض لقصد العبادة بهذا الشد ، لأن الأمكنة التي تخصص بشد الرحال هي المساجد الثلاثة فقط ، وما عداها من الأمكنة لا تشد إليه الرحال ، فقبر النبي ﷺ لا تشد الرحال إليه وإنما تشد الرحال إلى مسجده ، فإذا وصل المسجد فإن الرجال يسن لهم زيارة قبر النبي ﷺ وأما النساء فلا يسن لهن زيارة قبر النبي ﷺ . والله الموفق .

٣٤٤ ــــ يقول عبد الله بن الشِّخِّير رضي الله عنه : « انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا : أنت سيدُنا . فقال : « السيدُ اللهُ تبارك وتعالى » . رواه أبو داود . فكيف نجمع بين هذا وبين ما جاء في التشهد « اللهمّ صَلِّ على سيدنا محمدٍ وعلى آل سيدِنا محمّدٍ » . فبعض الناس ينكر هذا . أفتونا مأجورين ؟

لا يرتاب عاقل أن محمدا ﷺ سيد ولد آدم ، فإن كل عاقل مؤمن يؤمن بذلك . والسيد هو ذو الشرف والطاعة والإمْرة . وطاعة النبي ﷺ من طاعة الله سبحانه وتعالى : ﴿ **مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ**

اللهَ ﴾[1] ونحن وغيرنا من المؤمنين لا نشك أن نبينا ﷺ سيدنا وخيرنا وأفضلنا عند الله سبحانه وتعالى ، وأنه المطاع فيما يأمر به صلوات الله وسلامه عليه . ومن مقتضى اعتقادنا أنه السيد المطاع عليه الصلاة والسلام أن لا نتجاوز ما شَرع لنا من قول أو فعل أو عقيدة ، ومما شرعه لنا في كيفية الصلاة عليه في التشهد أن نقول : « اللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمدٍ كما صليتَ على إبراهيمَ وعلى آل إبراهيمَ إنك حميد مجيد » . أو نحوها من الصفات الواردة في كيفية الصلاة عليه ﷺ . ولا أعلم أن صفة وردت بالصيغة التي ذكرها السائل وهو اللهم صَلِّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد . وإذا لم ترد هذه الصيغة عن النبي عليه الصلاة والسلام فإن الأفضل ألا نصلي على النبي ﷺ بها وإنما نصلي عليه بالصيغة التي عَلّمنا إياها . وبهذه المناسبة أَوَدُّ أَنْ أنبه إلى أن كل إنسان يؤمن بأن محمدا ﷺ سيدنا ، فإن مقتضى هذا الإيمان أن لا يتجاوز الإنسان ما شرعه وأن لا ينقص عنه ، فلا يبتدع في دين الله ما ليس منه ولا ينقص من دين الله ما هو منه ، فإن هذا هو حقيقة السيادة التي هي من حق النبي ﷺ علينا وعلى هذا فإن أولئكم المبتدعين لأذكار أو صلوات على النبي ﷺ لم يأت بها شرع الله على لسان رسوله محمد ﷺ تنافي دعوى أن هذا الذي ابتدع يعتقد أن محمداً ﷺ سيد لأن مقتضى هذه العقيدة أن لا يتجاوز ما شرع الله وأن لا ينقص منه فليتأمل الإنسان وليتدبر ما يعنيه بقوله حتى يتضح له الأمر ويعرف أنه تابع لا مشرع . وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « أنا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ » .

(١) النساء ٨٠ .

والجمع بينه وبين قوله : (السيد الله) . أن السيادة المطلقة لا تكون إلا لله وحده ، فإنه تعالى هو الذي له الأمر كله فهو الآمر وغيره مأمور ، وهو الحاكم وغيره محكوم ، وأما غيره فسيادته نسبية إضافية تكون في شيء محدود ؛ وفي زمن محدود ؛ ومكان محدود ؛ وعلى قوم دون قوم ؛ أو نوع من الخلائق دون نوع .

٣٤٥ ــ ما صحة هذه العبارة « اجعل بينك وبين الله صِلَة ، واجعل بينك وبين الرسول ﷺ صِلَة » ؟

الذي يقول : اجعل بينك وبين الله صلة – أي بالتعبد له – واجعل بينك وبين الرسول ﷺ صلة – أي باتّباعه – فهذا حق ، أما إذا أراد بقوله : اجعل بينك وبين الرسول ﷺ صلة ؛ أي اجعله هو ملجأك عند الشدائد ومستغاثك عند الكربات فإن هذا محرم بل هو شرك أكبر مخرج عن الملة .

٣٤٦ سئل فضيلة الشيخ : لماذا وَجَّه اللَّهُ الخطاب إلى الرسول ﷺ في قوله ﴿ ولا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مالا يَنفعُكَ ولاَ يَضُرُّكَ ﴾[1] مع أن النبي ﷺ معصوم من الشِّرْك ؟

فأجاب بقوله : الخطاب هنا للرسول ﷺ في ظاهر سياق الآية .

وقال بعض العلماء : – لايصح أن يكون للرسول ﷺ ؛ لأن الرسول ﷺ يستحيل أن يقع منه ذلك والآية على تقدير « قل » وهذا ضعيف لإخراج الآية عن سياقها .

والصواب : – أنه إما خاص بالرسول ﷺ والحكم له ولغيره ، وإما عام لكل مَنْ يصح خطابه ويدخل فيه الرسول ﷺ ، وكونه يُوَجَّه إليه مِثْلُ هذا الخطاب لا يقتضي أن يكون ذلك ممكنًا منه قال تعالى : **﴿ ولَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾**[2] فالخطاب له ولجميع الرسل ولا يمكن أن يقع ، فلا يمكن أن يقع منه ﷺ باعتبار حاله شركٌ أبدا ، **والحكمة من النهي** أن يكون غيره متأسيًا به ، فإذا كان النهي مُوَجَّهًا إلى مَنْ لا يمكن أن يقع منه باعتبار حاله فهو إلى من يمكن منه من باب أولى .

---

(١) يونس : ١٠٦ .

(٢) الزمر : ٦٥ .

٣٤٧ سُئل الشيخ : عَمَّنْ قال : إنّ تَزَوَّجَ النبيِّ ﷺ كان لِغَرَضَيْنِ : أحدُهما : مصلحة الدَّعْـوَة ، والثاني : التمشي مع ما فَطَره الله عليه من التمتع بما أَحَلَّ الله له ؟

فأجاب بقوله : من المعلوم أن النبي ﷺ بَشَر أكرمه الله تعالى بالنبوة والرسالة إلى الناس كافة ، وأن اتصافه بما تقتضيه الطبيعة البشرية من الحاجة إلى الأكل والشرب والنوم والبول والغائط ومدافعة البرد والحر والعدو ومن التمتع بالنكاح وأطايب المأكول والمشروب وغيرها من مقتضيات الطبيعة البشرية لا يقدح في نبوته ورسالته ، بل قد قال الله له : ﴿ **قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللهِ وَلَآ أَعْلَمُ الْغَيْبَ** ﴾[١] . وقال هو عن نفسه « إِنَّمَا أَنَا بَشَر مِثْلُكُمْ أَنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ » . وانتفاء علم الغيب وطُرُوّ النسيان على العلم قصور في مرتبة العلم من حيث هو علم ، لكن لما كان من طبيعة البشر الذي خلقه الله ضعيفًا في جميع أموره ، لم يكن ذلك قصورًا في مقام النبوة ، ونقصًا في حق النبي ﷺ .

ولا ريب ان شهوة النكاح من طبيعة الإنسان فكمالها فيه من كمال طبيعته ، وقوتها فيه تدل على سلامة البنية واستقامة الطبيعة ، ولهذا ثبت في صحيح البخاري من حديث أنس بن مالك – رضي الله عنه – أنه

قال ، كنا نتحدث أن يعني النبي ، ﷺ ، أُعْطِيَ قوةَ ثلاثين ، يعني على النساء ، وهذا والله أعلم ، ليتمكن من إدراك ما أحل الله منهن بلا حصر ولا مهر ، ولا ولي ، فيقوم بحقوقهن ، ويحصل بكثرتهن ما حصل من المصالح العظيمة الخاصة بهن والعامة للأمة جميعًا ، ولولا هذه القوة التي أمدَّه الله بها ما كان يدرك أن يتزوّج بكلّ هذا العدد ، أو يقوم بحقهن من الإحصان والعشرة .

ولو فُرِضَ أن النبي ﷺ تزوج امرأة لمجرد قضاء الوَطَر من الشهوة والتمشي مع ما تقتضيه الفِطْرة بل الطبيعة لم يكن في ذلك قصور في مقام النبوة ، ولا نقص في حقه ، ﷺ كيف وقد قال ﷺ : « تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ : لمالِها ، وحَسَبِها ، وجَمَالِها ، ودِينِهَا ، فاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّين » . بل قد قال الله له : ﴿ **لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِن أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ** ﴾[1] . لكننا لا نعلم حتى الآن أن رسول الله ﷺ تزوج امرأة لمجرد قضاء الوَطَر من الشهوة ، ولو كان كذلك لاختار الأبكار الباهرات جمالًا ، الشابات سِنًّا ، كما قال لجابر – رضي الله عنه – حين أخبره أن تزوج ثَيِّبًا ، قال : فهَلَّا بِكْرًا تُلَاعِبُهَا وتُلَاعِبُكَ » ؟ وفي رواية « وتُضَاحِكُهَا وتُضَاحِكُكَ » . وفي رواية« مالك ولِلْعَذَارَى ولِعَابِهَا » ، رواه البخاري ، وإنّما كان زواجه ، ﷺ إما تأليفًا أو تشريفًا أو جبرًا أو مكافأة أو غير ذلك من المقاصد العظيْمة . وقد أجملها في فتح الباري ص١١٥ ج٩ المطبعة السلفية حيث

---

(١) الأحزاب : ٥٢ .

قال : « والذي تحصّل مِنْ كَلَامِ أَهْلِ العِلْمِ في الحكمة في استكثاره من النساء عشرة أوجه :

أحدها : أن يَكْثُر مَنْ يشاهد أحواله الباطنة فينتفي عنه ما يَظُنُّ به المشركون من أنه ساحر أو غير ذلك .

ثانيها : لتتشرف به قبائل العرب بمصاهرته فيهم .

ثالثها : الزيادة في تألّفهم لذلك .

رابعها : الزيادة في التكليف حيث كُلّف أن لا يشغله ما حُبِّبَ إليه منهن عن المبالغة في التبليغ .

خامسها : لتكثر عشيرته من جهة نسائه فتزداد أعوانه على من يحاربه .

سادسها : نقل الأحكام الشرعية التي لا يطّلع عليها الرّجال ، لأن أكثر ما يقع مع الزوجة مما شأنه أن يختفي مثله .

سابعها : الاطلاع على محاسن أخلاقه الباطنة . فقد تزوج أمّ حبيبة وأبوها يعاديه ، وصفية بعد مقتل أبيها وعمها وزوجها ، فلو لم يكن أكمل الخلق في خُلُقه لنفرن منه ، بل الذي وقع أنه كان أحبّ إليهن من جميع أهلهن .

ثامنها : ما تقدم مبسوطًا من خَرْق العادة له في كثرة الجماع مع التقلل من المأكول والمشروب وكثرة الصيام والوصال . وقد أمر من لم يقدر

على مؤن النّكاح بالصوم ، وأشار إلى أن كثرته تكسر شهوته ، فانخرقت هذه العادة في حقّه ﷺ .

تاسعها وعاشرها : ما تقدم عن صاحب الشِّفَاء من تحصينهن والقيام بحقوقهن . أ . هـ .

قلت : الثامنة حاصلة لأن الله أعطاه قوة ثلاثين رجلًا كما سبق .

وثَمّ وجه حادي عشر : وهو إظهار كمال عدله في معاملتهن لتتأسى به الأمة في ذلك .

وثاني عشر : كثرة انتشار الشريعة فإنّ انتشارها من عدد أكثر من انتشارها من واحدة .

وثالث عشر : جَبْر قلب من فات شرفها كما في صفية بنت حُيَيّ ، وجُوَيْرِيَة بنت الحارِث سيد بني المُصْطَلِق .

ورابع عشر : تقرير الحكم الشرعي وانتشال العقيدة الفاسدة التي رسخت في قلوب الناس من منع التزوج بزوجة ابن التبني ، كما في قصة زينب فإن اقتناع الناس بالفعل أبلغ من اقتناعهم بالقول ، وانظر اقتناع الناس بحَلْقِ النبيّ ﷺ رَأْسَه في الحُدَيْبِيَة ، ومبادرتُهم بذلك حين حَلَق بعد أنْ تباطؤا في الحَلْق مع أمره لهم به .

وخامس عشر : التأليف وتقوية الصلة كما في أَمْر عائشة وحَفْصَة ، فإن النبي ﷺ شد صلته بخلفائه الأربعة عن طريق المصاهرة ، مع ما لبعضهم من القرابة الخاصة ، فتزوج ابنتي أبي بكر وعمر ، ووزَوّج بناته

الثلاث بعثمان وعليّ – رضي الله عن الجميع – . فسبحان من وهب نبيه ﷺ هذه الحِكَم ، وامدّه بما يحققها قدرًا وشرعًا ، فأعطاه قوة الثلاثين رجلًا ، واحلّ له ما شاء من النساء ، يرجي من يشاء منهن ، ويؤوي إليه من يشاء ، وهو سبحانه الحكيم العليم .

وأما عدم تزوجه بالواهبة نَفْسَها ، فلا يدل على أنه تزوج من سواها لمجرد الشهوة ، وقضاء وَطَر النكاح .

وأما ابنة الجَوْن فلم يَعْدِل عن تزوجها بل دخل عليها وخلا بها ، ولكنها استعاذت بالله منه ، فتركها النبي ﷺ وقال : « لَقَدْ عُذْتِ بِعَظِيمٍ ، فالْحَقِي بأَهْلِك » . ولكن هل تزوجها النبي ﷺ لمجرد جمالها وقضاء وَطَر النكاح أو لأمر آخر ؟ إن كان لأمر آخر سقط الاستدلال به على أن النبي ﷺ كان يتزوج لمجرد قضاء الوطر ، وإن كان لأجل قضاء الوطر فإن من حكمة الله تعالى أن حال بينه وبين هذه المرأة بسبب استعاذتها منه .

وأما سَوْدةَ – رضي الله عنها – فقد خافت أن يطلقها النبي ﷺ لكبر سنها فوهبت يومها لعائشة ، وخوفها منه لا يلزم من أن يكون قد هَمَّ به . وأما ما رُوي أنه طلّقها بالفعل فضعيف لإرساله .

وأما زواجه ﷺ بزينب ليس لجمالها بل هو لإزالة عقيدة سائدة بين العرب ، وهي امتناع الرجل من تزوج مفارقة من تبناه ، فأبطل الله التبني وأبطل الأحكام المترتبة عليه عند العرب ، ولما كانت تلك العقيدة السائدة راسخة في نفوس العرب كان تأثير القول في اقتلاعها بطيئًا ،

وتأثير الفعل فيها أسرع فقيّض الله سبحانه بحكمته البالغة أن يقع ذلك من النبي ﷺ في تزوجه بمفارقة مولاه زيد بن حارثة الذي كان تبناه من قبل ليطمئن المسلمون إلى ذلك الحكم الإلهي ، ولا يكون في قلوبهم حَرَج منه ، وقد أشار الله تعالى إلى هذه الحِكْمة بقوله تعالى : ﴿ **فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولا** ﴾[1] .
ثم تأمل قوله تعالى : ﴿ **زوجناكها** ﴾ . فإنه يشعر بأن تزويجها إياه لم يكن عن طلب منه ، أو تشوّف إليه ، وإنما هو قضاء من الله لتقرير الحكم الشرعي وترسيخه ، وعدم الحرج منه ، وبهذا يعرف بطلان ما يروى أن النبي ﷺ أتى زيدًا ذات يوم لحاجة فرأى زينب فوقعت في نفسه وأعجبه حُسْنُها فقال : « سُبْحَان الله مُقَلِّبِ الْقُلُوبَ » . فأَخْبَرتْ زينبُ زيدًا بذلك ففطن له فكرهها وطلّقها بعد مراجعة النبي ﷺ وقوله : أمسك عليك زوجك ، واتق الله . فهذا الأثر باطل مناقض لما ذكر الله تعالى من الحكمة في تزويجها إياه ، وقد أعرض عنه ابن كثير – يرحمه الله – فلم يذكره ، وقال : أحببنا أن نضرب عنها أي عن الآثار الواردة عن بعض السلف صفحًا لعدم صحتها فلا نوردها ، ويدل على بطلان هذا الأثر أنه لا يليق بحال الأنبياء فضلًا عن أفضلهم وأتقاهم لله – عز وجل – وما أشبه هذه القصة بتلفيق قصة داود عليه الصلاة والسلام ، وتحيّله على التزوج بزوجة من ليس له إلا زوجة واحدة ، على ما ذُكر في بعض كتب التفسير عند قوله تعالى : ﴿ **وهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ**

---

(١) الأحزاب : ٣٧ .

﴿الْخَصْمِ﴾[1] . إلى آخر القصة فإن من عَلِم قَدْرَ الأنبياء وبعدهم عن الظلم والعدوان والمكر والخديعة ، علم أن هذه القصة مكذوبة على نبي الله داود عليهِ الصلاة والسلام .

والحاصل أنه وإن للنبي ﷺ أن يتزوج لمجردْ قضاء الوَطَر من النكاح وجمال المرأة وأن ذلك لا يقدح في مقامه فإننا لا نعلم أنْ النبي ﷺ تزوج زواجًا استقرت به الزوجة وبقيت معه من أجلَ هذا الغرض . والله أعلم .

(١) ص : ٢١ .

البـــدع

٣٤٨ وسئل حفظه الله : ما هي البِدَع ؟

البِدْعة قال فيها رسول الله ﷺ « إياكم ومحدثاتِ الأمور ، فإنَّ كلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ ، وكُلَّ ضَلاَلَة في النَّار » . وإذا كان كذلك فإن البدع سواء كانت ابتدائية أم استمرارية يأثم مَنْ تَلَبَّس بها ؛ لأنها كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام « في النار » أعْني أن الضلالة هذه تكون سبباً للتعذيب في النار ، وإذا كان الرسول عليه الصلاة والسلام حذّر أمته من البدع ، فمقتضى ذلك أنها مفسدة مَحضَة لأن الرسول ﷺ عمّم ولم يخصص قال « كل بدعة ضلالة » .

ثم إن البدع في الحقيقة هي انتقاد غير مباشر للشريعة الإسلامية لأن معناها أو مقتضاها أن الشريعة لم تتمّ وأنّ هذا المبتدع أتّمها بما أحدث من العبادة التي يتقرب بها إلى الله كما زعم .

فعليه نقول : كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار ، والواجب الحذر من البدع كلها وألا يتعبد الإنسان إلا بما شرعه الله ورسوله ﷺ ليكون

إمامه حقيقة لأن من سلك سبيل بدعة فقد جعل المبتدع إماما له في هذه البدعة دون رسول الله ﷺ . والله ولي التوفيق .

٣٤٩ ـــــــ ما معنى البِدعة وما ضابطها ؟ وهل هناك بِدعَة حَسَنة ؟ وما معنى قولِ النبيِّ ﷺ « مَنْ سَنَّ في الإسلامِ سُنَّةً حسنة » وجزاكم الله عنا خيراً .

البدعة شرعا ضابطها التعبد لله بما لم يُشَرِّعْه الله ، وإنْ شئْتَ فقل : التعبد لله تعالى بما ليس عليه النبيُّ ﷺ ولا خُلفاؤه الراشدون . فالتعريف الأول مأخوذ من قوله تعالى : ﴿ **أم لهم شُرَكَاءُ شَرَعُوا لهم مِنَ الدِّينِ ما لم يَأْذَن به اللهُ** ﴾[1] ، والتعريف الثاني مأخوذ من قول النبي عليه الصلاة والسلام : « عليكم بسنتي وسنةِ الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعَضُّوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثاتِ الأمور » فكل من تعبد لله بشيء لم يشرِّعْه الله أو بشيء لم يكن عليه النبي ﷺ وخلفاؤه الراشدون فهو مبتدع سواء كان ذلك التعبد فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته أو فيما يتعلق بأحكامه وشرعه . أما الأمور العادية التي تتبع العادة والعُرْف فهذه لا تُسمى بدعة في الدِّين وإن كانت تسمى بدعة في اللغة ، ولكن ليست بدعة في الدين ، وليست هيَ التي حذَّر منها رسول الله ﷺ وليس في الدين بدعة حسنة أبدا ، والسنة الحسنة هي التي توافق الشرع ، وهذه تشمل : أن يبدأ الإنسان بالسنة

(١) الشورى ٢١ .

أي يبدأ العمل بها أو يتبعها بعد تركها ، أو يفعل شيئا يسنه يكون وسيلة لأمر متعبّد به . فهذه ثلاثة أشياء :

الأول : إطلاق السّنة على من ابتدأ العمل وهذا سبب الحديث فإن النبي ﷺ حثّ على التصدّق على القوم الذين قدموا عليه ﷺ وهم في حال صعبة جدًّا ، فحثّ على التصدق فجاء رجل من الأنصار بصُرَّة من فضة قد أثقلت يده فوضعها في حِجْر النبي عليه الصلاة والسلام فقال النبي ﷺ « مَنْ سَنّ في الإسلام سُنَّةً حَسَنَةً فله أَجْرُها وأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بها » . فهذا الرجل سَنّ سُنّة ابتداء عمل ، لا ابتداء شَرْع .

والثاني : السّنة التي تُركت ثم فعلها الإنسان فأحياها فهذا يُقال عنه سَنّها بمعنى أحياها وإن كان لم يُشَرِّعْها من عنده .

والثالث : أن يفعل شيئا وسيلةً لأمر مشروع ، مثل بناء المدارس وطَبْع الكتب ، فهذا لا يتعبد لله بذاته ولكن لأنه وسيلة لغيره فكل هذا داخل في قول النبي ﷺ « من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها » . وهذا مبسوط في غير هذا الموضع .

٣٥٠ ـ كيف يتعامل الإنسان الملتزم بالسنّة مع صاحب البِدْعة ؟ وهل يجوز هَجْرُه ؟

أقول : إنّ البِدَع تنقسم إلى قسمين : بدع مُكَفِّرة ، وبدع دون ذلك ، وفي كلا القسمين يجب علينا نحن أن ندعوا هؤلاء الذين ينتسبون

إلى الإسلام ومعهم البدع المكفرة وما دونها إلى الحقّ ببيان الحقّ ، دون أن نهاجم ما هم عليه إلا بعد أن نعرف منهم الاستكبار عن قَبول الحقّ لأن الله تعالى قال للنبيّ ﷺ : ﴿ **ولا تَسُبُّوا الذين يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْواً بغَيْرِ عِلْم** ﴾[1] فندعوا أولاً هؤلاء إلى الحق ببيان الحقّ وإيضاحه بأدلته ، والحقّ مقبول لدى كلّ ذي فِطْرة سليمة ، فإذا وُجد العِناد والاستكبار فإننا نبيّن باطلهم على أن بيانَ باطلهم في غير مجادلتهم أمر واجب .

أما هَجْرُهم فهذا يترتب على البدعة ، فإذا كانت البدعة مكفِّرة وجب هجره ، وإذا كانت دون ذلك فإننا نتوقف في هجره إن كان في هجره مصلحة فعلناه ، وإن لم يكن فيه مصلحة اجتنبناه ، وذلك أن الأصل في المؤمن تحريم هجره لقول النبي ﷺ : « لا يَحِلُّ لرَجُل مُؤْمِن أنْ يَهْجُرَ أَخاه فَوْقَ ثَلاثٍ » . فكل مؤمن وإن كان فاسقا فإنّه يَحْرُمُ هجره ما لم يكن في الهجره مصلحة ، فإذا كان في الهجر مصلحة هجرناه لأن الهَجْر حينئذٍ دواء ، أما إذا لم يكن فيه مصلحة أو كان فيه زيادة في المعصية والعُتُوّ ، فإنّ ما لا مَصْلَحَةَ فيه تَرْكُه هو المصلحةُ .

فإنْ قال قائل : يردُّ على ذلك أنَّ النبيَّ ﷺ هَجَرَ كَعْبَ بنَ مالك وصاحبيه الذين تخلفوا عن غزوة تَبُوك . فالجواب : أن هذا حصل من النبي ﷺ وأمر الصحابةَ بهَجْرهم لأنّ في هَجْرِهم فائدةً عظيمة ، فقد ازدادوا تمسكا بما هم عليه حتى أن كعب بن مالك رضي الله عنه جاءه

---

(١) الأنعام ١٠٨ .

كتاب من ملك غسّان يقول فيه بأنه سمع أن صاحبك – يعني الرسول ﷺ – قد جفاك وأنك لست بدار هوان ولا مَذَلّة فالْحق بنا نُوَاسِك . فقام كعب مع ما هو عليه من الضيق والشدة وأخذ الكتاب وذهب به وأحرقه في التنُّور . فهؤلاء حصل في هَجرهم مصلحة عظيمة ثم النتيجة التي لا يعادلها نتيجة أن الله أنزل فيهم قرآنا يُتلى إلى يوم القيامة قال تعالى : ﴿ لَقَد تَّابَ اللهُ عَلَى النبيِّ والمهاجرين والأنصارِ الذين اتَّبعَوُهُ في ساعةِ العُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ ما كَادَ يَزيغُ قلوبُ فَرِيقٍ منهم ثُمَّ تَابَ عليهم إنَّهُ بهم رَؤُفٌ رَحيمٌ . وعلى الثلاثةِ الَّذِين خُلِّفُوا حتى إذا ضَاقتْ عليهم الأرضُ بما رَحُبَتْ وضَاقتْ عليهم أَنفُسُهم وظَنُّوا أن لاَّ مَلْجَأَ مِن اللهِ إلا إليه ثمّ تَابَ عليهم ليتوبوا إنّ اللهَ هو التوابُ الرحيم ﴾[1] .

٣٥١ ـــــــــ **ما المراد بالوسط في الدين . نرجو من فضيلتكم بيان ذلك بياناً شافيا ؟ وجزاكم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .**

الوسط في الدين أن لا يغلو الإنسان فيه فيتجاوز ما حَدّ اللهُ عزّ وجلّ ولا يَقصّر فيه فينقص عما حدّ الله سبحانه وتعالى .

الوسط في الدين أن يتمسك بسيرة النبي ﷺ . والغلو في الدين أن يتجاوزها . والتقصير أن لا يبلغها . مثال ذلك : رجل قال أنا أريد أن

(١) التوبة ١١٧ ، ١١٨

أقوم الليل ولا انام كلَّ الدهر ، لأن الصلاة من أفضل العبادات فأُحب أن أحْيي الليل كله صلاةً فنقول هذا غالي في دين الله ، وليس على حق ، وقد وقع في عهد النبي ﷺ مثل هذا ، اجتمع نفر فقال بعضهم أنا أقوم ولا أنام ، وقال الآخر أنا أصوم ولا أفطر ، وقال الثالث أنا لا أتزوج النساء ، فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فقال عليه الصلاة والسلام : « ما بَالُ أقوامٍ يقولون كَذَا وكَذَا ، أنا أَصُومُ وأُفْطِرُ ، وأقومُ وأنامُ ، وأتزوجُ النساء ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتي فلَيْسَ منِّي » فهؤلاء غَلَوْ في الدين ، وتبرّأ منهم الرسول ﷺ لأنهم رغبوا عن سنته ﷺ ، التي فيها صوم وإفطار وقيام ونوم وتزوج نساء .

أما المُقَصرِّ : فهو الذي يقول لا حاجة لي بالتطوع فأنا لا أتطوع وآتي بالفريضة فقط ، وربما أيضا يقصر في الفرائض فهذا مقصرّ . والمعتدل هو الذي يتمشى على ما كان عليه الرسول ﷺ وخلفاؤه الراشدون .

مثال آخر : ثلاثة رجال أمامهم رجل فاسق .

أحدهم قال : أنا لا أسلم على هذا الفاسق وأهجره وأبتعد عنه ولا أكلمه .

والثاني يقول : أنا أمشي مع هذا الفاسق وأسلّم عليه وأَبَشُّ في وجهه وأدعوه عندي وأُجيب دعوته وليس عندي إلا كرجل صالح .

والثالث يقول : هذا الفاسق أكرهه لفسْقه ، وأحبه لإيمانه ، ولا أهجره إلا حيث يكون الهَجر سبباً لإصلاحه فإن لم يكن الهجر سبباً لإصلاحه بل كان سبباً لازدياده في فسقه فأنا لا أهجره . فنقول الأول

مُفَرِّط غالي – من الغلو – والثاني مُفرِّط مقصِّر ، والثالث متوسط .

وهكذ نقول في سائر العبادات ومعاملات الخَلْق ، الناس فيها بين مقصر وغالي ومتوسط .

ومثال ثالث : رجل كان أسيرا لامراته توجّهه حيث شاءت ، لا يردها عن إثم ، ولا يحثها على فضيلة ، قد ملكت عقله وصارت هي القوّامة عليه .

ورجل آخر عنده تعسّف وتكبر وترفع على امرأته لا يبالي بها وكأنها عنده أقل من الخادم .

ورجل ثالث وسط يعاملها كما أمر الله ورسوله : ﴿ **وَلَهُنَّ مِثْلُ الذي عَلَيْهِنَّ بالمَعْرُوفِ** ﴾[1] . « لا يَفْرِكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إنْ كَرِهَ منها خُلُقًا رَضِيَ منها خُلُقًا آخَرَ » . فهذا الأخير متوسط والأول غالي في معاملة زوجته والثالث مقصر و قِسْ على هذه بقية الأعمال والعبادات .

---

(١) البقرة ٢٢٨ .

٣٥٢ ما الحُكْم الشرعي في الاحتفال بالمولد النبوي ؟

نرى أنّه لا يتم إيمان عبد حتّى يُحبّ الرسول ﷺ ويعظمه بما ينبغي أنْ يعظمه فيه ، وبما هو لآئق فى حقه ﷺ ولا ريب أنّ بعثة الرَّسول عليْه الصَّلاة والسَّلام ولا أقول مولده بل بعثته لأنه لم يكن رسولًا إلا حين بعث كما قال أهل العلم نُبِّيءَ باقرأ وأرسل المدثر لا ريب أنّ بعْثته عليه الصَّلاة والسَّلام خير للإنسانية . . عامة ، كما قال الله تعالى : ﴿ قُلْ يأيُّها النَّاسُ إنّي رسول الله إليْكُم جميعًا الَّذي لَهُ مُلْكُ السَّمواتِ والأرْض لا إله إلَّا هُو يُحْيي ويُميت فآمنُوا بالله وَرَسُولِهِ النَّبِي الأمي الَّذي يُؤمنُ بالله وكَلِمَاتِه واتَّبِعُوه لَعلَّكُم تَهْتَدُون ﴾[1] . وإذا كان كذلك فإن من تعظيمه وتوقيره والتَّأدب معه واتخاذه إمَامًا مَتْبوعًا ألّا نتجاوز ما شرعه لنا من العبادات لأنّ رسول الله ﷺ تُوفّي ولم يَدَع لأُمَّته خَيْرًا إلا دلَّهم عليه وأمَرهم بِهِ ولا شرًّا إلّا بيَّنه وحذَّرهم منه وعلى هذا فليس من حَقّنا ونحن نؤمن به إمَامًا متْبوعًا أن نتقدم بين يديه بالاحتفال بمولده ، والاحتفال يعني الفرح والسُّرور وإظهار التعظيم وكل هذا من العبادات المقربة إلى الله ، فلا يجوزأنْ نشرع من العبادات إلا ما شرعه الله ورسوله فالاحتفال به يُعْتبَر من البِدْعة وقد قال النبي ﷺ : «كل بِدْعةٍ ضَلالَة» قال هذه الكلمة العامة ، وهو ﷺ . . أعْلمُ النَّاس بما يقول ، وأفصحُ النَّاس بما ينطق ، وأنصَحُ النَّاس فيما يرشد إليه ، وهذا

---

(١) الأعراف : ١٥٨ .

أمْر لا شك فيه ، لم يَسْتَثْن النبي ﷺ من البدع شيئًا لا يكون ضلالة ومعلوم أنَّ الضلالة خِلاف الهدى ، ولهذا روى النسائي آخر الحديث «وكل ضَلالةٍ في النَّار» ولو كان الاحتفال بمولده ﷺ من الأمور المحبوبة إلى الله ورسوله لكانت مَشْروعة ، ولو كانت مشروعة لكانت محفوظة ، لأن الله تعالى تَكفَّل بحفظ شريعته ، ولو كانت محفوظة ما تركها الخلفاء الرَّاشدون والصَّحابة والتابعون لهم بإحسان وتابعوهم ، فلما لم يفعلوا شيئًا من ذلك علم أنه ليس من دين الله ، والذي أنصَح به إخواننا المسلمين عامَّة أن يتَجَنَّبوا مثل هذه الأمور التي لم يتبين لهم مَشْروعيتها لا في كتاب الله ، ولا فى سُنَّة رسوله ﷺ ، ولا في عمل الصَّحابة رضي الله عنهم ، وأنْ يَعْتنوا بما هو بيِّن ظاهر من الشريعة ، ومن الفرائض والسُّنن المعلومة ، وفيها كفاية وصلاح للقلب وصلاح للفرد وصلاح للمجتمع .

وإذا تأمَّلت أحوال هؤلاء المُولعين بمثل هذه البدع وجدت أن عندهم فُتورًا في كثير من السُّنن بل في كثير من الواجبات والمفروضات ، وهذا أمر يجب أن يَفْطنوا له حتَّى يَسْتقيموا على ما ينبغي أن يكونوا عليه من المحافظة على ما ثَبَتَتْ شرعيته ، هذا بقطع النَّظر عما بهذا الاحتفالات من الغلو بالنبي ﷺ المؤدي إلى الشِّرك الأكبر المخرج عن الملة الذي كان رسول الله ﷺ نفسه يُحَارب النَّاس عليه ، ويستبيح دماءهم وأموالهم وذراريهم ، فإننا نسمع أنه يلقى في هذه الاحتفالات من القصائد ما يخرج عن الملة قطعًا كما يرددون قول البوصيري :

يا أَكْرَمَ الخَلْق ما لي مَنْ أَلُوذ به
سِوَاكَ عِنْد حُدُوثِ الحَادثِ العَمَمِ
إن لَمْ تَكُنْ آخِذًا يَوْمَ المعَادُ يَدِي
صَفْحًا وإلَّا فقُلْ يا زَلَّة القَدِمِ
فإنَّ من جُودِك الدُّنْيا وضَرَّتِها
ومِنْ عُلُومِكَ عِلْمُ اللَّوْحِ والقلمِ

مثل هذه الأوصاف لا تصِحُّ إلَّا لله عزَّ وجلَّ ، وأنا أعجب لمن يتكلم بهذا الكلام إن كان يعقل معناه كيف يُسَوِّغ لنفسه أن يقول مُخَاطبًا النبيَّ عليه الصلاة والسلام : «فإن من جودك الدنيا وضرتها» ومِنْ للتَّبعيض والدُّنيا هى الدنيا وضرتها هي الآخرة ، فإذا كانت الدُّنيا والآخرة من جُود الرَّسول عليه الصلاة والسلام ، وليس كل جُوده ، فما الَّذي بقي لله عزَّ وجلَّ ، ما بقي له شيء من الممكن لا في الدُّنيا ولا في الآخرة .

وكذلك قوله : «ومِنْ عُلُومِكَ عِلْمُ اللَّوْحِ والْقَلَم» ومِنْ : هذه للتبعيض ولا أدري ماذا يبقي لله تعالى من العِلْم إذا خاطبنا الرَّسول عليه الصَّلاة والسَّلام بهذا الخطاب .

ورويدك يا أخي المُسْلم . إن كُنْت تَتَّقي الله عزَّ وجلَّ فأنزل رسول الله ﷺ منزلته التي أنْزله الله . أنه عبد الله ورسوله فقل هو عبد الله ورسوله ، واعتقد فيه ما أمره ربه أنْ يبلغه إلى الناس عامة : ﴿ قُلْ لا أقُولُ لَكُم عِنْدي خَزَائنُ الله ولا أعْلَمُ الغَيْبَ وَلا أقُولُ لَكُم

إني مَلَك إنْ أتبعُ إلّا ما يُوحى إليّ ﴾[1] ، وما أمره الله به في قوله **﴿ قُل أني لا أمْـلِكُ لكـم ضـرًا ولا رَشـدًا ﴾** [2] . وزيادة على ذلك**﴿ قُلْ إنّي لنْ يُجِيرَني من الله أحَد ولنْ أجِدَ مِنْ دُونِه مُلْتحَدا ﴾**[3] . حتى النبي عليه الصلاة والسلام لو أراد الله به شيئًا لا أحد يُجيره من الله سبحانه وتعالى .

فالحاصل أن هذه الأعياد أو الاحتفالات بمولد الرّسول عليه الصّلاة والسّلام لا تقتصر على مجرد كونها بدعة مُحْدثة في الدّين بل هي يُضَاف إليها شيء من المنكرات مما يؤدي إلى الشرك .

وكذلك مما سَمِعْناه أنه يحصل فيها اختلاط بين الرّجال والنّساء ، ويحصل فيها تَصْفيق ودُفّ وغير ذلك من المنْكرات التي لا يمتري في إنكارها مُؤْمن ، ونحن في غِنى بما شرعه الله لنا ورَسوله ففيه صَلاح القلوب والبلادِ والعبادِ .

٣٥٣ ـــــ ما حكم الاحتفال بالمولد النبوي ؟

أولا : ليلة مولد الرسول ﷺ ليست معلومة على الوجه القطعي ، بل إن بعضَ العصريين حَقّق أنها ليلة التاسع من ربيع الأول وليست ليلة الثاني عشر منه ، وحينئذ فجعل الاحتفال ليلة الثاني عشر منه لا أصل له من الناحية التاريخية .

---

(١) الأنعام : ٥٠ .
(٢) الجن : ٢١ .
(٣) الجن : ٢٢ .

ثانيا : ومن الناحية الشرعية فالاحتفال لا أصل له أيضا ، لأنه لو كان من شرع الله لفعله النبي ﷺ أو بَلّغه لأمته ، ولو فعله أو بلغه لوجب أن يكون محفوظا لأن الله تعالى يقول : ﴿ **إنّا نَحْنُ نَزَّلْنا الذِّكْرَ وإنّا له لَحَافِظُون** ﴾[1] . فلما لم يكن شيء من ذلك علم أنه ليس من دين الله ، وإذا لم يكن من دين الله فإنه لا يجوز لنا أن نتعبد به لله عز وجل ونتقرب به إليه ، فإذا كان الله تعالى قد وضع للوصول إليه طريقا معينا وهو ما جاء به الرسول ﷺ فكيف يسوغ لنا ونحن عباد أن نأتي بطريق من عند أنفسنا يوصلنا إلى الله ؟ هذا من الجناية في حق الله عز وجل أن نشرع في دينه ما ليس منه ، كما أنه يتضمن تكذيب قول الله عز وجل : ﴿ **اليومَ أكْمَلْتُ لكم دِينَكم وأتْمَمْتُ عليكم نعمتي** ﴾[2] . فنقول هذا الاحتفال إنْ كان من كمال الدين فلابد أن يكون موجوداً قبل موت الرسول عليه الصلاة والسلام ، وإن لم يكن من كمال الدين فإنه لا يمكن أن يكون من الدين لأن الله تعالى يقول : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم** ﴾ . ومن زعم أنه من كمال الدين وقد حدث بعد الرسول ﷺ فإن قوله يتضمن تكذيب هذه الآية الكريمة ، ولا ريب أن الذين يحتفلون بمولد الرسول عليه الصلاة والسلام إنما يريدون بذلك تعظيم الرسول عليه الصلاة والسلام وإظهار محبته وتنشيط الهمم على أن يوجد منهم عاطفة في ذلك الاحتفال للنبي ﷺ وكل هذا من العبادات محبة الرسول عليه الصلاة والسلام عبادة بل لا يتم الإيمان حتى يكون الرسول ﷺ أحبَّ إلى الإنسان من نفسه وولده ووالده

---

(١) الحجر ٩

(٢) المائدة ٣ .

والناس أجمعين ، وتعظيم الرسول عليه الصلاة والسلام من العبادة ، كذلك إلهاب العواطف نحو النبي ﷺ من الدين أيضاً لما فيه من الميل إلى شريعته ، إذن فالاحتفال بمولد النبي ﷺ من أجل التقرب إلى الله وتعظيم رسوله ﷺ عبادة وإذا كان عبادة.فإنه لا يجوز أبدا أن يحدث في دين الله ما ليس منه . فالاحتفال بالمولد بدعة ومحرم ، ثم إننا نسمع أنه يوجد في هذا الاحتفال من المنكرات العظيمة ما لا يقره شرع ولا حس ولا عقل ، فهم يتغنون بالقصائد التي فيها الغلو في الرسول عليه الصلاة والسلام حتى جعلوه أكبر من الله والعياذ بالله ، ومن ذلك أيضا أننا نسمع من سفاهة بعض المحتفلين أنه إذا تلى التالي قصة المولد ثم وصل إلى قوله ولد المصطفى قاموا جميعا قيام رجل واحد يقولون إن روح الرسول ﷺ حضرت فنقوم إجلالا لها ، وهذا سَفَه ، ثم إنه ليس من الأدب أن يقوموا لأن الرسول ﷺ كان يكره القيام له فأصحابه وهم أشد الناس حبا له وأشد منا تعظيما للرسول ﷺ لا يقومون له لما يرون من كراهيته لذلك وهو حي ، فكيف بهذه الخيالات ؟ !

وهذه البدعة – أعني بدعة المولد – حصلت بعد مضي القرون الثلاثة المفضلة وحصل فيها مايصحبها من هذه الأمور المنكرة التي تخل بأصل الدين فضلا عما يحصل فيها من الاختلاط بين الرجال والنساء وغير ذلك من المنكرات .

٣٥٤ ـ ما الفَرْق بين ما يسمى بأسبوع الشيخ محمد بن عبد الوَهَّابِ رحمه الله ، والاحتفال بالمولد النبوي حيث يُنكر على مَنْ فعل الثاني دون الأول ؟

الفرق بينهما – حسب علمنا – من وجهين :

الأول : أن أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوَهّاب رحمه الله تعالى لم يُتَّخَذْ تَقَرُّباً إلى الله عز وجل ، وإنما يقصد به إزالة شُبْهة في نفوس بعض الناس في هذا الرجل ويبين ما مَنَّ الله به على المسلمين على يد هذا الرجل .

الثاني : أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوَهَّاب رحمه الله لا يتكرر ويعود كما تعود الأعياد بل هو أمر بين للناس وكتب فيه ما كتب ، وتبين في حق هذا الرجل ما لم يكن معروفا من قبل لكثير من الناس ثم انتهى أمره .

٣٥٥ ـ ما حكم إقامة الأسابيع كأسبوع المساجد وأسبوع الشجرة ؟

هذه الأسابيع لا أعلم لها أصلا من الشرع ، وإذا اتخذت على سبيل التعبد وخصصت بأيام معلومة تصير كالأعياد فإنها تلتحق بالبدعة لأن

كل شيء يتعبد به الإنسان لله عز وجل وهو غير وارد في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ فإنه من البدع .

لكن الذين نظموها يقولون إن المقصود بذلك هو تنشيط الناس على هذه الأعمال التي جعلوا لها هذه الأسابيع وتذكيرهم بأهميتها ويجب أن ينظر في هذا الأمر وهل هذا مسوغ لهذه الأسابيع أو ليس بمسوغ ؟

٣٥٦ ما حكم الاحتفال بما يسمى عيد الأم ؟

إن كل الأعياد التي تخالف الأعياد الشرعية كلها أعياد بدع حادثة ، ما كانت معروفة في عهد السلف الصالح ، وربما يكون منشؤها من غير المسلمين أيضا فيكون فيها مع البدعة مشابهة أعداء الله سبحانه وتعالى . والأعياد الشرعية معروفة عند أهل الإسلام وهي عيد الفطر وعيد الأضحى وعيد الأسبوع « يوم الجمعة » ، وليس في الإسلام أعياد سوى هذه الأعياد الثلاثة ، وكل أعياد أُحدثت سوى ذلك فإنها مردودة على محدثيها وباطلة في شريعة الله سبحانه وتعالى لقول النبي ﷺ : « مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذا ما لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ » . أي مردود عليه غير مقبول عند الله . وفي لفظ « مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنا فهو رَدٌّ » . وإذا تبين ذلك فإنه لا يجوز في العيد الذي ذُكِرَ في السؤال والمسمى « عيد الأم » لا يجوز فيه إحداث شيء من شعائر العيد كإظهار الفرح والسرور وتقديم الهدايا وما أشبه ذلك . والواجب على المسلم أن يعتزّ بدينه ويفتخر به وأن يقتصر على ما حَدّه الله تعالى ورسوله ﷺ في هذا الدين القيم الذي ارتضاه الله تعالى لعباده ، فلا يزيد فيه ولا ينقص منه والذي

ينبغي للمسلم أيضا ألا يكون إمَّعَةً يتبع كل ناعق ، بل ينبغي أن يُكَوِّن شخصيته بمقتضى شريعة الله تعالى حتى يكون متبوعا لا تابعا ، وحتى يكون أسوة لا متأسيا ، لأن شريعة الله والحمد لله كاملة من جميع الوجوه كما قال الله تعالى : ﴿ **اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُم دِينَكم وأتْمَمْتُ عليكم نِعْمَتي ورَضِيتُ لَكُم الإسلامَ دِيناً** ﴾[1] . والأم أحقُ من أن يحتفى بها يوما واحدا في السنة ، بل الأم لها الحق على أولادها أن يرعوها ، وأن يعتنوا بها ، وأن يقوموا بطاعتها في غير معصية الله عز وجل في كل زمان ومكان .

٣٥٧ ما حُكْمُ جَعْل مَدِيحِ النبيِّ ﷺ تجارة ؟

حكم هذا محرم ، ويجب أن يعلم بأن المديح للنبي ﷺ ينقسم إلى قسمين :

أحدهما : أن يكون مدحا فيما يستحقه ﷺ بدون أن يصل إلى درجة الغلو فهذا لا بأس به ، أي لا بأس أن يمدح رسول الله ﷺ بما هو أهله من الأوصاف الحميدة الكاملة في خُلُقه وهَدْيه ﷺ .

والقسم الثاني : من مديح الرسول ﷺ قسم يخرج بالمادح إلى الغلو الذي نهى عنه النبي ﷺ وقال : « لاتُطْرُوني كما أُطْرَت النَّصارى المسيحَ ابنَ مريمَ ، فإنّما أنا عَبْدٌ ، فقولوا : عبدُ اللهِ ورسولُه » . فمَنْ مَدَحَ النبيَّ ﷺ بأنه غياث المستغيثين ومجيب دعوة المضطرين وأنه مالك الدنيا

---

(١) المائدة ٣ .

والآخرة وأنه يعلم الغيب وما شابه ذلك من ألفاظ المديح ، فإن هذا القسم مُحرَّم بل قد يصل إلى الشرك الأكبر المخرج من الملة ، فلا يجوز أن يمدح الرسول عليه الصلاة والسلام بما يصل إلى درجة الغلو لنهي النبي ﷺ عن ذلك .

ثم نرجع إلى اتخاذ المديح الجائز حرفة يكتسب بها الإنسان فنقول أيضا إن هذا حرام ولا يجوز ، لأن مدح الرسول عليه الصلاة والسلام بما يستحق وبما هو أهل له ﷺ من مكارم الأخلاق والصفات الحميدة والهدي المستقيم مدحه بذلك من العبادة التي يتقرب بها إلى الله ، وما كان عبادة فإنه لا يجوز أن يتخذ وسيلة إلى الدنيا لقول الله تعالى : ﴿ **مَن كان يُريدُ الحَياةَ الدنيا وزِينتَها نُوَفِّ إليهم أعمالَهم فيها وهم فيها لا يُبْخَسُون . أولئك الذين ليس لهم في الآخرةِ إلا النارُ ، وحَبِطَ ما صَنَعُوا فيها وبَاطِلٌ ما كانوا يعملون** ﴾[1] . والله الهادي إلى سواء الصراط .

٣٥٨ ما حكم استئجار قارىء ليقرأ القرآن الكريم على رُوح الميت ؟

هذا من البدع ، وليس فيه أجر لا للقارىء ولا للميت . ذلك لأن القارىء إنما قرأ للمال والدنيا فقط ، وكل عمل صالح يُقصد به الدنيا فإنه لا يقرب إلى الله ، ولا يكون فيه ثواب عند الله . وعلى هذا فيكون

(١) هود ١٥ - ١٦ .

هذا العمل - يعني استئجار شخص ليقرأ القرآن الكريم على روح الميت - يكون هذا العمل ضائعا ليس فيه سوى إتلاف المال على الورثة فليحذر مه فإنه بدعة ومنكر . والله الموفق .

٣٥٩ ما حكم الاجتماع عند القبر والقراءة وهل ينتفع الميت بالقراءة أم لا ؟

هذا العمل من الأمور المنكرة التي لم تكن معروفة في عهد السلف الصالح وهو الاجتماع عند القبر والقراءة .

وأما كون الميت ينتفع بها : فنقول : إن كان المقصود انتفاعه بالاستماع فهذا منتف لأنه قد مات . وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا مات العَبْدُ انقطع عملُه إلاّ مِن ثلاثٍ : صدقةٌ جاريةٌ ، أو عِلْمٌ يُنتفع به ، أو وَلَدٌ صالحٌ يَدْعُو له » . فهو وإن كان يسمع إذا قلنا بأنه يسمع في هذه الحال فإنه لا ينتفع لأنه لو انتفع لزم منه ألا ينقطع عمله والحديث صريح في حصر انتفاع الميت بعمله بالثلاث التي ذكرت في الحديث .

وأما إن كان المقصود انتفاع الميت بالثواب الحاصل للقاريء ، بمعنى أن القاريء ينوي بثوابه أن يكون لهذا الميت ، فإذا تقرر أن هذا من البدع فالبدع لا أجر فيها « كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ » كما قال النبي ﷺ . ولا يمكن أن تنقلب الضلالة هداية . ثم إن هذه القراءة في الغالب تكون بأجرة ، والأجرة على الأعمال المقربة إلى الله باطلة ، والمستأجر للعمل

الصالح إذا نوى بعمله الصالح هذا الصالح من حيث الجنس - وإن كان من حيث النوع ليس بصالح كما سيتبين إن شاء الله - إذا نوى بالعمل الصالح أجرا في الدنيا فإن عمله هذا لا ينفعه ولا يقربه إلى الله ولا يثاب عليه لقوله تعالى : ﴿ **مَن كان يُرِيدُ الحياة الدنيا وزينتَها نُوَفِّ إليهم أعمالَهم فيها وهم فيها لا يُبْخَسُون . أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلاّ النارُ وحَبِطَ ما صَنعوا فيها وباطِلٌ ما كانوا يعملون** ﴾[1] . فهذا القاريء الذي نوى بقراءته أن يحصل على أجر دنيوي نقول له : هذه القراءة غير مقبولة بل هي حابطة ليس فيها أجر ولا ثواب وحينئذ لا ينتفع الميت بما أهدي إليه من ثوابها لأنه لا ثواب فيها . إذن فالعملية إضاعة مال ، وإتلاف وقت ، وخروج عن سبيل السلف الصالح رضي الله عنهم لا سيما إذا كان هذا المال المبذول من تَرِكَةِ الميت وفيها حق قُصر وصغار وسفهاء ، فيأخذ من أموالهم ما ليس بحق فيزداد الآثم إثما . والله المستعان .

---

(١) هود ١٥ - ١٦ .

٣٦٠ ما حكم المآتم ؟

المآتم كلها بدعة سواء كانت ثلاثة أيام أو على أسبوع أو على أربعين يوما لأنها لم ترد من فعل السلف الصالح رضي الله عنهم ، ولو كان خيرا لسبقونا إليه ، ولأنها إضاعة مال ، وإتلاف وقت ، وربما يحصل فيها شيء من المنكرات من الندب والنياحة ما يدخل في اللعن فإن النبي ﷺ لعن النائحة والمستمعة .

ثم إنه كان من مال الميت – من ثلثه أعني – فإنه جناية عليه ، لأنه صرف له في غير الطاعة . وإن كان من أموال الورثة فإن كان فيهم صغار أو سفهاء لا يحسنون التصرف فهو جناية عليهم أيضا ، لأن الإنسان مؤتمن في أموالهم فلا يصرفها إلا فيما ينفعهم . وإن كان لعقلاء بالغين راشدين فهو أيضا سَفَه لأن بذل الأموال فيما لا يقرب إلى الله أو ينتفع به المرء في دنياه من الأمور التي تعتبر سفها . ويعتبر بذل المال فيها إضاعة له وقد نهى النبي ﷺ عن إضاعة المال . والله ولي التوفيق .

٣٦١ ما حكم قراءة القرآن الكريم على القبور ؟ والدعاء للميت عند قبره ؟ ودعاء الإنسان لنفسه عند القبر ؟

قراءة القرآن الكريم على القبور بدعة ، ولم ترد عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه وإذا كانت لم ترد عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه فإنه

لا ينبغي لنا أن نبتدعها من عند أنفسنا لأن النبي ﷺ قال فيما صحّ عنه : « كُلّ مُحْدَثَةٍ بدْعةٌ ، وكُلّ بدْعَةٍ ضَلالةٌ ، وكُلّ ضَلالةٍ في النار » . والواجب على المسلَمين أن يقتدوا بمن سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان حتى يكونوا على الخير والهدى ، لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « خَيْرُ الكلامِ كلامُ اللهِ ، وخَيْرُ الهَدْيِ هَدْيُ محمدٍ ﷺ » . وأما الدعاء للميت عند قبره فلا بأس به ، فيقف الإنسان عند القبر ويدعو له بما يتيسر مثل أن يقول : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه ، اللهم أدخله الجنة ، اللهم افسح له في قبره . وما أشبه ذلك .

وأما دعاء الإنسان لنفسه عند القبر فهذا إذا قصده الإنسان فهو من البدع أيضا ، لأنه لا يخصص مكان للدعاء إلا إذا ورد به النص ، وإذا لم يرد به النص و لم تأت به السنة فإنه – أعني تخصيص مكان للدعاء – أيا كان ذلك المكان يكون تخصيصه بدعة .

٣٦٢ ـــــــــ ما حكم القراءة على القبور هل هي جائزة أمْ لا وما حكم الشّرع في نظركم في أُناس يَزُورون قُبور الصّالحين والأوْلياء كما يَزْعمون ويَطْلُبون الصّحة ومَتَاع الدُّنيا ؟

هذا السُّؤال تضمن مَسْألتَيْن :

الأولى : القراءة على القُبور ، والقراءة على القُبور غير مَشْروعة وهي

بِدْعة ورسول الله ﷺ وهو أعلم الخلق بشريعة الله وأعلم الخلق بما يقول وأفصح الخلق فيما يَنْطِق به وأنْصَح الخَلْق فيما يُريده ، يقول ﷺ «كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَة» وهذه الجملة الكُلِّية العامَّة لا يستثنى منها شيء فجميع البِدَع ضَلالة بهذا النَّص المُحْكم البَليغ الَّذي لو أنَّ أحَدًا أراد أن يُفَصِّله ويُفَسِّره لاحتمل سِفْرًا كبيرًا ، فالقِراءة على الْقبور بِدْعة لم تكن في عهد النبي ﷺ ، ولم يُسنَّها الرَّسول ﷺ لا بقوله ولا بفعله ولا بإقْرَارِهِ وإنَّما كان يقول ويُرْشِدُ أمَّته إلى أنْ يقولوا : «السَّلام عَلَيْكُم دَارَ قَوْم مُؤْمِنِين وإنَّا إنْ شَاءَ الله بِكُمْ لاحقون يَرْحَمُ الله المُسْتَقْدِمِينَ مِنَّا ومِنْكم والمُسْتأْخِرينَ ، نَسْأَل الله لَنا ولَكُم العَافِيَة اللَّهُمَّ لا تَحْرِمنَا أجْرَهُم ولا تَفْتِنَّا بَعْدَهُم واغْفِرْ لَنا ولَهُم» .

وأما المسألة الثانية : مما تضمَّنه هذا السُّؤال فهو الذِّهاب للقبور سواء كانت قُبورًا لعامَّة النَّاس أو قُبُورًا لِمنْ يَزْعُمون أنَّهم أولياء ليستغيثوا بهم ويستَنْجدوهم ويطْلبوا منهم تَيْسير أُمورهم المَعيشية وهذا شِرْك أكبر مُخْرج عن المِلّة لقول الله تعالى : ﴿ **وَمَنْ يَدْعُ مَعَ الله إلهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّه ، إنَّه لا يُفْلِحُ الْكَافِرُون** ﴾[1] .

وهذه الآية أفَادت أنَّ كُلَّ مَنْ دعا مع الله إلهًا آخر فإنَّه لا برهان له بذلك ولا دَليل له ، بل الدَّليل يدل على سفهه وضَلالِهِ وَأفَادَت أيْضًا التَّهديد لِمَنْ دعا مع الله إلهًا آخر بقوله : ﴿ **فإنَّما حِسَابُه عِنْد رَبِّه** ﴾ ، وأفَادت أنَّ هذا الدَّاعي لَنْ يَفْلح بدعاءِ غير الله وأفادت بأنَّه كافر .

(١) المؤمنون : ١١٧

لقوله : ﴿ إنَّهُ لا يُفْلِحُ الكَافِرُونَ ﴾ ودُعاء غَيْر الله ضَلال وسَفَه لقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّة إبْرَاهِيم إلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾[1] . وقوله ﴿ ومَنْ أضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُواْ مِنْ دُونِ الله مَنْ لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إلى يَوْمِ القِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾[2] .

ومن العَجَب أنْ يذهب هؤلاء إلى المَقْبورين الَّذين يعلمون أنَّهم جُثَث هامدة لا يستطيعون أن يتخلَّصوا مما هم فيه ، يطلبون منهم أنْ يُخلِّصوهم من الشَّدائد ويطلبون منهم تَفْريج الكُرُبات .

إذا تَأمَّل الإنْسانُ حَال هؤُلاء فإنَّه يفضي منها العَجَب العُجَاب ولو أنَّ هؤلاء رَجَعوا إلى أنْفسهم وإلى عُقُولهم لتَبين لهم سَفَههم وأنَّهم في ضَلالٍ مُبين فنسأل الله تعالى للمسلمين عامَّة أن يبصرهم في دينهم وأنْ يَهْديهم إلى الحق وأنْ يثَبتهم عليه .

وإني أقول لهؤلاء إذا أردتُّم الدُّعاء النَّافع فالجأوا إلى الله سُبْحانه وتعالى فإنَّه هو الَّذي يُجيبُ المُضطَّر إذا دَعَاه ويَكْشِفُ السُّوء وهو الذي بيده ملَكُوت كُلّ شيء وهو الذي يقول لنبيه محمد ﷺ : ﴿ وَإذا سَأَلَكَ عبَادي عَنِّي فإنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إذا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبواْ لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[3] . وليجربوا إذَا اتَّجهوا إلى الله والتَجَأُوا إليْه ودَعَوه بصدق وإخلاص أو افْتِقَار وأمَلٍ في الإجابة حتى يتبيَّن لهم أنَّه لا ينفعهم إلا الله عزَّ وجلَّ .

---

(١) البقرة : ١٣٠
(٢) الأحقاف : ٥
(٣) البقرة : ١٨٦

فإنْ قلت إنَّه قد يَحْصل أن يدعوا هؤلاء أصحاب هذه القبور الَّذين يزعمون أنَّهم أولياء ثمَّ يجري قضاء الله وقَدره ويَحْصُل لهم المَطْلوب فما موقفنا نحو هذه الحادثة . فالجواب أنَّ موقفنا أننا نَعْلم عِلْمَ اليقين أنَّ ما حصل لهم ليس من هَؤُلاء وليس بدعائهم هؤلاء ، فإن الله عز وجل يقول : ﴿ ومَنْ أضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُواْ مِنْ دُون الله مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إلى يَوْم القِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ﴾[1] . فإنَّ هؤلاء لا يستطيعون أن يجلبوا لهم ولا أنْ يدفعوا عنهم ضَرَرًا . كما قال تعالى : ﴿ وَالَّذينَ يَدْعُونَ مِنْ دُون الله لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ . أمْوَاتٌ غَيْرُ أحْيَاءٍ ومَايَشْعُرُونَ أيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾[2] فَلا يستطيع هؤلاء الأموات أنْ يُوجدوا لهم شيئًا بنَصِّ القُرآن وبإجماع المسلمين ولكن هذا حَصَل عند الدُّعاء لا به ، فِتْنَة من الله عزَّ وجلَّ .

والله سبحانه وتعالى قد يَفْتِنُ العباد بتَيْسير اسْباب المعصية لهم لِيَبْلُوَهَم ؛ ألم تَرَ ما امتحن الله به بني إسرائيل حين حَرَّم عليهم صَيْدُ الحِيتَان يوم السَّبت فكانت الحيتان تَأْتيهم يوم سبتهم شُرَّعًا على ظَهْر الماء وبِكَثْرة وفي غَيْر يوم السَّبت لا يَرَوْنها . فالتجأوا إلى حيلة وضعوا الشِّباك يوم الجمعة فَتَقعُ بهذه الشِّباك يوم السّبت فإذا كان يوم الأحد أخَذُوها . فقال الله لهم : ﴿ كُونُواْ قِرَدَةً خاسئينَ ﴾ كما قال تعالى : ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ القَرْيَةِ الَّتي كَانَتْ حَاضِرةَ البَحْر إذْ يَعْدُونَ في السَّبْتِ إذْ تَأْتِيهِمْ

(١) الأحقاف : ٥

(٢) النحل : ٢٠ ، ٢١

حيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا ويَوْمَ لا يَسْبِتُونَ لا تَأْتِيهِمْ كَذلِك نَبْلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾[1] . وقال تعالى : **﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُم الَّذِين اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِين * فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يدَيْهَا ومَا خلْفَهَا ومَوْعِظَةً للمُتَّقِينَ ﴾**[2] .

ثم ألا تَرَى إلى ما ابْتَلى به الله تعالى الصَّحابة رضي الله عنهم حين كانوا مُحْرِمين فقال الله تعالى : **﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِين آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ الله بشيءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُه أيْدِيكُمْ ورِمَاحُكُم لِيَعْلَمَ الله مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ ﴾**[3] . فأرسل الله تعالى عليهم الصَّيد تَنَالُه الأيْدي فتمسك ما كان يعدو على الأرْضِ والرِّماح فتخْرق ما كان يَطِير .

فسهل الله لهم الحصول على هذا الصَّيد ولكن الصَّحابة رضي الله عنهم وهم خير القُرون لم يأْخذوا شَيْئًا من هذا الصَّيد الذي سَهَّله الله لهم لتَقْواهم لله عزَّ وجلَّ وخَوْفهم منه .

والمقصود أنَّ هؤلاء المشركين الذين يدعون هذه القبور ثم يجري القضاء والقدر بحصول ما دعوا به يكون هذا بلا شَكٍّ ابْتِلاءً من الله تعالى وامتحانًا لهم . . فنسأل الله أن يُرينا الحق حَقًّا ويرزقنا اتِّباعه ويرينا الباطل باطلًا ويرزقنا اجتنابه .

---

(١) الأعراف : ١٦٣

(٢) البقرة : ٦٥ ، ٦٦

(٣) المائدة : ٩٤

٣٦٣ ـــــــ هل يجوز قراءة القُرْآن على قبر الميت والدُعاء له وما نوع الدُّعاء وهل يجوز أنْ يبكى عليه أيضًا وهل يجوز أن يُصَام عنه وأن يُصَلَّى بدلًا عنه لأننا نقوم بَختْم القُرْآن عوضًا عنه ونُهْدي هذه الخَتْمة إلى رُوحه وإذا كان المتوفَّى صَديق أو قَريب هل يجوز أن يحجَّ عن نفسه وعن المُتَوفَّى في نفس الوقت ؟

قراءة القرآن على القبور بِدْعة لم تَرِد عن النبي ﷺ ولا عن أصْحابه وإذا كانت لم ترد عن النبي ﷺ ولا عن أصحابه فإنَّه لا يَنْبغي لنا نحن أن نَبْتَدعَها من عند أنْفسنا لأنَّ النَّبي ﷺ قال فيما صحَّ عنه «كُلّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَة وكُلّ بِدْعَةٍ ضَلَالَة وكُلّ ضَلَالَةٍ في النَّار» .

والواجب على المسلمين أن يَقْتدوا بمن سلف من الصَّحابة والتَّابعين لهم بإحسان حتى يكونوا على الخير والهدى ، لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : «خَيْرُ الكَلام كَلامُ الله وخَيْرُ الهَدْي هَدْيُ مُحَمَّد ﷺ .

أما الدُّعاء للميت عند قبره فلا بأس به فيقف الإنسان عند القبر ويدعو له بما تيسر مثل أن يقول : «اللَّهُمَّ اغْفِر لَهُ اللَّهُمَّ ارْحمهُ اللَّهُمَّ قِهِ عَذَاب النَّار اللَّهُمَّ أدْخِلْهُ الجَنَّة اللَّهُمَّ افْسَحْ لَهُ في قَبْره» ، وما أشْبَه

ذلك ، وأمَّا دُعاء الإنسان لنفسه عند القبر فهذا إذا قَصَده الإنسان من البدع أيْضا لأنَّه لا يُخصَّص مكان للدُّعاء إلَّا إذا وردَ به النَّص وإذا لم يَرد به النَّص ولم تأْت به السُّنة عن النبي ﷺ فإنَّه أعني تَخْصيص مكان للدُّعاء أيًا كان ذلك المكان إذا لم يرد به الشَّرع يكون تَخْصيصه بدعة .

أما الصَّوم للميت والصَّلاة عنه وقراءة القُرْآن وما أشْبَه ذَلك من العبادات فإن هناك أربعة أنواع من العبادات تَصِل إلى الميت بالإجماع وهي : الدُّعاء – والواجب الذي تدخله النيابة – والصَّدقة – والعِتْق وما عدا ذلك فإنَّه موضع خلاف بين أهل العلم فمن العلماء من يقول إن الميت لا ينتفع بالأعْمَال الصَّالحة إذا أُهْدِيت له في غير هذه الأمور الأربعة ولكن الصَّواب أن الميت يَنْتفع بكل عمل صالح جُعِلَ له ، إذا كان الميت مُؤْمنًا ولكنَّا لا نرى أنَّ إهداء القُرَب للأموات من الأمور المَشْروعة التي تُطْلَبُ من الإنسان بل نقول إذا أُهدى الإنْسان ثواب عمل من الأعمال أوْ نَوى بعمل من الأعمال أنْ يكون ثوابه لميتٍ مُسْلمٍ فإنَّه ينفعه لَكِنَّه غير مطلوب منه أوْ مُسْتحبّ له ذلك والدَّليل على هذا أنَّ النبي ﷺ لم يُرْشد أُمَّته إلى هذا العمل بل ثَبتَ عنه في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أنه قال : «إذا مَاتَ الإنْسانُ انْقَطَع عَملهُ إلَّا مِنْ ثَلاثٍ صَدَقةٍ جَاريةٍ أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لهُ» ، ولم يَقُل النبي ﷺ أوْ وَلَدٍ صالح يَعْمَلُ له أو يَتَعَبَّدُ له بِصَوْم أو صَلاةٍ أو غيرهما وهذا إشارة إلى أنَّ الَّذي يَنْبغي والذي يُشْرع هو الدُّعاء لأمواتنا لا إهداء العبادات لهم والإنسان العامل في هذه الدُّنيا يحتاج إلى العمل

الصَّالح فليجعل العمل الصَّالح وليُكْثِر من الدعاء لأموَاته فإن ذلك هو الخير وهو طَرِيقَةُ السَّلف الصَّالح رضي الله عنهم .

٣٦٤ ـــــ ما حُكْم إظهار الفرح والسرور بيوم العيد – عيد الفطر وعيد الأضحى – وبليلة السابع والعشرين من رجب ، وليلة النصف من شعبان ، ويوم عاشوراء ؟

أما إظهار الفرح والسرور في أيام العيد عيد الفطر أو عيد الأضحى فإنه لا بأس به إذا كان في الحدود الشرعية ومن ذلك أن يأتي الناس بالأكل والشرب وما أشبه هذا ، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ وشُرْبٍ وذِكْرٍ للهِ عَزّ وجلّ » يعني بذلك الثلاثة الأيام التي بعد عيد الأضحى وكذلك في العيد فالناس يضحون ويأكلون من ضحاياهم ويتمتعون بنعم الله عليهم ، وكذلك في عيد الفطر لا بأس بإظهار الفرح والسرور ما لم يتجاوز الحد الشرعي . أما إظهار الفرح في ليلة السابع والعشرين من رجب أو في ليلة النصف من شعبان أو في يوم عاشوراء ، فإنه لا أصل له ويُنهى عنه ولا يحضر الإنسان إذا دعي إليه ، لقول النبي ﷺ : « إيّاكم ومُحْدَثَاتِ الأمور فإنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ » . فأما ليلة السابع والعشرين من رجب فإن الناس يَدَّعون أنها ليلة المِعراج التي عُرج بالرسول ﷺ فيها إلى الله عز وجل ، وهذا لم

يثبت من الناحية التاريخية ، وكل شيء لم يثبت فهو باطل والمبني على الباطل باطل . ثم على تقدير ثبوت أن ليلة المعراج ليلة السابع والعشرين من رجب فإنه لا يجوز لنا أن نُحْدِثَ فيها شيئاً من شعائر الأعياد أو شيئاً من العبادات لأن ذلك لم يثبت عن النبي ﷺ وأصحابه ، فإذا كان لم يثبت عمّنْ عُرج به ولم يثبت عن أصحابه الذين هم أَوْلى الناس به وهم أشد الناس حِرْصاً على سنته وشريعته فكيف يجوز لنا أن نُحْدِث ما لم يكن على عهد النبي ﷺ في تعظيمها شيء ولا في إحيائها وإنما أحياها بعض التابعين بالصلاة والذكر ، لا بالأكل والفرح وإظهار شعائر الأعياد .

وأما يوم عاشوراء فإن النبي ﷺ سئل عن صومه فقال : « يُكَفِّرُ السَّنَةَ الماضِيَةَ » يعني التي قبله . وليس في هذا اليوم شيء من شعائر الأعياد ، وكما أنه ليس فيها شيء من شعائر الأعياد فليس فيه شيء من شعائر الأحزان أيضا ، فإظهار الحزن أو الفرح في هذا اليوم كلاهما خلاف السنة ، ولم يَرِدْ عن النبي ﷺ في هذا اليوم إلا صيامه ، مع أنه عليه الصلاة والسلام أمر أن نصوم يوماً قبله أو يوماً بعده حتى نخالف اليهود الذين كانوا يصومونه وحده .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣٦٥ ــ سئل الشيخ : عن حُكْمِ التمسّح بالكعبة والركن اليماني طلبًا للبركة ؟

فأجاب قائلًا : ما يفعله بعض الجهلة من التمسح بالكعبة أو الركن اليماني أو الحجر الأسود طلبًا للبركة فهذا من البدع ، فإن مايمسح منها يمسح تعبدًا لاتبركًا ، قال عمر رضي اللّه عنه عندما قَبَّلَ الحَجَرَ الأسودَ قال : « إنِّي لَأَعْلَمُ إنَّكَ حَجَر لَا تَضرُّ ولَا تَنْفَعُ ولَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ » فالأمر مبني على الاتباع لا على الابتداع ، ولهذا لايمسح من الكعبة إلا الركن اليماني والحجر الأسود ، فَمَنْ مسح شيئًا سواهما من الكعبة فقد ابتدع ، ولهذا أنكر ابن عباس رضي اللّه عنهما على معاويةَ رضي اللّه عنه استلام الرُّكْنَيْنِ الآخَرَيْنِ .

٣٦٦ ــ سئل فضيلة الشيخ : ما رأيكم في هذه الورقة التي تسمى « رحلة سعيدة » .

البطاقة الشخصية :

الإسم : الإنسان « ابن آدم » .

الجنسية : من تراب .

العنوان : كوكب الأرض .

محطة المغادرة : الحياة الدنيا .

محطة الوصول : الدار الآخرة .

موعد الإقلاع : ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تموتُ ﴾ .

موعد الحضور : ﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتابٌ ﴾ .

العفش المسموح به :

١ - متران قماش أبيض .
٢ - العمل الصالح .
٣ - دعاء الولد الصالح .
٤ - علم ينتفع به .
٥ - ما سوى ذلك لا يسمح باصطحابه في الرحلة .

شروط الرحلة السعيدة :

على حضرات المسافرين الكرام اتباع التعليمات الواردة في كتاب الله وسنة رسوله ، مثل :

* طاعة الله ومحبته وخشيته .
* التذكر الدائم للموت .

* **الانتباه إلى أنه ليس في الآخرة إلا جنة أو نار .**

* **أن يكون مأكلك ومشربك وملبسك من حلال .**

« لمزيد من المعلومات » يرجى الاتصال بكتاب الله وسنة رسوله الكريم .

ملاحظة : الاتصال مباشر ومجانا . لا داعي لتأكيد الحجز هاتف « ٤٣٤٤٢ » ؟

فأجاب بقوله : —

رأيي في هذه التذكرة التي شاعت منذ زمن وانتشرت بين الناس ووضعت على وجوه شتى منها هذا الوجه الي بين يدي ، وهذه الورقة تشبه أن تكون استهزاء بهذه الرحلة ، وانظر إلى قوله في أرقام الهاتف « ٤٣٤٤٢ » يشير إلى الصلوات الخمس : اثنين لصلاة الفجر ، وأربعة للظهر والعصر ، وثلاثة للمغرب ، وأربعة للعشاء ، فجعل الصلاة التي هي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين جعلها أرقامًا للهاتف ، ثم قال إن موعد الرحلة ﴿ **وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ** ﴾[1] . فنقول أين الموعد في هذه الرحلة ؟ وقال أن موعد الحضور ﴿ **لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ** ﴾[2] . فأين تحديد موعد

(١) لقمان : ٣٤ .
(٢) الرعد : ٣٨

الحضور ؟ والمهم أن كل فقراتها فيها شيء من الكذب ، ومنها العفش الذي قال إن منه العلم الذي ينتفع به والولد الصالح ، وهذا لا يكون مصطحبًا مع الإنسان ولكنه يكون بعد الإنسان ، فالذي ارى أن تتلف هذه التذكرة ، وأن لا تنشر بين الناس ، وأن يكتب بدلها شيء من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ ، وحتى لا تقع مثل هذه المواعظ على سبيل الهزء ، وفي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ما يغني عن هذا كله .

وإنني بهذه المناسبة أود أن أنبه إلى أنه كثر في هذه الأونة الأخيرة النشرات التي تنشر بين الناس ما بين أحاديث ضعيفة ، بل موضوعة على رسول الله ﷺ وبين مَرَائي مَنَامِيَّة تنسب لبعض الناس وهي كذب وليست بصحيحة ، وبين حِكَم تنشر وليس لها أصل ، وإنني أنبه إخواني المسلمين على خطورة هذا الأمر ، وأن الإنسان إذا أراد خيرًا فليتصل برئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ، وليعرض عليها ما عنده من المال الذي يحب أن ينشر ما ينتفع الناس به وهي محل ثقة وأمانة – والحمد لله – تجمع هذه الأموال وتطبع بها الكتب النافعة التي ينتفع بها المسلمون في هذه البلاد وغيرها .

أما هذه النشرات التي ليست مبنية على شيء ، وإنما هي أكذوبات أو أشياء ضعيفة ، أو حِكَم ليست حقيقية بل هي كلمات عليها مؤاخذات وملاحظات ، **فإنني لا أحب أن ينشر هذا بين المسلمين وفيما صح من سنة الرسول عليه الصلاة والسلام كفاية والله المستعان .**

---

(٤) الرعد : ٣٨ .

٣٦٧ ـــــ سُئل الشيخ : عن بطاقة أُرسِلَتْ إليه فيها أذكار مرتّبة من بعض الصُّوفية ؟

فأجاب بقوله : اطلعتُ على صورة البطاقة ومن أجل العدل وبيان الحقّ أجبتُ عما فيها على سبيل الاختصار بما يلي :

١ - تضمّنت هذه البطاقةُ الحثّ على ذكر الله تعالى ، وهذا حق ، ولكن ذكر الله تعالى عبادة يتقرب بها إليه فيجب التمشي فيها على ما شرعه الله - عز وجل - ولا يتم ذلك إلا بالإخلاص لله تعالى ، والاتباع لرسول الله ﷺ ، وبذلك تتحقق شهادة أن لا إلهَ إلا الله ، وأن محمدًا رسولُ الله ، ولا يكون الاتباع إلا إذا كانت العبادة مبنية على الشرع في سببها ، وجِنْسها ، وقَدْرها ، وكيفيتها ، وزمانها ، ومكانها .

وإذا كان كذلك فإن الذكر الموجود في البطاقة لا يتضمن ما ذُكر فلا يصح أن يكون قُرْبَة إلى الله تعالى ، أو ذكرًا مرضيًا عنده ، كما هو ظاهر لمن رآه ، فأين في شريعة الله هذا النوع من الذكر الذي رتبوه ؟ ! وأين في شريعة الله هذا العدد الذي عَيَّنُوه ؟ ! وأين في شريعة الله هذا الزمن الذي خَصّصوه ؟ ! بحيث يكون هذا في الليل وهذا في النهار . وأين في شريعة الله تقديم الفاتحة عند البدء بهذا الذكر البِدْعي ؟ ! !

٢ - تضمنت هذه البطاقة قراءة الفاتحة لحضرة النبي ﷺ فإن أرادوا بحضرته ذاته وأن يقرأ الإنسان الفاتحة ويهدي ثوابها للنبي ﷺ ، فهذه

بدعة لم يفعله الصحابة – رضي الله عنهم – ، وهو من جهل فاعله ، فإنّ النبيَّ ﷺ يناله من الأجر على العمل مثل ما ينال فاعله من أمته ، لأنه هو الدال عليه ، ومن دلّ على خير فله مثل أجر فاعله ، بدون أن يهدي إليه الفاعل ، وإن أرادوا أن النبي ﷺ يحضر بذاته فهو أدْهى وأمَرّ ، وهو أمر منكر وزُور ، فالنبي ﷺ لا يحضر ولن يخرج من قبره إلاّ عند البعث ، قال الله تعالى : ﴿ **مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى** ﴾[1] وقال تعالى ﴿ **ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ** ﴾[2] . وهذا عامٌّ لجميع المخاطبين ، وأشرف المخاطبين بذلك رسول الله ﷺ ولهذا قال الله له : ﴿ **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ** ﴾[3] .

٣ – تضمنت هذه البطاقة من أسماء الله تعالى ، (هو) ، وفَسَّره بأنه حاضر لا يغيب . والقول بأن (هو) من أسماء الله قول باطل مبني على الجهل والعدوان ، أما الجهل فلأن (هو) ضمير لا يدلّ على معنى سوى ما يتضمنه مرجع ذلك الضّمير ، وأسماء الله تعالى كلّها حسنى ، لقوله تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾[4] وهل أحد إذا دعا يقول : يا هو اغفر لي ؟ ! وهل أحد يقول في البسملة بسم هو بدلًا عن اسم الله تعالى ؟ ! وأما العدوان فلأن إثبات اسم لله تعالى لم يسَمِّ

---

(١) طه ٠ ٥٥

(٢) المؤمنون : ١٦

(٣) الزمر : ٣٠ .

(٤) الأعراف : ١٨٠

به نَفْسَه عدوان على الله تعالى ، وقول عليه بلا علم وهو حرام ، لقوله تعالى : ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴾[1] .

ثم إنّ تفسير « هو » بجملة (حاضر لا يغيب) كذب على اللغة العربية ، فإن كلمة (هو) ضمير غَيْبَةٍ وليس ضمير حضور ، ومَنْ فَسَّره بما يدل على الحضور فهو من أجهل الناس باللغة العربية ودلالات ألفاظها إن كان الذي حمله على ذلك الجهل ، أو من أعظم الناس افتراء إن كان قد قصد التَّقَوّلَ على الله ، وعلى اللغة العربية .

٤ – فسّر اسم الله (الواحد) : بأنه الذي لا ثاني له .

والصواب : لا شريك له ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وقولنا : « لا شريك » ، كما أنه هو الوارد ، فهو أبلغ مما جاء في هذه البطاقة .

٥ – فسّر اسم (العزيز) : بأنّه الذي لا نظير له ، وهو قصور .

والصواب : الغالب الذي لا يغلبه أحد .

٦ – فسّر اسم (القيّوم) ؛ بأنه القائم بأسباب مخلوقاته .

---

(١) الأعراف : ٣٣ .

والصواب : القائم بنفسه وعلى غيره ، قال الله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾[1] . فهو قائم بنفسه لا يحتاج إلى غيره ، وهو قائم على غيره ، فكل أحد محتاج إلى الله – عز وجل – . وتفسيره بالقائم بأسباب مخلوقاته قاصر جدًّا .

٧ – ذكر في هذه البطاقة البِدْعِية صيغة صلاة على رسول الله ﷺ ما أنزل الله بها من سلطان ، وهي : « اللهم صَلِّ على سيدنا محمدٍ ، عدد ما في عِلْمِ الله ، صلاةً دائمةً بداوم مُلْك الله » .

٨ – ذكر في هذه البطاقة البدعيّة أنّه يتأكد الصلاة عليه عَقِبَ كلّ صلاة مكتوبة ، ثلاث مرات بصيغة ذكرها وهي : « اللهمّ صَلِّ وسَلِّمْ وبَارِك على سيدنا ومولانا محمدٍ وعلى آله وصحبه عددَ حروف القرآن حرفًا حرفًا ، وعددَ كلِّ حرفٍ ألفًا ألفًا ، وعدد صفوف الملائكة صفًّا صفًّا ، وعدد كل صفٍّ ألفًا ألفًا ، وعدد الرمال ذرة ذرة ، وعدد كلِّ ذرةٍ ألفَ ألفَ مرة عدد ما أحاط به عِلْمك وجرى به قَلَمُك ونَفِذَ به حُكْمك ، في برك وبحرك وسائر خلقك ، عدد ما أحاط به علمك القديم من الواجب والجائز والمستحيل . اللّهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمدٍ ، وعلى آله وصحبه مثل ذلك » .

وهاتان الصيغتان بِدْعيتان باطلتان مخالفتان لما علّمه النبي ﷺ أُمّتَه ، حيث قالوا يا رسول قد عَلِمْنا كيف نُسَلِّمُ عليك ، فكيف نُصَلِّي عليك ؟ قال : قُولُوا اللَّهُمْ صَلِّ على مُحَمَّدٍ ، وعلى آلِ مُحَمَّدٍ ، كما

(١) الرعد : ٣٣

صَلَّيْتَ على إِبْرَاهِيمَ ، وعلى آلِ إبْرَاهيمَ ، إنَّكَ حَمِيد مَجِيد ، وبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، وعَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ ، إنَّك حَمِيد مَجيد » . وبهذا عُلِمَ أنّ الأذكار والصّلوات البدعية مع بطلانها وفسادها تستلزم الصَّدَّ - باعتبار حال فاعلها - عما جاءت به الشريعة من الأذكار والصّلوات الشرعيّة فحذار حذار أيّها المؤمن من البدع ، فإن كل بدعة ضلالة ، وكلّ ضلالة في النار . كما قال النبي ﷺ وعلى آله وصحبه ومَنْ تبعهم بإحسان .

٣٦٨ ــــــ ما رأيك في الحداثة ؟

قال فضيلته بعد أن استوضح الأمر من الحاضرين :

أولًا : الحداثة على حسب ما فهمنا أنها حرب للغة العربية التي هي لغة القرآن ، والذي فهمت الآن من كلامكم أن منها أُناسًا عَرَبًا فَتَنَكَّروا لعربيتهم ، وهذا لا شك لا يرضاه أي إنسان عاقل أن يتنكر للغته مهما كان ، ولهذا تجد أن الإنجليز في القمة في الفرح والسُّرور أن تكون لغتهم هي المُسْتَخْدمة في عامة العالم ، لأن استخدام اللغة وبقاء اللغة هو بقاء لأهلها ، فهؤلاء القوم الآن يريدون أن يقتلوا أنفسهم بمحو لغتهم التي يمحى بها وجودهم ، ويكونوا بين الناس لا يُشعر بعروبتهم ، ولا بلغتهم التي هي أكمل لغة في العالم منذ خلق الله العالم إلى اليوم .

ثانيًا : فهمت منكم أيضًا أنهم يريدون القَضَاء على الأديان السَّماوية حتى اليهودية والنَّصرانية ، فهم لا يرضون لأنفسهم أن يكونوا مسلمين ،

ولا يهود ، ولا نصارى ، لأن هذا ينتمي إلى دين ، وهم على حسب ما سمعت من شروحكم لا يريدون الانتماء إلى شيء سابق ، حتى لو كان دين الله وشريعة الله .

ولا شك أن هذا إلحاد تام يشبه قول من قال الله فيهم : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾[1] . ولا يرتاب عاقل أن هذه ردّة ، وأن من قام بها يستتاب ، فإن تاب وإلا وجب قتله ، لأنه مُرْتَدّ ، وقد قال النبي ﷺ : «من بَدَّلَ دِينه فَاقْتُلُوه» .

ثالثًا : فهمت من كلامكم أيضًا أنهم يُريدون القَضَاء على كل خلق حسن ما دام قد كان سابقًا ، لأن القاعدة يجب أن تَنْجرَّ على كل شيء ، على دين ، خلق ، لغة ، وما أشبه ذلك . إذن يجب القضاء على كل خلق حسن سليم . وحينئذ ينسلخ الإنسان حتى من بشريته ، ويلتحق بالبهائم العجم التي إذا اشتهى الفحل أن ينزو على الأنثى نَزَا عليها وأقرانه يُشاهدونه ، وإذا اشتهى أي شيء لم يمنعه عن تناوله أي عقل .

رابعًا : وفهمت من تقريركم لها أن هذه الحداثة تلبس لباس النفاق وهو البلية العظمى ، وقد قال الله تعالى في المنافقين : ﴿ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾[2] . وقال عن الشيطان : ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾[3] . ومن تأمل الفرق بين الأسلوبين وجد أن المنافقين أعظم ضررًا على المؤمنين من الشياطين .

---

(١) المؤمنون : ٣٧
(٢) المنافقون : ٤
(٣) فاطر : ٦

فيجب علينا مَعْشَر المُسْلمين - أن ندعو هؤلاء بالوازع الإيماني دعوة صدق وإخلاص إلى أن يرجعوا إلى دين الله عزَّ وجلَّ ، وإلى كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ ، وأن نبرهن لهم أن هذا كفر محض ، فإن لم يُجْد شيئًا فالواجب علينا وعلى ولاة الأمور أن يستعملوا معهم الرَّدع السُّلطاني المبني على كتاب الله وسنة رسولهﷺ حتى لا ينتشر هذا السُّمُّ القاتل في جسم الأمة الإسلامية .

وإذا كنا نحاول القضاء على المُخَدّرات ، وهو من واجبنا لأن المخدرات قتل للمعنويات وللرجولة وفَسَادُ الأخلاق ، فيجب علينا القضاء على هذا المذهب الخبيث أكثر وأكثر من القضاء على المخدرات والمسكرات وسيئات الأخلاق .

وعلى شبابنا المُثَقَّف أن يُبيِّن ما يخفى تحت ستار تغيير الأسلوب في النظم والنثر أن يَكْشِفَ ما يخفى تحت هذا الستار من هذه المعاني التي ذكرتموها لإخوانكم هنا ، فالأمر خطير مَا دَام هذا شأنه .

ليست المسألة أن تغير أسلوب :

قِفَا نَبْك مِنْ ذِكْرى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ

بِسَقْطِ اللّوى بَيْنَ الدخُولِ فَحَوْمَلِ

إلى كلام منثور لا يعرف أوله من آخره ، وليس بين معانيه ارتباط ، ولا بين ألفاظه تناسب ، فهو عار عن الفَصَاحة وخال من البلاغة .

وسبحان الله إذا انْتَكَسَت القلوب رأت المَعِيبة حَسَنة ، وإلا فمن قرأ هذه الأشعار عرف أنّه ليس بشعر . شخص يأتي بشطر كامل مكون

من كلمة والشطر الذي بعده من عشر كلمات فهل يُسَمَّى هذا شعرًا ؟ أين الشّعر الّذي يهز المشاعر ؟ وأين النظم الذي يكون رائقًا للنُّفوس محببًا إليها ؟ ولكن لا نحب أن نذكر مثالًا يَليق بهذا الذَّوق ونسأل الله تعالى لهم الهداية ، وأن يَرُدَّهم إلى الحق ، وأن يعيذنا وإياكم من مُضِلاّت الفِتَن وأن يجعلنا ممن رأى الحق حقًا واتّبعه ورأى الباطل بَاطلًا واجْتنبه .

٣٦٩ —— فضيلة الشيخ محمد الصالح العثيمين : السلام عليكم ورحمه الله وبركاته : هل يَجُوز للرِّجال الإنشاد الإسلامي ؟ وهل يجوز مع الإنشاد الضَّرب بالدُّف لهم ؟ وهل الإنشاد جائِز في غير الأعياد والأفراح ؟

بسم الله الرحمن الرحيم وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

الإنشاد الإسلامي إنشاد مبتدع ما ابتدعته الصوفية ولهذا ينبغي العدول عنه إلى مواعظ القرآن والسنة اللهم إلَّا أن يكون في مواطن الحرب ليستعان به على الإقدام والجهاد في سبيل الله تعالى فهذا حسن . وإذا اجتمع معه الدف كان أبعد عن الصواب .

٣٧٠ هل يجوز قراءة الفاتحة على الموتى وهل تَصِلُ إليهم ؟

قراءة الفاتحة على الموتى لا أعْلَمُ فيها نَصًّا من السُّنة وعَلَى هذا فلا تُقْرأ لأنَّ الأصل في العبادات الحَظْر والمَنْع حتَّى يقوم دَليل على ثُبوتها وإنَّها مِنْ شَرْع الله عزَّ وجلَّ ودليل ذلك : أنَّ الله أنْكَر على من شَرَعوا في دين الله ما لم يأْذن به الله ، فقال تعالى : ﴿ **أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُواْ لَهُم مِنَ الدِّين مَا يأْذَنْ بِهِ الله** ﴾[1] .

وثَبَتَ عن النَّبي ﷺ أنه قال : «مَنْ عَمَلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أمْرُنَا فَهُوَ رَد» ، وإذا كان مَرْدُودًا كان باطلًا وعبثًا يُنَزَّه الله عزَّ وجلَّ أن يُتَقربَ به إليه .

وأمَّا استئجار قَارىء يَقرأ القرآن ليكون ثوابه للميت فإنَّه حرام ولا يَصح أخْذُ الأجرة على قراءة القرآن ومن أخَذ أُجْرةً على قراءة القرآن فهو آثم ولا ثواب لَهُ لأنَّ قراءة القرآن عبادة ولا يجوز أن تكون العبادة وسيلة إلى شيء من الدنيا قال الله تعالى : ﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ الحَيَاة الدنْيَا وزِينَتَهَا نُوَفِّ إلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيها لا يُبْخَسُونَ** ﴾[2] .

---

(١) الشورى : ٢١

(٢) هود : ١٥

٣٧١ ——— **عندنا في القرية وفي ليلة عيد الفطر أوْ ليلة عبد الأضحى المبارك عندما يعرف النّاس أنَّ غدًا عيد يخرجون إلى القبور في اللَّيل ويُضيئُون الشموع على قُبُـور مَوْتاهم وَيدْعُون الشيُّوخ ليقرأوا القرآن على القبور ، وما صِحَّة هذا الفعل . . ؟**

هذا فِعْل باطل مُحرَّم وهو سَبَب للعنةِ الله عز وجل فإنَّ النَّبي ﷺ «لَعَنَ زَائِرَات القُبور والمتَّخذِينَ عَلَيْهَا المسَاجد والسُّرج» والخروج إلى المقابر في لَيْلة العيد ولو لزيارتها بِدْعة فإن النبي ﷺ لم يَرِدْ عنه أنَّه كان يُخَصِّص لَيْلة العيد ولا يوم العيد لزيارة المقبرة وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال : «إيَّاكُم ومُحْدثَاتِ الأُمُور فإنَّ كُلَّ مُحْدَثَة بِدْعَة وكُلّ بِدْعةً ضَلالَة وكُلّ ضَلالةٍ في النَّار» ، فعلى المرء أنْ يَتَحَرَّى في عباداته وكل ما يفعله ممَّا يُتَقَرَّبُ به إلى الله عزَّ وجلَّ أن يتحرى في ذلك شَريعة الله تبارك وتعالى لأنَّ الأصل في العبادات المَنْع والحَظْر إلا ما قام الدَّليل على مَشْروعيته وما ذكره السَّائل من إسْراج القبور ليلة العيد قد دلَّ الدليل على مَنْعه وعلى أنَّه من كبائر الذنوب كما أشَرْتُ إليه قبل قَليل من قبل أنَّ النَّبي ﷺ «لَعَنَ زَائِراتِ القُبُور والمُتَّخِذِين عَلَيْها المَسَاجِد والسُّرج» .

وأما قضية زيارة القبور فإنها مَشروعة في سَائر الأيَّام لا في يوم الجُمعة خَاصَّة ولا في يوم العيد خاصَّة بل في سائر الأيَّام زيارة القبور مشروعة الزِّيارة الشَّرعية التي يكون القصد منها الاعتبار والاتعاظ بالموتى والتَّوبة إلى الله سُبحانه وتعالى و تَذَكُّر الموت كما قال ﷺ «زُورُوا القُبُور فَإِنَّها تُذَكِّر بِالآخِرَة» ويكون القَصْد منها أيضًا نفْع الأموات بالدُّعاء لهم والاستغفار لهم والتَّرحم عليهم فإنَّهم بحاجة إلى دعوات الأحياء واستغفارهم في سائر الأيَّام وتخصيص يوم الجمعة ويوم العيد لا أعلم له أصْلًا من السُّنة وكونهم تُرَدُّ أرْواحهم في هذين اليومين خاصَّة لم يَثْبُتْ فيه شيء عن النبي ﷺ وهذا من عِلْم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى ولا يَجُوز الكلام فيه إلا بدليلٍ صَحيحٍ عن النبي ﷺ .

٣٧٢ ــــــــــ ما ردكم على من ينكرون أحاديث الرجم ، وأحاديث المهدي المنتظر ، وأحاديث الخروج من النار ودخول الجنة وكذلك ينكرون الأحاديث القدسية وحديث الذبابة ؟

أولًا : الرجم وهو رجم الزاني المحصن أي إذا زنى الرجل أو المرأة المحصنان أي قد تزوجا بعقد صحيح وحصل الجماع وهما بالغان عاقلان حُرَّان فإنه حينئذ يجب رجمهما ، والرجم أن يرجم الزاني بالحجارة التي ليست بالكبيرة ولا الصغيرة إلى أن يموت ، والرجم ثابت بكتاب الله

وبسنة رسول الله ﷺ ، وهو من مشروعات الإسلام ، وحتى اليهود فإنه مشروع عندهم .

ثبت في الصَّحيحين من حديث عمر بن الخطابْ رضي الله عنه أنه خطب على منبر النبي ﷺ وعلى مَسْمَع من الصحابة وكان فيما قاله في خطبته : «أنَّ الله تَعَالى أَنْزَلَ آيَةَ الرَّجْم قال : فَقَرَأْنَاهَا وَحَفظْنَاهَا وَوَعَيْنَاهَا وَرَجَم النَّبي ﷺ وَرَجَمْنَا بَعْدَه ، وإنِّي أَخْشَى إنْ طَالَ بالنَّاس زَمَان أنْ يَقُولوا إنَّا لا نَجِدُ الرَّجم في كتاب الله» وهذا الذي توقعه عمر وقع من مثل هذا الرجل الذي ينكر الرجم - قال : وإن الرَّجم حق ثابت في كتاب الله على من زَنى إذا أُحصِنَ إذا قامت البَينة ، أو كان الحَبَل ، أو الاعْتِراف . والذي خطب وقال ذلك هو عمر بن الخطاب الخليفة الثاني لهذه الأمة ، وقال ذلك على منبر رسول الله ﷺ وفي مسجده ﷺ وحوله الصحابة أعدل الأمة . أترون بعد ذلك أن يكون كلام أمير المؤمنين عمر باطلًا ؟ لا والله أبدًا ، إن كنا نظن أن الشَّمس في رابعة النَّهار ليست هي الشَّمس فإننا نظن أن كلام عمر ليس هو الحق .

فالرَّجم ثابت في كتاب الله لكنه مَنْسُوخ لفظًا لا حكمًا ، لأن النَّسخ في كتاب الله إما أنْ يكون لفظًا وحكمًا ، أو لفظًا لا حكمًا ، أو حكمًا لا لفظًا .

وقد يقول قائل : ما هي الحكمة من نَسْخه لَفْظًا مع أهميته ؟

الحكمة – عندي – والله أعلم إظهار فضل هذه الأمة وامتثالها لأمر ربها ، فهي تَرْجُم ، وإن كان الرَّجم ليس ظاهرًا في القرآن ، بينما اليهود الرَّجم عندهم مكتوب في التَّوراة ويحاولون إخفاءه .

اليهود نزل الرجم في التوراة عندهم ، لكن لما كَثُر الزّنا في أشرافهم والعياذ بالله استكبروا أن يَرْجموهم ، فقالوا : ضعوا عقوبة أخرى ، فوضعوا عقوبة فصاروا يُسَوِّدُون الزاني ، ويركبونه حمارًا هو والزانية أحدهما وجهه إلى دبر الحمار والآخر وجهه إلى رأس الحمار ، ويمشون في الأسواق وقالوا وهذا العار يكفي عن الرجم ، فشاء الله عز وجل أن يزني رجل بأمراة منهم في عهد النبي ﷺ . فقالوا : اذهبوا إلى هذا الرجل لعلكم تجدون عنده مخرجًا من الرجم ، فجاءوا إلى النبي ﷺ فأمرهم بما في التوارة أن يرجموه وجيء بالتوراة ليقرأوها بين يدي الرسول ﷺ ، فوضع القارىء يده على آية الرَّجم في التَّوراة لإخفائها وكان عبد الله بن سلام رضي الله عنه من أحبار اليهود ولكنه أسْلَمَ فقال للقارىء : ارفع يدك – لأنه يعرف التَّوراة – فرفع القارىء يده ، فإذا آية الرجم تلوح ظاهرة فأمر النبي ﷺ برجمهما .

فهؤلاء اليهود حاولوا إخفاء ما كان مَكْتُوبًا في التَّوراة ، والأمة الإسلامية ولله الحمد نَفَّذت ما كان مَنْسوخًا لا يرى في القرآن ، لكنه ثابت في عهد الرسول ﷺ وقرىء وحفظ وفهم ونفذ .

فالرجم إذن ثابت في القرآن والسنة وإجماع المسلمين .

أما أحَاديث المَهْدِي فهي تَنْقَسِم إلى أرْبعَة أقْسام : أحَاديث مَكْذُوبة ، وأحاديث ضَعِيفة ، وأحَاديث حَسَنة لكنها بمجموعها تَصِل إلى درجة الصِّحة على أنها صَحِيحة لغيرها ، بل قال بعض العلماء إن فيها ما هو صَحِيحٌ لذاته .

ولكنه ليس المهدي المَزْعوم الذي يقال إنه في سِرْداب في العراق ، فإن هذا لا أصل له وهو خُرافة ولا حقيقة له ، ولكن المهدي الذي جاءت الأحاديث بإثباته رجل كغيره من بني آدم يُخلق ويولد في وقته ، ويخرج إلى الناس في وقته فهذه قصة المهدي فإنكاره مطلقًا خطأ وإثباته مطلقًا خطأ أي إثباته على وجه يشمل المهدي المنتظر الذي يقال إنه في السرداب هذا خطأ ، لأن اعتقاد هذا المهدي المختفي خبل في العقل وضلال في الشّرع وليس له أصل ، وإثْبَاتُ المهدي الذي أخبر به النبي عليه الصلاة والسلام وتكررت فيه الأحاديث والذي سيولد في وقته ويخرج في وقته هذا حق .

وأما الأحاديث القُدْسية فإنْكَارُها ضَلَال مُبين ، لأنها ثابتة عن الرسول ﷺ بسند الثِّقات في البخاري ومسلم وغيرهما من كتب السنة ، والأحاديث القدسية هي التي يرويها النبي ﷺ عن ربه مثل قول النبي ﷺ قال تعالى : « أنا أغْنَى الشُّركاء عَنِ الشِّرك مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أشرَكَ فِيه مَعي غَيْري تَرَكته وشِرْكه» ومثل قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه أنه قال : «يَا عبَادي إنِّي حَرَّمتُ الظُّلْم عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْته بَيْنكم مُحَرَّمًا» .

وأمثلة هذا كثيرة جدًا ، وقد جمعها بعضهم حتى بلغت ستّمائة حديث ، لكن منها – أي الستمائة – ما هو ضَعِيف لا يعتبر به ، وعلى كل حال فإن علماء الحديث وغيرهم يُثْبِتُون هذه وهي متواترة عن رسول الله ﷺ .

وأما حديث الذُّبابة ، فهو ما رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : «إذا وَقَع الذُّباب في شَرَاب أَحَدكم فَلْيَغْمِسْهُ ثُمّ لينزعْه ، فإنَّ في أَحَدِ جَنَاحَيْه دَاء وفِي الآخر شِفَاء » هذا حديث ثبت عن الرسول ﷺ ، والطب شاهد له .

وإني أقول إذا ثبت الحديث عن النبي ﷺ فلا يهمنا أن يشهد له الطب بصِدْقه أو لا يشهد ، بل بعبارة أعم إذا ثبت الحديث عن الرسول عليه الصلاة والسلام فلا يهمنا أن يشهد له العلم الحديث سواء كان طِبًّا أو غيره – أن يشهد – بصدقه أو لا يشهد ، لأن ما يقال إنه علم ويخالف الأحاديث الصحيحة فإننا نقول إنه ليس بعلم ، ولكنه وهم ، وستُبَين الأيام صِدْق ما ثَبَتَتْ به الأحاديث عن رسول الله ﷺ .

فحديث الذُّبابة أنكره من أنكره من الناس وقالوا هذا لا يمكن ، ولكن المحققين من أهل الطِّب أثبتوا أن هذا ممكن وأنه تحت جناحه غدة إذا وقع في شراب انفجرت واختلطت بهذا الشراب فكانت داء وفي الجناح الآخر غدة تنفجر بإذن الله إذا غمس الجناح الثاني في هذا الشراب فتقضي على داء الغدة الأولى ، وهذا من حكمة الله عزَّ وجلَّ

ليبين سبحانه وتعالى لعباده عظيم قدرته ، فهذه الذبابة التي هي أضعف المخلوقات اجتمع فيها ضدان داء ودواء .

وقد زاد الترمذي أو أبو داود - والنسيان مني - «وَإِنَّه يتقى بِجَنَاحه الَّذِي فِيهِ الدَّاء» أي إنه عندما يسقط يسقط على الجَنَاح الذي فيه الداء ، ولكنه يزول ذلك بِغَمْسِه .

بقي أن يقول قائل : إذا سقط في لبن مَثَلًا وغمسته وأخرجته ورميت به هل يلزمني أن اشرب هذا اللبن ؟ فالجواب : أنه لا يلزمه أن يشربه ، لكن لا يتجنبه خوفًا من الداء ، لأن الداء كفى شره بالدواء الذي في الجناح الثاني .



التصــــوير

٣٧٣ ـــــ ما رأي فضيلتكم في التصوير الفوتوغرافي ؟

الصور الفوتوغرافية الذي نرى فيها أن هذه الآلة التي تُخرج الصورة فورا وليس للإنسان في الصورة أي عمل نرى أن هذا ليس من باب التصوير ، وإنما هو من باب نقل صورة صوّرها الله عز وجل بواسطة هذه الآلة ، فهي انطباع لا فعل للعبد فيه من حيث التصوير ، والأحاديث الواردة إنما هي في التصوير الذي يكون بفعل العبد ويضاهي به خلق الله ويتبين لك ذلك جيدا بما لو كتب لك شخص رسالة فصورتها في الآلة الفوتوغراقية فإن هذه الصورة التي تخرج ليست هي من فعل الذي أدار الآلة وحرّكها ، فإن هذا الذي حرك الآلة ربما يكون لا يعرف الكتابة أصلا ، والناس يعرفون أن هذه كتابة الأول ، والثاني ليس له أي فعل فيها ولكن إذا صور هذا التصوير الفوتوغرافي لغرض محرّم فإنه يكون حراما تحريم الوسائل .

٣٧٤ ـ ما حُكْم لبْس الثيابِ التي فيها صُوَرٌ ؟

لا يجوز للإنسان أن يلبس ثيابا فيها صورة حيوان أو إنسان ، ولا يجوز أيضا أن يلبس غُتْرة أو شماغا أو ما أشبه ذلك وفيه صورة إنسان أو حيوان ، وذلك لأن النبي ﷺ ثبت عنه أنه قال « إنَّ الملائكةَ لا تَدْخُلُ بَيْتاً فيه صورةٌ » ولهذا لا نرى لأحد أن يقتني الصور للذكرى كما يقولون ، وأن من عنده صور للذكرى فإن الواجب عليه أن يتلفها سواء كان قد وضعها على الجدار أو وضعها في ألبوم أو في غير ذلك ، لأن بقاءها يقتضي حرمان أهل البيت من دخول الملائكة بيتهم ، وهذا الحديث الذي أشرت إليه قد صَحّ عن النبي ﷺ . والله أعلم .

٣٧٥ ـ ما حُكْم رَسم ذوات الأرواح ؟ وهل هو داخل في عموم الحديث القدسي « ومَنْ أظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كخَلْقِي ، فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أو ليخلقوا حَبَّةً أو ليخلقوا شَعِيرَةً » ؟

نعم هو داخل في هذا الحديث . لكن الخَلْق خَلْقان خلق جسمي وصفي ، وهذا في الصور المجسّمة . وخلق وَصْفِي لا جسمي وهذا في الصور المرسومة .

وكلاهما يدخل في الحديث المتقدم ، فإن خَلْق الصفة كخلق الجسم وإن كان الجسم أعظم لأنه جمع بين الأمرين الخلق الجسمي والخلق الوصفي ، ويدل على ذلك - أي العموم - وإن التصوير محرّم باليد ، سواء كان تجسيما أم كان تلوينا عمومُ لَعْنِ النبيِّ ﷺ للمصورين فعموم لعن النبي ﷺ للمصورين يدل على أنه لا فرق بين الصور المجَسَّمة والملونة التي لا يحصل التصوير فيها إلا بالتلوين فقط ، ثم إن هذا هو الأحوط والأولى بالمؤمن أن يكون بعيدا عن الشُبَه ، ولكن قد يقول قائل أليس الأحوط في اتباع ما دل عليه النص لا في اتباع الأشد ؟ فنقول : صحيح إن الأحوط اتباع ما دلَ عليه النص لا اتباع الأشد ، لكن إذا وجد لفظ عام يمكن أن يتناول هذا وهذا فالأحوط الأخذ بعمومه وهذا ينطبق تماما على حديث التصوير فلا يجوز للإنسان أن يرسم صورة ما فيه روح من إنسان وغيره لأنه داخل في لَعْن المصورين . والله الموفق .

٣٧٦ ـــــــــــ ما حكم تعليق الصور على الجُدْران ؟

تعليق الصور على الجدران ولا سيما الكبيرة منها حرام حتى وإن لم يخرج إلا بعض الجسم والرأس وقصد التعظيم فيها ظاهر وأصل الشرك هو هذا الغلو كما جاء ذلك عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال في أصنام قوم نوح التي يعبدونها : إنها كانت أسماء رجال صالحين صَوَّرُوا صُوَرَهم ليتذكروا العبادة ثم طال عليهم الأمَدُ فعبدوهم .

٣٧٧ ما حكم اقتناء الصور للذِّكْرى ؟

اقتناء الصور للذكرى مُحَرَّم ، لأن النبي ﷺ أخبر أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة ، وهذا يدل على تحريم اقتناء الصور في البيوت . والله المستعان :

٣٧٨ ما حُكْم صُنْع التماثيل ؟ والله يحفظكم ويرعاكم .

صنع التماثيل المجسمة إن كانت من ذوات الأرواح فهي محرمة لا تجوز ، لأن النبي ﷺ ثبت عنه أنه لَعَنَ المصورين وثبت أيضا عنه أنه قال : « قال الله عز وجل : وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كخَلْقِي » وهذا محرّم .

أما إذا كانت التماثيل ليست من ذوات الأرواح فإنه لا بأس بها ، وكسبها حلال لأنها من العمل المباح . والله الموفق .

٣٧٩ سئل فضيلة الشيخ : ما حكم التصوير ؟

فأجاب بقوله : التصوير على أنواع : —

النوع الأول : أن يصور ماله ظل وجسم على هيئة إنسان أو حيوان ، وهذا حرام ولو فعله عبثًا ولو لم يقصد المضاهاة ؛ لأن المضاهاة لا يشترط

فيها القصد حتى لو صنع هذا التمثال لابنه لكي يهدئه به .

فإن قيل : أليس المحرم ما صور لتذكار قوم صالحين كما هو أصل الشرك في قوم نوح ؟

أجيب : إن الحديث في لعن المصورين عام ، لكن اذا إنضاف إلى التصوير هذا القصد صار أشد تحريمًا .

النوع الثاني : أن يصور صورة ليس لها جسم بل بالتلوين والتخطيط ، فهذا محرم أيضًا لعموم الحديث ، ويدل له حديث النُّمْرقَة حيث أقبل النبي ﷺ إلى بيته فلما أراد أن يدخل رأى نُمْرُقَةً فيها تصاوير فوقف وتأثر ، وعرفت الكراهة في وجهه ﷺ فقالت عائشة رضي الله عنها : ما أذنبت يا رسول الله . فقال : « إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَر يُعَذَّبُونَ يُقَالُ لَهُمْ : أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ » فالصور بالتلوين كالصور بالتجسيم على الصحيح ، وقوله في صحيح البخاري « إِلَّا رَقْماً فِي ثَوْبٍ » إن صحت الرواية هذه فالمراد بالاستثناء ما يحل تصويره من الأشجار ونحوها ليتفق مع الأحاديث الأخرى .

النوع الثالث : أن تلتقط الصورة التقاطًا بأشعة معينة بدون أي تعديل أو تحسين من المُلْتَقِط ، فهذا محل خلاف العلماء المعاصرين على قولين :

القول الأول : أنها صورة وإذا كان كذلك فإن حركة هذا الفاعل تعتبر تصويرًا إذ لولا تحريكه إياها ما انطبعت هذه الصورة على هذه الورقة ونحن متفقون على أن هذه صورة فحركته تعتبر تصويرًا فيكون داخلًا في العموم .

٥٢٧ من المجلد المذكور على حديث عائشة رضي الله عنها قالت : كنت ألعب بالنبات عند النبي ﷺ وكان لي صواحب يلعبن معي فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمعن منه فيسربهن إلَي فيلعبن معي .

قال في شرحه : واستدل بهذا الحديث على جواز اتخاذ صور البنات واللعب من أجل لعب البنات بهن وخُصَّ ذلك من عموم النهي عن اتخاذ الصور وبه جزم عياض ونقله عن الجمهور قال وذهب بعضهم إلى أنه منسوخ وخَصَّهُ بعضهم بالصغار .

وإن من المؤسف أن بعض قومنا الآن صاروا يقتنون هذه الصور ويضعونها في مجالسهم أو مداخل بيوتهم نزلوا بأنفسهم إلى رتبة الصبيان مع اكتساب الإثم والعصيان نسأل الله لنا ولهم الهداية .

النوع الثاني : أن تكون الصورة غير مجسمة بأن تكون رقما على شيء فهذه أقسام :

القسم الأول : أن تكون معلقة على سبيل التعظم والإجلال مثل ما يعلق من صور الملوك والرؤساء والوزراء والعلماء والوجهاء والآباء وكبار الأخوة ونحوها فهذا القسم حرام لما فيه من الغلو بالمخلوق والتشبه بِعُبَّادِ الأصنام والأوثان مع أنه قد يجر إلى الشرك فيما إذا كان المُعَلَّق صورة عالم أو عابد ونحوه .

القسم الثاني : أن تكون معلقة على سبيل الذكرى مثل من يعلقون صور أصحابهم وأصدقائهم في غرفهم الخاصة فهذه محرمة فيما يظهر لوجهين :

الوجه الأول : أن ذلك يوجب تعلق القلب بهؤلاء الأصدقاء تعلقا لا ينفك عنه وهذا يؤثر تأثيرًا بالغًا على محبة الله ورسوله وشرعه ويوجب تشطير المحبة بين هؤلاء الأصدقاء وما تجب محبته شرعًا وكأن قارعًا يقرع قلبه كلما دخل غرفته . انتبه . انتبه . صديقك . صديقك . وقد قيل :

أَحْبِبْ حَبِيبَك هُوْنًا مَا   فَعَسَى أَنْ يَكُونَ بغِيضكَ يَوْمًا مَا

الوجه الثاني : أنه ثبت في صحيح البخاري من حديث أبي طلحة رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول « لاَ تَدْخُلُ الْمَلاَئِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْب وَلاَ صُورَة » وهذه عقوبة ولا عقوبة إلا على فعل محرم .

القسم الثالث : أن تكون معلقة على سبيل التجميل والزينة فهذه محرمة أيضًا لحديث عائشة رضي الله عنها قالت : قدم رسول الله ﷺ من سَفَرٍ وقد سترت بِقِرَامٍ لي على سَهْوَةٍ لي فيها تماثيل فلما رآه رسول الله ﷺ هَتَكَهُ وقال : « أَشَدُّ النَّاسِ عَذَبًا يَوْمَ القِيَامَة الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ الله » قالت : فجعلته وسادة أو وسادتين . رواه البخاري القِرَامُ : خِرْقَةٌ تفرش في الهَوْدَجِ أو يغطى بها يكون فيها رقوم ونقوش . والسَّهْوَةُ : بيت صغير في جانب الحجرة يُجْعَلُ فيه المتاع .

وعن عائشة رضي الله عنها أنها اشترت نُمْرُقَةً فيها تصاوير فلما رآها النبي ﷺ قام على الباب فلم يدخل فعرفت في وجهه الكراهية قالت : فقلت : أتوب إلى الله ماذا أذنبت ؟ قَالَ : « مَا هَذِهِ النُّمرُقَةُ » ؟ قلت : لتجلس عليها وتوسدها فقال النبي ﷺ : « إِنَّ أَصْحَابَ هَذِهِ الصُّوَرِ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ القِيَامَة يُقَالُ لَهُمْ أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ وَإِنَّ الْمَلاَئِكَة لاَ تَدْخُلُ

بَيْتًا فِيه الصُّورَةُ » رواه البخاري . النمرقة : الوسادة العريضة تصلح للاتكاء والجلوس .

القسم الرابع : أن تكون ممتهنة كالصورة التي تكون في البساط والوسادة وعلى الأواني وسماط الطعام ونحوها فنقل النووي عن جمهور العلماء من الصحابة والتابعين جوازها وقال : هو قول الثوري ومالك وأبي حنيفة والشافعي وهو كذلك مذهب الحنابلة ونقل في فتح الباري ص ١٩٣ ج ١٠ ط السلفية حاصل ما قيل في ذلك عن ابن العربي فقال : حاصل ما في اتخاذ الصور أنها إن كانت ذات أجسام حرم بالإجماع وإن كانت رقما فأربعة أقوال :

الأول : يجوز مطلقًا على ظاهر قوله في حديث الباب إلا رقما في ثوب .

الثاني : المنع مطلقًا حتى الرقم .

الثالث : إن كانت الصورة باقية الهيئة قائمة الشكل حرم وإن قطعت الرأس أو تفرقت الأجزاء جاز قال وهذا هو الأصح .

الرابع : إن كان مما يمتهن جاز وإن كان معلقا لم يجز ا .هـ . والذي صححه هو ظاهر حديث النمرقة والقول الرابع هو ظاهر حديث القرام ويمكن الجمع بينهما بأن النبي ﷺ لما هتك الستر تفرقت أجزاء الصورة فلم تبق كاملة بخلاف النمرقة فإن الصورة كانت فيها كاملة فحرم اتخاذها وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « أَتَانِي جِبْرِيلُ فَقَالَ : أَتَيْتُكَ الْبَارِحَةَ فَلَمْ يَمْنَعنِي أَنْ أَكُونَ دَخَلْتُ إِلَّا أَنَّهُ كَانَ عَلَى الْبَابِ تَمَاثِيلُ وَكَانَ فِي الْبَيْتِ قِرَامُ سِتْرٍ فِيهِ تَمَاثِيلُ وَكَانَ فِي الْبَيْتِ كَلْبٌ

فَمُرْ بِرَأْسِ التِّمْثَالِ الَّذِي عَلَى بَابِ الْبَيْتِ يُقْطَع فَيَصِيرُ كَهَيْئَةِ الشَّجَرَةِ وَمُر بِالسِّتْرِ فَلْيُقْطَع فَلْيُجْعَل مِنْهُ وِسَادَتَانِ مَنْبُوذَتَانِ تُوطَآنِ وَمُرْ بِالْكَلْبِ فَلْيَخْرُجْ » ففعل رسول الله ﷺ رواه أهل السنن وفي رواية النسائي إمَّا أن تَقطَعَ رُؤُسَهَا أَوْ تَجْعَلَ بُسُطًا تُوطَأ ذُكِرَ هذا الحديث في فتح الباري ص ٢٩٣ من المجلد العاشر السابق وزعم في ص ٩٣٠ أنه مؤيد للجميع الذي ذكرناه وعندي أن في ذلك نظر ؛ فإن هذا الحديث ولا سيما رواية النسائي تدل على أن الصورة إذا كانت في شيء يمتهن فلا بأس بها وإن بقيت كاملة وهو رأي الجمهور كما سبق .

القسم الخامس : أن تكون مما تعم به البلوى ويشق التحرز منه كالذي يوجد في المجلات والصحف وبعض الكتب ولم تكن مقصودة لمقتنيها بوجه من الوجوه بل هي مما يكرهه ويبغضه ولكن لا بد له منها والتخلص منها فيه عسر ومشقة وكذلك ما في النقود من صور الملوك والرؤساء والأمراء مما ابتليت به الأمة الإسلامية فالذي يظهر لي أن هذا ألا حرج فيه على من وقع في يده بغير قصد منه إلى اتخاذه من أجل صورة بل هو يكرهه أشد الكراهة ويبغضه ويشق عليه التحرز منه فإن الله تعالى لم يجعل على عباده في دينهم من حرج ولا يكلفهم شيئًا لا يستطيعونه إلا بمشقة عظيمة أو فساد مال ولا يصدق على مثل هذا أنه متخذ للصورة ومقتن لها .

وأما سؤالكم عن الصورة التي تمثل الوجه وأعلى الجسم فإن حديث أبي هريرة الذي أشرنا إليه يدل على أنه لابد من قطع الرأس وفصله فصلًا تامًا عن بقية الجسم فأما إذا جمع إلى الصدر فما هو إلا رجل جالس بخلاف ما إذا أبين الرأس إبانة كاملة عن الجسم ولهذا قال الإمام أحمد

رحمه الله : الصورة الرأس . وكان إذا أراد طمس الصورة حك رأسها وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : الصورة الرأس فإذا قطع الرأس فليس هو صورة . فتهاون بعض الناس في ذلك مما يجب الحذر منه .

نسأل الله لنا ولكم ولإخواننا المسلمين السلامة والعافية مما لا تحمد عقباه إنه جواد كريم .

٣٨١ ـــــــ سئل فضيلة الشيخ : هل يجب إتلافُ الرأسِ في الصورِ لزَوالِ التحريمِ ؟ أو يَكْفِي فَصلُه عن الجِسْمِ ؟ وما حكم الصور التي في العلب والمجلات والصحف ورخص القيادة والدراهم ؟ وهل تمنع من دخول الملائكة ؟

فأجاب بقوله : إذا فصل الرأس عن الجسم فظاهر الحديث « مُرْ بِرَأْسِ التِّمْثَالِ فَلْيُقْطَعْ » أنه لا يجب إتلاف الراس ، لأنه لم يذكر في الحديث إتلافه وإن كان في ذلك شيء من التردد .

وأما الجسم بلا رأس فهو كالشجرة لا شك في جوازه .

وأما بالنسبة لما يوحد في العلب والمجلات والصحف من الصور فما يمكن التحرز منه ، فالورع تركه ، وأما ما لا يمكن التحرز منه والصورة فيه غير مقصودة فالظاهر أن التحريم يرتفع فيه بناءً على القاعدة

الشرعية ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾[1] والمشقة تجلب التيسير والبعد عنه أولى .

وكذلك بالنسبة لما يوجد في رخص القيادة ، وحفائظ النفوس والشهادات والدراهم فهو ضرورة لا إثم فيه ولا يمنع ذلك من دخول الملائكة .

وأما قوله ﷺ : « وَأَن لاَ تَدَعَ صُورَةً إِلَّا طَمَسْتَهَا » ففيه احتمال قوي أن المراد كل صورة مقصودة اتخذت لذاتها لا سيما في أوقاتهم فلا تجد صورة في الغالب إلا مقصودة لذاتها . ولا ريب أن الصور المقصودة لذاتها لا يجوز اقتناؤها كالصور التى تتخذ للذكرى أو للتمتع بالنظر إليها أو للتلذذ به ونحو ذلك .

٣٨٢ ــــــ وسئل : أيضًا عن حكم التصوير ؟ وكيف يفعل من طلب منه التصوير في الامتحان ؟ وما حكم مشاهدة الصور في المجلات والتلفزيون ؟

فأجاب بقوله : سؤالكم عن التصوير فالتصوير نوعان :

أحدهما : أن يكون تصوير غير ذوات الأرواح كالجبال والأنهار والشمس والقمر والأشجار فلا بأس به عند أكثر أهل العلم وخالف بعضهم فمنع تصوير ما يثمر كالشجر والزروع ونحوها والصواب قول الأكثر .

---

(١) الحج : ٧٨ .

الثاني : أن يكون تصوير ذوات الأرواح فإن كان باليد فلاشك في تحريمه وأنه من كبائر الذنوب لما ورد فيه من الوعيد الشديد مثل حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَها نَفْسًا فَتُعَذِّبُهُ فِي جَهَنَّمَ » رواه مسلم ، وحديث أبي جحيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ لعن آكل الربا وموكله والواشمة والمستوشمة والمصور رواه البخاري ، وحديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال : « أَشَدُّ النَّاسِ عَذَبًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ الله » . رواه البخاري ومسلم وفي رواية لمسلم : « الذين يشبهون بخلق الله » وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت النبي ﷺ يقول : « قَالَ اللهُ تَعَالَى : وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ خَلْقًا كَخَلْقِي فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا شعيرَةً » رواه البخاري ومسلم . والتصوير المذكور ينطبق على التصوير باليد بأن يخطط الإنسان الصورة بيده حتى يكملها فتكون مثل الصورة التي خلق الله تعالى لأنه حاول أن يبدع كإبداع الله تعالى ويخلق كخلقه وإن لم يقصد المشابهة لكن الحكم إذا علق على وصف تعلق به فمتى وجد الوصف وجد الحكم والمصور إذا صنع الصورة تحققت المشابهة بصنعه وإن لم ينوها والمصور في الغالب لا يخلو من نية المضاهاة ولذلك تجده يفخر بصنعه كلما كانت الصورة أجود وأتقن . وبهذا تعرف سقوط ما يموه به بعض من يستسيغ التصوير من أن المصور لا يريد مشابهة خلق الله لأننا نقول له : المشابهة حصلت بمجرد صنعك شئت أم أبيت . ولهذا لو عمل شخص عملاً يشبه عمل شخص آخر لقلنا نحن وجميع الناس إن عمل هذا يشبه عمل ذاك وإن كان هذا العامل لم يقصد المشابهة .

فأما إن كان تصوير ذوات الأرواح بغير اليد مثل التصوير بالكاميرا التي تنقل الصورة التي خلقها الله تعالى على ما هي عليه من غير أن يكون للمصور عمل في تخطيطها سوى تحريك الآلة التي تنطبع بها الصورة على الورقة فهذا محل نظر واجتهاد لأنه لم يكن معروفًا على عهد النبي ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين والسلف الصالح ومن ثَمَّ اختلف فيه العلماء المتأخرون فمنهم من منعه وجعله داخلًا فيما نهى عنه نظرًا لعموم اللفظ له عرفًا ومنهم من أحله نظر للمعنى فإن التصوير بالكاميرا لم يحصل فيه من المصور أي عمل يشابه به خلق الله تعالى وإنما انطبع بالصورة خلق الله تعالى على الصفة التي خلقه الله تعالى عليها ونظير ذلك تصوير الصكوك والوثائق وغيرها بالفتوغراف فإنك إذا صورت الصك فخرجت الصورة لم تكن الصورة كتابتك بل كتابة من كتب الصك انطبعت على الورقة بواسطة الآلة فهذا الوجة أو الجسم المصور ليست هيئته وصورته وما خلق الله فيه من العينين والأنف والشفتين والصدر والقدمين وغيرها ليست هذه الهيئة والصورة بتصويرك أو تخطيطك بل الآلة نقلتها على ما خلقها الله تعالى عليه وصورها . بل زعم أصحاب هذا القول أن التصوير بالكاميرا لا يتناوله لفظ الحديث كما لا يتناوله معناه فقد قال في القاموس : الصورة الشكل قال : وصور الشيء : قطعه وفصله . قالوا وليس في التصوير بالكاميرا تشكيل ولا تفصيل وإنما هو نقل شكل وتفصيل شَكَّلَهُ وفَصَّلَهُ الله تعالى قالوا والأصل في الأعمال غير التعبدية الحل إلا ما أتى الشرع بتحريمه كما قيل :

والأَصْلُ فِي الأَشْيَاءِ حِل وَامْنَعْ عِبَادَةً إِلَّا بِإِذْنِ الشَّارِعِ
فَإِنْ يَقَعْ فِي الْحُكْمِ شَكٌّ فَارْجِعَ لِلأَصْلِ فِي النَّوْعَينِ ثُمَّ اتبعِ

والقول بتحريم التصوير بالكاميرا أحوط ، والقول بحِله أقعد لكن القول بالحل مشروط بأن لا يتضمن امرًا محرمًا فإن تضمن أمرًا محرمًا كتصوير امرأة أجنبية أو شخص ليعلقه في حجرته تذكارًا له أو يحفظه فيما يسمونه (ألْبُوم) ليتمتع بالنظر إليه وذكراه كان ذلك محرما لأن اتخاذ الصور واقتناءها في غير ما يمتهن حرام عند أهل العلم أو أكثرهم كما دلت على ذلك السنة الصحيحة .

ولا فرق في حكم التصوير بين مَا لَهُ ظِل وهو المجسم وما لا ظل له لعموم الأدلة في ذلك وعدم المُخَصِّص .

ولا فرق أيضًا في ذلك بين ما يصور لعبا ولهوا وما يصور على السبورة لترسيخ المعنى في أفهام الطلبة كما زعموا وعلى هذا فلا يجوز للمدرس أن يرسم على السبورة صورة إنسان أو حيوان . وإن دعت الضرورة إلى رسم شيء من البدن صَوَّرَهُ منفردًا بأن يصور الرِّجْلَ وحدها ثم يشرح ما يحتاج إلى شرح منها ثم يمسحها ويصور اليد كذلك ثم يمسحها ويصور الرأس وهكذا كل جزء وحده فلا بأس به إن شاء الله تعالى .

وأما من طلب منه التصوير في الامتحان فليصور شجرة أو جبلًا أو نهرًا لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق مع أني لا أظن ذلك يطلب منه إن شاء الله تعالى . .

وأما مشاهدة الصور في المجلات والصحف والتلفزيون فإن كانت صور غير آدمي فلا بأس بمشاهدتها لكن لا يقتنيها من أجل هذه الصور وإن كانت صور آدمي فإن كان يشاهدها تلذذًا أو استمتاعا بالنظر فهو

حرام وإن كان غير تلذذ ولا استمتاع ولا يتحرك قلبه ولا شهوته بذلك فإن كان ممن يحل النظر إليه كنظر الرجل إلى الرجل ونظر المرأة إلى المرأة أو إلى الرجل أيضًا على القول الراجح فلا بأس به لكن بقتنيه من أجل هذه الصور وإن كان ممن لا يحل له النظر إليه كنظر الرجل إلى المرأة الأجنبية فهذا موضع شك وتردد والاحتياط أن لا ينظر خوفًا من الفتنة وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لَا تُبَاشِرِ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ فَتَنْعِتَهَا لِزَوْجِهَا كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا» والنعت بالصورة أبلغ من النعت بالوصف إلا أن هذا الحديث رواه الإمام أحمد من وجه آخر بلفظ: لِتَنْعِتَهَا لِزَوْجِهَا وذكر في الفتح الباري ص ٣٣٨ ح٩ الطبعة السلفية أن النسائي زاد في روايته: فِي الثَّوْبِ الواحِدِ وهو مفهوم من قوله: لا تباشر ومجموع الروايات يقتضي أن الزوجة عمدت إلى مباشرة المرأة لتصف لزوجها ما تحت الثياب منها ومن أجل هذا حصل عندنا الشك والتردد في جواز نظر الرجل إلى صورة المرأة في الصحف والمجلات والتلفزيون والبعد عن وسائل الفتن مطلوب والله المستعان.

٣٨٣ ــــــــ سئل فضيلة الشيخ: ما حكم صور الكرتون التي تخرج في التلفزيون؟ وما قولكم في ظهور بعض المشائخ فيه؟ وما حكم استصحاب الدراهم التي فيها صور؟

فأجاب قائلًا : أما صور الكرتون التي ذكرتم أنها تخرج في التلفزيون فإن كانت على شكل آدمي فحكم النظر إليها محل تردد هل يلحق بالصور الحقيقية أولا ؟ والأقرب أنه لا يلحق بها . وإن كانت على شكل غير آدمي فلا بأس بمشاهدتها إذا لم يصحبها أمر منكر من موسيقى أو نحوها ولم تله عن واجب . وأما ظهور بعض المشائخ في التلفزيون فهو محل اجتهاد إن أصاب الإنسان فيه له أجران وإن أخطأ فله أجر واحد ولا شك أن المحب للخير منهم قصد نشر العلم وأحكام الشريعة لأن التلفزيون أبلغ وسائل الإعلام وضوحًا وأعمها شمولًا وأشدها من الناس تعلقًا فهم يقولون إن تكلمنا في التلفزيون وإلا تكلم غيرنا وربما كان كلام غيرنا بعيدا من الصواب فننصح الناس ونوصد الباب ونسد الطريق أمام من يتكلم بغير علم فيضل ويضل .

وأما استصحاب الرجل ما ابتلي به المسلمون اليوم من الدراهم التي عليها صور الملوك والرؤساء فهذا أمر قديم وقد تكلم عليه أهل العلم ولقد كان الناس هنا يحملون الجنيه الفرنجي وفيه صورة فرس وفارس ويحملون الريال الفرسي وفيه صورة رأس ورقبة وطير والذي نرى في هذا أنه لا إثم على من استصحبه لدعاء الحاجة إلى حمله إذ الإنسان لابد له من حمل شيء من الدراهم في جيبه ومنع الناس من ذلك فيه حرج وتعسير وقد قال الله تعالى : ﴿ **يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ **مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ** ﴾[2] وصح عن النبي ﷺ أنه قال : « إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَن يُشَادَّ

(١) البقرة . ١٨ .

(٢) الحج · ٧٨ .

الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا »رواه البخاري .وقال لمعاذ ابن جبل وأبي موسى عند بعثهما إلى اليمن : « يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا » وقال لناس حين زجروا الأعرابي الذي بال في المسجد : « دَعُوهُ فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ » رواهما البخاري أيضًا .

فإذا حمل الرجلِ الدراهم التي فيها صورة أو التابعية أو الرخصة وهو محتاج إليهما أو يخشى الحاجة فلا حرج في ذلك ولا إثم إن شاء الله تعالى إذ كان الله تعالى يعلم أنه كاره لهذا التصوير وإقراره وأنه لولا الحاجة إليه ما حمله .

والله أسأل أن يعصمنا جميعًا والمسلمين من أن تحيط بنا خطايانا وأن يرزقنا الثبات والاستقامة على دينه إنه جواد كريم .

٣٨٤ ــــــ سئل الشيخ : هل استثناء بعض العلماء لعب الأطفال من التصوير صحيح ؟ وهل قول الشيخ .. بجواز الصور التي ليس لها ظل وإنما هي نقوش بالألوان قول صحيح ؟

فأجاب بقوله : استثناء لعب الأطفال صحيح لكن ما هي اللعب المستثناه أهي اللعب التي كانت معهودة من قبل وليست على هذه الدقة في التصوير فإن اللعب المعهودة من قبل ليس فيها تلك العيون والشفاه

والأنوف كما هو المشاهد الآن في لعب الأطفال أن أن الرخصة عامة فيما هو لعب أطفال ولو كان على الصور المشاهدة الآن ؟

هذا محل تأمل والاحتياط تجنب هذه الصور الشائعة الآن والاقتصار على النوع المعهود من قبل .

وأما الصور التي ليس لها ظل وإنما هي نقوش بالألوان فإن دعوى الجواز فيها نظر حيث استند في ذلك إلى أنه كان ممنوعًا ثم أجيز ؛ لأن من شروط النسخ تعذر إمكان الجمع بين النصين والعلم بتأخر الناسخ وأما مع إمكان الجمع فلا تقبل دعوى النسخ ؛ لأن الجمع يكون فيه العمل بالدليلين والنسخ يكون فيه إبطال أحد الدليلين ثم إن طريق العلم بالمتأخر ليس الاستنتاج والتخمين ، بل النقل المجرد هو الطريق إلى العلم بالمتأخر ثم إن قول النبي ﷺ « إنَّ الْمَلائِكَةَ لاَ تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ صُوَرٌ » حبر والخبر لا يدحله النسخ إلا إذا أريد به الإنشاء وليس هذا مما أريد به الإنشاء . نعم الخبر يدخله التخصيص فينظر هل هذا الحديث مَخصَّصٌ بالصور التي ذكرها ؟ هذا محل خلاف بين أهل العلم فمنهم من يرى أن هذا الحديث مخصص بقوله إلَّا رَقْمًا في ثَوْبٍ وبحديث عائشة رضي الله عنها في الستر الذي فيه تمثال طائر وقد ذكر الشيخ .. أن حديث إلا رقما في ثوب رواه الخمسة وقد رواه البخاري ومسلم أيضًا ومن العلماء من يرى أن هذا الترخيص في الرقم في الثوب وتمثال الطائر كان في أول الأمر ثم نُهِيَ عنه على العكس من قول الشيخ ..

والذي يظهر لي أن الجمع ممكن وهو أن يحمل قوله إلا رقما في ثوب على ما ورد حلّهُ مما يُتَّكأُ عليه ويُمْتَهَنُ فيكون الرَّقْمُ في الثوب المراد به

ما كان في مخدة ونحوها لأنه الذي ورد حله وأن زيد بن خالد ألحق به الستر ونحوه وهو إلحاق غير صحيح لأن حديث عائشة رضي الله عنها في السهوة صريح في المنع منه حيث هتكه النبي ﷺ وتلون من أجله وجهه . وأما حديث مسلم في تمثال الطائر فيحمل على أنه تمثال لا رأس فيه وعلى أن النبي ﷺ كرهه لا من أجل أنه صورة ولكن من أجل أنه من باب الترف الزائد ولهذا قال حوليه فإني كلما دخلت ورأيته ذكرت الدنيا ويؤيد هذا الحمل ما رواه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت : إن النبي ﷺ خرج في غزاته فأخذت نمطًا فسترته على الباب فلما قدم فرأى النمط عرفت الكراهة في وجهه فجذبه حتى هتكه أو قطعه وقال : « إنَّ اللهَ لَمْ يَأْمُرْنَا أَنْ نَكْسُو الْحِجَارَةَ وَالطِّينَ » . وعلى هذا فتكون النتيجة في هذا تحريم اقتناء الصور المجسمة والملونة والمنقورة والمزبورة إلا الملونة إذا كانت في شيء يمتهن كالفراش ونحوه فلا تحرم لكن الأولى التنزه عنها أيضًا لما في الصحيحين من حديث عائشة أنها اشترت نُمْرُقَةً للنبي ﷺ فيها تصاوير ليقعد عليها ويتوسدها فلما رآها قام على الباب ولم يدخل وعرفت الكراهية في وجهه ثم أخبر أن أصحاب هذه الصور يعذبون يقال أحيوا ما خلقتم ثم قال : « إنَّ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ الصُّوَرُ لاَ تَدْخُلُهُ الْمَلاَئِكَةُ » والله الموفق .

٣٨٥ ـــــــ سئل الشيخ عن حكم إقامة مجسم لقلب إنسان لأجل التذكير بقدرة الله وعظمته عز وجل ؟

فأجاب فضيلته : صورة القلب أو غيره من الأجزاء ليس من الصور المحرمة لأنه بعض صورة وعلى هذا فيجوز رسم القلب أواليد أو الرِّجْلِ أو الرأس كل واحد على حِدَةٍ ولكن المشكل في السؤال صرف الأموال في مثل هذا لأن النفع الحاصل به لا يساوي الأموال المصروفة فيه ولا يقرب منها فجواز صرف الأموال في هذا محل نظر والسلامة أسلم . والله تعالى الموفق .

٣٨٦ ـــــــ سئل الشيخ : كيف نجمع بين قول النبي ﷺ « إنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ الله » وبين كون المشرك أشد الناس عذابًا يوم القيامة ؟

فأجاب حفظه الله بقوله : ذكر في الجمع بينهما وجوه :

الوجه الأول : أن الحديث على تقدير « مِنْ » أي إن من أشد الناس عذابًا بدليل أنه قد جاء بلفظ « إنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا » فيحمل ما حذفت منه على ما ثبتت فيه .

الوجه الثاني : أن الأشدية لا تعني أن غيرهم لا يشاركهم بل يشاركهم غيرهم قال تعالى : ﴿ **أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ** ﴾[1] فيكون الجميع مشتركين في الأشد .

ولكن يرد على هذا أن المصور فاعل كبيرة فقط فكيف يسوى بمن هو كافر مستكبر ؟

الوجه الثالث : أن الأشدية نسبية يعني أن المصورين أشد الناس عذابًا بالنسبة للعصاة الذين لم تبلغ معصيتهم الكفر لا بالنسبة لجميع الناس . وهذا أقرب الوجوه والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

٣٨٧ ــــــــ سئل الشيخ : كثير من الألعاب تحوي صورًا مرسومة باليد لذوات الأرواح ، والهدف منها غالبًا التعليم مثل هذه الموجودة في الكتاب الناطق فهل هي جائزة ؟

فأجاب بقوله : إذا كانت لتسلية الصغار فإنّ من أجاز اللُّعَبَ للصغار يجيز مثل هذه الصور ، وأما من منع هذه الصور على أن هذه الصور ليست أيضًا مطابقة للصورة التي خلق الله عليها هذه المخلوقات المصورة كما يتضح مما هو أمامي . والخَطْب في هذا سهل .

---

(١) غافر : ٤٦ .

٣٨٨ ـــــــ سئل الشيخ : هناك أنواع كثيرة من العرائس منها ما هو مصنوع من القطن ، وهو عبارة عن كيس مفصل برأس ويدين ورجلين ، ومنها ما يشبه الإنسان تمامًا ، ومنها ما يتكلّم أو يبكي أو يمشي ، فما حكم صنع أو شراء مثل هذه الأنواع للبنات الصغار للتعليم والتسلية ؟

فأجاب بقوله : أما الذي لا يوجد فيه تخطيط كامل وإنما يوجد فيه شيء من الأعضاء والرأس ولكن لم تتبين فيه الخِلْقة فهذا لاشك في جوازه وأنه من جنس البنات اللاتي كانت عائشة – رضي الله عنها – تلعب بهن .

وأما إذا كان كامل الخلقة وكأنما تُشاهد إنسانًا ولا سيما إن كان له حركة أو صوت فإن في نفسي من جواز هذه شيئًا ، لأنه يُضَاهي خَلْق الله تمامًا ، والظاهر إنّ اللُّعب التي كانت عائشة تلعب بهن ليست على هذا الوصف ، فاجتنابها أولى ؛ ولكني لا أقطع بالتحريم نظرًا لأنّ الصغار يرخّص لهم مالا يرخّص للكبار في مثل هذه الأمور ، فإن الصغير مجبول على اللِّعب والتسلي ، وليس مكلّفًا بشيء من العبادات حتى نقول : إن وقته يضيع عليه هوًا وعبثًا ، وإذا أراد الإنسان الاحتياط في

مثل هذا فليقلع الرأس أو يحميه على النار حتى يلين ثم يضغطه حتى تزول معالمه .

٣٨٩ - وسئل الشيخ : هل هناك فرق بين أن يصنع الأطفال تلك اللعب ، وبين أن نصنعها نحن لهم أو نشتريها لهم ؟

فأجاب بقوله : أنا أرى أن صنعها على وجه يضاهي خلق الله حرام ، لأن هذا من التصوير الذي لا شكّ في تحريمه ، لكن إذا جاءتنا من النصارى أو غيرهم من غير المسلمين فإن اقتناءها كما قلت أولًا .

لكن بالنسبة للشراء بدلًا من أن نشتريها ينبغي أن نشتري أشياء ليست فيها صور كالدراجات أو السيارات أو الرافعات وما أشبهها .

أما مسألة القطن والذي ما تبين له صورة على الرغم مما هنالك من أنه أعضاء ورأس ورقبة ولكن ليس فيه عيون ولا أنف فما فيه بأس ، لأن هذا لا يضاهي خلق الله .

٣٩٠ - وسئل فضيلته : عن حكم صنع ما يشبه هذه العرائس بمادة الصَّلْصَال ثم عَجْنُها في الحال ؟

فأجاب بقوله : كل من صنع شيئًا يضاهي خلق الله فهو داخل في الحديث ، وهو لَعْنُ النبيّ ﷺ المصورين .

وقوله : « أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمُصَوِّرُونَ » . لكن كما قلت : إنه إذا لم تكن الصورة واضحة أي ليس فيها عين أو أنف ولا فم ولا أصابع فهذه ليست صورة كاملة ولا مضاهية لخلق الله – عز وجل – .

٣٩١ ــــــــــــ **سئل الشيخ : في بعض المدارس يُطلب من الطالب أن يرسم صورة لذات رُوح ، أو يُعطَى مثلًا بَعْضَ دجاجة ، ويقال أكمل الباقي ، وأحيانًا يطلب منه أن يقصّ هذه الصورة ويلزقها على الورق ، أو يعطى صورة فيطلب منه تلوينها فما رأيكم في هذا – حفظكم الله – ؟**

فأجاب فضيلته بقوله : الذي أرى في هذا أنه حرام يجب منعه ، وأن المسئولين عن التعليم يلزمهم أداء الأمانة في هذا الباب ، ومنع هذه الأشياء ، وإذا كانوا يريدون أن يثبّتوا ذكاء الطالب بإمكانهم أن يقولوا : اصنع صورة سيارة أو شجرة ، أو ما أشبه ذلك ، مما يحيط به علمه ، ويحصل بذلك معرفة مدى ذكائه وفِطْنته وتطبيقه للأمور ، وهذا مما ابتلى به الناس بواسطة الشيطان ، وإلا فلا فرق بلاشك في إجادة الرسم

والتخطيط بين أن يخطّط الإنسان صورة شجرة أو سيارة أو قصر أو إنسان .

فالذي أرى أنه يجب على المسئولين منع هذه الأشياء ، وإذا ابتلي الطالب ، ولابد فليصور حيوانًا ليس له رأس .

۳۹۲ ــــــــــ **وسئل الشيخ : قلتم في الفتوى السابقة : « إذا ابْتُلِيَ الطالبُ ولابدّ فليصوِّرْ حيوانًا ليس له رَأْس » ولكن قد يرسب الطالب إذا لم يرسم الرأس فما العمل ؟**

فأجاب قائلا : إذا كان هذا فقد يكون الطالب مضطرًّا لهذا الشيء ، ويكون الإثم على منْ أَمَرَه وكَلّفه بذلك ، ولكني آمل من المسئولين ألا يصل بهم الأمر إلى هذا الحدّ . فيضطروا عباد الله إلى معصية الله .

۳۹۳ ــــــــــ **سئل الشيخ : هل يلزم الإنسان طمْس الصور التي في الكتب ؟ وهل قطع الرأس بفاصل مع بقائه يزيل الحرمة ؟**

فأجاب - حفظه الله تعالى - بقوله : لا أرى أنه يلزم طمسها لأن في ذلك مشقة كبيرة ، ولأنها أي هذه الكتب ما قصد بها هذه الصورة إنما قُصد ما فيها من العلم .

ووضع خطّ بين الرقبة والجسم هذا لا يغير الصورة عما هي عليه .

٣٩٤ ـــــــــــــ **وسئل الشيخ : عن حكم إلباس الصبي الثياب التي فيها صور لذوات الأرواح ؟**

فأجاب : يقول أهل العلم : إنه يحرم إلباس الصبي ما يحرم إلباسه الكبير ، وما كان فيه صور فإلباسه الكبير حرام ، فيكون إلباسه الصغير حرامًا أيضًا ، وهو كذلك ، والذي ينبغي للمسلمين أن يقاطعوا مثل هذه الثياب وهذه الأحذية حتى لا يدخل علينا أهل الشر والفساد من هذه النواحي ، وهي إذا قوطعت فلن يجدوا سبيلًا إلى إيصالها إلى هذه البلاد وتهوين أمرها بينهم .

٣٩٥ ـــــــــــــ **سئل الشيخ : جاء في إحدى الفتاوى على لسانكم فيما يتعلق بمشاهدة الصور ما نصّه : « وإن كان ممن لا يحلّ له النظر إليه كنظر الرّجل إلى المرأة الأجنبية فهذا موضع شكّ وتردّد والاحتياط أن لا ينظر خوفًا من الفتنة . . » فهذا يفهم منه أن فضيلتكم لا يرى بأسًا في نظر الرّجل إلى الصورة ولو كانت صورة امرأة أجنبية**

فأجاب فضيلته بقوله : النقطة التي أشار إليها السائل وهي أن يفهم من كلامنا أننا لا نرى بأسًا في نظر الرّجل إلى الصورة ولو كانت صورة امرأة أجنبية فنقول هذه النقطة فيها تفصيل :

فإن كانت امرأة معينة ونظر إليها نظر تلذّذ وشهوة فهذا حرام ، لأن نفسه حينئذ تتعلّق بها وتتبعها وربما يحصل بذلك شرّ وفتنة ، فإن لم ينظر إليها نظر تلذّذ وشهوة وإنما هي نظرة عابرة لم تحرك له ساكنًا ، ولم تجب له تأملًا فتحريم هذا النظر فيه نظر ، فإن إلحاق نظر الصورة بنظر الحقيقة غير صحيح ، لما بينهما من الفرق العظيم في التأثير ، لكن الأَوْلَى البعد عنه لأنه قد يُفضي إلى نظر التأمل ثم التلذّذ والشّهوة ، ولهذا قال النبي ﷺ : « لا تُبَاشِرِ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ فَتَنْعَتَهَا لِزَوْجِهَا كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا » رواه البخاري ، ورواه أحمد وأبو داود بلفظ : « لِتَنْعَتَهَا لِزَوْجِهَا » . واللام للتعليل .

وأما إن كانت الصورة لامرأة غير معينة فلا بأس بالنظر إليها إذا لم يُخْشَ من ذلك محذور شرعي .

٣٩٦ ــــــــ وسئل : عن تهاون كثير من الناس في النظر إلى صور النساء الأجنبيات بحجة أنها صورة لا حقيقة لها ؟

فأجاب بقوله : هذا تهاون خطير جدًّا وذلك أن الإنسان إذا نظر للمرأة سواء كان ذلك بواسطة وسائل الإعلام المرئية ، أو بواسطة

الصحف أو غير ذلك ، فإنه لابد أن يكون من ذلك فتنة على قلب الرجل ، تجره إلى أن يتعمد النظر إلى المرأة مباشرة ، وهذا شيء مشاهد . ولقد بلغنا أن من الشباب من يقتني صور النساء الجميلات ليتلذّذ بالنظر إليهن ، أو يتمتع بالنظر إليهن ، وهذا يدلّ على عظم الفتنة في مشاهدة هذه الصور ، فلا يجوز للإنسان أن يشاهد هذه الصور ، سواء كانت في مجلات أو في صحف أو غير ذلك إن كان يرى من نفسه التلذذ والتمتع بالنظر إليهن ، لأن ذلك فتنة تضرّه في دينه ، وفي اتجاهاته ، ويتعلق قلبه بالنظر إلى النساء ، فيبقى ينظر إليهن مباشرة .

٣٩٧ ــــــ يقوم صاحب لي بالتَّصوير في الأفراح ممَّا يجعله ينْظر إلى النِّساء المُتَبرِّجات ويُخَالطهن فما حكم الإسْلام في التصوير الفوتوغرافي وخاصَّة في الأفراح وما يسمُّوه أعياد الميلاد ؟

التصوير المَذكور لا يجوز لأن فيه فتنة .

٣٩٨ ـــــــــ ما معنى جملة : «إلَّا رَقمًا في ثَوْب» التي وردت في الحديث الشريف ؟

إنَّ رَأْينا في الحديث : «إلَّا رقمًا في ثوب» من النُّصوص المُتَشَابهة . والقاعدة السليمة : يُرَدُّ إلى المحكم . ولقوله تعالى : ﴿ **مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخرُ مُتشَابِهَاتٌ . فَأَمَّا الَّذِين في قُلُوبِهِم زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابه مِنْهُ ابْتِغَاء الفِتْنَةِ وابْتِغَاءَ تأْوِيلِهِ ومَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إلا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ في الْعِلْمِ يقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا** ﴾[1] .

ويُرَدُّ المتشابه إلى المحكم ولا يبقى فيه اشتباه .

فهذا الحديث : «إلَّا رَقمًا في ثَوْب» يحتمل أنه عام ، رقمًا : يشمل صورة الحيوان وصورة الأشجار وغير ذلك ، فإنه كان مُحْتملًا لهذا فإنه يُحْمل على النُّصوص المُحْكمة التي تُبَيِّن أن المُرَاد برقم الثوب ما ليس بصورة حيوان أو إنسان حتى تبقى النصوص مُتطَابقة مُتَّفقة .

ونحن لا نرى ذلك ولتفضيل فيما له ظِل وما لَيْسَ له ظِل لأنَّ حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه في صحيح مسلم . . أنَّه قال : «يا أبا الهياج ألَا ابعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ألَّا تدع قبْرًا مُشرِفًا إلَّا سوَّيته ولا صُوره إلَّا طَمَسها» .

---

(١) آل عمران . ٧

رسالة

بسم الله الرحمٰن الرحيم

من محمد الصالح العثيمين إلى أخيه المكرم الشيخ . . . . . . حفظه الله تعالى ، وجعله من عباده الصالحين ، وأوليائه المؤمنين المتقين ، وحزبه المفلحين ، آمين .

وبعد فقد وصلني كتابكم الذي تضمّن السلام والنصيحة . فعليكم السلام ، ورحمة الله وبركاته ، وجزاكم الله عنّي على نصيحتكم البالغة التي أسأل الله تعالى أن ينفعني بها .

ولا ريب أن الطريقة التي سلكتموها في النصيحة هي الطريقة المثلى للتناصح بين الإخوان ، فإن الإنسان محلّ الخطأ والنسيان ، والمؤمن مرآة أخيه ، ولا يؤمن أحد حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه .

ولقد بلغت نصيحتكم مني مبلغًا كبيرًا بما تضمنته من العبارات الواعظة والدعوات الصادقة ، أسأل الله أن يتقبلها ، وأن يكتب لكم مثلها .

وما أشرتم إليه - حفظكم الله - من تكرّر جوابي على إباحة الصورة المأخوذة بالآلة : فإني أفيد أخي أنني لم أبح اتخاذ الصورة - والمراد صورة ما فيه روح من إنسان أو غيره - إلا ما دعت الضرورة أو الحاجة إليه ، كالتابعية ، والرخصة ، وإثبات الحقائق ونحوها .

وأما اتخاذ الصورة للتعظيم ، أو للذكرى ، أو للتمتع بالنظر إليها ، أو التلذذ بها فإني لا أبيح ذلك ، سواء كان تمثالًا أو رَقْمًا ، وسواء كان مرقومًا باليد أو بالآلة ، لعموم قول النبي ﷺ : « لا تَدْخُلُ الملائِكَةُ بَيْتًا فِيهِ صُورَة » . وما زلت أفتي بذلك وآمر من عنده صور للذكرى بإتلافها ، وأشدد كثيرًا إذا كانت الصورة صورة ميت .

وأما تصوير ذوات الأرواح من إنسان أو غيره فلا ريب في تحريمه ، وأنه من كبائر الذنوب ، لثبوت لعن فاعله على لسان رسول الله ﷺ وهذا ظاهر فيما إذا كان تمثالًا - أي مجسما - أو كان باليد ، أما إذا كان بالآلة الفورية التي تلتقط الصورة ولا يكون فيها أي عمل من الملتقط من تخطيط الوجه وتفصيل الجسم ونحوه ، فإن التقطت الصورة لأجل الذكرى ونحوها من الأغراض التي لا تبيح اتخاذ الصورة فإن التقاطها بالآلة محرم تحريم الوسائل ، وإن التقطت الصورة للضرورة أو الحاجة فلا بأس بذلك .

هذا خلاصة رأيي في هذه المسألة ، فإن كان صوابًا فمن الله وهو المانّ به ، وإن كان خطأ فمن قصوري أو تقصيري ، وأسأل الله أن يعفو عني منه ، وأن يهديني إلى الصواب . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

حفظ المنطق

٣٩٩ سئل شيخ عن عبارة « لم تسمح لي الظروف » ؟ أو « لم يسمح لي الوقت » ؟

فأجاب قائلا : إن كان المقصود أنه لم يحصل وقت يتمكن فيه من المقصود فلا بأس به ، وإن كان القصد أن للوقت تأثيرا فلا يجوز .

٤٠٠ ما حُكْم القسَم بقول : « وحيَاة الله » ؟ وقول المرأة لزوجها : « حَرامٌ على رَبِّنا أنْ تفعلَ كذا » ؟ وقولهم : « حَدُّ اللهِ بيني وبينك » ؟

أما صيغة القسم بقول الإنسان : وحياة الله . فهذه لا بأس بها لأن القَسَم يكون بالله سبحانه وتعالى وبأي اسم من أسمائه . ويكون كذلك بصفاته كالحياة والعلم والعزة والقدرة وما أشبه ذلك . فيجوز أن يقول الحالف : وحياة الله ، وعِلْم الله ، وعِزّة الله ، وقُدْرة الله ، وما أشبه

هذا مما يكون من صفات الله سبحانه وتعالى . كما يجوز القسم بالقرآن الكريم ، لأنه كلام الله . وبالمصحف ، لأنه مشتمل على كلام الله سبحانه وتعالى .

أما قول تلك المرأة « حرام علي ربنا » فإذا كانت تقصد أن الله حرام عليها فهذا لا معنى له ، ولا يجوز مثل هذا الكلام . فما هذا التحريم هل معناه عبادة الله حرام عليها لا أدري ما معنى هذا الكلام .

أما إذا كانت تريد حرام عليَّ هذا الشيء ، وحرام عليَّ أن لا تفعل أنت هذا الشيء ، وتقصد بربنا أي « يا ربنا » فهذه صيغة لتحريم الشيء ، والشيء إذا حُرِّم وقَصَدَ به الإنسان الامتناع عنه صار بمنزلة اليمين كما قال الله عز وجل : ﴿ **يا أَيُّها النبيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ما أَحلَّ اللهُ لك تَبْتَغِي مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ واللهُ غفورٌ رَّحِيمٌ قَدْ فَرَضَ اللهُ لكم تَحِلَّةَ أَيْمَانِكم** ﴾[1] . فجعل الله هذا التحريم يمينا وقال : ﴿ **قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم** ﴾[2] . فالإنسان إذا قال : هذا حرام عليّ ، أو حرام عليّ إن لم أفعل كذا ، وقَصْده بذلك الامتناع عن هذا الشيء ، فحكمه حكم اليمين . بمعنى أن نقول كأنك قلتَ : « والله لا أفعل الشيء ، أو والله لا ألبس هذا الثوب ، أو والله لا آكل هذا الطعام . فإذا حنث كَفَّر كفّارة يمين .

وأما بالنسبة للصيغة الثالثة « حَدُّ الله بيني وبينك » فهذه كأنه من باب الاستعاذة بالله عز وجل ، والاستعاذة بالله أمر النبي ﷺ أن يُجاب

(١) التحريم ١ – ٢

(٢) التحريم ٢ .

الإنسان عليها بمعنى أنه إذا استعاد الرجل بالله عز وجل وجب علينا أن نعيذه ؛ إلا إذا كان ظالما في هذه الاستعاذة فإن الله سبحانه وتعالى لا يجيره إذا كان ظالما . مثل لو أردنا أن نأخذ الزكاة من شخص لا يؤديها فقال أعوذ بالله منكم فإننا لا نعيذه لأن إعاذته مقتضاها إقراره على معصية الله عز وجل ، والله سبحانه وتعالى لا يرضى ذلك فإذا كان الله لا يرضاه فنحن لا نوافقه عليه . فالمهم أن من استعاذ بالله سبحانه وتعالى فإننا مأمورون بإعاذته وتجنبه ما لم يستعذ بالله من أمر واجب عليه يَخاف أن نُلزمه به فإننا لا نعيده في هذه الحال . والله المستعان .

٤٠١ ـ ما حُكْم ما دَرَجَ على ألسنة بعض الناس من قولهم « حرام عليك أن تفعل كذا وكذا » ؟

هذا الذي وصفوه بالتحريم إما أن يكون مما حرّمه الله كما لو قالوا حرام أن يعتدي الرجل على أخيه وما أشبه ذلك فإن وصف هذا الشيء بالحرام صحيح مطابق لما جاء به الشرع .

وأما إذا كان الشيء غير محرم فإنه لا يجوز أن يوصف بالتحريم ولو لفظا ، لأن ذلك قد يُوهِمُ تحريمَ ما أحلَّ الله عز وجل أو يوهم الحَجْر على الله عز وجل في قضائه وقدره ، بحيث يقصدون بالتحريم التحريم القَدَري ، لأن التحريم يكون قدرياً ، ويكون شرعياً . فما يتعلق

بفعل الله عز وجل فإنه يكون تحريماً قدرياً ، وما يتعلق بشرعه فإنه يكون تحريماً شرعيًا ؛ وعلى هذا فينهى هؤلاء عن إطلاق مثل هذه الكلمة ولو كانوا لا يريدون بها التحريم الشرعي ، لأن التحريم القدري ليس إليهم أيضا بل هو إلى الله عز وجل هو الذي يفعل ما يشاء فيُحدثُ ما شاء أنْ يُحْدِثَه ، ويمنع ما شاء أن يمنعه . فالمهم أن الذي أَرَى أنهم يتنزهون عن هذه الكلمة وأن يبتعدوا عنها وإن كان قصدهم في ذلك شيئا صحيحاً . والله الموفق .

٤٠٢ ـ سئل الشيخ : عن عبارة « لكم تحياتنا » وعبارة « أهدي لكم تحياتي » ؟

عبارة لكم تحياتنا وأهدي لكم تحياتي ونحوهما من العبارات لا بأس بها قال الله تعالى : ﴿ **وإذا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فحَيُّوا بأَحْسَنَ مِنها أو رُدُّوها** ﴾[١] . فالتحية من شخص لآخر جائزة . وأما التحيات المطلقة العامة فهي لله ؛ كما أن الحمد لله والشكر لله ومع هذا فيصح أن نقول : حمدتُ فلانا على كذا ، وشكرتُه على كذا ، قال الله تعالى : ﴿ **أنِ اشكُرْ لي ولوَالِدَيْك** ﴾[٢] .

---

(١) النساء ٨٦

(٢) لقمان ١٤ .

٤٠٣ ــــــ ما رأي فضيلتكم في هذه الألفاظ : « جلالة » و« صاحب الجلالة » ، و« صاحب السُّمُو » ؟ وأرجو وآمُل ؟

فأجاب بقوله : لا بأس بها إذا كانت المقولة فيه أهْلا لذلك و لم يُخش منه الترفع والإعجاب بالنفس ، وكذلك أرجو وآمل .

٤٠٤ ــــــ هل قول الإنسان « يا رحمةَ الله » يدخل في دعاء الصفة الممنوع ؟

إذا كان مراد الداعي بقوله « يا رحمة الله » الاستغاثة برحمة الله تعالى يعني أنه لا يدعو نفس الرحمة ولكنه يدعو الله سبحانه وتعالى أن يعمّه برحمته كان هذا جائزا . وهذا هو الظاهر من مراده . فلو سألت القائل هل أنت تريد أن تدعو الرحمة نفسها أو تريد أن تدعو الله عز وجل ليجلب لك الرحمة ؟ لقال هذا هو مرادي . أما إن كان مراده دعاء الرحمة نفسها فقد سبق جوابه ضمن جواب السؤال السابق .

٤٠٥ إذا كتب الإنسان رسالة وقال فيها « إلى والدي العزيز » أو « إلى أخي الكريم » فهل في هذا شيء ؟ أثابكم الله ونفع بكم .

هذا ليس فيه شيء بل هو من الجائز قال الله تعالى : ﴿ **لَقَدْ جَاءكُم رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُم عَزِيزٌ عَلَيه ما عَنِتُّم حَرِيصٌ عليكم بالمؤمنين رءوفٌ رَّحِيم** ﴾[1] . وقال تعالى : ﴿ **ولها عَرْشٌ عَظِيمٌ** ﴾[2] . وقال النبيُّ ﷺ : « إنَّ الكَرِيمَ ابن الكَرِيم ابن الكَرِيم يُوسُفُ » فهذا دليل على أن مثل هذه الأوصاف تصح لله تعالى ولغيره ، ولكن اتصاف الله بها لا يماثله شيء من اتصاف المخلوق بها ، فإن صفات الخالق تليق به وصفات المخلوق تليق به .

وقول القائل لأبيه أو أمه أو صديقه : العزيز يعني أنك عزيز عليَّ غالي عندي وما أشبه ذلك ولا يقصد بها أبدا الصفة التي تكون لله وهي العزة التي لا يقهره بها أحدا ، وإنما يريد أنك عزيز علي وغالي عندي وما أشبه ذلك .

---

(١) التوبة ١٢٨ (٢) النمل ٢٣ .

٤٠٦ ــ سئل الشيخ وَفَّقه الله تعالى : ما قولكم نفع الله بكم وزادكم من فضله في هذه العبارة « لولا الله وفلان » ؟

فأجاب قائلا : قَرْنُ غيرِ اللهِ باللهِ في الأمور القدرية بما يفيد الاشتراك وعدم الفرق أمر لا يجوز ، ففي المشيئة مثلا لا يجوز أن تقول : ما شاء الله وشئتُ ، لأن هذا قرن لمشيئة الله بمشيئة المخلوق بحرف يقتضي التسوية وهو نوع من الشرك ، لكن لابد أن تأتي بـ« ثُمَّ » فتقول ما شاء الله ثم شئت ، كذلك أيضا إضافة الشيء إلى سببه مقرون بالله بحرف يقتضي التسوية ممنوع فلا تقول « لولا الله وفلان أنقذني لغَرِقْتُ » فهذا حرام ولا يجوز ، لأنك جعلت السبب المخلوق مساويا لخالق السبب وهذا نوع من الشرك ، ولكن يجوز أن تضيف الشيء إلى سببه بدون قَرْن مع الله فتقول « لولا فلانٍ لغَرِقْتُ » إذا كان السبب صحيحا وواقعا ، ولهذا قال الرسول عليه الصلاة والسلام في أبي طالب حين أُخبر أنّ عليه نعلين يغلي منهما دماغه قال : « ولولا أنا لكان في الدَّرْكِ الأَسْفلِ مِن النار » . فلم يقل لولا الله ثم أنا مع أنه ما كان في هذه الحال من العذاب إلا بمشيئة الله ، فإضافة الشيء إلى سببه المعلوم شرعا أو حسا جائز وإن لم يذكر معه الله جل وعلا ، وإضافته إلى الله وإلى سببه المعلوم شرعا أو حسا جائز بشرط أن يكون بحرف لا يقتضي التسوية كـ« ثم »

وإضافته إلى الله وإلى سببه المعلوم شرعا أو حسا بحرف يقتضي التسوية كـ« الواو » حرام ونوع من الشرك ، وإضافة الشيء إلى سبب موهوم غير معلوم حرام ولا يجوز وهو نوع من الشرك مثل العُقد والتمائم وما أشبهها فإضافة الشيء إليها خطأ مَحْض ونوع من الشرك ، لأن إثبات سبب من الأسباب لم يجعله الله سببا نوع من الإشراك به ؛ فكأنك أنت جعلت هذا الشيء سببا والله تعالى لم يجعله ، فلذلك صار نوعا من الشرك بهذا الاعتبار .

٤٠٧ ـــــــ هل يجوز إطلاق « شهيد » على شخص بعينه فيقال الشهيد فلان ؟

لا يجوز لنا أن نشهد لشخص بعينه أنه شهيد ، حتى لو قُتل مظلوماً أو قُتل وهو يدافع عن الحقّ ، فإنه لا يجوز أن نقول فلان شهيد . وهذا خلافا لما عليه الناس اليوم حيث رخّصوا هذه الشهادة وجعلوا كل مَن قُتل حتى ولو كان مقتولا في عصبية جاهلية يسمونه شهيدا . وهذا حرام لأن قولك عن شخص قتل هو شهيد يعتبر شهادة سوف تُسأل عنها يوم القيامة سوف يقال لك هل عندك علم أنه قتل شهيدا ؟ ولهذا لما قال النبي ﷺ : « ما مِنْ مَكْلُومٍ يُكلم في سَبِيل اللهِ واللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ في سَبِيله إلا جاءَ يَوْمَ القيامةِ وكَلْمُه يَثْعُبُ دَماً ، اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ والرِّيحُ رِيحِ المِسْكِ » فتأمل قولَ النبي ﷺ : « واللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكْلَمُ في سبيله » - يُكْلَمُ يعني يُجْرَحُ - فإن بعض الناس قد يكون ظاهرة أنه يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا ولكن الله يعلم ما في قلبه وأنه

خلاف ما يظهر من فعله ، ولهذا بَوَّبَ البخاري رحمه الله على هذه المسألة في صحيحه فقال (بابٌ لا يُقالُ فلانٌ شهيدٌ) لأن مدار الشهادة على القلب ، ولا يعلم ما في القلب إلا اللهُ عز وجل . فأمر النية أمر عظيم ، وكم من رجلين يقومان بأمر واحد يكون بينهما كما بين السماء والأرض ، وذلك من أجل النية فقد قال النبي ﷺ : « إنّما الأعمالُ بالنياتِ ، وإنما لكُلِّ امْرِىءٍ ما نَوَى ، فمَنْ كانت هِجرُتُه إلى اللهِ ورسولِه فهجرتهُ إلى اللهِ ورسولِه ، ومَنْ كانتْ هجرتهُ إلى دُنيا يُصِيبُها أو امرأةٍ يَنْكِحُها فهِجْرَتُه إلى ما هَاجَرَ إليه » . والله أعلم .

٤٠٨ ـــــ ما رَأْيُ فضيلتكم في التسمي بإيمان ؟

اسم إيمان يحمل نوعا من التزكية ولهذا لا ينبغي التسمية به لأن النبي ﷺ غيّر اسم بَرّة لكونه دالاً على التزكية ، والمخاطب في ذلك هم الأولياء الذين يسمون أولادهم مثل هذه الأسماء التي تحمل التزكية لمن تسمّى بها ، أما ما كان علماً مجرداً لايفهم منه التزكية فهذا لا بأس به ولهذا نسمي بصالح وعلي وما أشبههما من الأعلام المجردة التي لا تحمل معنى التزكية .

٤٠٩ – نسمع كثيرا ونقرأ هذه العبارة « السيدة عائشة رضي الله عنها » فهل هذه العبارة سليمة ؟ والله يحفظكم ويرعاكم .

لا شك أن عائشة رضي الله عنها من سيدات نساء الأمة ، ولكن إطلاق « السيدة » على المرأة و« السيدات » على النساء هذه الكلمة متلقاه – فيما أظن من الغرب – حيث يسمون كل امرأة سيدة وإن كانت من أوضع النساء ، لأنهم يُسَوِّدُون النساء : أي يجعلونهن سيدات مطلقا ، والحقيقة أن المرأة امرأة وأن الرجل رجل ، وتسمية المرأة بالسيدة على الاطلاق ليس بصحيح . نعم من كانت منهن سيدة لشرفها أو دينها أو جاهها أو غير ذلك من الأمور المقصودة فلنا أن نسميها سيدة ولكن ليس مقتضى ذلك أننا نسمي كل امرأة سيدة .

كما أن التعبير بالسيدة عائشة والسيدة خديجة والسيدة فاطمة وما أشبه ذلك لم يكن معروفا عند السلف ؛ بل كانوا يقولون : أم المؤمنين عائشة ، أم المؤمنين خديجة . فاطمة بنت رسول الله ﷺ ونحو ذلك .

٤١٠ ـ فضيلة الشيخ : ما رأيكم دام فضلكم في ثناء الإنسان على نفسه وجزاكم الله عنا وعن المسلمين خير الجزاء ؟ .

الثناء على النفس إن أراد به الإنسان التحدث بنعمة الله عز وجل أو أن يتأسى به غيره من أقرانه ونظرائه فهذا لا بأس به ، وإن أراد به الإنسان تزكية نفسه وإدلاله بعمله على ربه عز وجل فإن هذا فيه شيء من المِنَّة فلا يجوز ، وقد قال الله تعالى : ﴿ **يَمُنُّونَ عليك أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عليَّ إسلامَكم بَلِ اللهُ يَمُنُّ عليكم أَنْ هداكم للإيمان إن كُنتمْ صادقين** ﴾[1] .

وإن أراد به مجرد الخبر فلا بأس به ، لكن الأَوْلى تَرْكُه . فالأحوال إذن في مثل هذا الكلام الذي فيه ثناء المرء على نفسه أربع :

الحال الأولى : أن يريد بذلك التحدث بنعمة الله عليه فيما حباه به من الإيمان والثبات .

الحال الثانية : أن يريد بذلك تنشيط أمثاله ونظرائه على مثل ما كان عليه .

فهاتان الحالان محمودتان لما يشتملان عليه من هذه النية الطيبة .

الحال الثالثة : أن يريد بذلك الفخر والتباهي والإدلال على الله عز وجل بما هو عليه من الإيمان والثبات ، وهذا غير جائز لما ذكرنا

(١) الحجرات ١٧

الحال الرابعة : أن يريد بذلك مجرد الخبر عن نفسه بما هو عليه من الإيمان والثبات فهذا جائز ولكن الأولى تركه .

٤١١ ــــــــــ **سئل الشيخ : كيف نجمع بين قول الصحابة « الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ » بالعطف بالواو وإقرارهم على ذلك وإنكاره ﷺ على من قال « مَا شَاءَ الله وَشِئْتَ » ؟**

فأجاب بقوله : قولهم « الله وَرَسُولهُ أَعْلَمُ » جائز . وذلك لأن علم الرسول من علم الله فالله تعالى هو الذي يعلمه مالا يدركه البشر ولهذا أتى بالواو .

وكذلك في المسائل الشرعية يقال : « الله ورسوله أعلم » لأنه ﷺ أعلم الخلق بشريعة الله وعلمه بها من علم الله الذي علمه كما قال الله تعالى : ﴿ **وَأَنْزَلَ الله عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمْ** ﴾[1] وليس هذا كقوله « مَا شَاءَ الله وَشِئْتَ » لأن هذا في باب القدرة والمشيئة ، ولا يمكن أن يجعل الرسول ﷺ مشاركًا لله فيها .

في الأمور الشرعية يقال « الله ورسوله أعلم » وفي الأمور الكونية لا يقال ذلك .

---

(١) النساء . ١١٣

ومن هنا نعرف خطأ وجهل من يكتب الآن على بعض الأعمال ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ﴾[1] لأن رسول الله ﷺ لا يرى العمل بعد موته .

٤١٢ سئل الشيخ عن الجمع بين قول النبي ﷺ « السَّيِّدُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى » وقوله ﷺ « أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ » وقوله « قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ » وقوله في الرقيق « وَلْيَقُلْ سَيِّدِي » ؟

فأجاب بقوله : اختلف في ذلك على أقوال :

القول الأول : أن النهي على سبيل الأدب ، والإباحة على سبيل الجواز فالنهي ليس للتحريم حتى يعارض الجواز .

القول الثاني : أن النهي حيث يخشى منه المفسدة وهي التدرج إلى الغلو ، والإباحة إذا لم يكن هناك محذور .

القول الثالث : أن النهي بالخطاب أي أن تخاطب الغير بقولك « سيدي أو سيدنا » لأنه ربما يكون في نفسه عُجْبٌ وغُلُوّ إذا دُعِيَ بذلك ولأن فيه شيئًا آخر وهو خضوع هذا المتسيد له وإذلال نفسه له بخلاف إذا جاء على غير هذا الوجه مثل « قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ » و « وأَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ » .

(١) التوبة : ١٠٥ .

لكن هذا يرد عليه إباحته ﷺ للرقيق أن يقول لمالكه « سَيِّدِي » ؟

لكن يجاب عن هذا بأن قول الرقيق لمالكه « سيدي » أمر معلوم لا غضاضة فيه ولهذا يحرم عليه أن يمتنع مما يجب عليه نحو سيده والذي يظهر لي – والله أعلم – أن هذا جائز لكن بشرط أن يكون الموجه إليه السيادة أهلًا لذلك ، وأن لا يخشى محذور من إعجاب المخاطب وخنوع المتكلم ، أما إذا لم يكن أهلًا كما لو كان فاسقًا أو زنديقًا فلا يقال له ذلك حتى ولو فرض أنه أعلى منه مرتبة أو جاهًا ، وقد جاء في الحديث « لاَ تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ سَيِّدٌ فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمْ ذَلِكَ أَغْضَبْتُمْ الله » وكذلك لا يقال إذا خُشِيَ محذور من إعجاب المخاطب أو خنوع المتكلم .

٤١٣ ــــــــــــ **سئل الشيخ : هل يجوز أن يقول الإنسان للمفتي ما حكم الإسلام في كذا وكذا ؟ أو ما رأي الإسلام ؟**

فأجاب بقوله : لا ينبغي أن يقال ما حكم الإسلام في كذا ، أو ما رأي الإسلام في كذا فإنه قد يخطيء فلا يكون ما قاله حكم الإسلام ، لكن لو كان الحكم نصًا صريحًا فلا بأس مثل أن يقول : ما حكم الإسلام في أكل الميتة ؟ فنقول : حكم الإسلام في أكل الميتة أنها حرام .

٤١٤ سئل الشيخ عن مصطلح : « فكر إسلامي » و « مفكر إسلامي » ؟

فأجاب قائلًا : كلمة « فكر إسلامي » من الألفاظ التي يُحَذّر عنها إذ مقتضاها أننا جعلنا الإسلام عبارة عن أفكار قابلة للأخذ والرد ، وهذا خطر عظيم أدخله علينا أعداء الإسلام من حيث لا نشعر .

أما « مفكر إسلامي » فلا أعلم فيه بأسا لأنه وصف للرجل المسلم والرجل المسلم يكون مفكرًا .

٤١٥ سئل الشيخ : عن لقب « شيخ الإسلام » هل يجوز ؟

فأجاب بقوله : لقب شيخ الإسلام عند الإطلاق لا يجوز ، أي أن الشيخ المطلق الذي يرجع إليه الإسلام لا يجوز أن يوصف به شخص ، لأنه لا يعصم أحد من الخطأ فيما يقول في الإسلام إلا الرسل .

أما إذا قصد بشيخ الإسلام أنه شيخ كبير له قدم صدق في الإسلام فإنه لا بأس بوصف الشيخ به وتلقيبه به .

٤١٦ وسئل : عن التسمي بالإمام ؟

فأجاب قائلًا : التسمي بالإمام أهون بكثير من التسمي بشيخ الإسلام لأن النبي ﷺ سمى إمام المسجد إمامًا ولو لم يكن معه إلا واحد ، ولكن ينبغي أن لا يتسامح في إطلاق كلمة « إمام » إلا على من كان قدوة وله

أتباع كالإمام أحمد وغيره ممن له أثر في الإسلام ، ووصف الإنسان بما لا يستحقه هضم للأمة ، لأن الإنسان إذا تصور أن هذا إمام وهذا إمام ممن لم يبلغ منزلة الإمامة هان الإمام الحق في عينه .

٤١٧ سئل الشيخ : عن قول العامة تباركت علينا ؟ زارتنا البركة ؟

فأجاب قائلًا : قوله العامة تباركت علينا لا يريدون بهذا ما يريدونه بالنسبة إلى الله عز وجل ، وإنما يريدون أصابنا بركة من مجيئك ، والبركة يصح إضافتها إلى الإنسان ، قال أُسَيْدُ بن حُضَيْرٍ لما نزلت آية التيمم بسبب عقد عائشة الذي ضاع منها قال : « مَا هَذِهِ بَأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ » .

وطلب البركة لا يخلو من أمرين :

الأمر الأول : أن يكون طلب البركة بأمر شرعي معلوم مثل القرآن الكريم قال الله تعالى : ﴿ **وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ** ﴾[1] فمن بركته أن من أخذ به وجاهد به حصل له الفتح ، فأنقذ الله به أممًا كثيرة من الشرك ، ومن بركته أن الحرف الواحد بعشر حسنات وهذه يوفر للإنسان الجهد والوقت .

الأمر الثاني : أن يكون طلب البركة بأمر حسي معلوم ، مثل العلم فهذا الرجل يتبرك به بعلمه ودعوته إلى الخير ، قال أُسَيْدُ بن حُضَير « مَا

(١) الأنعام : ٩٢ .

هَذِهِ بأَوَّلِ بَرَكَتِكُمْ يَا آلَ أَبِي بَكْرٍ » فإن الله قد يجري على أيدي بعض الناس من أمور الخير مالا يجريه على يد الآخر .

وهناك بركات موهومة باطلة مثل ما يزعمه الدجالون أن فلانا الميت الذي يزعمون أنه ولي أنزل عليكم من بركته وما أشبه ذلك ، فهذه بركة باطلة لا أثر لها ، وقد يكون للشيطان أثر في هذا الأمر لكنها لا تعدو أن تكون آثارًا حسية بحيث أن الشيطان يخدم هذا الشيخ فيكون في ذلك فتنة .

أما كيفية معرفة هل هذه من البركات الباطلة أو الصحيحة ؟ فيعرف ذلك بحال الشخص ، فإن كان من أولياء الله المتقين المتبعين للسنة المبتعدين عن البدعة فإن الله قد يجعل على يديه من الخير والبركة ما لا يحصل لغيره ، أما إن كان مخالفًا للكتاب والسنة ، أو يدعو إلى باطل فإن بركته موهومة وقد تضعها الشياطين له مساعدة على باطله .

٤١٨ ـ سئل الشيخ عن هذه العبارة « مَا صَدَقْت عَلَى الله أَنْ يَكُون كَذَا وَكَذَا » ؟

فأجاب قائلًا : يقول الناس ما صدقت على الله أن يكون كذا وكذا ، ويعنون ما توقعت وما ظننت أن يكون هكذا ، وليس المعنى ما صدقت أن الله يفعل لعجزه عنه مثلًا ، فالمعنى أنه ما كان يقع في ذهني هذا الأمر ، هذا هو المراد بهذا التعبير ، فالمعنى إذن صحيح لكن اللفظ فيه

إيهام ، وعلى هذا يكون تجنب هذا اللفظ أحسن لأنه موهم ، ولكن التحريم صعب أن نقول حرام مع وضوح المعنى وأنه لا يقصد به إلا ذلك .

٤١٩ ——— وسئل عن قول « لَكَ الله » ؟

فأجاب بقوله : لفظ « لك الله » الظاهر أنه من جنس « لله دَرُّكَ » وإذا كان من جنس هذا فإن هذا اللفظ جائز ، ومستعمل عند أهل العلم وغيرهم والأصل في هذا وشبهه الحل إلا ما قام الدليل على تحريمه ، والواجب التحرز عن التحريم فيما الأصل فيه الحل .

٤٢٠ ——— سئل الشيخ غفر الله له : ما حكم قول « لاَ قَدَّرَ الله » ؟

فأجاب بقوله : لاَ قَدَّرَ الله معناه الدعاء بأن الله لا يقدر ذلك ، والدعاء بأن الله لا يقدر هذا جائز وقول لا قدر الله ليس معناه نفي أن يقدر الله ذلك ، إذ أن الحكم لله يقدر ما يشاء ، لكنه نفي بمعنى الطلب فهو خبر بمعنى الطلب بلاشك ، فكأنه حين يقول « لا قدر الله » أي أسأل الله أن لا يقدره ، واستعمال النفي بمعنى الطلب شائع كثير في اللغة العربية وعلى هذا فلا بأس بهذه العبارة .

٤٢١ ـ سئل الشيخ عن حكم قول فلان المغفور له ، فلان المرحوم ؟

فأجاب بقوله : بعض الناس ينكر قول القائل « فلان المغفور له ، فلان المرحوم » ويقولون : إننا لا نعلم هل هذا الميت من المرحومين المغفور لهم أو ليس منهم ؟ وهذا الإنكار في محله إذا كان الإنسان يخبر خبرًا أن هذا الميت قد رحم أو غفر له ، لأنه لا يجوز أن نخبر أن هذا الميت قد رحم ، أو غفر له بدون علم قال الله تعالى ﴿ **وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْم** ﴾[1] لكن الناس لا يريدون بذلك الإخبار قطعًا ، فالإنسان الذي يقول المرحوم الوالد ، المرحومة الوالدة ونحو ذلك لا يريدون بهذا الجزم أو الإخبار بأنهم مرحومون ، وإنما يريدون بذلك الدعاء أن الله تعالى قد رحمهم والرجاء ، وفرق بين الدعاء والخبر ، ولهذا نحن نقول فلان رحمه الله ، فلان غفر الله له ، فلان عفا الله عنه ، ولا فرق من حيث اللغة العربية بين قولنا « فلان المرحوم » و « فلان رحمه الله » لأن جملة « رحمة الله » جملة خبرية ، والمرحوم بمعنى الذي رُحِمَ فهي أيضًا خبرية ، فلا فرق بينهما أي بين مدلوليهما في اللغة العربية فمن منع فلان المرحوم يجب أن يمنع فلان رحمه الله .

على كل حال نقول لا إنكار في هذه الجملة أي في قولنا « فلان المرحوم ، فلان المغفور له » وما أشبه ذلك لأننا لسنا نُخْبِرُ بذلك خبرًا ونقول إن الله قد رحمه ، وإن الله قد غفر له ، ولكننا نسأل الله ونرجوه

(١) الإسراء : ٣٦ .

فهو من باب الرجاء والدعاء وليس من باب الأخبار ، وفرق بين هذا وهذا .

٤٢٢ ـــــ سئل الشيخ : ما رأيكم في هذه العبارة « لاَ سَمَحَ الله » ؟

فأجاب قائلا : أكره أن يقول القائل « لاَ سَمَحَ الله » لأن قوله « لا سمح الله » ربما توهم أن أحدًا يجبر الله على شيء فيقول « لا سمح الله » والله عز وجل كما قال الرسول ﷺ « لاَ مُكْرِهَ لَهُ » قال الرسول ﷺ « لاَ يَقُولُ أَحَدُكُمْ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إن شِئْتَ ، اللَّهُمَ ارْحَمْنِي إن شِئْتَ وَلَكِنْ لِيَعْزِمَ الْمَسْأَلَةَ وَلْيَعْظِم الرَّغْبَةَ فَإِنَّ الله لاَ مُكْرِهَ لَهُ ، وَلاَ يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ » والأَوْلَى أن يقول : لا قَدَّرَ الله بدلًا من قوله : « لاَ سَمَحَ الله » لأنه أَبْعَدُ عن توهم مالا يجوز في حق الله تعالى .

٤٢٣ ـــــ وسئل غفر الله له : عن قول بعض الناس « يَعْلَمُ الله كَذَا وَكَذَا » ؟

فأجاب بقوله : قول « يعلم الله » هذه مسألة خطيرة ، حتى رأيت في كتب الحنفية أن من قال عن شيء يعلم الله والأمر بخلافه صار كافرًا خارجًا عن الملة ، فإذا قلت يعلم الله أني ما فعلت هذا وأنت فاعله فمقتضى ذلك أن الله يجهل الأمر ، « يعلم الله أني ما زرت فلانًا » وأنت زائره صار لا يعلم بما يقع ومعلوم أن من نفي عن الله العلم فقد كفر ،

ولهذا قال الشافعي رحمه الله في القدرية قال : « جَادِلُوهُمْ بِالْعِلمِ فَإِنْ أَنكَرُوهُ كَفَرُوا ، وَإِنْ أَقَرُّوا به خُصِمُوا » ا . هـ . والحاصل أن قول القائل « يعلم الله » إذا قالها والأمر على خلاف ما قال فإن ذلك خطير جدًا وهو حرام بلا شك .

أما إذا كان مصيبًا ، والأمر على وفق ما قال فلا بأس بذلك ، لأنه صادق في قوله ولأن الله بكل شيء عليم كما قالت الرسل في سورة يس ﴿ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرسَلُونَ ﴾[1] .

٤٢٤ سئل الشيخ : ما رأيكم في قول بعض الناس « يَا هادِي يَا دَلِيلُ » ؟

فأجاب بقوله : « يَا هَادِي يَا دَلِيلُ » لا أعلمها من أسماء الله ، فإن قصد به الإنسان الصفة فلا بأس كما يقول اللهم يا مجري السحاب يا منزل الكتاب وما أشبه ذلك ، فإن الله يهدي من يشاء و« الدليل » هنا بمعنى الهادي .

٤٢٥ سئل الشيخ : ما حكم قولهم « دُفِنَ فِي مَثْوَاهُ الأَخِيرِ » ؟

فأجاب قائلًا : قول القائل « دفن في مثواه الأخير » حرام ولا يجوز لأنك إذا قلت في مثواه الأخير فمقتضاه أن القبر آخر شيء له ، وهذا

(١) يس : ١٦ .

يتضمن إنكار البعث ، ومن المعلوم لعامة المسلمين أن القبر ليس آخر شيء ، إلا عند الذين لا يؤمنون باليوم الآخر فالقبر آخر شيء عندهم ، أما المسلم فليس آخر شيء عنده القبر وقد سمع أعرابي رجلًا يقرأ قوله تعالى : ﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ . حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾[1] فقال : والله ما الزائر بمقيم لأن الذي يزور يمشي فلابد من بعث وهذا صحيح .

لهذا يجب تجنب هذه العبارة فلا يقال عن القبر إنه المثوى الأخير ، لأن المثوى الأخير إما الجنة وإما النار في يوم القيامة .

٤٢٦ ـــــــ سئل الشيخ : عن قول الإنسان إذا خاطب مَلِكًا « يَا مَوْلاَي » ؟

فأجاب بقوله : الولاية تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول : ولاية مطلقة وهذه لله عز وجل كالسيادة المطلقة ، وولاية الله بالمعنى العام شاملة لكل أحد قال الله تعالى : ﴿ وَرُدُّوا إِلَى اللهِ مَوْلاَهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾[2] فجعل له سبحانه الولاية على هؤلاء المفترين ، وهذه ولاية عامة ، أما بالمعنى الخاص فهي خاصة بالمؤمنين المتقين قال الله تعالى : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لاَ مَوْلَى لَهُمْ ﴾[3] وقال الله تعالى : ﴿ أَلاَ

(١) التكاثر : ١ ، ٢ .

(٢) يونس : ٣٠ .

(٣) محمد : ١١ .

إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾[1] وهذه ولاية خاصة .

القسم الثاني : ولاية مقيدة مضافة ، فهذه تكون لغير الله ، ولها في اللغة معان كثيرة منها الناصر ، والمتولى للأمور ، والسيد ، وقال الله تعالى : ﴿ وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاَهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[2] وقال ﷺ « مَنْ كُنتُ مَوْلاَهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاَهُ » وقال ﷺ « إِنَّما الْوَلاَءُ لِمَنْ أَعْتَقَ » . وعلى هذا فلا بأس أن يقول القائل للملك : مولاي بمعنى سيدي مالم يخش من ذلك محذور .

٤٢٧ سئل الشيخ : عن حكم لعن الشيطان ؟

فأجاب بقوله : الإنسان لم يُؤمَر بلعن الشيطان ، وإنما أمر بالاستعاذة منه كما قال الله تعالى : ﴿ وإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[3] وقال تعالى في سورة فصلت ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾[4] .

---

(١) يونس : ٦٢ .

(٢) التحريم : ٤ .

(٣) الأعراف : ٢٠٠ .

(٤) فصلت : ٣٦ .

٤٢٨ سئل الشيخ : ما حكم قول « أَطَالَ اللهُ بَقَاءَكَ » « طَالَ عُمُرُكَ » ؟

فأجاب قائلًا : لا ينبغي أن يطلق القول بطول البقاء ؛ لأن طول البقاء قد يكون خيرًا وقد يكون شرًا ، فإن شر الناس من طال عمره وساء عمله ، وعلى هذا فلو قال أطال الله بقاءك على طاعته ونحوه فلا بأس بذلك .

٤٢٩ وسئل عن عبارة « أَدَامَ اللهُ أَيَّامَكَ » ؟

فأجاب : قول « أَدَامَ اللهُ أَيَّامَكَ » من الاعتداء في الدعاء لأن دوام الأيام محال مناف لقوله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرامِ ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشرٍ مِن قَبْلِكَ الخُلْدَ أَفَإِن مِتَّ فَهُمُ الخَالِدُونَ ﴾[2].

٤٣٠ سئل الشيخ : عن عبارة « كُلُّ عَامٍ وَأَنتُم بِخَيْرٍ » ؟

فأجاب بقوله : قول : « كل عام وأنتم بخير » جائز إذا قصد به الدعاء بالخير .

---

(١) الرحمن : ٢٦ –٢٧ .　　(٢) الأنبياء : ٣٤ .

٤٣١ ـــــــ وسئل : عن هذه الكلمة « اللهُ غَيْرُ مَاديّ » ؟

فأجاب : القول بأن الله غير مادي قول منكر ؛ لأن الخوض في مثل هذا بدعة منكرة فالله تعالى ليس كمثله شيء وهو الأول الخالق لكل شيء وهذا شبيه بسؤال المشركين للنبي عليه الصلاة والسلام هل الله من ذهب أو من فضة أو من كذا وكذا ؟ وكل هذا حرام لا يجوز السؤال عنه وجوابه في كتاب الله ﴿ **قُلْ هُوَ اللهُ أَحَد ، اللهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَد** ﴾ فكف عن هذا مالك ولهذا السؤال .

٤٣٢ ـــــــ وسئل الشيخ عن قولهم « المَادَّةُ لاَ تَفْنَى وَلاَ تَزُولُ وَلَمْ تُخْلَقْ مِنْ عَدَمٍ » ؟

فأجاب قائلًا : القول بأن المادة لا تفنى وأنها لم تخلق من عدم كفر لا يمكن أن يقوله مؤمن ، فكل شيء في السماوات والأرض سوى الله فهو مخلوق من عَدَمٍ كما قال الله تعالى : ﴿ **اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ** ﴾[1] وليس هناك شيء أزلي أبدي سِوَى الله .

---

(١) الزمر : ٦٢ .

وأما كونها لا تفنى فإن عَنَى بذلك أن كل شيء لا يفنى لذاته فهذا أيضًا خطأ وليس بصواب ؛ لأن كل شيء موجود فهو قابل للفناء ، وإن أراد به أن من مخلوقات ما لايفنى ، بإرادة الله فهذا حق فالجنة لا تفنى وما فيها من نعيم لا يفنى ، وأهل الجنة لا يفنون ، وأهل النار لا يفنون . لكن هذه الكلمة المطلقة « المَادَّةُ ليس لها أصل في الوجود وليس لها أصل في البقاء » هذه على إطلاقها كلمة إلحادية فنقول المادة مخلوقة من عدم ، فكل شيء سوى الله فالأصل فيه العدم .

أما مسألة الفناء فقد تقدم التفصيل فيها . والله الموفق .

٤٣٣ ——— سئل الشيخ : عن حكم قول الإنسان « أَنَا مُؤْمِن إن شَاءَ اللهُ » ؟

فأجاب بقوله : قول القائل « أنا مؤمن إن شاء الله » يسمى عند العلماء (مسألة الاستثناء في الإيمان) . وفيه تفصيل :

أولًا : إن كان الاستثناء صادرًا عن شك في وجود أصل الإيمان فهذا محرم بل كفر ؛ لأن الإيمان جزم والشك ينافيه .

ثانيًا : إن كان صادرًا عن خوف تزكية النفس والشهادة لها بتحقيق الإيمان قولًا وعملًا واعتقادًا ، فهذا واجب خوفًا من هذا المحذور .

ثالثًا : إن كان المقصود من الاستثناء التبرك بذكر المشيئة أو بيان التعليل وأن ما قام بقلبه من الإيمان بمشيئة الله ، فهذا جائز والتعليق على هذا الوجه – أعني بيان التعليل – لا ينافي تحقيق المعلق فإنه قد ورد

التعليق على هذا الوجه في الأمور المحققة كقوله تعالى ﴿ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لاَ تَخَافُونَ ﴾[1] والدعاء في زيارة القبور « وإنا إن شاء الله بكم لاحقين » وبهذا عرف أنه لا يصح إطلاق الحكم على الاستثناء في الإيمان بل لابد من التفصيل السابق .

٤٣٤ ـــــــ سئل الشيخ : ما حكم قول « يَا عَبْدِي » و« يَا أَمتي » ؟

فأجاب : قول القائل : يا عبدي ، يا أمتي ، ونحوه له صورتان :

الصورة الأولى : أن يقع بصيغة النداء مثل : يا عبدي ، يا أمتي ، فهذا ؛ لا يجوز للنهي عنه في قوله ﷺ « لاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ عَبْدِي وَأَمَتِي » .

الصورة الثانية : أن يكون بصيغة الخبر وهذا على قسمين :

القسم الأول : إن قاله بغيبة العبد ، أو الأمة فلا بأس فيه .

القسم الثاني : إن قاله في حضرة العبد أو الأمة ، فإن ترتب عليه مفسدة تتعلق بالعبد أو السيد منع وإلا فلا ، لأن القائل بذلك لا يقصد العبودية التي هي الذل وإنما يقصد أنه مملوك له وإلى هذا التفصيل الذي ذكرناه أشار في (تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد) في باب لا يقول عبدي وأمتي . وذكره صاحب فتح الباري عن مالك .

---

(١) الفتح : ٢٧ .

٤٣٥ وسئل حفظه الله : ما حكم قول « رَبُّ الْبَـــــيْتِ » ؟ « رَبُّ الْمَنزِلِ » ؟

فأجاب : قولهم رب البيت ونحوه ينقسم أقسامًا أربعة :

القسم الأول : أن تكون الإضافة إلى ضمير المخاطب في معنى لا يليق بالله عز وجل مثل أن يقول أطعم ربك فهذا منهي عنه لوجهين :

الوجه الأول : من جهة الصيغة لأنه يوهم معنى فاسدا بالنسبة لكلمة رب ، لأن الرب من أسمائه سبحانه ، وهو سبحانه يُطِعم ولا يُطَعم ، وإن كان لا شك أن الرب هنا غير الرب الذي يُطِعم ولا يُطَعم .

الوجه الثاني : من جهة أنك تُشَعِرُ العبد أو الأمة بالذل لأنه إذا كان السيد ربا كان العبد مربوبًا والأمة مربوبة .

وأما إذا كان في معنى يليق بالله تعالى مثل أطع ربك كان النهي عنه من أجل الوجه الثاني .

القسم الثاني : أن تكون الإضافة إلى ضمير الغائب مثل ربه ، وربها ، فإن كان في معنىً لا يليق بالله كان من الأدب اجتنابه مثل أطعم العبد ربه أو أطعمت الأمة ربها لئلا يتبادر منه إلى الذهن معنى لا يليق بالله .

وأن كان في معنى يليق بالله مثل أطاع العبد ربهٗ وأطاعت الأمة ربها فلا بأس بذلك لانتفاء المحذور .

ودليل ذلك قوله ﷺ في حديث اللُّقَطَةِ في ضالة الإبل وهو حديث متفق عليه « حَتَّى يَجِدَهَا رَبُّهَا » وقال بعض أهل العلم إن حديث اللقطة في بهيمة لا تتعبد ولا تتذلل كالإنسان ، والصحيح عدم الفارق لأن البهيمة تعبد الله عبادة خاصة بها . قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ من فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ ﴾[1] وقال في العباد ﴿ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ﴾[2] ليس جميعهم ﴿ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ﴾[3] .

القسم الثالث : أن تكون الإضافة إلى ضمير المتكلم فقد يقول قائل بالجواز لقوله تعالى حكاية عن يوسف : ﴿ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ﴾[4] أي سيدي ، وأن المحذور هو الذي يقتضي الإذلال وهذا منتف لأن هذا من العبد لسيده .

القسم الرابع : أن يضاف إلى الاسم الظاهر فيقال : هذا رب الغلام فظاهر الحديث الجواز وهو كذلك مالم يوجد محذور فيمنع كما لوظن السامع أن السيد رب حقيقي خالق لمملوكه .

٤٣٦ سئل الشيخ : ما حكم التَّسَمي بِقَاضِي القُضَاةِ ؟

فأجاب قائلًا : قاضي القضاة بهذا المعنى الشامل العام لا يصلح إلا لله عز وجل فمن تَسَمَّى بذلك فقد جعل نفسه شريكًا لله عز وجل فيما

(١) الحج : ١٨ .
(٢) الحج : ١٨ .
(٣) الحج : ١٨ .
(٤) يونس : ٢٣ .

لا يستحقه إلا الله عز وجل ، وهو القاضي فوق كل قاضي ، والحَكَم وإليه يرجع الحُكْمُ كله وإن قيد بزمان أو مكان فهذا جائز لكن الأفضل أن لا يفعل لأنه قد يؤدي إلى الإعجاب بالنفس والغرور حتى لا يقبل الحق إذا خالف قوله ، وإنما جاز هذا لأن قضاء الله لا يتقيد ، فلا يكون مشاركة لله عز وجل وذلك مثل قاضي قضاة العراق ، أو قاضي قضاة الشام ، أو قاضي قضاة عصره .

وأما أن قيد بفن من الفنون فبمقتضى التقيد يكون جائزًا ، لكن إن قيد بالفقة بان قيل : عالم العلماء في الفقه سواء قلنا بأن الفقه يشمل أصول الدين وفروعه على حد قوله ﷺ « مَنْ يُرِد اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ في الدينَ » أو قلنا بأن الفقه معرفة الأحكام الشرعية العملية كما هو المعروف عند الأصوليين صار فيه عموم واسع مقتضاه أن مرجع الناس كلهم في الشرع إليه فأنا أشك في جوازه والأولى التنزه عنه . وكذلك إن قيد بقبيلة فهو جائز ولكن يجب مع الجواز مراعاة جانب الموصوف حتى لا يغتر ويعجب بنفسه ولهذا قال النبي ﷺ للمادح « قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ » .

٤٣٧ ـــــــــ سئل الشيخ : عن قولهم « هَذَا نَوْءٌ مَحْمُودٌ » ؟

فأجاب بقوله : هذا لا يجوز وهو يشبه قول القائل مطرنا بنوء كذا وكذا الذي قال فيه النبي ﷺ فيما يرويه عن الله عز وجل « مَن قَالَ مُطِرْنَا بنوْءِ كَذَا وكَذَا فَهُوَ كَافِر بِي مُؤْمِن بِالكَوْكَبِ » .

والأنواء ما هي إلا أوقات لا تحمد ولا تذم ، وما يكون فيها من النعم والرخاء فهو من الله تعالى وهو الذي له الحمد أولًا وآخرًا وله الحمد على كل حال .

٤٣٨ ــــــــ وسئل عن قول الإنسان « وَاللهِ وَحَيَاتِك » ؟

فأجاب قائلًا : قوله « وَالله وَحَيَاتِك » فيها نوعان من الشرك :

الأول : الحلف بغير الله .

الثاني : الإشراك مع الله بقوله « والله وحياتك » وضمها إلى الله بالواو المقتضية للتسوية .

والقسم بغير الله إن اعتقد أن المقسم به بمنزلة الله في العظمة فهو شرك أكبر وإلا فهو شرك أصغر .

٤٣٩ ــــــــ سئل الشيخ : عن قول بعض الناس تَكَهَّنَتْ مَصَادِرُ مُطَّلِعَةٍ بِوُقُوعِ كَذَا وكَذَا ؟ أو أَتَكَهَّنُ أَنَّ فلانًا سَيَحْضُرُ ؟

فأجاب بقوله : لا ينبغي هذا اللفظ الدال على عمل محرم على أمر مباح فلا ينبغي أن يقول أتكهن بكذا ونحوه ، ولكن يقول أظن كذا ؛

لأن العَامِيَّ الذي لا يفرق بين الأمور يظن أن الكهانة كلها مباحة بدليل إطلاق هذا اللفظ على شيء مباح معلوم إباحته .

٤٤٠ ـ سئل الشيخ : ما حكم هذه الألقاب « حُجَّةُ اللهِ » « حُجَّةُ الإِسْلاَمِ » « آيةُ الله » ؟

فأجاب بقوله : هذه الألقاب « حجة الله » « حجة الإسلام » ألقاب حادثة لا تنبغي ؛ لأنه لا حجة لله على عباده إلا الرسل . وأما « آية الله » فإن أريد المعنى الأعم فهو يدخل فيه كل شيء : وفي كل شيء له آية .. تدل على أنه واحد .

وأن أريد أنه آية خارقة فهذا لا يكون إلا على أيدي الرسل ؛ لكن يقال عالم ، مفتي ، قاضي ، حاكم ، إمام لمن كان مستحقًا لذلك .

٤٤١ ـ سُئِلَ الشيخُ : يَدعِي بَعْضُ الناس ، أنّ سبب تخلف المسلمين هو تمسُّكُهم بدِينهم . وشُبْهَتُهم في ذلك ، أن الغَرْب لما تخلُّوا عن جميع الديانات وتحرروا منها ، وصلوا إلى ما وصلوا إليه من التقدم الحضاري ، وربما أيَّدُوا

شُبْهَتَهم بما عند الغرب من الأمطار الكثيرة والزروع ، فما رَأْيُ فضيلتكم ؟

فأجاب بقوله : هذا الكلام لا يصدر إلا من ضعيف الإيمان ، أو مفقود الإيمان ؛ جاهل بالتاريخ ، غير عالم بأسباب النصر ، فالأمة الإسلامية لما كانت متمسكة بدينها في صدر الإسلام كان لها العزة والتمكين ، والقوة والسيطرة في جميع نواحي الحياة ، بل إن بعض الناس يقول : إن الغرب لم يستفيدوا ما استفادوه من العلوم إلا ما نقلوه عن المسلمين فى صدر الإسلام ولكن الأمة الإسلامية تخلفت كثيرًا عن دينها ، وابتدعت في دين الله ما ليس منه ، عقيدة ، وقولًا ، وفِعْلًا ، وحصل بذلك التأخر الكبير ، والتخلف الكبير ، ونحن نعلم علم اليقين ونُشهِد الله – عز وجل – أننا لو رجعنا إلى ما كان عليه أسلافنا في ديننا ، لكانت لنا العزة ، والكرامة ، والظهور على جميع الناس . ولهذا لما حدَّث « أبو سُفْيَانَ » « هِرَقْل » مَلِكَ الرُّوم – والروم في ذلك الوقت تُعتبر دولةَ عُظْمَى بما كان عليه الرسول – عليه الصلاة والسلام – وأصحابه . قال : « إنْ كان ما تَقُولُ حَقًّا فسَيَمْلِكُ مَا تَحْتَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ » . ولما خرج أبو سفيان وأصحابه من عند « هِرَقْل » ، قال : « لقد أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَة ، إنَّه لَيَخَافُه مَلِكُ بَنِي الأَصْفَر » .

وأما ما حصل في الدول الغربية الكافرة الملحدة من التقدم في الصناعات وغيرها ، فإن ديننا لا يمنع منه لو أننا التفتنا إليه ، لكن

مع الأسف ضيعّنا هذا وهذا ، ضيعنا ديننا ، وضيعنا دنيانا ، وإلا فإن الدين الإسلامي لا يعارض هذا التقدم ، بل قال الله تعالى : ﴿ **وأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وعَدُوَّكُمْ** ﴾[1] . وقال تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وكُلُوا مِن رِّزْقِهِ** ﴾[2] . وقال تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا** ﴾[3] . وقال تعالى : ﴿ **وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ** ﴾[4] . إلى غير ذلك من الآيات التى تعلن إعلانًا ظاهرًا للإنسان أن يكتسب ويعمل وينتفع ، لكن لا على حساب الدين ، فهذه الأمم الكافرة هي كافرة من الأصل ، دينها الذي كانت تَدَّعِيه دين باطل ، فهو وإلحادها على حد سواء ، لا فَرْق . فالله – سبحانه وتعالى – يقول : ﴿ **ومَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامَ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ** ﴾[5] . وإن كان أهل الكتاب من اليهود والنصارى لهم بعض المزايا التي يخالفون غيرهم فيها ، لكن بالنسبة للآخرة هم وغيرهم سواء ، ولهذا أقسم النبي ، ﷺ ، أنه لا يسمع به من هذه الأمة يهودى ولا نصراني ثم لا يَتَّبع ما جاء به ، إلا كان من أصحاب النار ، فهم من الأصل كافرون ، سواء انتسبوا إلى اليهودية ، أو النصرانية ، أم لم ينتسبوا إليها .

---

(١) الأنفال : ٦٠ .
(٢) الملك : ١٥ .
(٣) البقرة : ٢٩ .
(٤) الرعد : ٤ .
(٥) آل عمران : ٨٥ .

وأما ما يحصل لهم من الأمطار وغيرها فهم يصابون بهذا ابتلاء من الله تعالى ، وامتحانًا ، وتُعَجَّلُ لهم طيباتُهم في الحياة الدنيا كما قال النبي عليه الصلاة والسلام ، لعمر بن الخطاب ، وقد رآه قد أثّر في جنبه حَصِير ، فبكى عمر فقال : يا رسولَ الله ، فَارِسُ والرُّومُ يَعِيشونَ فِيمَا يَعِيشُون فِيه مِن النَّعِيمِ ، وأَنْتَ على هَذِه الحال . فقال : « يا عُمَرُ هَؤُلاءِ قَوْم عُجِّلَتْ لهم طَيِّبَاتهُم في حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا ، أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا ، ولَنَا الآخِرَةُ » . ثم إنهم يأتيهم من القَحْط والبلايا والزلازل والعواصف المدمِّرة ما هو معلوم ، وينُشر دائمًا في الإذاعات ، وفي الصحف ، وفي غيرها ، ولكن مَنْ وقع السؤال عنه أعمى ، أعمى الله بصيرتَه فلم يعرف الواقع ، ولم يعرف حقيقة الأمر ، ونصيحتي له أن يتوب إلى الله عز وجل عن هذه التصورات قبل أن يفاجئه الموت ، وأن يرجع إلى ربه ، وأن يعلم أنه لا عزة لنا ولا كرامة ولا ظهور ولا سيادة إلا إذا رجعنا إلى دين الإسلام ، رجوعًا حقيقيًا يصدّقه القول والفعل ، وأن يعلم أن ما عليه هؤلاء الكفار باطل ليس بحق ، وأن مأواهم النار ، كما أخبر الله بذلك في كتابه ، وعلى لسان رسوله ، ﷺ ، وأن هذا الإمداد الذي أمدّهم الله به من النّعم ما هو إلا ابتلاء وامتحان وتعجيل طيِّبات ، حتى إذا هلكوا وفارقوا هذا النعيم إلى الجحيم ازدادت عليه الحسرة والألم والحزن ، وهذا من حكْمة الله - عز وجل - بتنعيم هؤلاء ، على أنهم كما قلتُ لم يَسْلَمُوا من الكوارث التي تصيبهم من الزلازل والقَحْط والعواصف والفيضانات وغيرها ، فأسأل الله لهذا السائل الهدايةَ والتوفيق ، وأنْ يَرُدَّه إلى الحق ، وأنْ يُبَصِّرنا في ديننا ، إنه جَوَادكَرِيم .

٤٤٢ ——— **سئل الشيخ : كيف نجمع بين قوله ﷺ فيما يرويه عن ربه – عَزَ وجَلّ – : « يُؤْذِيني ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ . . » الحديثَ ، وبين قول الرسول ﷺ : « الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ ، مَلْعُونٌ مَا فِيهـا . . » الحديث ؟**

فأجاب بقوله : حديث « الدُّنْيَا مَلْعُونة مَا فِيها » لا أدري عن صحته ، والذي أظن أنه ضعيف ، ولكن على تقدير صحته فليس هذا من باب السب ، إنما هو من باب الخبر وأنه لا خير فيها إلا عالم ومتعلم ، أو ذكر الله وما والاه ، وأما سب الدهر فهو عَيْبُه ولَوْمُه والتسخط مما وقع فيه ، وإضافة هذا الشيء إلى الدهر مع أن الأمر كله بيد الله – عز وجل – كما جاء في الحديث نفسه : « وأنا الدَّهْرُ بِيَدِي الْأَمْرُ أُقَلِّبُ اللَّيْلَ والنَّهَارَ » .

٤٤٣ ——— **سُئل الشيخ : عما يقوله بعض الناس من أن تصحيح الألفاظ غير مُهِمّ مع سلامة القلب ؟**

فأجاب بقوله : إن أراد بتصحيح الألفاظ إجراءها على اللغة العربية فهذا صحيح فإنه لا يهم – من جهة سلامة العقيدة – أن تكون الألفاظ غير جارية على اللغة العربية ما دام المعنى مفهومًا وسليمًا .

أما إذا أراد بتصحيح الألفاظ ترك الألفاظ التي تدل على الكفر والشرك فكلامه غير صحيح بل تصحيحها مهم ، ولا يمكن أن نقول للإنسان أطلق لسانك في قول كل شيء ما دامت النية صحيحة بل نقول الكلمات مقيدة بما جاءت به الشريعة الإسلامية .

٤٤٤ سئل الشيخ : عن قول من يقول إن الإنسان يتكوّن من عنصرين ، عنصر من التراب وهو الجسد ، وعنصر من الله وهو الرُّوح ؟

فأجاب بقوله : هذا الكلام يحتمل معنيين أحدهما : أن الروح جزء من الله . والثاني : أن الروح من الله خَلْقًا ، وأظهرهما أنه أراد أن الروح جزء من الله لأن لو أراد أن الروح من الله خلقًا لم يكن بينها وبين الجسد فرق إذا لكل من الله تعالى خلقا وإيجادًا .

والجواب على قوله : أن نقول لاشك أن الله أضاف روح آدم إليه في قوله تعالى : ﴿ **فإذا سَوَّيْتُهُ ونَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي** ﴾[1] . وأضاف رُوح عيسى إليه فقال : ﴿ **ومَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنا** ﴾[2] . وأضاف بعض مخلوقات أخرى إليه

(١) الحجر : ٢٩ .
(٢) التحريم : ١٢ .

كقوله : ﴿ وطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ والْقَائِمِينَ ﴾[1] . وقوله : ﴿ وسَخَّرَ لَكُم مَّا في السَّمَوَاتِ وما في الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾[2] . وقوله عن رسوله صالح : ﴿ فقَالَ لَهُمْ رَسُول الله نَاقَةَ الله وسُقْيَاهَا ﴾[3] . ولكن المضاف إلى الله نوعان :

أحدهما : ما يكون منفصلًا بائنًا عنه قائمًا بنفسه أو قائمًا بغيره ، فإضافته إلى الله تعالى إضافة خَلْق وتكوين ، ولا يكون ذلك إلا فيما يُقصد به تشريف المضاف أو بيان عظمة الله تعالى ، لعظم المضاف ، فهذا النوع لا يمكن أن يكون من ذات الله تعالى ، ولا من صفاته ، أما كونه لا يمكن أن يكون من ذات الله تعالى ، فلأن ذات الله تعالى واحدة لا يمكن أن تتجزأ أو تتفرق ، وأما كونه لا يمكن أن يكون من صفات الله فلأن الصفة معنى في الموصوف لا يمكن أن تنفصل عنه ، كالحياة ، والعلم ، والقدرة ، والقوة ، والسمع ، والبصر وغيرها . فإن هذه الصّفات صفات لا تباين موصوفها . ومن هذا النوع إضافة الله تعالى روح آدم وعيسى إليه ، وإضافة البيت وما في السموات والأرض إليه ، وإضافة الناقة إليه ، فروح آدم وعيسى قائمة بهما ، وليست من ذات الله تعالى ، ولا من صفاته قَطْعًا ، والبيت وما في السموات والأرض والناقة أعيانٌ قائمة بنفسها ، وليست من ذات الله ولا من صفاته ، وإذا كان لا يمكن لأحد أن يقول : إن بيت الله وناقة الله من ذاته ولا من

(١) الحج : ٢٦ .

(٢) الجاثية : ١٣ .

(٣) الشمس : ١٣ .

صفاته فكذلك الروح التي أضافها إليه ليست من ذاته ولا من صفاته ، ولا فرق بينهما إذ الكل بائن منفصل عن الله – عز وجل – وكما أن البيت والناقة من الأجسام فكذلك الرّوح جسم تحل بدن الحي بإذن الله ، يتوفاها الله حين موتها ، ويمسك التي قضى عليها الموت ويتبعها بصر الميت حين تقبض ، لكنها جسم من جنس آخر .

النوع الثاني من المضاف إلى الله : مالا يكون منفصلًا عن الله بل هو من صفاته الذاتية أو الفعلية ، كوجهه ، ويده ، وسمعه ، وبصره ، واستوائه على عرشه ، ونزوله إلى السماء الدنيا ، ونحو ذلك . فإضافته إلى الله تعالى من باب إضافة الصفة إلى موصوفها ، وليس من باب إضافة المخلوق والمملوك إلى مالكه وخالقه .

وقول المتكلم « إن الرُّوح من الله » . يحتمل معنى آخر غير ما قلنا إنه الأظهر : وهو أن البدن مادته معلومة ، وهي التراب . أما الروح فمادتها غير معلومة ، وهذا المعنى صحيح . كما قال الله تعالى : ﴿ ويَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ومَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1] . وهذه – والله أعلم – من الحِكْمة في إضافتها إليه أنها أمر لا يمكن أن يصل إليه علم البشر ، بل هي مما استأثر الله بعلمه كسائرالعلوم العظيمة الكثيرة التي لم نؤت منها إلا القليل ، ولا نحيط بشيء من هذا القليل إلا بما شاء الله تبارك وتعالى ، فنسأل الله تعالى أن يفتح علينا من رحمته وعلمه ما به صلاحنا ، وفلاحنا في الدنيا والآخرة .

(١) الإسراء : ٨٥ .

٤٤٥ —— سئل فضليته : عن قول بعض الناس إذا انتقم الله من الظالم « الله مَا يَضْرِبُ بِعَصى » ؟

فأحاب بقوله : لا يجوز أن يقول الإنسان مثل هذا التعبير بالنسبة لله – عز وجل – ، ولكن له أن يقول : إن الله سبحانه وتعالى ، حكم لا يظلم أحدًا ، وانه ينتقم من الظالم ، وما أشبه هذه الكلمات التي جاءت بها النصوص الشرعية ، أما الكلمة التي أشار إليها السائل فلا أرى أنها جائزة .

٤٤٦ —— سئل الشيخ : عن قول بعض الناس إذا شاهد من أسرف على نفسه بالذّنوب يقول : « فلان بعيد عن الهداية ، أو عن الجنّة ، أو عن مغفرة الله » فما حكم ذلك ؟

فأجاب بقوله : هذا لا يجوز لأنه من باب التَّألِّي على الله – عز وجل – وقد ثبت في الصحيح أن رجلًا كان مسرفًا على نفسه ، وكان يمرّ به رجل آخر فيقول : والله لا يغفر الله لفلان ، فقال الله – عز وجل – « مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَن لَّا أَغْفِرَ لِفُلانٍ ، قَدْ غَفَرْتُ لَهُ ، وأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ » . ولا يجوز للإنسان أن يستبعد رحمة الله – عز وجل – ، كم من إنسان قد بلغ في الكفر مبلغًا عظيمًا ، ثم هداه الله

فصار من الأئمة الذين يهدون بأمر الله – عز وجل – ، والواجب على من قال ذلك أن يتوب إلى الله ، حيث يندم على ما فعل ، ويعزم على أن لا يعود في المستقبل .

٤٤٧ . سئل الشيخ : عن هذا القول « أحبائي في رسول الله » ؟

فأجاب فضيلته قائلًا : هذا القول وإن كان صاحبه فيما يظهر يريد معنًى صحيحًا ، يعني أجتمع أنا وإياكم في محبة رسول الله ﷺ ولكن هذا التعبير خلاف ما جاءت به السّنة ، فإن الحديث من أحب في الله ، وأبغض في الله ، فالذي ينبغي أن يقول : أحبائي في الله – عز وجل – ولأن هذا القول الذي يقوله فيه عدول عما كان يقوله السلف ، ولأنه ربما يوجب الغلوّ في رسول الله والغفلة عن الله ، والمعروف عن علمائنا وعن أهل الخير . هو أن يقول : أحبّك في الله .

٤٤٨ سئل الشيخ : عن إطلاق عبارة : « كُتُب التُّراث » على كتب السلف ؟

فأجاب بقوله : الظاهر أنه صحيح ، لأن معناه الكتب الموروثة عمن سبق . ولا أعلم في هذا مانعًا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٤٤٩ ـــــ سُئل الشيخ : من الذي يستحق أن يُوصف بالسيادة ؟

فأجاب بقوله : لا يستحقّ أحد أن يُوصف بالسيادة المطلقة إلا الله – عز وجل – فالله تعالى هو السيد الكامل السُّؤْدُد ، أما غيره فيوصف بسيادة مقيَّدة ، مثل سيد ولد آدم ، لرسول الله والسيادة قد تكون بالنسب ، وقد تكون بالعلم ، وقد تكون بالكرم ، وقد تكون بالشجاعة ، وقد تكون بالمُلْك ، كسيد المملوك ، وقد تكون بغير ذلك من الأمور التي يكون بها الإنسان سيدًا ، وقد يقال للزوج سيد بالنسبة لزوجته ، كما في قوله تعالى : ﴿ وأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ﴾[1] .

فأما السيد في النسب فالظاهر أن المراد به من كان من نسل رسول الله ﷺ وهو أولاد فاطمة – رضي الله عنها – أي ذريتها من بنين وبنات ، وكذلك الشريف ، وربما يراد بالشريف من كان هاشميًّا ، وأيًّا كان الرجل أو المرأة سيدًا أو شريفًا فإنه لا يمتنع شرعًا أن يتزوّج من غير السيد والشريف ، فهذا سيد بني آدم وأشرفهم ؛ محمد رسول الله ﷺ قد زوّج ابنتيه رُقَيَّة وأُمَّ كُلْثُوم عثمان بن عفان ، وليس هاشميًّا ، وزوج ابنته زينب أبا العاص بن الرَّبيع وليس هاشميًّا .

---

(١) يوسف : ٢٥ .

٤٥٠ ـــــــ سئل الشيخ : عن هذه العبارة « أَعْطِني الله لا يَهِينُك » ؟

فأجاب فضيلته بقوله : هذه العبارة صحيحة ، والله ـ سبحانه وتعالى ـ قد يهين العبد ويذلّه ، وقد قال الله تعالى في عذاب الكفار : إنهم يجزون عذاب الهُون بما كانوا يستكبرون في الأرض ، فأذاقهم الله الهوان والذلّ بكبريائهم واستكبارهم في الأرض بغير الحق . وقال : ﴿ وَمَن يُهِنِ الله فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ﴾[1] والإنسان إذا أمرك بأمر فقد تشعر بأن هذا إذلال وهوان لك فيقول : « الله لا يهينك » .

٤٥١ ـــــــ وسئل : هل هذه العبارة صحيحة « بفضل فلان تغيّر هذا الأمر ، أو بجُهْدِي صار كذا » ؟

فأجاب الشيخ بقوله : هذه العبارة صحيحة ، إذا كان للمذكور أثر في حصوله ، فإن الإنسان له فضل على أخيه إذا أحسن إليه ، فإذا كان للإنسان في هذا الأمر أثرًا حقيقيًا فلا بأس أن يُقال : هذا بفضل فلان ، أو بجهود فلان ، أو ما أشبه ذلك ، لأن إضافة الشيء إلى سببه المعلوم جائزة شرعًا وحسًا ، ففي صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ قال في عَمِّه أبي طالب : « لَوْلَا أنا لكان فى الدرك الأسفل من النار » . وكان

---

(١) الحج : ١٨ .

أبو طالب يعذب في نار جهنم في ضَحْضَاح من نار ، وعليه نعلان يغلي منهمادماغه ، وهو أَهْوَنُ أهل النار عذابًا – والعياذ بالله – فقال النبي ﷺ : « لولا أنا لكان في الدَّرْك الأسفل من النار » .

أما إذا أضاف الشيء إلى سبب وليس بصحيح فإن هذا لا يجوز . وقد يكون شِرْكًا ، كما لو أضاف حدوث أمر لا يحدثه إلا الله إلى أحد من المخلوقين ، أو أضاف شيئًا إلى أحدٍ من الأموات إنه هو الذي جَلَبه له فإن هذا من الشرك في الربوبية .

٤٥٢ سُئل الشيخ : عن وصف الإنسان بأنه حيوان ناطق ؟

فأجاب بقوله : الحيوان الناطق يطلق على الإنسان كما ذكره أهل المنطق ، وليس فيه عندهم عيب ، لأنه تعريف بحقيقة الإنسان ، لكنه في العُرْف قول يعتبر قَدْحًا في الإنسان ، ولهذا إذا خاطب الإنسان به عاميًّا فإن العامي سيعتقد أن هذا قدحًا فيه ، وحينئذ لا يجوز أن يُخَاطب به العامي ؛ لأن كل شيء يسيء إلى المسلم فهو حرام ، أما إذا خوطب به من يفهم الأمر على حسب اصطلاح المناطقة ، فإن هذا لا حرج فيه ، لأن الإنسان لاشك أنه حيوان باعتبار أنه فيه حياة ، وأن الفصل الذي يميّزه عن غيره من بقية الحيوانات هو النطق . ولهذا قالوا : إن كلمة « حيوان » جنس ، وكلمة « ناطق » فصل ، والجنس يعمّ المعرَّف وغَيْرَه ، والفصل يُمَيِّز المعرَّف عن غيره .

٤٥٣ ـــــــــــ وسئل عن عبارة : « فَأْلُ الله ولا فَألَك » ؟

فأجاب : هذا التعبير صحيح ، لأن المراد الفَأْل الذي هو من الله ، وهو أني أتفاءل بالخير دونما أتفاءل بما قلتَ ، هذا هو معنى العبارة ، وهو معنى صحيح أن الإنسان يتمنى الفأل الكلمة الطيبة من الله – سبحانه وتعالى – دون أن يتفاءل بما سمعه من هذا الشخص الذي تشاءم من كلامه .

٤٥٤ ـــــــــــ سُئل الشيخ : عن إطلاق بعض الأزواج على زوجاتهم وَصْف أمّ المؤمنين ؟

فأجاب فضيلته بقوله : هذا حرام ، ولا يحل لأحد أن يسمي زوجته أم المؤمنين ، لأن مقتضاه أن يكون هو نبيًا ، لأن الذي يوصف بأمهات المؤمنين هنَّ زوجات النبي ، عليه الصلاة والسلام ، وهل هو يريد أن يتبوأ مكان النبوة وأن يدعو نفسه بعد بالنبي ؟ بل الواجب على الإنسان أن يتجنب مثل هذه الكلمات ، وأن يستغفر الله تعالى ، مما جرى منه .

٤٥٥ ـــــ وسُئل الشيخ : عن قــول الإنسان لضيفه : « وَجْه الله إلاّ أن تأكل » ؟

فأجاب بقوله : لا يجوز لأحد أن يستشفع بالله – عز وجل – إلى أحد من الخلق ، فإن الله أعظم وأجل من أن يستشفع به إلى خلقه ، وذلك لأن مرتبة المشفوع إليه أعلى من مرتبة الشافع والمشفوع له ، فكيف يصح أن يجعل الله تعالى شافعًا عند أحد ؟ ! .

٤٥٦ ـــــ وسئل عن قول الإنسان : « أنا حُر » ؟

فأجاب بقوله : إذا قال ذلك رجل حر وأراد أنه حر من رِقّ الخَلْق ، فنعم هو حُر من رِقّ الخلق ، وأما إن أراد أنه حر من رِقّ العبودية لله – عز وجل – فقد أساء في فَهْم العبودية ، ولم يعرف معنى الحرية ، لأن العبودية لغير الله هي الرقّ ، أما عبودية المرء لربه – عز وجل – فهي الحرية ، فإنه إن لم يذل لله لغير الله ، فيكون هنا خادعًا نفسه إذا قال : إنه حر يعني إنه متجرد من طاعة الله ، ولن يقوم بها .

٤٥٧ ـــــــــــ سُئل عن قول العاصي عند الإنكار عليه « أنا حرّ في تصرفاتي » ؟

فأجاب بقوله : هذا خطأ ، نقول لست حرًّا في معصية الله ، بل إنك إذا عصيت ربك فقد خرجت من الرّق الذي تدعيه في عبودية -الله إلى رق الشيطان والهوىٰ .

٤٥٨ ـــــــــــ سئل الشيخ : عن قول أحد الخطباء في كلامه حول غزوة بَدْر : « التقى إله وشَيْطَان » . فقد قال بعض العلماء إن هذه العبارة كفر صريح ، لأن ظاهر العبارة إثبات الحركة لله – عز وجل – نرجوا من فضيلتكم توضيح ذلك ؟

فأجاب بقوله : لاشك أن هذه العبارة لا تنبغي ، وإن كان قائلها قد أراد التجوز فإن التجوز إنما يسوغ إذا لم يوهم مَعْنًى فاسدًا لا يليق به . والمعنى الذي لا يليق هنا أن يجعل الشيطان قبيلًا لله تعالى ، وندًّا له ، وقِرْنًا يواجهه . كما يواجه المرء قِرْنه ، وهذا حرام ، ولا يجوز .

ولو أراد الناطق به تنقص الله تعالى وتنزيله إلى هذا الحدّ لكان كافرًا ، ولكنه حيث لم يرد ذلك نقول له : هذا التعبير حرام ، ثم إن تعبيره

به ظانًّا أنه جائز بالتأويل الذي قصده فإنه لا يأثم بذلك لجهله ، ولكن عليه ألا يعود لمثل ذلك .

وأما قول بعض العلماء الذي نقلت : إن هذه العبارة كفر صريح فليس بجيد على إطلاقه ، وقد علمت التفصيل فيه .

وأما تعليل القائل لحُكْمه بكُفْر هذا الخطيب أن ظاهر عبارته إثبات الحركة لله – عز وجل – ، فهذا التعليل يقتضي امتناع الحركة لله ، وأن إثباتها كفر ، وفيه نظر ظاهر ، فقد أثبت الله تعالى لنفسه في كتابه أنه يفعل ، وأنه يجيء يوم القيامة ، وأنه استوى على العرش ، أى علا عليه علوًّا يليق بجلاله ، وأثبت نبيه ﷺ أنه ينزل إلى السماء الدنيا في كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول مَنْ يدعوني فأستجيبَ له ؟ مَنْ يسألني فأُعْطِيَه ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُني فأَغْفِرَ له ؟ واتفق أهل السنة على القول بمقتضى ما دلّ عليه الكتاب والسنة من ذلك غير خائضين فيه ولا مُحرّفين للكلِم عن مواضعه ، ولا معطلين له عن دلائله . وهذه النصوص في إثبات الفعل والمجيء والاستواء والنزول إلى السماء الدنيا إن كانت تستلزم الحركة لله فالحركة له حقّ ثابت بمقتضى هذه النصوص ولازمها ، وإن كنا لا نعقل كيفية هذه الحركة ، ولهذا أجاب الإمام مالك من سأله عن قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾[1] . كيف استوى ؟ فقال : « الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة » . وإن

---

(١) طه : ٥١ .

كانت هذه النصوص لا تستلزم الحركة لله تعالى لم يكن لنا إثبات الحركة له بهذه النصوص ، وليس لنا أيضًا أن ننفيها عنه بمقتضى استبعاد عقولنا لها ، أو توهمنا أنها تستلزم إثبات النّقص ، وذلك أن صفات الله تعالى توقيفية ، يتوقف إثباتها ونفيها على ما جاء به الكتاب والسنة ، لامتناع القياس في حقه تعالى ، فإنه لا مِثْل له ولا نِد ، وليس في الكتاب والسنة إثبات لفظ الحركة أو نفيه ، فالقول بإثبات نفيه أو لفظه قول على الله بلا علم . وقد قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ مِنْهَا وَما بَطَنَ والإِثْمَ والْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وأَن تُشْرِكُوا باللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وأَن تَقُولُوا على اللهِ مَالَا تَعْلَمُونَ ﴾[1] . وقال تعالى : ﴿ ولا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ والْبَصَرَ والْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾[2] . فإذا كان مقتضى النصوص السكوت عن إثبات الحركة لله تعالى أو نفيها عنه ، فكيف نكفّر من تكلم بكلام يثبت ظاهره – حسب زعم هذا العالم – التحرك لله تعالى ؟ ! وتكفير المسلم ليس بالأمر الهيّن ، فإن من دعا رجلًا بالكفر فقد باء بها أحدهما ، فإن كان المدعو كافرًا باء بها ، وإلا باء بها الداعي .

وقد تكلَّم شيخ الإسلام ابن تيمية – يرحمه الله – في كثير من رسائله في الصفات على مسألة الحركة ، وبَيَّن أقوال الناس فيها ، وما هو الحق من ذلك ، وإن من الناس من جزم بإثباتها ، ومنهم من توقّف ، ومنهم من جزم بنفيها .

---

(١) الأعراف : ٣٣ .

(٢) الإسراء : ٣٦ .

والصواب في ذلك : أن ما دلّ عليه الكتاب والسنة من أفعال الله تعالى ولوازمها ، فهو حق ثابت يجب الإيمان به ، وليس فيه نقص ولا مشابهة للخلق ، فعليك بهذا الأصل فإنه يفيدك . وأعرض عما كان عليه أهل الكلام من الأقيسة الفاسدة التي يحاولون صرف نصوص الكتاب والسنة إليها ليحرفوا بها الكَلِم عن مواضعه ، سواء عن نية صالحة أو سيئة .

٤٥٩ ـــــــــ وسئل الشيخ : عن عبارة « ما صَدَقْتُ على الله » ؟

فأجاب بقوله : « ما صدقت على الله » ، يعني ما ظننت أن الله تعالى يفعل هذا ، لأنه يستبعد في نظره وقوع ذلك ، ولهذا لا تقال إلا إذا حصل الشيء بعد معاناة وتعب . وعلى هذا فلا بأس بذلك . ولا أحد يعني بهذا القول أني ما صَدَّقْتُ الله .

٤٦٠ ـــــــــ وسئل عن هذه العبارة : « الله يَسْأَلُ عن حالك » ؟

فأجاب هذه العبارة : « الله يسأل عن حالك » ، لا تجوز لأنها توهم أن الله تعالى يجهل الأمر فيحتاج إلى أن يسأل ، وهذا من المعلوم أنه أمر منكر عظيم ، والقائل لا يريد هذا في الواقع لا يريد أن الله يخفى عليه شيء ، ويحتاج إلى سؤال ، لكن هذه العبارة قد تفيد هذا المعنى ، أو توهم هذا المعنى ، فالواجب العدول عنها ، واستبدالها بأن تقول : « أسأل الله أن يحتفي بك » . و« إن يَلْطُفَ بك » ، وما أشبهها .

٤٦١ ــــــــــ سئل الشيخ : عن تسمية بعض الزهور بـ « عَبَّاد الشمس » لأنه يستقبل الشمس عند الشروق والغروب ؟

فأجاب بقوله : هذا لا يجوز لأن الأشجار لا تعبد الشمس ، إنما تعبد الله – عز وجل – كما قال الله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ** ﴾[1] . وإنما يقال عبارة أخرى ليس فيها ذكر العبودية كمراقبة الشمس ، ونحو ذلك من العبارات .

٤٦٢ ــــــــــ وسُئل – حفظه الله – : عن قول « لا حَوْلَ الله » ؟

فأجاب : قول « لا حول الله » ، ما سمعت أحدًا يقولها وكأنهم يريدون « لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بالله » . فيكون الخطأ فيها في التعبير ، والواجب أن تعدل على الوجه الذي يُراد بها ، فيقال : « لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا الله » .

٤٦٣ ــــــــــ وسئل فضيلته : يستخدم بعض الناس عبارة « راعني » ويقصدون بها انظرني ، فما صحة هذه الكلمة ؟

فأجاب قائلا : الذي أعرف أن كلمة : « راعني » يعني من المراعات أي أنزل لنا في السِّعْر مثلًا ، وانظر إلى ما أريد ، ووافقني عليه ، وما أشبه ذلك ، وهذه لا شيء فيها . وأما قول الله تعالى : ﴿ **يا أيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وقُولُوا انظُرنا** ﴾[1] .

فهذا كان اليهود يقولون « راعنا » ، من الرُّعونة فينادون بذلك الرسول عليه الصلاة والسلام ، يُريدون الدعاء عليه ، فلهذا قال الله لهم : ﴿ **وقولوا انظرنا** ﴾ . وأما « راعني » ، فليست مثل « راعنا » ، لأن راعنا منصوبة بالألف وليست بالياء .

٤٦٤ ــــــــــ سئل الشيخ عن هذه العبارات : « هذا زمان أَقْشَر » ، أو « الزمن غدّار » ، أو « يا خَيْبَةَ الزَّمَنِ الذي رَأَيْتُك فيه » ؟

فأجاب بقوله : هذه العبارات التي ذكرت في السؤال تقع على وجهين :

الوجه الأول : أن تكون سبًّا وقدحًا في الزّمن فهذا حرام . ولا يجوز ، لأن ما حصل في الزمن فهو من الله – عز وجل – فمن سبّه فقد سبّ الله ، ولهذا قال الله تعالى في الحديث القدسي : يُؤْذِيني ابْنُ آدَمَ يَسُبُّ الدَّهْرَ وأَنَا الدَّهْرُ . بِيَدِيَ الأَمْرُ ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ والنَّهَارَ » .

والوجه الثاني : أن يقولها على سبيل الإخبار فهذا لا بأس به ، ومنه قوله تعالى عن لوط ، عليه الصلاة والسلام : ﴿ **وقال هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ** ﴾[1] . أي شديد ، وكل الناس يقولون : هذا يوم شديد . وهذا يوم فيه كذا وكذا من الأمور ، وليس فيه شيء .

وأما قول « هذا الزمن غدّار » ، فهذا سبّ لأن الغَدْر صفة ذمّ ولا يجوز .

وقول « يا خيبة اليوم الذي رأيتك فيه » إذا قصد يا خيبتي أنا ، فهذا لا بأس فيه ، وليس سبًّا للدهر ، وإن قصد الزمن أو اليوم فهذا سب له فلا يجوز .

٤٦٥ ـــــــ سئل الشيخ : عن قول « يا حاجّ » ، و« السَّيِّدُ فُلان » ؟

فأجاب بقوله : قول « حاج » يعني أدى الحج لا شيء فيها .

وأما السيد فينظر إن كان صحيحًا أنه ذو سيادة فيقال : هو سيد بدون « أل » فلا بأس به . بشرط ألا يكون فاسقًا ولا كافرًا فإن كان

فاسقًا أو كافرًا فإنه لا يجوز إطلاق لفظ سيد إلا مضافًا إلى قومه ، مثل سيد بني فلان ، أو سيد الشّعْب الفلاني ونحو ذلك .

٤٦٦ وسئل : نسمع ونقرأ كلمة ، « حرية الفِكْر » كثيرًا ، وهي دعوة إلى حرّية الاعتقاد ، فما تعليقكم على ذلك ؟

فأجاب بقوله : تعليقنا على ذلك أن الذي يجيز أن يكون الإنسان حرّ الاعتقاد يعتقد ما شاء من الأديان فإنه كافر ، لأن كل من اعتقد أن أحدًا يسوغ له أن يتدّين بغير دين محمد ﷺ فإنه كافر بالله – عز وجل – يُسْتتاب ، فإن تاب وإلا وجب قتله . والأديان ليست أفكارًا ، ولكنها وَحْي من الله – عز وجل – ينزله على رسله ، ليسير عباده عليه ، وهذه الكلمة – أعني كلمة فكر – التي يقصد بها الدين يجب أن تحذف من قواميس الكتب الإسلامية لأنها تُؤدّي إلى هذا المعنى الفاسد ، وهو أن يقال عن الإسلام : فكر ، والنصرانية فكر ، واليهودية فكر – وأعني بالنصرانية التي يسميها أهلها بالمسيحية – فيؤدي إلى أن تكون هذه الشرائع مجرد أفكار أرضية يعتنقها مَنْ شاء مِن الناس ، والواقع أن الأديان السماوية أديان سماوية من عند الله عز وجل – يعتقدها الإنسان على أنها وحي من الله ، تعبّد بها عبادَه ، ولا يجوز أن يُطلق عليها فكر .

وخلاصة الجواب : أن من اعتقد أنه يجوز لأحد أن يتديّن بما شاء وأنه حرّ فيما يتدين به فإنه كافر بالله – عز وجل – لأن الله تعالىٰ

يقول : ﴿ ومَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإسْلامِ دينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[1] . ويقول : ﴿ إنَّ الدِّينَ عِندَ الله الإسْلَامُ ﴾[2] . فلا يجوز لأحد أن يعتقد أن دينًا سوىٰ الإسلام جائز يجوز للإنسان أن يتعبد به بل إذا اعتقد هذا فقد صَرَّح أهل العلم بأنه كافر كُفْرًا مُخْرِجًا عن المِلَّة .

٤٦٧ ـــــــ يستعمل بعض الناس عند أداء التحية عبارات عديدة منها : « مَسَّاك الله بالخير » . و« الله بالخير » . « وصَبَّحَك الله بالخير » . بدلًا من لفظة التحية الواردة ، وهل يجوز البدء بالسلام بلفظ : « عليك السلام » ؟

السلام الوارد هو أن يقول الإنسان : « السلام عليك » ، أو « سلام عليك » ، ثم يقول بعد ذلك ما شاء من أنواع التّحيات ، وأما « مسّاك الله بالخير » . و« صبحك الله بالخير » ، أو « الله بالخير » . وما أشبه ذلك فهذه تقال بعد السلام المشروع . وأما تبديل السلام المشروع بهذا فهو خطأ .

وأما البداءة بالسلام بلفظ : « عليك السلام » فهو خلاف المشروع ؛ لأن هذا اللفظ للردّ لا للبداءة .

٤٦٨ وسئل عن قول الإنسان إذا سئل عن شخص قد توفّاه الله قريبًا قالَ : « فلان ربنا افتكره » ؟

فأجاب فضيلته بقوله : إذا كان مراده بذلك أن الله تذّكر ثم أماته فهذه كلمة كفر ، لأنه يقتضي أن الله – عز وجل – ينسىٰ ، والله سبحانه وتعالىٰ لا ينسىٰ ، كما قال موسى ، عليه الصلاة والسلام لما سأله فرعون : ﴿ **فَمَا بَالُ الْقُرونِ الْأُولَى . قال عِلمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي ولَا يَنسَى** ﴾[1] . فإذا كان هذا هو قصد المجيب وكان يعلم ويدري معنى ما يقول فهذا كفر . أما إذا كان جاهلًا ولا يدري ويريد بقوله : « أن الله افتكره » يعني أخذه فقط فهذا لا يكفر ، لكن يجب أن يُطهر لسانه عن هذا الكلام ، لأنه كلام موهم لنقص رب العالمين – عز وجل – ويجيب بقوله : « توفّاه الله أو نحو ذلك » .

٤٦٩ سئل الشيخ : عن قول بعض الناس إذا مات شخص ﴿ يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ . ارْجِعِي إلى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ ؟

فأجاب بقوله : هذا لا يجوز أن يُطلق على شخص بعينه ، لأن هذه شهادة بأنه من هذا الصنف .

٤٧٠ ــــــــ وسئل عن قول « فلانٌ المرحوم » . و« تغمدَه الله برحمته » و« انتقل إلى رحمة الله » ؟

فأجاب بقوله : قول « فلان المرحوم » ، أو « تغمده الله برحمته » لا بأس بها ، لأن قولهم « المرحوم » من باب التفاؤل والرجاء ، وليس من باب الخبر ، وإذا كان من باب التفاؤل والرجاء فلا بأس به . وأما « انتقل إلى رحمة الله » فهو كذلك فيما يظهر لي أنه من باب التفاؤل ، وليس من باب الخبر ، لأن مثل هذا من أمور الغيب ولا يمكن الجزم به ، وكذلك لا يُقال « انتقل إلى الرفِيق الأَعْلَى » .

٤٧١ ــــــــ سئل الشيخ : عن قول « إنَّ فلانًا له المَثل الأَعْلَى » ، أو « فلان كان المَثَل الأَعْلَى » ؟

فأجاب بقوله : هذا لا يجوز على سبيل الإطلاق ، إلا لله سبحانه وتعالى ، فهو الذي له المثل الأعلىٰ ، وإما إذا قال : « فلان كان المثل الأعلى في كذا وكذا » ، وقيّده فهذا لا بأس به .

٤٧٢ ـــــــــــ **سئل الشيخ : كثيرًا ما نرىٰ على الجدران كتابة لفظ الجلالة ، وبجانبها لفظة محمد ﷺ أو نجد ذلك على الرّقاع ، أو على الكتب ، أو على بعض المصاحف ، فهل موضعها هذا صحيح ؟**

فأجاب قائلًا : موضعها ليس بصحيح لأن هذا يجعل النبي ﷺ ندًّا لله مساويًا له ، ولو أن أحدًا رأىٰ هذه الكتابة وهو لا يدري مَنْ المُسَمَّى بهما لأيقن يقينًا أنهما متساويان متماثلان ، فيجب إزالة اسم رسول الله ﷺ ويبقى النظر في كتابة : « الله » وحدها ، فإنها كلمة يقولها الصوفية ، ويجعلونها بدلًا عن الذكر . يقولون : « الله الله الله » ، وعلى هذا فتلغىٰ أيضًا ، فلا يكتب « الله » ، ولا « محمد » على الجدران ، ولا في الرّقاع ولا في غيره .

٤٧٣ ـــــــــــ **وسئل الشيخ عن قول الإنسان مُتَسَخِّطًا : « لو أني فعلتُ كذا لكانَ كذا » ، أو يقول : « لَعْنَة الله على المرض هو الذي أعاقني » ؟**

فأجاب بقوله : إذا قال : « لو » فعلت كذا لكان كذا » ندمًا وسَخَطًا على القدر ، فإن هذا مُحَرَّم ولا يجوز للإنسان أن يقوله ، لقول

النبي ، عليه الصلاة والسلام : « احْرِصْ على ما يَنْفَعُكَ واسْتَعِنْ باللهِ ، ولا تَعْجِزْ فإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فلا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ لَكَانَ كَذَا وكَذَا ؛ فإِنَّ « لَوْ » تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ ، ولكن قُلْ قَدَّرَ اللهُ وما شَاءَ فَعَلَ » . وهٰذا هو الواجب على الإنسان أن يفعل المأمور وأن يستسلم للمقدور ، فإنه ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن .

وأما من يلعن المرض وما أصابه من فعل الله – عز وجل – فهذا من أعظم القبائح ، – والعياذ بالله – لأن لعنه للمرض الذي هو من تقدير الله تعالى بمنزلة سبّ الله سبحانه وتعالى ، فعلىٰ من قال مثل هذه الكلمة أن يتوب إلى الله ، وأن يرجع إلى دينه ، وأن يعلم أن المرض بتقدير الله ، وأن ما أصابه من مصيبة فهو بما كسبت يده ، وما ظَلَمه الله ، ولكن كان هو الظالم لنفسه .

٤٧٤ سئل الشيخ عن هذه العبارة : « العِصْمَةُ للهِ وَحْدَه » ، مع أن العصمة لابد لها من عاصم ؟

فأجاب قائلًا : هذه العبارة قد يقولها من يقولها يريد بذلك أن كلام الله – عز وجل – وحُكْمه كله صواب ، وليس فيه خطأ ، وهي بهذا المعنى صحيحة ، لكن لفظها مستنكر ومستكره ، لأنه كما قال السائل قد يوحي بأن هناك عاصمًا عَصِمَ الله – عز وجل – ، والله – سبحانه وتعالىٰ – هو الخالق ، وما سواه مخلوق ، فالأولىٰ أن لا يعبر

الإنسان بمثل هذا التعبير ، بل يقول الصواب في كلام الله ، وكلام رسوله ﷺ .

٤٧٥ ـــــــ وسُئل الشيخ : عن قول : « على هواك » وقول بعض الناس في مثل مشهور : « الْعَيْنُ وما تَرَىٰ ، والنَّفْس وما تَشْتَهِي » ؟

فأجاب بقوله : هذه الألفاظ ليس فيها بأس إلا أنها تقيد بما يكون غير مخالِفٍ للشرع ، فليس الإنسان على هواه في كل شيء ، وليست العين في كل شيء تراه ، المهم أن هذه العبارة من حيث هي لا بأس بها لكنها مقيدة بما لا يخالف الشرع .

٤٧٦ ـــــــ وسئل الشيخ : عن هـذه العبارة : « المكتوب على الْجَبِين لابد تراه العين » ؟

فأجاب بقوله : هذا وردت فيه آثار إنه يكتب على الجبين ما يكون على الإنسان ، لكن الآثار هذه ليست إلى ذاك في الصحة ، بحيث يعتقد الإنسان مدلولها ، فالأحاديث الصحيحة أن الإنسان يُكتب عليه في بطن أمّه أجلُه وعملُه ورزقُه ، وشقي أم سَعِيد .

٤٧٧ ـــــــــــ **وسئل بقول بعض الناس : « أوجد الله كذا » ، فما مدى صحتها ؟ وما الفرق بينها وبين : « خلق الله كذا » أو « صوّر الله كذا » ؟**

فأجاب بقوله : أوجد وخلق ليس بينهما فرق ، فلو قال : أوجد الله كذا كانت بمعنى خلق الله كذا ، وأما صوّر فتختلف لأن التصوير عائد إلى الكيفية لا إلى الإيجاد .

٤٧٨ ـــــــــــ **سئل الشيخ عن هذه العبارات : « بسم الوطن ، بسم الشعب ، بسم العروبة » .**

فأجاب قائلًا : هذه العبارات إذا كان الإنسان يقصد بذلك أنه يعبر عن العرب ، أو يعبر عن أهل البلد فهذا لا بأس به ، وإن قصد التبرك والاستعانة فهو نوع من الشرك ، وقد يكون شركًا أكبر بحسب ما يقوم في قلب صاحبه من التعظيم بما استعان به .

٤٧٩ —— وسئل الشيخ : عما يقوله بعض الناس : « أنا نصراني لو فعلتُ كذا . . . » إلخ ؟

فأجاب بقوله : هذا من باب اليمين فحُكْمه حكم اليمين ، إذا حنث فيه يُكَفِّر كفارة يمين إذا تمت شروط الكفارة ، لكن ينبغي للإنسان أن يحلف بالله – عز وجل – لأن بعض الناس يظن أن هذه العبارة أوكد من الحلف بالله ، فيريد أن يؤكد ما يقول بمثل هذه العبارة ، ولكننا نقول يفعل ما أرشد إليه النبي ، عليه الصلاة والسلام ، في قوله : « مَنْ كان حَالِفًا فلْيَحْلِف بالله أَوْ لِيَصْمُتْ » .

٤٨٠ —— سئل الشيخ : عن قول بعض الناس : « خسَرْتُ في الْحَجِّ كذا ، وخسرت في العُمْرة كذا ، وخسرت في الجهاد كذا ، وكذا » .

فأجاب قائلًا : هذه العبارات غير صحيحة ، لأن ما بذل في طاعة الله ليس بخسارة ، بل هو الربح الحقيقي ، وإنما الخسارة ما صرف في معصية أو في مالا فائدة فيه ، وأما ما فيه فائدة دنيوية أو دينية فإنه ليس بخسارة .

٤٨١ ــــــــــــ سئل الشيخ : عن قول الإنسان لرجل : « أنت يا فلانُ خليفةُ الله في أرْضِه » ؟

فأجاب بقوله : إذا كان ذلك صدقًا بأن كان هذا الرجل خليفة يعني ذا سلطان تامّ على البلد ، وهو ذو السلطة العليا على أهل هذا البلد ، فإن هذا لا بأس به ، ومعنى قولنا « خليفة الله » أن الله استخلفه على العباد في تنفيذ شرعه ، لأن الله تعالىٰ استخلفه على الأرض ، والله – سبحانه وتعالىٰ – مستخلفنا في الأرض جميعًا وناظر ما كنا نعمل ، وليس يُراد بهذه الكلمة أن الله تعالى يحتاج إلى أحد يخلفه في خلقه أو يعينه على تدبير شئونهم ، ولكن الله جعله خليفة يخلف من سبقه ، ويقوم بأعباء ما كلّفه الله .

٤٨٢ ــــــــــــ سئل الشيخ : عن قول الإنسان إذا شاهد جنازة : « مَنْ المُتَوفي » بالياء ؟

فأجاب بقوله : الأحسن أن يقال « مَنْ المتوفّىٰ » ؟ وإذا قال من المتوفي ؟ فلها معنى في اللغة العربية لأن هذا الرجل توفّىٰ حياته وأنهاها .

٤٨٣ — وسئل عن قول : « مُسَيْجِيد ، مُصَيْحِيف » ؟

فأجاب قائلًا : الأولى أن يُقال المسجد والمصحف بلفظ التكبير لا بلفظ التصغير ، لأنه قد يوهم الاستهانة به .

٤٨٤ — سئل الشيخ : عن حُكْم قول : « البقيّة في حياتِك » ، عند التعزية وردّ أهل الميت بقولهم : « حياتك الباقية » ؟

فأجاب فضيلته بقوله : لا أرىٰ فيها مانعًا إذا قال الإنسان البقية في حياتك لا أرىٰ فيها مانعًا ، ولكن الأولىٰ أن يقال إنَّ في الله خَلَفا مِنْ كُلِّ هالك ، أحسن من أن يُقال البقية في حياتك ، كذلك الرد عليه إذا غير المُعَزِّي هذا الأسلوب فسوف يتغيّر الرّد .

٤٨٥ — سئل الشيخ : يكره بعض الناس اسم علي والحسين ونحوه وينفر منها ، وذلك لتعظيم الرافضة لتلك الأسماء فما جوابكم حفظكم الله تعالى ؟

فأجاب بقوله : جوابي على هذا أن البدعة لا تقابل ببدعة ، فإذا كان طائفة من أهل البدع يغلون في مثل هذه الأسماء ، ويتبركون بها ، فلا

يجوز أن نقابلهم ببدعةٍ فننفر من هذه الإسماء ونكرها ، بل تقول إن الأسماء لا تغير شيئا عما كان عليه الإنسان ، فكم من إنسان يسمى باسم طيب حسن ، وهو – أعني المُسَمَّى به – من أسوأ الناس . وكم من إنسان يُسمَّى عبدالله وهو من أشدِّ الناس استكبارًا ، وكم من إنسان يسمى محمد ، وهو من أعظم الناس ذمًّا ، وكم من إنسان يسمىٰ عليًّا وهو نازل سافل ، فالمهم أن الاسم لا يغير شيئًا ، لكن لا شك أن تحسين الاسم من الأمور المطلوبة ، كما قال النبي ، عليه الصلاة والسلام : « أَحَبُّ الأَسْمَاءِ إلى الله عَبْد الله وعَبْدُ الرَّحْمَنِ ، وأَصْدَقُهَا حَارِث وهَمَّام » .



متفرقـــــات

٤٨٦ ـــــ يرد في كثير من الآيات لفظ السماء بصيغة الجمع والإفراد ، والأرض مفردة فهل هي في حالة الإفراد تدل على معنى الجمع ؟

ما ذَكَر من ورود الآيات الكثيرة التي فيها جمع السموات وإفراد الأرض فهو كما ذكر ، فالله تعالى يذكر السموات بلفظ الجمع تارة وبالإفراد تارة أخرى قال الله تعالى : ﴿ **إنَّ اللهَ لا يَخْفَى عليه شَيْءٌ في الأَرْضِ ولا في السماءِ** ﴾[1] وقال الله تعالى : ﴿ **يَعْلَمُ ما في السمواتِ والأَرْضِ** ﴾[2] ولكن الأرض لم تأت مجموعة في القرآن الكريم أبدا بل هي مفردة دائما ولكنها أتت بالجمع إشارة في قوله تعالى : ﴿ **اللهُ الذي خَلَقَ سَبْعَ سَمواتٍ ومِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ** ﴾[3] لأن المِثْلية هنا ليست في الصفات والكيفية ، للفرق العظيم بين السماء والأرض ولكنها مثلية في العدد ، وقد فَسَّرت السنة الكريمة ذلك قال ﷺ : « مَنْ

(١) آل عمران ٥

(٢) العنكبوت ٥٢

(٣) الطلاق ١٢ .

اقْتَطَعَ شِبْراً مِنْ الأَرْضِ ظُلْماً طُوِّقَهُ يَوْمَ القِيامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِين » . وعلى هذا فلفظ الأرض ورد في القرآن الكريم مفرداً ولكن يراد به الجنس الذي يصدق على المفرد والمتعدد .

٤٨٧ ——— **يتساءل بعضُ الناس كيف رأى النبي ﷺ أحوالَ أهل الجنة وأحوالَ أهل النار ليلةَ الإسراء والمعراج ؟ مع أن الساعة لم تَقُمْ بَعْدُ ؟**

فأجاب الشيخ بقوله : إن النبي ﷺ أخبرنا بذلك وأنه رأى الجنةوالنار ورأى أقواما يُعَذَّبون وأقواما يُنَعَّمُون والله أعلم بكيفية ذلك ، لأن أمور الغيب لا يدركها الحِس . فمثل هذه الأمور إذا جاءت يجب علينا أن نؤمن بها كما جاءت وأن لا نتعرض لطلب الكيفية . ولم ؟ لأن عقولنا أقصر وأدنى من أن تدرك هذا الأمر ، فقد أخبر النبي ﷺ عن أمور لا يمكن إدراكها بالعقل ، أخبر ﷺ بأن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر كلَّ ليلة ومعلوم الآن أن ثلث الليل يدور على الكرة الأرضية فإذا انتقل من جهة حل في جهة أخرى فقد تقول كيف ذلك ؟ فنقول عليك أن تؤمن بما أخبرك به النبي ﷺ ولا تقل كيف ؟ لأن عقلك أدنى وأقصر من أن يحيط بمثل هذه الأمور الغيبية ، فعلينا أن نستسلم ولا نقول كيف ولم ؟ وهٰذا قال بعض العلماء كلمة نافعة قال : « قُلْ بم أمر اللهُ ؟ ولا تقل لِم أمَرَ اللهُ » . والله ولي التوفيق .

٤٨٨ سئل فضيلة الشيخ : عن المراد بالرُّوحِ والنَّفسِ والفرق بينهم ؟

فأجاب قائلًا : الروح في الغالب تطلق على ما به الحياة سواءً كان ذلك حسًا أو معنى ، فالقرآن يسمى روحًا قال الله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا ﴾(١) لأن به حياة القلوب بالعلم والإيمان ، والروح التي يحيى بها البدن تسمى روحًا كما قال الله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحِ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾(٢) .

أما النفس فتطلق على ما تطلق عليه الروح كثيرًا كما في قوله تعالى : ﴿ اللهُ يَتَوفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوتَ وَيُرْسِلُ الأُخرى إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾(٣) وقد تطلق النفس على الإنسان نفسه فيقال جاء فلان نفسه ، فتكون بمعنى الذات ، فهما يفترقان أحيانًا ويتفقان أحيانًا حسب السياق .

وينبغي بهذه المناسبة أن يعلم أن الكلمات إنما يتحدد معناها بسياقها فقد تكون الكلمة الواحدة لها معنى في سياق ، ومعنى آخر في سياق فالقرية مثلًا تطلق أحيانًا على نفس المسكن ، وتطلق أحيانًا على الساكن نفسه ففي قوله تعالى عن الملائكة الذين جاءوا إبراهيم ﴿ قَالُوا إِنا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ ﴾(٤) المراد بالقرية هنا المساكن ، وفي قوله تعالى ﴿ وَإِن مِن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا

---

(١) الشورى : ٥٢ .

(٢) الإسراء : ٨٥ .

(٣) الزمر : ٤٢ .

(٤) العنكبوت : ٣١

شَدِيدًا ﴾[1] المراد بها الساكن ، وقوله تعالى : **﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾**[2] المراد بها الساكن ، وفي وقوله **﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾**[3] المراد بها الساكن ، فالمهم أن الكلمات إنما يتحدد معناه بسياقها وبحسب ما تضاف إليه ، وبهذه القاعدة المفيدة المهمة يتبين لنا رجحان ما ذهب إليه كثير من أهل العلم من أن القرآن الكريم ليس فيه مجاز وأن جميع الكلمات التي في القرآن كلها حقيقة ، لأن الحقيقة هي ما يدل عليه سياق الكلام بأي صيغة كان فإذا كان الأمر كذلك تَبَيَّنَ لنا بطلان قول من يقول إن في القرآن مجازًا ، وقد كتب في هذا أهل العلم وبَيَّنُوه ، ومن أَبْيَنِ ما يجعل هذا القول صوابًا أن من علامات المجاز صحة نفيه بمعنى أنه يصح أن تنفيه فإذا قال فلان أسد ، صح لك نفيه ، وهذا لا يمكن أن يكون في القرآن ، فلا يمكن لاحد أن ينفي شيئًا مما ذكره الله تعالى في القرآن الكريم .

٤٨٩ ـــــــ هل يجوز لي أن أؤم زوجي في الصلاة بحكم أني أكثر فقهًا ودراسة . حيث أنني أدرس بكلية الشريعة وهو نصف أمي ؟

لا يجوز للمرأة أن تَؤُمَّ الرجل سواء أكان زوجها أم ابنها أم أباها لأنه لا يمكن أن تكون إمامًا للرجال ولهذا قال النبي ﷺ : «لَنْ يُفْلِحَ قَوْم

(١) الإسراء : ٥٨ .

(٢) البقرة : ٢٥٩ .

(٣) يوسف : ٨٢ .

وَلوا أمْرَهُم امْرَأة» حتى وإن كانت أقرأ منه فإنَّها لا تؤمه لأنَّ النَّبي ﷺ يقول : «يَؤُمُّ القَوْمَ أقْرؤُهم لِكتَاب الله» والمرأة مع الرجل ليست ممن يشمله هذا الخطاب ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَر قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُم ولا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أن يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ ﴾(١) . فقسم الله تعالى المجتمع إلى قسمين هما الرجال والنساء وعلى هذا فلا تدخل المرأة في عموم قوله ﷺ : «يَؤُمُّ القَوْمَ أقْرَؤهم لِكِتَابِ الله» .

٤٩٠ ــ هل يجوز الزيادة على ما علّمه النبي ﷺ للحسن بن علي بن أبي طالب من دعاء القُنوت أو لا تجوز ؟

والجواب على هذا : أن يقال إن الزِّيادة على ذلك لا بأس بها لأنه إذا ثبت أن هذا موضع دعاء ، و لم يحدد هذا الدُّعاء بحد ينهى عن الزيادة عنه ، فالأصل أن الإنسان يدعو بما شاء ، ولكن المحافظة على ما ورد – أي عدم ترك الوارد – هو الأولى فنقدم الوارد ، وإن شئنا أن نَزيد فلا حرج ، ولهذا ورد عن الصَّحابة رضي الله عنهم أنهم كانوا يَلْعَنُون الكَفَرَة في قنوتهم مع أن هذا لم يرد فيما علمه النبي ﷺ الحسن بن علي بن أبي طالب ، وحينئذ لا يبقى في المسألة إشكال .

---

(١) الحجرات : ١١

٤٩١ ـــ النَّبي ﷺ رهن درعه عند يهودي في حين أنَّ من بين صحابته ما يمكن له أن يقترض منهم أو يرهن عندهم ؟

الأصل في المعاملات أن الإنسان مُخَيَّر بين أَن يتعامل مع من شاء في الحدود الشرعية وكون الرسول عليه الصلاة والسلام يلجأُ إلى هذا اليهودي فيشتري منه طعامًا لأهله ويرهنه درعه هي قضية عين لا نستطيع أَنْ نحكم عليها في الظروف الملابسة لهذا الأمر فقد يكون في ذلك الوقت ليس أحد من الصحابة عنده هذا الطعام الذي يريده عليه الصلاة والسلام وقد يكون هذا اليهودي أَقْرَب إلى بيته من غيره وقد يكون هناك أُمور لا نعلمها فقضايا الأَعيان لا يمكن أَن يُحْكَمَ عليها بشيء حتى يُعْلَمِ السَّبب ولكن الأصـل أنه يجوز للإنسان أن يتعامل مع من شاء في الحدود الشرعية .

ولا شك أَنَّ التَّعامل مع المسلم أولى وأفضل لكن التَّعامل قد يحتاج فيه الإنسان لأشياء لا تتوافر عند المسلمين فيتعامل مع غيرهم .

٤٩٢ ـــ ما حكم العمل في البنوك الربوية ومعاملتها ؟

العمل فيها مُحَرَّم لأَنَّه إمَّا إعانة على الرِّبا فإذا كان إعانة على الربا فإنه يكون داخلًا في لعنة المعين حيث صح عن النبي عليه الصلاة

والسلام «أنَّه لَعَنَ آكِلَ الرِّبا ومُوكله وشَاهِدَيْه وَكَاتِبَه وقال هُم سَواء» . وإن لم يكن إعانة فهو رضا بهذا العمل وإقرارًا له ولا يجوز التَّوظف في البنوك التي تتعامل بالرِّبا وأما وضع الفلوس عندهم للحاجة فلا بأس إذا لم نجد مأمنًا سوى هذه البنوك فإنه لا بأس به بشرط أن لا يأخذ الإنسان منه الربا فإن أخذ الربا فهو حرام .

٤٩٣ ـــــــــ العمل بالمُحَاماة قد يُعَرِّض الإنسان لمُنَاصرة الشَّر والدفاع عنه لأنَّ المحامي يريد البراءة مثلًا للمذنب الذي يدافع عنه فهل مكسب المحامي من ذلك حرام وهل هناك شروط إسلامية لعمل الإنسان مُحَاميًا ؟

المُحَاماة مُفَاعَلة من الحِماية والحماية إنْ كانت حِمَايَةُ شَرٍ ودفاع عنه فلا شك أنها محرمة لأنه وُقُوع فيما نهى الله عنه في قوله تعالى ﴿ **وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ والعُدْوَان** ﴾[1] . وإن كانت المُحَاماة لحماية الخير والذود عنه فإنَّها حماية محمودة مأمور بها في قوله تعالى ﴿ **وَتَعَاوَنُواْ عَلَى البِرِّ والتَّقْوَى** ﴾[2] . وعلى هذا فإنَّ من أعد نفسه لذلك يجب عليه قبل أَن يدخل في القضية المعينة أنْ ينظر في هذه القضية ويدرسها فإنْ كان

(١) المائدة : ٢

(٢) المائدة : ٢

الحق مع طالب المُحَاماة دخل في المُحَاماة وانْتصر للحق ونَصَر صاحبه وإن كان الحق في غير جانب من طلب المحاماة فإنَّه يدخل في المُحَاماة أيضًا لكن المُحَامَاة هنا تكون عكس ما يريد الطالب بمعنى أنه يحامي عن هذا الطالب حتى لا يدخل فيما حرَّم الله عليه وفي دعوى ما هو عليه وذلك لأنَّ النبي ﷺ قال : «انْصُرْ أَخاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا قَالُوا يَا رَسُول الله هَذَا المَظْلُوم فَكَيْفَ نَنْصُره إذا كَانَ ظَالِمًا قَالَ تَمْنَعُه مِنَ الظُّلْم فَذَلِك نَصْرُكَ إِيَّاه» فإذا عُلِم أَنَّ طالب المحاماة ليس له حق في دَعْواه فإنَّ الواجب أَن يَنْصحه وأَن يُحَذِّره وأَن يخوفه من الدُّخول في هذه القضية وأَن يبين له وجه بُطْلان دَعْواه حتى يَدَعها مُقْتَنِعًا بها .

٤٩٤ ـــــــ ماذا نفعل إذا قدّم لنا لحم للطعام ولا نعرف إذا ذكر اسم الله عليه أم لا ؟ وما هو رأيكم بمعاشرة الكافرة ؟

ثبت في صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها «أَنَّ قَوْمًا قَالُوا : يَا رَسُول الله إنَّ قَوْمًا يَأْتُونَنَا باللَّحم وَلَا نَدْرِيَ أَذَكَرُواْ اسْمَ الله عَلَيْه أَمْ لَا فَقَال النَّبي ﷺ : «سَمُّوا أَنْتُم وَكُلُوا» قالت : وكانوا حديثي عهد بكفر يعني أنهم جديدو الإسلام ومثل هؤلاء قد تخفى عليهم الأحكام الفرعية والدقيقة التي لا يعلمها إلا من عاش بين المسلمين ومع هذا أرشد النبي ﷺ هؤلاء السَّائلين إلى أن يَعْتَنُوا بفعلهم هم بأنفسهم فقال : «سَمُّواْ أَنْتُمْ وَكُلُوا» أي سمُّوا على الأكل وكلوا .

وأما ما فعله غيركم ممن تَصَرُّفه صحيح فإنَّه يُحْمَلُ على الصِّحة ولا ينبغي السؤال عنه ، لأن ذلك من التعنت والتنطع ولو ذهبنا نلزم أنفسنا في السؤال عن مثل ذلك لأَتْعَبْنَا أنفسنا إتعابًا كثيرًا لاحتمال أن يكون كل طعام قدم إلينا غير مُبَاح فإن من دعاك إلى طعام إليك فإنه من الجائز أن يكون هذا الطعام مَغْصُوبًا أو مسروقًا ومن الجائز أن يكون ثمنه حَرَامًا ومن الجائز أن يكون اللَّحم الذي فيه لم يذكر اسم الله عليه وما أشبه ذلك ومن رحمة الله بعباده أن الفعل إذا كان قد صَدَر من أهله فإن الظَّاهر أنه فعل على وجه تَبْرأُ به الذمَّة ولا يلحق الإنسان فيه حرج .

وأما ما تَضَمَّنَه السُّؤال وهو معاشرة المرأة الكافرة فإن مخالطة الكافرين إن كان يرجى منها إسلامهم بِعَرْض الإسْلام عليهم وبيان مَزَاياه وفضائله فلا حرج على الإنسان أن يُخَالط ليدعوهم إلى الإسلام وإن كان لا يرجو من هؤلاء الكفار أن يُسْلِموا فإنه لا يعاشرهم لما تَقْتَضِيه مُعَاشرتهم من الوُقُوع في الإثم فإن المعاشرة تُذْهب الغيرة والإحساس وربما تَجْلِبُ المودة والمحبة لأولئك الكافرين وقد قال الله عز وجل ﴿ **لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُواْ آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ** ... ﴾[1] . ومودة أعداء الله ومحبتهم وموالاتهم مخالفة لما يجب على المسلم . فإن الله سبحانه وتعالى قد نهى عن ذلك فقال ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لا تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ**

---

(١) المجادلة : ٢٢

أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[1] . فقال تعالى ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ ﴾[2] . ولا ريب أن كل كافر فهو عدو لله وعدو للمؤمنين قال تعالى ﴿ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴾[3] . ولا يليق بمؤمن أن يُعَاشِر أَعْدَاء الله ويُوَادهم ويحبهم لما في ذلك من الخطر العظيم على دينه ومنهاجه .

٤٩٥ ــــــــــــ **في يوم من الأيام دعوت أصحابي وزملائي في العمل إلى تناول طعام الغداء ولما حضروا وقدمت لهم المائدة كان من ضمن المأكولات دجاج مشوي على الفحم نعمله في البيت سألني أحدهم – وهو معروف بصلاحه وتدينه – عنه هل هو وطني أم مستورد فذكرت أنه مستورد وأظنه فرنسي فكف عن الأكل منه فسألته لماذا ؟ فأجابني بقوله إنه محرم .**

---

(١) المائدة · ٥١

(٢) الممتحنة : ١

(٣) البقرة : ٩٨

فقلت له من أين لك هذا ؟ فرد علي بقوله : سمعت بعض المشائخ يقولون بذلك . فأرجو من فضيلتكم أن توضحوا لنا الحكم الشرعي الصحيح حفظكم الله ؟

الوارد من دول أجنبية أي غير إسلامية إذا كان الذين يباشرون ذبحه من أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى فإنه يجوز أكله ولا ينبغي السؤال عن كيفية ذبحه ولا هل سموا الله عليه أم لا ؟ وذلك لأن النبي ﷺ أكل من الشاة التي أهدتها إليه اليهودية في خيبر وأكل من الطعام الذي دعاه إليه يهودي وكان فيه أهالة سنخة وهي الشحم المتغير و لم يسأل النبي ﷺ كيف ذبحوه ولا هل سموا عليه أم لا وفي صحيح البخاري «أَنَّ قَوْمًا قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ قَوْمًا يَأْتُونَنَا باللَّحم لا نَدْري أَذَكَرُواْ اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ أَمْ لَا ؟ فقال : سَمُّوا اللهَ وَكُلُوا» قالت عائشة راوية الحديث وكانوا حديثي عهدٍ بكفر ، ففي هذه الأحاديث دليل على أنه لا ينبغي السؤال عن كيفية الواقع إذا كان المباشر له معتبر التصرف وهذا من حكمة الشرع وتيسيره إذ لو طلب من الناس أن ينقبوا عن الشروط وانتفاء الموانع فيما يتلقونه من صحيح التصرف لكان في ذلك من المشقة والحرج والقلق النفسي مما يجعل الشريعة حرج ومشقة .

أما إذا كان المذبوح قد أتى من دولة أجنبية والذين يباشرون ذبحه ممن لا تحل ذبيحتهم كالمجوس وعبدة الأوثان ومن لا يدينون بدين فإنه لا يحل أكله لأن الله تعالى لم يبح من أطعمة غير المسلمين إلا طعام

الذين أوتوا الكتاب وهم اليهود والنصارى . وإذا شككنا في أن الذابح ممن تحل ذبيحته أو ممن لا تحل ذبيحته فإن الأصل التحريم فلا يؤكل لكن إذا غلب الظن أن الذّابح له ممن تحل ذبيحته فإنه لا بأس به وقد قال الفقهاء رحمهم الله « إذا وجدت ذبيحة مَنْبوذة في مكان يحل الذبح من أكثر أهله فهي حلال » إلا أنه في هذه الحالة ينبغي أن يتجنب إلى ما لا شك فيه . ومثل هذا لو أتى لحم ممن تَحِلّ ذبائحهم وكان بعضهم يذبح على طريقة شرعية ينهر فيها الدم وليس بسن ولا ظفر وبعضهم يَذْبح على غير الطريقة الشرعية والأكثر على الطريقة الأولى الشرعية فإنه لابأس بأكل ما أتى منه عملًا بالأكثر ولكن الأولى أن يَتَجَنَّبَهُ تَوَرُّعًا .

٤٩٦ ـــــــــــ متى يجوز للمرأة استخدام حبوب منع الحمل ، ومتى يحرم عليها ذلك ؟ وهل هناك نص صريح أو رأي فقهي بتحديد النسل ؟ وهل يجوز للمسلم أن يعزل أثناء المجامعة بدون سبب ؟

الذي ينبغي للمُسْلمين أَنْ يُكْثِروا من النَّسل ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا لأن ذلك هو الأمر الذي وَجَّه النبّي إليه في قوله : «تَزَوَّجُوا الوَدُودَ الوَلُودَ فَإنِّي مُكَاثِر بِكُمْ» ولأن كثرة النَّسل كَثْرة للأمة وكَثْرة الأمة من عزتها كما قال تعالى ممتنًا على بني إسرائيل بذلك : ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ

نَفِيرًا ﴾[1] . وقال شعيب لقومه : ﴿ **وَاذْكُرُواْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ** ﴾[2] . ولا أحد ينكر أن كثرة الأمة سبب لعزتها وقوتها على عكس ما يتصوره أصحاب ظن السوء الذين يَظُنُّون أنَّ كثرة الأمة سَبَب لِفَقْرِها وجُوعِها . إن الأمة إذا كثرت واعتمدت على الله عزَّ وجلَّ وآمنت بِوَعْدِهِ في قوله : ﴿ **وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا** ﴾[3] . فإن الله ييسر لها أمْرَها ويغنيها من فضله . بناء على ذلك تتبين إجابة السُّؤال فلا يَنْبَغي للمرأة أَنْ تَسْتَخْدِم حبوب منع الحمل ، إلا بشرطين :

الشرط الأول : أن تكون في حَاجة لذلك مثل أن تكون مَريضة لا تَتَحَمَّل الحمل كُل سَنة أو نَحيفة الجِسم أو بها مَوَانع أخْرَى تَضُرّها أن تحمل كل سنة .

الشرط الثاني : أن يأذن لها الزوج لأنَّ للزوج حقًّا في الأولاد والإنجاب ولابد كذلك من مُشَاورة الطَّبيب في هذه الحبوب هل أَخْذَها ضَار أو لَيْس بِضَار فإذا تَمَّ الشَّرطان السَّابقان فلا بأس باستخدام هذه الحبوب لكن على ألا يكون ذلك على سبيل التَّأْبيد أي أَنَّها لا تستعمل حبوبًا تَمْنَعُ الحمل منعًا دَائِمًا لأن في ذلك قطعًا للنَّسل .

وأما الفقرة الثانية من السؤال فالجواب عليها أَنَّ تحديد النَّسل أمر لا يمكن في الواقع ، ذلك أَنَّ الحمل وعدم الحمل كُلُّه بيد الله عزَّ وجلَّ ،

(١) الإسراء : ٦

(٢) الأعراف : ٦

(٣) هود : ٦

ثمَّ إن الإنسان إذا حدَّد عددًا مُعَيّنًا فإن هذا العدد قد يُصَابُ بآفة تُهْلِكُه في سَنَةٍ واحدة ويبقى حينئذ لا أولاد له ولا نَسل له . .والتَّحديد أمر غير وارد بالنسبة للشَّريعة الإسلامية ولكن مَنْعُ الحمل يَتَحَدَّد بالضَّرورة على ما سبق في جواب الفقرة الأولى وأما الفقرة الثالثة والخاصة بالعزل أثناء الجِمَاع بدون سبب فالَّصحيح من أقوال أهل العلم أنه لا بأس به لحديث جابر رضي الله عنه : «كُنَّا نَعْزِل وَالقُرْآن يَنْزِل» يعني في عهد النَّبي .

ولو كان هذا الفعل حرامًا لنهى الله عنه ولكن أهل العلم يقولون إنه لا يعزل عن الحرة إلا بإذنها أي لا يعزل عن زوجته الحرة إلا بإذنها لأن لها حقًا في الأولاد ، ثم إن في عَزْلِه بدون إذْنها نَقْصًا في اسْتِمْتَاعها . فاستمتاع المرأة لا يَتِمُّ إلَّا بعد الإنزال . . وعلى هذا ففي عدم اسْتِئْذَانها تَفْويت لكمال استمتاعها وتَفْويت لما يَكُون من الأولاد ولهذا اشْتَرَطْنا أن يكون بِإِذْنها .

٤٩٧ —— هي أم لطفلين وقد طلقها زوجها ولكنها وقت الطلاق كانت غير طاهرة ولم تخبر زوجها بذلك حتى حينما ذهبوا إلى القاضي أخفت ذلك عنه إلا عن أمها التي قالت لها لا تخبري القاضي بذلك وإلا فلن تطلقي ثم ذهبت إلى أهلها ثم أرادت الرجوع إلى زوجها خوفًا على الأطفال من الضياع والإهمال فما حكم هذا الطلاق الذي حدث وعليها العادة الشهرية ؟

الطلاق الذي وقع وعلى المرأة العادة الشّهرية اختلف فيه أهل العلم وطال فيه النّقاش أنه هل يكون طلاقًا مَاضِيًا أم طلاقًا لاغيًا وجمهور أهل العلم على أن يكون الطّلاق ماضيًا ويُحْسَبُ على المرء طَلْقَةً ولكنه يُؤْمر بإعادتها وأن يتركها حتى تَطهُر من الحيض ثُمَّ تحيض مرة ثانية ثم تَطْهر ثم إن شاء أَمْسَكَ بعد وإن شاء طَلَّق هذا الذي عليه جمهور أهل العلم ومنهم الأئمة الأربعة الإمام أحمد والشافعي ومالك وأبو حنيفة ولكن الراجح عندنا ما اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله عليه أنَّ الطلاق في الحيض لا يقع ولا يكون مَاضيًا ذلك لأنه خلاف أمر الله ورسوله

وقد قال النبي ﷺ : «مَن عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْه أَمْرُنَا فَهُوَ رَد» والدَّليل في ذلك في نفس المسألة الخاصة حديث عبد الله بن عمر حيث طلق زوجته وهي حائض فأخبر النبي ﷺ بذلك فتغَيَّظَ فيه رسول الله ﷺ وقال : «مُرْهُ فَلْيُرَاجِعها ثُمَّ يَتْرُكهَا حَتَّى تَطْهُرُ ثُمَّ تَحِيض ثُمَّ تَطْهُر ثُمَّ إنْ شَاءَ أَمْسَكَ بَعْدَ وَإنْ شَاءَ طَلَّق» قال النبي ﷺ : «فَتِلْكَ العدّة الَّتِي أَمَرَ الله أَنْ تُطَلّق عَلَيْهَا النِّسَاء» فالعدة التي أمر الله بها أن تطلق عليها النساء أن يُطَلقها الإنسان طاهرًا من غير جِمَاع وعلى هذا فإن طلقها وهي حائض لم يطلقها على أمر الله فيكون مردودًا فالطَّلاق الذي وقع على هذه المرأة نرى أنه طَلاق غير مَاض . وأنَّ المرأة لا زَالت في عِصْمة زَوجها . لا عبرة في علم الرجل في تَطْلِيقه لها إنها طاهرة أو غير طاهرة . نعم لا عِبْرة بِعِلْمه لكن إن كان يعلم صار عليه الإثم وعدم الوُقوع وإن كان لا يعلم فإنه ينتفي وقوع الطَّلاق ولا إثْمَ على الزّوج .

٤٩٨ ــــــــــــ يقول أرجو توضيح عِـدَّة المطلقة وهل المطلقة طلاقًا رجعيًا تبقى في بيت زَوْجها أم تَذهب إلى منزل والدها حتى يراجعها زوجها ؟

إنه يجب على المرأة المطلقة طلاقًا رَجْعيًا أن تبقى في بيت زوجها ويحرم على زوجها أَنْ يُخْرِجها منه لقوله تعالى : ﴿ **لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ الله وَمَنْ يَتَعَدَّ**

حُدُودَ اللهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾[1] . وما كان النَّاس عليه الآن من كون المرأة إذا طلقت طلاقًا رجعيًا تنصرف إلى بيت أهلها فورًا هذا خطأ ومحرم وإن لم يقم به من يكفي وجب على من له قدرة ، وهذا شيء معروف عند أهل العلم .

٤٩٩ ــــــ ما حكم الجهاد في فلسطين وما حكم مُسَاندتهم ؟

حسب ما سمعنا أن اليهود قتَّلت الفلسطينيين وسامتهم سُوء العذاب بعدما يسمونه بالانتفاضة ، والله أعلم . هل هي حقيقة واقعة ، أو أنه قد غُرِّر بالفلسطينيين ليَتَحَرَّكوا هذه الحركة فيقضي عليهم اليهود .

وعلى كل حال فالذي يَليق بنا أن نُعِينَ هؤلاء على مَا هُم فيه من المِحَن والأذى بكل حال ، وحسب ما سمعت أن هؤلاء الفلسطينيين الذين في الأرض المُحْتَلَّة رجعوا إلى الله عزَّ وجلَّ ، وصار فيهم شباب مُتَيَقِّظ ، كما هو موجود والحمد لله في كثير من البلاد ، وأنهم تحركوا هذه الحركة حركة إسلامية لا قومية ، يريدون أن يَتخَلَّصُوا من اليهود الذين يحتلون المسجد الأقصى ، ومعلوم أنه إذا كانت الحركة حركة إسلامية لإنقاذ البلاد من الكفر فهو جهاد في سبيل الله ، والجهاد في سبيل الله من وظائف ومُهِمَّات المسلمين ، ولكن لابد من طريق طويل بالنسبة للفلسطينيين ، لأنهم عُزَّل ولا يمكنهم حمل السِّلاح بواسطة

---

(١) الطلاق : ١

السيطرة القوية من جانب اليهود عليهم ، فالمسألة تحتاج إلى ما يسمونه بالتَّضْحِيات وإلى طول نفَس حتى يأتي الله تعالى بالنَّصر .

٥٠٠ ــــــــ ما هي نصيحتكم لما يحصل من الشباب الملتزم في مواجهة بعضهم والتبرؤ من بعضهم البعض ؟ وما رأيكم في تعدد الجماعات في وقتنا الحاضر ؟ وهل تنصحني بمشاركة جماعة التبليغ والخروج معهم ؟

لا شك أن هذا الذي حَدَثَ للشباب المُلْتزم من التَّفرق وتَضْليل بعضهم بعضًا وحَمْل العداوة والبغضاء لمن لا يُوافقهم على منهاجهم لا شك أنه مُحْزِن ومُؤْسف ، وربما يؤدي إلى انتكاسة عظيمة ، ومثل هذا التَّفرق هو قرّة عين شياطين الجن والإنس ، لأن شياطين الإنس والجن لا يَوَدُّون من أهل الخير أن يجتمعوا على شيء فهم يُريدون أن يَتفَرَّقوا ، لأنهم يعلمون أن التَّفرق تفتت للقوة التي تحصل بالالتزام والاتجاه إلى الله عزَّ وجلّ ، ويدل لهذا : ﴿ **وَلَا تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ** ﴾[1] ، ﴿ **وَلَا تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ من بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ** ﴾[2] ، ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَسْت**

---

(١) الأنفال : ٤٦

(٢) آل عمران : ١٠٥

مِنهُمْ فِي شيء﴾[1] ، **﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالذى أَوْحيْنَا إِلَيْكَ ، وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُواْ الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾**[2] .

فالله تعالى قد نهانا عن التفرّق وَبَيّن لنا عَوَاقِبَهُ الوخيمة ، والواجب علينا أن نكون أمّة واحدة ، وكلمة واحدة ، فالتّفرق فساد وشتات للأمر وَمُوجِب لِضَعْف الأمة الإسلامية والصحابة رضي الله عنهم حصل بينهم الاختلاف ، لكن لم يحصل التّفرق ولا العداوة ولا البغضاءو حصل بيهم الاختلاف حتى في عهد النبي ﷺ ، لما فرغ النبي ﷺ من غزوة الأحزاب ، وجاءه جبريل يأمره أن يخرج إلى بني قريظة لنقضهم العهد قال النبي ﷺ لأصحابه : «لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَد مِنْكمُ الْعَصْرَ إلَا فِي بَني قُرَيْظَة» فخرجوا من المدينة إلى بني قريظة وحان وقت العصر فقال بعضهم : لا نصلي إلا في بني قريظة ولو غابت الشمس ، لأن النبي ﷺ قال : «لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَد مِنْكُم العَصْرَ إلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَة» . فنقول سمعنا وأطعنا .

ومنهم من قال : إن الرسول عليه الصلاة والسلام أراد بذلك المُبَادرة والإسْرَاع إلى الخُرُوج ولم يرد منا تأخير الصلاة ، فبلغ ذلك النبي ﷺ ولم يُعَنِّفْ أحدًا منهم ولم يُوَبِّخه على ما فهم ، وهم بأنفسهم لم يتفرّقوا من أجل اختلاف الرأي في فهم حديث الرسول ﷺ ، وهكذا يجب

---

(١) الأنعام : ١٥٩

(٢) الشورى : ١٣

علينا ألا نَتَفَرَّق وأن نكون أمَّة واحدة ، وأما أن يَحْصُل التَّفرق فيقال هذا من السَّلفيين وهذا من الإخْوانيين وهذا من التَّبلغيين وهذا من السُّنيين وهذا من المُقَلِّدين وهذا من كذا وهذا من كذا ونتفرق فهذا خَطَره عظيم ، والأمل الذي نؤمله من هذه الصَّحوة واليقظة الإسلامية سوف يتلاشى ، إذا علمنا أن هذه الصَّحوة سيكون منها طوائف مُتَفَرقة يُضَلِل بعضها بعضًا وُيَسفِّه بعضها بعضًا .

والحَلُّ لهذه المشكلة ، أن نَسْلُك ما سلكه الصَّحابة رضي الله عنهم وأن نعلم أن هذا الخلاف الصادر عن اجتهاد في مكان يسوغ فيه الاجتهاد أن نعلم أن هذا الخلاف لا يؤثر بل إنه في الحقيقة وفاق فكيف ذلك ؟ أنا أخالفك في مسألة من المَسَائل لأن مُقْتَضَى الدَّليل عندي خلاف ما تقول وأنت تُخَالِفُني في هذه المسألة لأن مقتضى الدَّليل عندك خلاف ما أقول أنا . فالواقع أننا لسنا مُخْتلفين لأن كلا منا أخذ بما رأى بناء على أن هذا مُقْتَضَى الدَّليل ، إذن فَمُقْتَضى الدَّليل أمام أعيننا جميعًا وكُلُّنا لم يأخذ برأيه إلَّا لأنه مُقْتَضَى الدَّليل ، فأنا أحمدك وأُثْني عليك لأنك تجرأت على مُخَالَفَتِي ، وأنا أَخُوك وصَاحِبُك ، لأن هذه المخالفة مُقْتَضَى الدَّليل عندك فالواجب عليَّ ألا يكون في نفسي شيءٌ عليك ، بل أنْ أحمدك على ما ذهبت إليه ، وأنت كذلك ، ولو أننا ألزمنا أَحَدنا أن يأخذ بقول الآخر ، لكان إلزامي إياه أن يأخذ بقولي ليس أولى بإلزامه إياي أن آخذ بقوله ، ولذلك أقول يجب أن نجعل هذا الخلاف المَبْنِي على اجتهاد أن نجعله ليس خِلافًا بل نجعله وِفَاقًا حتى تَجْتَمِع الكلمة ويَحْصُل الخير .

ولكن إذا قال قائل : قد تكون هذه معالجة غير متيسرة بالنسبة لعامة الناس فما هو الحل ؟

الحلُّ : أن يجتمع رُؤساء القوم وأَعْيانهم من كل طائفة للنَّظر والبحث في مسائل الاختلافات بيننا حتى نكون مُتَّحدين ومُؤْتَلِفين .

ولقد جرى في سنة من السِّنين مسألة في مِنى – على يدي ويد بعض الإخوان – وقد تكون غريبة عليكم ، حيث جيءَ بطائفتين وكل طَائفة من ثلاثة أو أربعة رجال وكل واحد تَتَّهم الأُخرى بالكفر واللَّعن ، وهم حجاج وخبر ذلك : أن إحدى الطَّائفتين قالت : إن الأُخرى إذا قامت تُصَلِّي وضعت اليد اليُمنى على اليُسْرى فوق الصَّدر ، وهذا كفر بالسُّنة حيث إن السُّنَّة عند هذه الطائفة إرسال اليدين على الفخذين ، والطائفة الأخرى تقول : إن إرسال اليدين على الفخذين دون أن يجعل اليمنى على اليسرى كفر مبيح للَّعنة وكان النِّزاع بينهم شَديدًا ولكن بفضل الله ثم جهود الإخوان وبيان ما يجب أن تكون عليه الأمة الإسلامية من ائتلاف ذهبوا وكل واحد منهم راضٍ عن الآخر .

فانظر كيف لعب الشَّيطان بهم في هذه المسأَلة التي اختلفوا فيها حتى بلغ أن كفَّر بعضهم بعضًا بسببها هي سُنَّة من السُّنن فليست من أركان الإسلام ، لا من فرائضه ، ولا من واجباته ، غاية ما هنالك أن بعض العلماء يرى أن وضع اليد اليُمنى على اليُسْرى فوق الصَّدر هو السُّنة ، وآخرين من أهل العلم يقولون : إن السُّنة هو الإرسال ، مع أن الصواب الذي دلَّت عليه السُّنة هو وضع اليد اليمنى على الذراع اليُسْرى ، كما

قال سهل بن سعد رضي الله عنه فيما رواه البخاري قال : «كَانَ النَّاسُ أُن يَضَع الرَّجُل يَدَه اليُمْنَى عَلَى ذِرَاعِهِ اليُسْرَي فِي الصَّلَاة» .

فأرجو الله سبحانه وتعالى أن يَمُنَّ على إخواننا الذين لهم مَشَارِب وَمَنَاهِج في وسائل الدَّعْوَة أَن يَمُنَّ عليهم بالائتلاف والمحبة وصلاح القلوب ، وإذا حسنت النِّية سَهل العلاج ، أما إذا لم تَحْسُن النِّية وكان كل واحد منهم معجبًا برأيه ولا يهمه غيره فإن النجاح سيكون بعيدًا .

ملاحظة إذا كان الاختلاف في مسائل العقائد فيجب أن تُصَحَّح وما كان على خلاف مذهب السَّلف فإنه يجب إنكاره ، والتَّحْذِير مِمَّن يسلك ما يخالف مذهب السلف في هذا الباب .

أما بالنسبة لجماعة التبليغ فرأي فيهم ، أنهم جماعة نفع الله بهم نفعًا عظيمًا فكم من إنسان عاصٍ هَدَاهُ الله على إيديهم ، بل كم من إنسان كَافِرٍ دخل في الإسلام على إيديهم وتأثيرهم لا أحد يُنْكِرُه في الواقع ، لكن لا شك أن عند القوم جهلًا كثيرًا ، وأنهم يَحْتَاجون إلى طلبة علم يشاركونهم ويُبَيِّنُون لهم ما هم عليه من بعض الأشياء التي يفعلونها ظنًا منهم أنها لا بأس بها وأنها مُفِيدة وهي في الحقيقة تحتاج إلى تَصْحِيح .

مثل تَقْييد بعضهم الخروج بثلاثة أيام ، أو أربعة أيام ، أو أربعين يومًا ، أو سِتَّة شهور ، أو ما أشبه ذلك . ثم يقولون : إننا نفعل هذا من باب الوسيلة وليس من باب القصد أي أننا لا نعتقد أن هذا أمر مشروع أو أنه يتعبد لله به لكن نعتقد أن هذا التَّقدير من أجل شَد

الإنسان والتزامه لأجل أن يتكيف للدعوة والحق والانتقال عن الترف وما أشبه ذلك .

فالذي أرى : أنهم بلا شك عندهم صلاح وفيهم نَفْع وخَيْر كثير ولكن عندهم جهل كثير يحتاجون إلى طلبة العلم الذين يُبَيِّنُون لَهُم ، كما أني أنتقد عليهم : أن بعضهم - ولا لأقول كلهم - إذا دَخَلْتَ معهم في مُنَاقشة للعلم تجد منه أنه لا يرتاح لذلك ، ولا يُحِبُّ المناقشة أو التَّعمق في العلم ، وهذا بلا شك خطأ لأن الواجب على الإنسان - ولا سيما الشاب - أن يكون حريصًا على العلم وعلى البحث فيه ، ولكن بهدوء وطلب للحق لا بِجِدَال وَشِدَّة وَعُنْف كما يوجد من بعض الناس ، كما أني أيضًا أحب أن تكون هذه الجماعة على صلة بإخوانهم الآخرين وأن يجتمعوا جميعًا على كلمة واحدة هذا يتعلَّم من هذا العلوم الشَّرعية ، وهذا يتعلَّم من هذا الأخلاق والآداب والسَّمَاحَة والله أعلم .

٥٠١ ـــــــ هل يجوز للمرء أن يترك عمله ويتفرغ لطلب العلم ، فيكون عالة على أبيه وأخيه ؟

لا شك أن طلب العلم من أفضل الأعمال بل هو من الجهاد في سبيل الله ، ولا سيما في وقتنا هذا حين بدأت البدع تَظْهَرُ في المجتمع الإسلامي وتنتشر وتَكْثُر ، وبدأ الجهل الكثير ممن يَتَطَلَّعُ إلى الإفتاء بغير عِلْم ، وبدأ الجدل من كثير من الناس ، فهذه ثلاثة أمور كلها تُحَتِّمُ على الشَّاب أن يحرص على طلب العلم .

أولًا : بدع بدأت تَبْزُغ نُجُومها .

ثانيًا : أناس يَتَطَلَّعون إلى الإفتاء بغير علم .

ثالثًا : جدل كثير في مسائل قد تكون واضحة لأهل العلم لكن يأتي من يُجَادل فيها بغير علم .

فمن أجل ذلك فنحن في ضَرُورَة إلى أهل علم عندهم رُسُوخ وسَعَة اطِّلاع وعندهم أيضًا فقه في دين الله ، وعندهم حكمة في توجيه عباد الله ، لأن كثيرًا من الناس الآن يَحْصُلون على علم نظري في مسألة من المسائل ولا يُهِمُّهُم النَّظر إلى إصلاح الخَلْق وإلى تَرْبِيَتِهم ، وأنهم إذا أَفْتَوا بكذا وكذا صار وسيلة إلى شَرّ أكبر لا يَعْلَم مَدَاه إلا الله ، وها هم الصحابة رضي الله عنهم أحيانًا يُلْزِمون بأشياء قد تكون النُّصوص دالة على عدم الإلزام بها من أجل تربية الخلق .

عمر بن الخطاب رضي الله عنه أَلْزَمَ النَّاس بإمْضاء الطَّلاق الثَّلاث ، كان الطَّلاق الثَّلاث في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وعهد أبي بكر وسنتين من خلافة عمر ، كان الطلاق الثلاث - أي في مجلس واحد - واحدًا ، لكن هو مُحَرَّم أي طلاق المرأة ثلاثًا في مجلس واحد حَرَام ، لأنه من تعدي حُدود الله عزَّ وجلَّ .

قال عمر رضي الله عنه : «أَرَى النَّاس قَدْ تَتَابَعُوا في أَمْرٍ كانت لهم فيه أَنَاة فلو أَمْضَيْنَاه عَلَيْهِم» فأَمْضَاهُ عَلَيْهم ، وجعل الطلاق الثلاث ثلاثًا لا واحدًا بعد أن مضى عهد النبي ﷺ وعهد أبي بكر وسنتان من خِلَافته رضي الله عنه ، أَلْزَمَ النَّاس بالطَّلاق الثَّلاث ، مع أن الإنسان

لو راجع زوجته بعد هذا الطَّلاق لكان رُجُوعه صَحِيحًا في العهدين السَّابقين لعهد عمر وسَنَتَين من خلافته ، لكن رَأَى أنَّ المَصْلَحة تَقْتَضِي إمضاء الطَّلاق الثلاث ومنع الإنسان الرجوع إلى زوجته .

أيضًا عُقُوبة الخمر في عهد النبي عليه الصلاة والسلام يؤتى بالرجل الشَّارب فيضرب بطرف الثَّوب أو بالجريد أو النَّعال نحوًا من أربعين جلدة ، وفي عهد أبي بكر يُجْلَدُ أربعين ، وفي عهد عمر يُجْلد أربعين ، لكنه لما كثر الشُّرب جمع الصَّحابة واستشارهم فقال عبد الرحمن بن عوف : أخف الحدود ثمانون ، فجعل عمر عقوبة شارب الخمر ثَمَانِين جلدة . كل هذا من أجل إصلاح الخَلْق ، فينبغي للمسلم او المُفْتِي والعالم في مثل هذه الأمور أن يُرَاعي أحوال الناس وما يُصْلِحهم .

٥٠٢ ـــــ ماذا نعمل بالصُّحف بعد قراءتها ؟

لا شك أن الصُّحف تَحْوي أسْماء الله وبعض الآيات والأَحاديث لذلك لا يجوز امْتهانها ولكن المُؤْسِف أن بعض النَّاس يَسْتَخْدمها للطَّعام بدل السُّفرة وهذا جهل منهم . أما ما يكون لدى الإنْسان من الصُّحف فإن تمكن من إحراقها فهذا أفضل وإلا يجعلها في كيس ويربطه ليكون معزولًا عن بقية المُخَلَّفات المَنْزلية .

٥٠٣ ـــــ نحن نستعمل الجرائد والصحف والمجلات التي فيها اسم الله ثم نرميها في القمامة ؟

لا يجوز إلقاء شيء فيه آيات الله أو أحاديث الرسول ﷺ في مكان تمتهن فيه لأن كلام الله عظيم يجب احترامه ولذا لا يقرأ الجنب ، ولا يمس المصحف إلا المتوضىء على رأي كثير من أهل العلم . بل أكثرهم . ولكن ينبغي إحراقها إحراقًا كاملًا أو تمزيقها بالآلات الحديثة التي لا تبقى شيئًا .

٥٠٤ ـــــ رأيت بعض الناس عندما يقصون الأظافر أو الشعر وخاصة عند النساء يقوم بدفن الأظافر والشعر على أساس أن تركه في العراء إثم فما مدى صحة ذلك ؟

ذكر أهل العلم انَّ دَفْن الشَّعر والأَظْافَر أَحْسَنُ وأَوْلَى . وقد أُثِرَ ذلك عنْ بعض الصَّحابة رضي الله عنهم وأما كون بَقَائِه فِي العَرَاء أو إِلْقَائه فِي مكان مَا يُوجِبُ إِثْمًا فَلَيْسَ كذلك .

٥٠٥ البعض يجد في نفسه عند السفر إلى الخارج حرجًا وخجلًا إذا لبس لبسه الذي يدل على إسلامه فما هو توجيهكم ؟

صحيح ما قاله السَّائل وللأسف الشَّديد ، فعلى الرغم من أننا نحن الأعلون نجد فينا ضعف الشَّخصية ، ونشعر أننا أذناب لغيرنا في الواقع وأتباع لهم ، تجد الإنسان منا إذا رأى شيئًا مفيدًا لا يعزوه إلى نفسه ، ولا إلى غيره من المسلمين ، إنما يقول هذا من الحضارة الغربية أو الشرقية ، وتجده لا يَعْتَزُّ بشخصيته أمام تيار الفَسَاد لهؤلاء ، وإذا كان هؤلاء يأتون إلينا في بلادنا بلباسهم الفاضح العاري الخليع حتى إن نساءهم في بلاد المسلمين تأتي ونصف فخذها عار ، ونحرها عار ورقبتها عارية ، وتمشي تدق الأرض بِقَدَميها ، حتى تكاد تَنْهَدم الأرض من تحتها ، ولا تبالي وهي امرأة ، فكيف بنا الرجال المسلمين ؟ كيف نخجل إذا كنا نمشي بلباسنا السَّاتر الإسلامي في بلادهم ؟ أفليس هذا أكبر دليل على ضَعْفَ الشَّخصية ؟

الجواب : بلى ، إذا عاملناهم بالمثل فقد عاملناهم بالعدل . إذا كانوا هم يأتون إلى بلادنا بلباسهم غير مُبَالين بشعورنا ، فلماذا لا نأت نحن بلباسنا حين نُسافر إليهم ولا نبالي بشعورهم .

على أنه حدَّثني من أَثِقُ به – وهو الآن رهين في قبره – يقول : إنه سافر إلى عاصمة بلد غربية وكان في لباسه الإسلامي الوطني – مشلح

وقميص – وعقال وغترة – يقول : فوجدت منهم الإكرام الكثير ، حتى إنهم يَتَبادرون لفتح باب السيارة إذا أردت الركوب ، انظر الإنسان إذا اعتز بالله عزَّ وجلَّ أعزه الله ، لكن أن نتخاذل أمامهم فإن هذا ليس من شأن المسلم ، ولو أننا راجعنا التاريخ وإلى معاملة المجاهدين المسلمين لأعدائهم في الحروب لوجدت كيف كانت العزة من هؤلاء المسلمين مع أعدائهم . ثم إن الذي يَنْبَغي للإنسان المُسْلم أن يُحَافظ على كرامته بحيث لا يعتقد أن مدنيتهم الزَّائفة هي الحضارة ، بل الصَّواب أن تبدل الضاد بالقاف فتكون (الحقارة) ، لأن الحضارة التي تؤدي إلى هدم الأخلاق ، وإلى التفسخ ، بل وإلى الكفر بالله عز وجل ، والله لا يصح أن نسميها حضارة مهما كان الأمر ، الحضارة الحقيقية وهي التقدم النافع إنما هي بالتمسك بدين الإسلام وأخلاقه ، فلماذا نعطي هؤلاء الثمن رخيصًا ؟ لنقول أنتم أهل الحضارة ونحن أهل التأخر ، مع أن الواجب ان نتقدم نحن بإسلامنا عقيدة وعملًا ومنهاجًا لتكون الحضارة منا إليهم .

الصدق أليس من الحضارة ؟ الجواب : نعم وهو يوجد في الإسلام ، والإسلام يحث عليه :

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ الله وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾[1] .

وقال النبي ﷺ : « عَلَيْكُمْ بِالْصِدْقِ ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى البِرِّ وَإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَى الجَنَّةِ وَلَا يَزَالُ الرَّجُل يَصْدُق وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ الله صِدِّيقًا ، وَإِيَّاكُم وَالكَذِبَ ، فَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي

---

(١) التوبة : ١١٩

إِلَى الْفُجُورِ ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ ، وَلَا يَزَال الرَّجُل يَكْذِب وَيَتَحَرَّى الكَذِب حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا» .

لكن من الأسف أن كثيرًا من المسلمين قد فُقِدَ منهم الصدق ، إذن فنحن لم نمثل الإسلام في هذا الجانب الكبير العظيم .

النصح والبَيَان في المُعَاملة جاء به الإسلام ، يقول عليه الصلاة والسلام : «البَيِّعَانِ بِالخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا فَإِن صَدَقَا وَبَيَّنا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا ، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا» . فهل.هذا النُّصح والبَيَان موجود في معاملة كل المسلمين ؟ الجواب : لا بل هو مفقود في المعاملة من بعض المسلمين ، بعض المسلمين لا يصدق ولا يبين ، بل يأتي إليك ويقول : هذه السلعة قيمتها مائة ريال ، والحَقيقة أن قيمتها خمسون ريالًا ، أليس هذا كذبًا وغشًا ؟ ! والإسلام ينهى عن ذلك ، ويقول النبي ﷺ : «مَن غَشَّنا فَلَيْسَ مِنَّا» فيتبرأ منه النبي ﷺ ، ومع ذلك فبعض المسلمين يغش - والعياذ بالله - وإذا تأملت أحوالنا - نحن المسلمين - وجدت أمرًا مُخْجِلًا ، وجدت أن التَّعاليم الإسلامية التي تأمر بالصِّدق ، والبَيَان ، واللِّين ، واللُّطف مفقودة من بيننا ، والعكس هو الموجود في كثير منا ولذلك يمكن أن نقول أن بعض المسلمين يُنفّر عن الإسلام بسلوكه المخالف للإسْلام .

٥٠٦ ـــــــــ **يقول السائل : بعض الإخوة يقوم ببيع الكتب الدينية ، وكذلك الأشرطة أمام المساجد علمًا بأن الجهات المسئولة لا تسمح بذلك ، فهل يجوز الشراء منهم ؟ وما حكم هذا البيع ؟**

لا شك أن بيع الكتب الدينية والأشرطة الدينية إذا قصد الإنسان به معونة إخوانه على تعلم العلوم الشرعية ، لا شك أن الإنسان يؤجر على بيع هذه الأشياء ، سواء كان ذلك أمام المساجد ، أو في أماكن أخرى مخصوصة .

ولكن إذا رأى أولياء الأمور أن يكون لبيع هذه الأشياء أماكن مخصوصة ، فإن الواجب على الرعية طاعة ولاة أمورهم ، إلا في معصية الله ، قال النبي ﷺ : «عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ : السَّمْعُ وَالطَّاعة فِيمَا أَحَبَّ ، وَكَرِهَ ، مَا لَمْ يُؤْمَر بِمَعْصِيَة» .

وكون بعض الناس إذا صدر الأمر من ولاة الأمور لا يقبله إلا إذا كان الله قد أمر به ورسوله . فإن ذلك لدليل على قِصر عِلْمه بشريعةِ الله ، لأن الله تعالى يقول : ﴿ **يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُوْا الرَّسُول وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ** ﴾[1] . فطاعة ولاة الأمور في غير معصية الله من طاعة الله ، ونحن نتقرب إلى الله عز وجل بطاعة ولاة

(١) النساء : ٥٩

أمورنا في غير مَعْصِية الله ، لأن الله عزَّ وجلَّ أمرنا بذلك ، وإلا فهم بَشَر مِثْلنا ، لكن الله جعل لهم الحق علينا بولاية أَمْرِنا .

وتأمل الآية الكريمة : ﴿ أَطِيعُواْ اللهَ وأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ ﴾[1] . لماذا لم يقل : وأطيعوا أولي الأمر منكم ؟ الجواب : لأن طاعة ولي الأمر تابعة لطاعة الله ورسوله ، فإذا تَضَمَّنَتْ طاعة ولي الأمر معصية الله ورسوله ، فحينئذٍ لا يُطَاع ولي الأمر فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فإذا رأي ولي الأمر ألا تباع هذه الأشياء سواء كانت كُتُبًا دينية ، أو أشْرطة ، أو غيرها ، في هذا المكان لمصلحة رآها في ذلك ، فإنه يُطَاعُ ، ثم إذا رأى بعد ذلك أن من المصلحة أن تباع في هذا المكان ؛ لأنها أقرب تناولًا للناس مثلًا ، فإنه من الممكن أن يراجع ولي الأمر ، ويبين له الفائدة ، حتى يحصل المقصود . أما المعاندة فهذا لا يجوز شَرْعًا .

ومن هذه النُّقطة أنتقل إلى أمر مهم يتعلق بالمسجد الحرام : ولاة الأمور مَنَعُوا إدخال الطَّعام إلى المسجد الحرام ، لماذا ؟ لأن إدخاله كان فيه مَضَرَّة عظيمة شاهدناها ، فكانت أرض المسجد الحرام تمتلىء بفضلات الطعام ، والفُتَات ، وما أشبه ذلك ، حتى إنك لا تستطيع أن تسجد على الأرض من النتن ، والرائحة الكريهة ، فرأى القائمون على المسجد الحرام أن تمنع هذه الأشياء منعًا باتًا ، ولكن بعض الناس صار يَتَحَيَّل بإدخال الأطعمة بطرق مُلْتوية ليفرَّ من المُرَاقبة ، ولكن إذا فر من مراقبة المخلوق فهل يفر من مراقبة الخالق ؟ كلا .

---

(١) النساء : ٥٩

بعض الناس يقول : إنَّه مُعْتكف ، ولا يكفيه التَّمر والماء ، فنقول له : إن الاعتكاف سُنَّة ، وطاعة ولي الأمر في غير معصية الله وَاجبة ، فإذا لم يكن تنفيذه هذه السّنة إلا بالوقوع في المحرم ، فدع السُّنَّة ؛ لأنه لا معارضة بين الواجب وبين المُسْتَحَب ، أو نقول له : اسلك طريقًا آخر أباحه الله عزَّ وجلَّ ، وهو أنك إذا كنت لابد أن تأكل طعامًا ، ولم تتمكن من تعويد معدتك على التَّمر والماء ، فاخرج من المسجد وكل ، وأنت إذا خرجت للأكل الذي لابد لك فيه من الخروج فإن ذلك جائز .

٥٠٧ ـــــــــــ شخص وجد كتابًا يحوي أحاديث دينية مرمي به في الطريق ، ويخشى أن تتلفه السيارات ، وذلك في مكة ، فهل يعتبر هذا في حكم اللقطة إذا أخذه ؟

نعم يُعْتَبَرُ هذا في حكم اللُّقطة ولُقَطَةُ الحرم – أي حرم مكة – ليست كغيره ، قال النبي ﷺ في مكة : «لَا تَحل سَاقِطَتهَا إِلَّا لِمُنِشد» أي أنك لا تأخذ شَيْئًا سَاقِطًا في مكَّة إلاإذا كنت تُريد أن تُنْشِدَه مدى الحياة .

أما السَّاقطة في غير مكة فإنها تُنْشَد سنة ، فإن وجد صاحبها وإلَّا فهي لمن وَجَدها ، لكن مكة لا تَحِلُّ سَاقِطَتها إِلَّا لِمُنْشِد .

٥٠٨ ــ هل المؤمن يمرض نفسيًا ؟ وما هو علاجه في الشرع ؟ علمًا بأن الطب الحديث يعالج هذه الأمراض بالأدوية العصرية فقط ؟

لا شك أن الإنسان يُصَاب بالأمراض النَّفسية بالهم للمُسْتَقبل والحُزْن على الماضي ، وتفعل الأمراض النفسية بالبدن أكثر مما تفعله الأمراض الحِسِّية البدنية ، وعلاج هذه الأمراض بالأمور الشرعيه – اي الرقيه – أنجح من علاجها بالأدوية الحِّسِّيه كما هو معروف .

ومن أدويتها الحديث الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه «إِنَّهُ مَا مِنْ مُؤْمِن يُصِيبهُ هَم أَوْ غَم أَوْ حزن فَيَقُول اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدكَ وَابن أَمِتكَ نَاصِيَتِي بِيدكَ ماضٍ فِيَّ حُكْمكَ عَدْلٌ فِيَّ قضاؤك أَسْأَلُكَ اللَّهُمَّ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْت بِهِ نَفسك أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْت بِهِ في عِلْمِ الغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ القُرْآنَ العَظِيمَ رَبِيعَ قَلْبِي ، وَنُورَ صَدْرِي ، وَجَلَاءَ حُزْنِي ، وَذَهَابَ هَمِّي وَغَمِّي ، إِلَّا فَرَّج اللهُ عَنْهُ» فهذا من الأدوية الشرعية ، وكذلك أيضًا أن يقول الإنسان : «لَا إِلهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ»

ومن أراد مزيدًا من ذلك فليرجع إلى ما كتبه العلماء في باب الأذكار كالوابل الصيب لابن القيم ، والكلم الطيب لشيخ الإسلام ابن تيمية ، والأذكار للنووي ، وكذلك زاد المعاد لابن القيم .

لكن لما ضَعُفَ الإيمان ضَعُفَ قبول النَّفس للأدوية الشَّرعية ، وصار الناس الآن يعتمدون على الأدوية الحِسِّية أكثر من اعتمادهم على الأدوية الشَّرعية ، ولما كان الإيمان قويًا كانت الأدوية الشَّرعية مؤثرة تمامًا بل إن تأثيرها أسرع من تأثير الأدوية الحِسِّية ، ولا يخفى علينا جميعًا قصة الرجل الذي بعثه النبي ﷺ في سرية فنزلوا على قوم من العرب ، ولكن هؤلاء القوم الذين نزلوا لم يُضيفوهم فَشَاءَ الله عزَّ وجلَّ أن لُدِغَ سيد القوم – لَدَغَتْهُ حيّة – فقال بعضهم لبعض : اذهبوا إلى هَؤُلاء القوم الذين نزلوا لعلكم تَجِدُون عندهم رَاقِيًا ، فقال الصَّحابة لهم : لا نَرْقى سيدكم إلا إذا أعطيتمونا كذا وكذا من الغَنَم ، فقالوا : لا بأس ، فذهب أحد الصَّحابة يقرأ على هذا الذي لُدِغَ ، فقرأ سورة الفاتحة فقط ، فقام هذا اللَّديغ كأنما نَشِطَ من عِقَال ، وهكذا أثرت قراءة الفاتحة على هذا الرَّجل لأنها صدرت من قلب مملوء إيمانًا فقال النبي ﷺ بعد أن رجعوا إليه : «وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّها رُقْيَة» ؟

لكن في زماننا هذا ضَعُفَ الدِّين والإيمان ، وصار النَّاس يعتمدون على الأمور الحسية الظاهرة ، وابتلوا فيها في الواقع . ولكن ظهر في مقابل هؤلاء القوم أهل شعوذة ولعب بعقول النَّاس ومقدراتهم وأموالهم يزعمون أنهم قُرَّاء بَرَرة ، ولكنهم أَكَلة مال بالباطل ، والناس بين طرفي نقيض منهم من تطرف ولم ير للقراءة أثرًا إطلاقًا ، ومنهم من تَطَرَّفَ وَلَعِبَ بعقول النَّاس بالقراءات الكاذبة الخَادِعة ، ومنهم الوَسَط .

٥٠٩ - معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾[١] . إلى قوله : ﴿ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴾[٢] . وعلى من نزلت ؟

هذه الآيات نزلت فى قوم من المنافقين ، كانوا يَتَحَدَّثون فيما بينهم حديثَ الرَّكْبِ ؛ ليقطعوا الطَّريق وينسوا مشقته ، فكانوا والعياذ بالله يقولون : ما رأينا مثل قُرَّائنا هؤلاء - يعني النبي ﷺ وأصحابه - أرغب بُطُونًا ولا أكذَبَ أَلْسُنًا ولا أجبنَ عند اللقاء ، وكذب المنافقون في ذلك فهم - أي المنافقون - أرغب الناس بُطُونًا - أي أوسعهم بطونًا وأحبَّهم للأكل - وأكذبهم أَلْسُنًا وأَجْبَنهُم عند اللقاء بل إنهم خرجوا للقتال في أحد [illegible] رجعوا مما [illegible] عقيدة ولا إيمان والعياذ بالله ، فهؤلاء كانوا يتحدثون هذا الحديث ، فأنزل الله تعالى فيهم هاتين الآيتين فجاءوا إلى الرسول عليه الصلاة والسلام وسألهم فقالوا يا رسول الله : إنما كنا نخوض ونلعب ، نتحدث حديث الركب ليقطع عنا الطريق فقال الله تعالى : ﴿ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ لَا تَعْتَذِرواْ قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾[٣] وفي هذا دليل على أن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر مُخْرِج عن المِلَّة ، لقوله تعالى : ﴿ قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾[٤] .

---

(١) التوبة : ٦٥
(٢) التوبة : ٦٦
(٣) التوبة : ٦٥ - ٦٦
(٤) التوبة : ٦٦



الفهـــرس العـــام

الموضـوع **الصفحـة**

التَّوْحيد وأقسامـه

تَوْحِيدُ الألوهيَّة

توحيد الأسماء والصفات



الشــرك الأصغــر

الطــواغيت

الاستغاثة والاستعاذة والاستعانة

الـذبح والنـذر

الـولاء والبـراء

الجهل بأمور العقيدة ، والعذر بـه

تكفـير المُعَـيَّن

التوسـل

الحَلِف

الخوف والرجاء

التوكل

التطير والتشاؤم

الرقى والتمائم

تأثـير العـين

مـس الجن ، وعلاجـه

السـحر

إبليس والوسـوسة

الملائكة والجن

خوارق العادات

علم الغيب

الدعاء والذكر

رؤية الله عز وجل

تعبير الرؤى

الفرقة الناجية

القبر وما يتعلق به من أحكام مختلفة

الفتن وأشراط الساعة

البعث والحساب

الجنـــة والنـــار

الشـــفاعة

القضـــاء والقـــدر

عمـوم الرسـالة

الأنبيـاء والرسـل

القرآن الكريم ، والكتب السابقة

ما يتعلق بالنبي ﷺ

البـــدع

التصـــوير

حفظ المنطق

متفرقـــات







